المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
جامعة الملك خالد
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية للبنات
قسم الدراسات الإسلامية



مسائل الاعتقاد في قصة عيسى عليه السلام في ضوء الكتاب والسنة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة

فاطمـــة بنت عبدالله آل مهـــــــــــدي

إشراف فضيلة الدكتور

علي بن حسين بن يحي موسى
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الملك خالد

العام الجامعي ١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ

٢٠٠٨م - ٢٠٠٩م



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية الأقسام الأدبية بأبها
قسم : الدراسات الاسلاميه
ماجستير

بسم الله الرحمن الرحيم

(عنــــوان الرســــــــــــالة)

مسائل الاعتقاد في قصة عيسى علية السلام في ضوء الكتاب والسنة

أسم الطالبة: فاطمه عبدالله ال مهدي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٥/٢/١٤٣١هـ وتمت إجازتها

(أعضاء لجنة الحكم)

الاسم: د/ علي حسين يحي موسى — مشرفاً ومقرراً · التوقيع ....

الاسم: د/ علي حسن ناصر عسيري — عضواً داخليا التوقيع ....

الاسم: د/ رشيد حسن محمد الألمعي — عضوا داخليا التوقيع ....

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في ملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا، وأشهد أن الإله الحق الذي تعالى عن الأنداد خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأصلي وأسلم على المبعوث للعالمين بشيرا ونذيرا، المؤيد بالوحي، ومن أصدق من الله قيلا؟ محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه ونهج نهجه إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.. أما بعد:

فإن للدين أهمية بالغة في حياة البشرية عبر تاريخها الطويل، تتجلى في بحثهم عن عقيدة يرتبطون بها، وقوة عظمى يستمدون منها، ولهذا فإن المجتمعات عبر العصور لا تخلو غالبا من دين تحتكم، إليه سواء أكان هذا الدين صحيحا أم سقيما، وضعيا كان أم سماويا.

لذا فحاجة الإنسان إلى الدين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب؛ إذ هذه متطلبات الجسد، وذاك مطلب الروح، فلا سعادة ولا استقرار ولا نظام بلا دين.

غير أن الله لم يرتض للبشرية دينا سوى الإسلام، من لدن آدم u إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾ [سورة آل عمران، آية ١٩]

وما أن يبتعد الناس عن الدين؛ إلا ويبعث الله الرسل لتردهم إليه، من نوح u إلى نبينا محمد r مرورا بموسى وعيسى عليهما السلام؛ وقد اشتركوا في وحدة المصدر؛ إذ هو من عند الله، والأصل الذي دعوا إليه، إذ هو التوحيد. قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ [سورة النحل آية ٣٦]

وأمة بني اسرائيل بعث الله إليهم موسى u بالتوحيد، ثم جاءهم عيسى u ، مؤيدا له ومبينا لما اختلفوا فيه فتفرقوا عليه واختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وبقيت أمة منهم تابعة لعيسى u ، ثم ما لبثت أن تحللت من دينها شيئا فشيئا بعد أن تجاذبتها الأهواء، وشعبتها الأعداء حتى لم يعد للتوحيد في دينهم معلما، ولا لنهج النبوة رسما، ولم يختلف أتباع نبي كاختلاف النصارى في أصل معبودهم. يقول ابن تيمية: «فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم ولا شكّوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه إلا أهل ملل النصرانية فقط، وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه»[١].

فبعث الله نبينا محمدا r إلى الأمم كلها عائدا بهم إلى دين التوحيد، ومبينا بما أوحى الله إليه ما كان منهم من تحريف وتبديل؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ٢/٤٠٧.

ثم بعث الرسل والرسائل، والدعاة والمجاهدين الفاتحين لنشر دين الإسلام، والرد على كل زيغ وضلال.

ولما كان أتباع نبينا محمد r هم المبلغين دينه بعده، فقد انبروا بكل سبيل للدعوة إلى الدين القويم، وبيان كل تحريف وتعطيل من زمن البعثة والى يومنا هذا، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولزاما علينا نحن المسلمون أن نبين دين رسل الله، ونجاهد لإعلاء كلمته، فكما الجهاد بالسيف والسنان، فكذلك بالقلم واللسان. ولكل عصر ما يميزه، فمع انتشار العلم والثقافة، ولما للكتاب من أهميه فإن الرسائل العلمية منبر تعليم ودعوة؛ لما تتميز به من الجدية، والعلمية، والتوثيق، والحيدة.

لذا عزمت أن أكتب في مسائل الاعتقاد من خلال قصة عيسى u في ضوء الكتاب والسنة؛ لأبين حقيقة التوحيد الذي جاء به عيسى u ، والعقائد الصحيحة التي دعا إليها، والرد على المفتريات والأباطيل التي ألحقها النصارى بدين عيسى u ، عملا بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [سورة العنكبوت، آية ٤٦] مرقوما تحت عنوان:

(مسائل الاعتقاد في قصة عيسى u في ضوء الكتاب والسنة)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١) التعريف بأن الدين الذي جاء به عيسى u التوحيد الخالص لله تعالى، والرد على التحريف الذي دخل دين النصارى، وأنهم أتباع لدين مبدل ومنسوخ بدين وشريعة محمد r. وذلك من خلال قصة عيسى u كما بينها الكتاب والسنة.

٢) الرد على ماتواجهه الأمة الإسلامية من حملات ضارية على الإسلام والمسلمين في أصل معتقداتهم، وبذل الجهود في التنصير، أو التضليل، أو التشكيك.

٣) في وقت الانفتاح الإعلامي، وسريان الثقافات إلى الأمم ينبغي على أهل العلم حماية مجتمعاتهم من التأثر بما عند الأمم المنحرفة من الضلال والضياع لاسيما في أصل المعتقد.

٤) مساهمة في مواكبة التعطش - الذي أصبحنا نسمع عنه كثيرا عند أهل الشرق والغرب - إلى القراءة في كتب المسلمين، ولاسيما فيما له علاقة بالقرآن والسنة.

الهدف من البحث:

١) جمع مسائل الاعتقاد المتعلقة بقصة عيسى u كما عرضها القرآن وبينتها السنة؛ لأنه مع العلم بكثرة ما كتب عن عقائد النصارى إلا أنني لم أعثر- حسب علمي- على من جمعها في كتاب واحد، فحاولت أن ألم شتاتها في مؤلف مستقل، مع بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة من المسلمين في عيسى وأمه عليهما السلام.

٢) حاجة أهل العلم والدعوة إلى معرفة معتقدات النصارى وضلالاتهم؛ لبيان دعوتهم، ومواجهة شبههم والرد عليهم.

٣) وضع كتاب بين يدي القارئ النصراني على وجه الخصوص؛ لتعريفه بضلال معتقده الذي لا يعقله قساوستهم، ولا يستوعبه مقلدتهم بإقناع عقلي. معتمدة على الوحي الإلهي (كتاب الله وسنة نبيه r).

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، ومدخل، وبابين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف منه، وخطة البحث، ومنهج البحث.

مدخل الدراسة ويشمل:

- حاجة البشرية إلى الرسالات.
- الدراسات السابقة .

الباب الأول

عيسى u ورسالته لبني إسرائيل

وتحته فصلان:

الفصل الأول: حياة عيسى u وخصائصه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مريم أم عيسى u ، ولادتها، نشأتها وتربيتها .

المبحث الثاني: عيسى u ، حمله، ولادته، وخصائصه.

الفصل الثاني: عقيدة المسلمين في نبوة عيسى u ورسالته

وتحته ثمانية مباحث:

المبحث الأول : بعثة عيسى u .

المبحث الثاني : العقيدة التي جاء بها عيسى u .

المبحث الثالث: الإنجيل المترل على عيسى u .

المبحث الرابع: معجزات عيسى u .

المبحث الخامس: رفع عيسى u .

المبحث السادس: نزول ووفاة عيسى u آخر الزمان.

المبحث السابع: براءة عيسى u من معتقدات النصارى.

المبحث الثامن: استثناء عيسى u من مصير الآلهة المعبودة من دون الله تعالى.

الباب الثاني

اعتقاد النصارى في أركان الإيمان والرد عليهم

وتحته تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد يشمل: جذور عقائد النصارى

الفصل الأول: عقيدة النصارى في الإيمان بالله تعالى والرد عليهم

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: عقيدة النصارى في عيسى u وأنه ثالث ثلاثة .

المبحث الثاني : عقيدة النصارى في صلب عيسى u .

الفصل الثاني موقف النصارى من بقية أركان الإيمان والرد عليهم

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف النصارى من الملائكة.

المبحث الثاني: موقف النصارى من الكتب الإلهية.

المبحث الثالث: موقف النصارى من الرسل.

المبحث الرابع: موقف النصارى من القدر.

المبحث الخامس: موقف النصارى من اليوم الآخر.

الفصل الثالث: المعالم الرئيسة للقرآن والسنة في عرض عقائد النصارى.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهـارس

وتشمل الفهارس ما يلي:

١) فهرس الآيات.

٢) فهرس الأحاديث.

٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤) فهرس الفرق والطوائف.

٥) فهرس الأماكن والبلدان.

٦) فهرس المصادر والمراجع.

٧) فهرس الموضوعات.

أما منهجي في البحث فقد سرت على النحو التالي:

١) حصرت الآيات والأحاديث ذات العلاقة بمسائل الاعتقاد في قصة عيسى u من القرآن وكتب السنة المعتمدة، ثم صنفتها حسب المباحث، ومن ثم درستها باستخدام المنهج التحليلي.

٢) رجعت إلى كتب التفاسير وشروحات الأحاديث لمعرفة أقوال المفسرين والمحدثين وغيرهم.

٣) رجعت إلى مؤلفات كتب العقيدة والفرق والأديان، وحيث إني لم أغفل كتب المتقدمين إلا أني اعتمدت على مؤلفات ابن تيمية؛ فقد حوت ما قاله السابقون له واللاحقون، ثم وجدت في كتب المتأخرين ما ليس عند غيرهم من نصوص النصارى وتصريحات الموسوعات، مع جمعها لما عند السابقين؛ فجعلت لها مكانة خاصة لمناسبتها ما يحتاج إليه هذا العصر.

٤) رجعت إلى كتب ومصادر النصارى بما فيها الكتاب المقدس وبعض تفاسيره، لأخذ أقوالهم من مصادرهم، وعليها اعتمدت في أغلب الرسالة قدر المستطاع في تقرير عقائدهم، ومالم أجده عندهم أخذته من كتب غيرهم.

٥) عرضت عقائد النصارى في كل مبحث مجتمعة، ثم جعلت الرد عليها جملة في المطلب الثاني في كل مبحث، وإذا اقتضى الأمر الإعادة فإني أبينه بشكل موجز مع التنبيه إلى أنه سيأتي أو كما ذكر سابقاً.

٦) قدمت لكل باب بتمهيد مختصر.

٧) عزوت الآيات إلى سورها من كتاب الله بذكر اسم السورة ورقم الآية، ووضعتها في المتن تلافياً لكثرة الهوامش. أما عند بيان الآية فإني لا أعيد عزوها.

٨) خرجت الأحاديث، وقد اعتمدت على الصحيحين فإن لم أجد الحديث فيه خرجته من باقي كتب السنة المعتمدة.

٩) عزوت نصوص الكتاب المقدس إلى مظانها فيه، وجعلتها في الهامش بذكر مرجعه ورقم الإصحاح والفقرة. وعند بيان النص لا أعيد عزوه.

١٠) ترجمت للأعلام غير المشهورين، وقد اقتصرت في الترجمة على أعلام المسلمين وعلمائهم المعاصرين. أما غالب الباحثين، والكتاب المعاصرين، وأعلام النصارى فلم أترجم لهم.

١١) الأعلام النصرانية الواردة في الرسالة - وهي موضوع في البحث - عرفت بهم في مواطن ذكرهم من البحث في المتن وليس في الحاشية عند ورود أسمائهم فقط مثل: جعلت التعريف بأصحاب الأناجيل الأربعة في معرض الحديث عن كتب النصارى، وليس في حين ذكر أسمائهم في أول مرة من الرسالة وهكذا.

١٢) نقلت كثيراً من نصوص النصارى، سواء من الموسوعات العلمية، أم الكتب المتخصصة عن الحديث في العقائد النصرانية من مصادر متفرقة؛ لأني لم أعثر على تلك المصادر رغم أهمية تلك الأقوال والتصريحات.

١٣) مع وجود فرق النصارى واختلافهم فيما بينهم، لم ألتفت إلى تلك الخلافات المذهبية، بل جعلت محور البحث فيما هو صلب عقائدهم ومتفق عليه غالباً، وهو المنهج مع أقوال الفرق الإسلامية حيث كان الاهتمام ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، إلا اليسير وهو ما دعت الضرورة لبيانه.

١٤) أكثرت من ذكر النقولات بعيداً عن الإطناب والتعليق عند عدم الحاجة إليه؛ لوضوح المعنى، ثم عزوت تلك الأقوال إلى قائليها، فإن كان نصاً وضعته بين قوسين وذكرت مرجعه، وإن كان بالمعنى لم أضعه بينهما وذكرت في الهامش (انظر).

١٥) عند ذكر المرجع في الهامش أذكر بياناته كاملة عند أول مرة، مبتدئة باسم المؤلف، وأما في الفهارس عند الرجوع إلى أكثر من طبعه أذكر رقم الطبعة الأخرى، ودارها، ومحققها إن وجد.

١٦) عرفت ببعض مصطلحات الرسالة، والمفردات الغريبة، والفرق والمذاهب، وبعض البلدان باختصار.

١٧) وضعت فهارس تخدم البحث.

وقد حاولت جهدي أن يخرج هذا البحث بإنصاف وموضوعية بعيداً عن التعصب أو السباب لما عليه النصارى من ضلال وانحراف، آملة من الله أن يكتب له القبول، وأن يهدي به أمماً، فإن أصبت فيه فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله.

وفي الختام بعد شكر الله أتوجه بالشكر إلى (جامعة الملك خالد) وأخص به (قسم الدراسات الإسلامية) بكلية التربية (بأبها) على إتاحة هذه الفرصة لمواصلة الدراسة والبحث.

كما أتوجه بالشكر إلى فضيلة الشيخ الدكتور علي حسين موسى على ما بذل لي من وقته وتوجيهاته، فأسأل الله له الجزاء الحسن في الدارين، والبركة في العلم والعمل، وهو من أشار به عليّ، ووافق رأيه رغبة في نفسي.

ثم أشكر المناقشين على تفضلهما بقراءة الرسالة وقبول مناقشتها.

ولا أنسى والدي الكريمين؛ لما لهما من فضل، فلهما من الله حسن الجزاء وكرم المثوبة في الدنيا والآخرة.

والشكر موصول لكل من أعانني وسهل لي سبيل البحث من شراء كتاب أو إعارته أو إهدائه. ومن كان سبيلاً في توصيل ما أكتب إلى المشرف. وكل من أعانني بالدعاء والتسديد، أو الخدمة والتوجيه، كل حسب وسعه ومجاله.

فأسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء أن يجعل أعمالهم لوجهه خالصة وفي الميزان صالحة..

كما أحمد الله على إعانته لي في إتمام هذا البحث وأسأله الإخلاص والقبول.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجهم وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

مدخل الرسالة

حاجة البشرية إلى الرسالات:

قال تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[الذاريات:٥٦]

وقال تعالى:﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾[المؤمنون: ١١٥]

دراستي لمسائل الاعتقاد تبدأ من هاتين الآيتين، فلم يخلق الله الخلق عبثا، ولم يتركهم سدى، فخلقهم لعبادته، وأرسل إليهم رسله مبشرين ومنذرين، ثم ستكون الرجعة إليه، وعلى التوحيد أولاً سيكون الفصل والقضاء، ثم يجازى كل إنسان بما عمل من خير أو شر، أو يعفوا.

وقد فطر الله الناس على الاعتراف به تعالى، وبوجوده، وأنه خالقهم وخالق الكون كله، قال تعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٣٠]

وجاء في الحديث الصحيح: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي ما لم أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»(١).

ومع كون العباد مفطورين من أصل خلقهم على التوحيد إلا أن الله قد أخذ عليهم الميثاق به وهم في صلب أبيهم آدم u وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا به، وهو المذكور في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (٧٢) أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾[الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣]

وفي البخاري(٢) من حديث أَنَسٍ(٣) يَرْفَعُهُ: «أن اللَّهَ يقول لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لو أَنَّ لك ما في الأرض من شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قال نعم قال فَقَدْ سَأَلْتُكَ ما هو أَهْوَنُ من هذا وَأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إلا الشِّرْكَ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم:كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها-باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ١٥٨/٨.

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: إمام أهل الحديث وقال فيه محمد بن إسحاق: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله وأحفظ له من محمد بن إسماعيل توفي (٢٥٦هـ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ٤٨٠/١).

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار الأنصاري: الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام خادم رسول الله r وتبيعه وآخر أصحابه موتاً (تهذيب سير أعلام النبلاء ١٠٥/١).

(٤) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله تعالى:﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ١٣٣/٤.

وقد أورد العلامة حافظ الحكمي[١] جمعاً من الأحاديث الصريحة في أن هذا الميثاق على ظاهره[٢].

ومن العلماء من يرى أن المقصود به الفطرة المذكورة سابقاً بدليل الآية، والمقصود بها أن لسان حالهم يشهد بذلك بناءً على ما فطرهم الله عليه من التوحيد[٣].

والذي يظهر أن الميثاق حقيقي لوجود النصوص الصريحة الصحيحة في ذلك، ولا يمنع أن يكون ذلك والبشر لا تذكره، وهو جزء من المواثيق التي أخذها الله على بني آدم لتوحيده وعبادته.

ثم بعث الله الرسل لتجدد ما بلي من الفطر، وتذكر بالميثاق، وكانت الحاجة إليهم عبر تاريخ انحراف البشرية يفوق كل حاجة، ولن تطمئن النفس حتى تركن إلى عظيم تستمد منه القوة والتأييد.

يعبد بحق، ولا إله بحق غير الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، ولا سبيل إلى معرفته بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، إلا عن طريق ربط الأرض بالسماء.

وطريقه رسل الله الذين يقول ابن القيم[٤] مبينا حاجة العباد إليهم وإلى تعاليمهم: «اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضي الله البتة إلا على أيديهم... فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها»[٥].

---

(١) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي،عاش بين عامي(١٣٤٢ هـ - ١٣٧٧ هـ) أديب من علماء جيزان، بين الحجاز واليمن. بدأ يطلب العلم صغيراً ثم عين مديرا للمعهد العلمي واستمر إلى أن توفي في مكة، من كتبه كتاب معارج القبول شرح الجوهرة الفريدة في العقيدة.(معجم المؤلفين١/٥١٩) .

(٢) انظر: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول، محمد صبحي بن حسن حلاق، (دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ١/١٠١- ١١٥، وانظر: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان، تحقيق الشيخ محمد بن عبد العزيز الخالدي، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ٢/٤٢-٤٤.

(٣) راجع: الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،(دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). انظر: معارج القبول، حافظ الحكمي١/١٠١- ١١٥. وانظر : العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،(جمعية إحياء التراث الإسلامي، الضاحية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧) ١/ ٣٠٨ .وانظر الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري،تحقيق :محب الدين الخطيب، (دار المعرفة، بيروت). (دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ١١/٤٠٣.

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية: فقيه أصولي مجتهد مفسر نحوي محدث مشارك في علوم كثيرة ولد بدمشق (٦٩١ هـ) وتوفي (٧٥١هـ) (معجم المؤلفين ٣/١٦٤).

(٥) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م)١/٧٠ وانظر: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ، قسم: الفتاوى) ١٩/ ٩٣-٩٤ أ.د/ عمر سليمان عبد الله الأشقر، الرسل والرسالات، (دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م) ص٣١.

ويقول في موضع آخر: «فالرسل تذكر بما في الفطر وتفصله وتبينه، ولهذا كان العقل الصريح[١] موافقاً للنقل الصحيح، والشرعة مطابقة[٢] للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان[٣]»[٤].

وقد بين ابن تيمية[٥] رحمه الله الأصول التي جاءت بها الرسل فقال: «فالأصل الأول: يتضمن إثبات الصفات، والتوحيد، والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهى القصص التي قصها على عباده، والأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه.

والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب.

وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح»[٦].

وكلما تخبطت البشرية على مر أعصارها في معرفة حقيقة الله - وجميع مسائل الاعتقاد- عن طريق المكاشفات[٧] والإلهام، أو العقل والفلسفة[٨]، جاءت الرسل لترد الحقائق إلى نصابها، عن طريق وحي السماء.

قال تعالى﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [إبراهيم: ٤]

وهذه المهمة للرسل قد أدوها إلى أممهم على أكمل وجه، من لدن نوح u وإلى أن ختمت الرسالات برسالة نبينا محمد r، حيث بعث في زمن كانت البشرية في أشد حاجتها إليه، فالعرب على عبادة الأوثان، واليهود على جحد الحق والترويج للباطل، والنصارى على التثليث وعبادة الصليب، فكانت الحكمة أن يبعث رسولاً بعد هذه الفترة الطويلة من إرسال الرسل، فبعث الله رسولنا محمداً r قال تعالى:﴿**يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة: ١٩]

---

(١) العقل الصريح: عند أهل السنة والجماعة أثبتوا للعقل مكانته وفهمه، وإدراكه الإجمالي، ولكنه تابع للشرع، ولا يعارض العقل الصريح النقل الصحيح والمراد بالصريح: الخالص من كل شيء. الموسوعة الميسرة ٢/١١٠٥. القاموس المحيط١/ ٣٤٥

(٢) التطابق: التوافق ومنه المطابقة أي الموافقة. القاموس المحيط ٢/ ١١٩٨.

(٣) التعارض: من عارضه أي جانبه وعدل عنه. القاموس المحيط ١/ ٨٧٦.

(٤) شفاء العليل ص ٣٠٢. نقلا من معالم الإنطلاقة الكبرى . محمد عبد الوهاب المصري ص ٢٠.

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام (تقي الدين، أبو العباس) محدث، حافظ، مفسر، فقيه، مجتهد، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في(٦٦١هــ) حدّث بدمشق ومصر، توفي سنة(٧٢٨ هــ) من تلاميذه ابن القيم والحافظ الذهبي (معجم المؤلفين١/١٦٣).

(٦) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هــ، قسم: الفتاوى ١٩/٩٦.

(٧) المكاشفات: الزعم بالإطلاع على ماوراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية بعد اتحاده مع الله، ليعلم صاحب الكشف مايجري في الكون. الموسوعة الميسرة٢/١١٣٩. ومثله الإلهام في تلقي معرفة العلوم الغيبية.

(٨) الفلسفة: يونانية وأصل معناها محبة الحكمة وقد أطلقت على المبادئ الأولى وتفسير المعرفة عقلياً. القاموس المحيط ٢ / ١٠٩٦ الموسوعة الميسرة٢/١١١٩ .

فأول أمر رسالته هي الدعوة إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة في مكة، و لم تفرض العبادات إلا بعد تأصيله بأنواعه الثلاثة وهي:

١) توحيد الربوبية.

٢) توحيد الإلوهية.

٣) توحيد الأسماء والصفات.

أولاً: توحيد الربوبية:

وهو: «هو إفراد الله عز وجل بالخلق، والملك، والتدبير».

قال تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٤]

ثانياً: توحيد الإلوهية:

وهذا التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب.

وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

والعبادة هي:«اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة»[١].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ٢١]

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات. التي أثبتها لنفسه في كتابه أو سنة نبيه r .

ونفي المماثلة بأن يجعل له مثيلاً في أسمائه وصفاته كما قال تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١] [٢].

فخلاصة التعريف بربنا تبارك وتعالى أنه الواحد الأحد، الفرد الصمد،لا شريك له ولا ند في إلهيته وربوبيته، ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته[٣].

---

(١) شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن تيمية، العبودية، تحقيق علي حسن عبد الحميد، (دار المغني، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) ص١٧ .

(٢) انظر : فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (دار ابن قيم الجوزية، السعودية، الطبعة الثانية، محرم، ١٤٢٤هـ) ١/ ٩- ١٧. وانظر: معارج القبول، حافظ الحكمي ١/١٢١. وما بعدها .

(٣) وانظر: معارج القبول، حافظ الحكمي ١/ ١٦٨.

الدراسات السابقة:

تناول الباحثون موضوع النصارى والنصرانية بالبحث والدراسة، وقد تنوعت الدراسات مابين مقتصر على موضوع أو أكثر من الأمور المتعلقة بالنصارى والمسيح u ، غير أنني لم أعثر على من جمع جميع المسائل المتعلقة بالمسيح u واعتقاد النصارى في مسائل الاعتقاد في بحث واحد.

ولذلك فإن هذه الدراسة تجمع ما تفرق في شأن المسيح u عند المسلمين واعتقاد النصارى فيه في أركان الإيمان والرد عليهم.

أما الدراسات السابقة فإنها تنقسم إلى قسمين، منها ما تناولت قصة عيسى u بشكل عام ومنها:

١) **عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة:**

للباحثة منيرة عبد الله بن صالح الحبيب رسالة ماجستير في التفسير والحديث من كلية الآداب للبنات بالرياض عام١٤٠٦-١٤٠٧هـ.

وقد تناولت الباحثة موضوع عيسى u في خمسة فصول: جعلت الأول منها للحديث عن نسبه ومولده، والثاني عن رسالته u بما فيها التوراة والإنجيل والبشارة بالرسول r ، والثالث عن موقف بني إسرائيل منه والرد عليهم، والرابع عن معجزاته u ، ثم ختمت رسالتها برفعه ونزوله u .

٢) **عيسى بن مريم u في القرآن الكريم:**

للباحث مصلح بن عبد الله السامدي رسالة دكتوراة في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٥- ١٤١٦ هـ .

وقد جعل الباحث رسالته في ثلاثة أبواب: تحدث في الباب الأول عن حقيقة عيسى u في عدة فصول، الأول عن بشرية عيسى كما بينه القرآن الكريم، وتناول فيه الحديث عن أمه - عليها السلام- وعبودية وفضائله وشمائله u . أما الباب الثاني فخصه بالحديث عن نبوته u . والتبشير بنبوة محمد r وتحريف الأناجيل في ثلاثة فصول، الباب الثالث عن رفعه u إلى السماء ونزوله إلى الأرض وضمنه قضية الصلب.

٣) **الإسرائيليات في قصة عيسى u :**

للباحثة: سناء عبد الرحيم الحلواني رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات بمكة المكرمة عام ١٤٢٠ هـ .

تحدثت الباحثة في رسالتها عن الإسرائيليات في قصة عيسى u وخطورتها في رواية الأخبار وعن المكثرين منها ثم جمعت الروايات الإسرائيلية من كتب التفاسير ثم عرضت منهج تطبيقي لتفسير القرآن الكريم بعيداً عن الإسرائيليات متمثلاً في قصة عيسى u .

القسم الثاني: دراسات أفردت في مسائل عقدية من قصة عيسى u :

١) رفع عيسى عليه u ونزوله في آخر الزمان:

للباحث: عبد العزيز أوانج كجيك رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم العقيدة عام ١٤٠١-١٤٠٢ هـــ.

تحدث الباحث في رسالته عن حياة المسيح u ورفعه، وقد جعل رسالته في أربعة أبواب: اشتمل الباب الأول على حياة المسيح u ونبوته في عدة فصول: تحدث في الأول عن: المراد من إطلاق كلمة المسح u ، والبشارة به، والنفخ في مريم، وحمل المسيح وولادته، والثاني فتحدث عن نشأة عيسى u وتربيته، والفصل الثالث فتناول الحديث عن صفة عيسى u وشمائله. ثم تحدث عن نبوة المسيح ودعوته. وفي الباب الثاني تحدث عن المسيح في نظر اليهود والنصارى، والباب الثالث عن وفاة المسيح u ورفعه، وضمنه قضية الصلب وأسبابه ونهايته والرد عليهم، والباب الرابع خصه بمسألة النزول. ابتدأها بآراء اليهود والنصارى ثم رأي بعض الفرق الضالة في نزول المسيح، ثم بين عقيدة المسلمين في نزول المسيح u . وختم رسالته عن حكمه بشريعة محمد r .

٢) عقيدة التثليث النصرانية وموقف الإسلام:

للباحث عباس صالح كانة رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود قسم الثقافة الإسلامية عام١٤٠٣-١٤٠٤ هـــ.

وقد جعل الرسالة في ثلاث أبواب، الأول: تحدث في الأول عن الأصول النصرانية وعقيدة التثليث في فصلين، الأول: عن التوراة وعقيدة التثليث، والثاني عن الأناجيل وعقيدة التثليث.

أما الباب الثاني: عن الوثنيات، والقديس بولس وأثره في عقيدة التثليث النصرانية، والمجامع النصرانية وأثرها في التثليث، أما الباب الثالث: عن عقيدة النصارى في القول بالتثليث وموقف الإسلام منها. ويحتوي على ثلاثة فصول، الأول: بعنوان ألوهية الآب والثاني: عن الإبن وحقيقة أمره، والثالث: عن ألوهية الروح القدس عند النصارى والرد عليها.

٣) عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها:

للباحث يونس بالى توري رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ١٤٠٢-١٤٠٣ هـــ.

بدأ رسالته بالحديث عن الديانة المسيحية قبل تسرب التحريف إليها، وبين أهم مصادر المسيحية. وقد جعل رسالته في ثلاثة أبواب: فتحدث في الأول عن عقيدة التثليث وأطوارها عن المسيحيين، ومصادر عقيدة التثليث، ثم تحدث عن موقف القرآن الكريم والسنة من عقيدة التثليث. أما الباب الثاني فكان عن الصلب والفداء ومتى بدأت، ومصادرهم، ثم تناول الأدلة على عدم صلب المسيح u ورأي اليهود في ذلك. أما الباب الأخير فخصصه بأقوال بعض العلماء فيهم كابن جرير والألوسي والرازي والغزالي والإشارة إلى نزول عيسى u ، والأدلة من القرآن والسنة.

٤) التوحيد في الديانة النصرانية وما أصابه من تحريف:

للباحث محمد الشيخ أحمد محمود الحاج رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة عام ١٤٠٠ هـــ.

مهد الباحث لرسالته عن معنى الدين ونشأته وبعض المذاهب فيه، ثم الحديث عن البيئة التي نشأ فيها المسيح، وتاريخ عقيدة التوحيد ودعوة المسيح الحقيقية. ثم جعل الرسالة في أربعة فصول: الأول موضوعه دين الله واحد، والثاني: مصادر الانحراف عن التوحيد في النصرانية، والثالث: موضوعه التثليث وإلوهية المسيح عند النصارى، والفصل الرابع: عن الأدلة الإنجيلية على أن عيسى u عبد الله ورسوله.

وقد طبعت الرسالة بعنوان "النصرانية من التوحيد إلى التثليث" أصدرته دار القلم في دمشق عام (١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢م).

وبناء على هذا لم أعثر على من جمع من قصة عيسى u المسائل المتعلقة بنبوته، وأصول الاعتقاد عرضا وردا في مؤلف واحد، وهذا ما جمعته في هذه الدراسة وأسأل الله القبول.



البــاب الأول

عيسى عليه السلام ورسالته لبني إسرائيل

الفصل الأول: حياة عيسى عليه السلام وخصائصه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مريم أم عيسى عليه السلام ولادتها، ونشأتها، وتربيتها

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسرة مريم عليها السلام.

المطلب الثاني: ولادتها ونشأتها.

المطلب الثالث: صفاتها، وفضائلها.

المطلب الرابع: كراماتها.

المطلب الخامس: براءة اللّه لها.

تمهيد:

لقد اعتنى القرآن والسنة بعيسى بن مريم وأمه عليهما الصلاة والسلام، وجاء ذكرهما في القرآن الكريم بشكل مفصل ابتداء من أسرة آل عمران، وحمل أم مريم بتا، ونشأهما، وأين تربت، وفي كنف من؟ إلى حمل أم عيسى بت، وولادته، ونبوته، والعقيدة التي يجب اعتقادها فيه، ثم ما تلا ذلك من تفرق في شأنه، وخروج عن القول الحق فيه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ومن حيث ذكره في القرآن الكريم، فقد ورد فيه خمساً وعشرين مرة، سواء بذكره مستقلاً بأخباره وأحواله وما حكى الله عنه، أم بذكره في معرض ذكر الأنبياء والرسل عليهم السلام.

أما أمّه مريم عليهما السلام، فقد ورد ذكرها أربعاً وثلاثين مرة، منها ثلاث وعشرون مرة مقرونة بعيسى u ، وإحدى عشرة مرة مجردة عن ذكره u [١].

كما إن من اهتمام القرآن الكريم بمريم عليها السلام بمكانتها وشأنها، فقد ذُكرت سورة في القرآن باسمها، وهي سورة (مريم) عليها السلام، وأخرى بآل عمران الذين هم أسرة مريم عليها السلام.

ومن عظيم شأنه عليه السلام، فقد اعتنت السنة النبوية به كذلك، وبينت فضله ومكانته بين الأنبياء، وما اختص به من خصائص وفضائل، والحديث عن فضل أمه ومكانتها بين نساء العالمين.

وقد اعتنى بهما المسلمون كذلك، فأفردت فيهما الكتب والرسائل والأبحاث إجلالا لفضلهما وعظيم شأنهما.

ولذلك قبل البدء في ذكر عيسى u وعقيدة المسلمين فيه، يجدر الحديث عن أمه عليها السلام، وولادتها، ونشأتها، وفضائلها كما وردت في الكتاب والسنة.

---

(١) د. صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (دار دمشق ، الدار الشامية بيروت، الطبعة الاولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ٤/١٦٣.

المطلب الأول
أسرة مريم عليها السلام

لله تعالى من عباده أصفياء، يصطفيهم ويختارهم، ويمن عليهم بالفضائل العالية، وييسر لهم طريق الأعمال الصالحة، وهم في اصطفائهم على درجات متفاوتة، فمنهم الأنبياء وغيرهم.

ومن هؤلاء المصطفين الأخيار كما أخبر القرآن الكريم: أسرة مريم عليها السلام (آل عمران).

قال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٣]

وعندما تناول المفسرون المقصودين بآل عمران اختلفوا على أقوال:

فقيل آل عمران هم: آل إبراهيم.

وقيل آل عمران: عيسى؛ لأن أمّه ابنة عمران.

وقيل آل عمران: يعني نفسه.

وقيل آل عمران: المؤمنون(١).

وقال ابن جرير(٢): «وإنما عَنى ب، آل إبراهيم وآل عمران: المؤمنين، وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه على دينه»(٣).

« قال ابن عباس(٤)وآل عمران: المؤمنون.

وحاصله: أن المراد بالاصطفاء بعض آل عمران، وإن كان اللفظ عاماً فالمراد به الخصوص»(٥).

ولذريتهم من هذا الاصطفاء نصيب، فقال تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣٤]

فهم«ذرية دين بعضها دين بعض، وكلمتهم واحدة، وملتهم واحدة في توحيد الله وطاعته»(٦).

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ٤/٦٥، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، (دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، طبعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري: الإمام العلم المجتهد عالم العصر صاحب التصانيف البديعة من أهل طبرستان مولده سنة (٢٢٤هـ) أكثر الترحال، من كبار أئمة الاجتهاد وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم. (تهذيب سير أعلام النبلاء ٢/٢٨).

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري، محمد عادل محمد، محمد عبد اللطيف خلف، محمود مرسي عبد الحميد، (دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)، ٣/١٧٤٥ .

(٤) عبدالله ابن عم رسول الله r العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي:حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير، أبو العباس ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، صحب الرسول r نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه وعن جمع من الصحابة، وروى عنه خلق كثير..دعا له الرسول r بالحكمة، توفي سنة ٦٨أو٦٧ (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١٠١).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦/٥٧٢، وانظر العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المشهور باسم العيني على البخاري،عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٨/١٦-٢٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

(٦) تفسير ابن جرير الطبري ٣/١٧٤٦.

فأسرة مريم عليها السلام هم من المقصودين في الآية بـــ (آل عمران) على اختلاف المفسرين في اعتبار آل عمران، هل هم أفراد الأسرة فحسب، أم يدخل معهم غيرهم.

أما المراد الشرعي باصطفاء الله لآل عمران المذكور في الآية فهو أحد أمرين:

إما أن يكون الاصطفاء أسوة بمن ذكر في الآية اصطفى دينهم، أي اختاره على سائر الأديان، لأن دين هؤلاء الجماعة الإسلام.

أو يكون الاصطفاء المذكور في الآية بالرسالة، وآل عمران من آل إبراهيم[١].

قال ابن كثير[٢]: بعد أن تحدث عن اصطفاء الله آدم والخلص من ذريته، ثم خصص فقال: وآل إبراهيم، فدخل فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق. ثم ذكر فضل هذا البيت الطيب الطاهر، وهم آل عمران، والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام، واسمه كما عند محمد بن إسحاق: هو عمران بن باشم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن... بن سليمان بن داود وذكره ابن عساكر بخلاف هذا.

ولا خلاف أنها من سلالة داود u .

وكان أبوها صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه.

و أمها حنة بنت فاقوذ من قبيل العابدات[٣].

فمن فضائل عمران u كما قال ذلك المفسرون، أنه كان إمامهم، وصاحب صلاتهم، وعالماً من علمائهم، وأنه من أكابر القوم وعليتهم.

وأما أم مريم فكما بينت الآيات القرآنية، أنها امرأة متضرعة خاشعة لله تعالى، صالحة موحدة، تكثر من العبادة والالتجاء إلى ربها وخالقها، ومنه تطلب سؤلها وحاجتها.

ولذلك فإن الله سبحانه وطّأ باصطفاء آل عمران خبر مريم عليها السلام، وكيف كان حمل أمها بها، وحياتها وما فيها من عبر وعظات، وعجائب خرقت العادات، ليخلص منه بعد ذلك إلى ذكر عيسى u [٤].

«وعندما يربط القرآن الكريم مريم بأمها وآل عمران، فإنه يربطها ربطاً مباركاً، وهي سلسلة متسلسلة لا تأتي من فراغ، إنما هي تأكيد على تسلسل عقيدة التوحيد مع تسلسل آل عمران» [٥].

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي (عالم الكتب، بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ- ١٩٨٨م). ٣٩٩/١ .

(٢) ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: محدث ومؤرخ، مفسر وفقيه،له مصنفات كثيرة، كان يميل إلى شيخه ابن تيمية ولد ببصرى وانتقل ونشأ في دمشق، عاش بين عامي (٧٠٠هـــ - ٧٧٤هـــ) (معجم المؤلفين ٣٧٣/١).

(٣) أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، (دار بن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ-٢٠٠٥م)، ٢٥٨/١ .

(٤) انظر : أ/محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،(دار الإرشاد، سورية - حمص ودار ابن كثير ودار اليمامة، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م) ٤٩٥/١-٤٩٦.

(٥) حسن الباش، العقيدة النصرانية بين القرآن و الأناجيل، (دار قتيبة للطباعة دمشق ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـــ - ٢٠٠١م) ٤٤/١.

وقد ذكر بعض العلماء أن المقصود من هذه الآية عمران أبو موسى u ، لأنه جاء في الحديث ما يدل على أن اسمه عمران في قول الرسول r «مررت ليلة أسري بي على موسى ابن عمران u ...»[1].

ولكن الصحيح في ذلك أنه عمران والد مريم عليها السلام، كما أكد ذلك جمع من المفسرين.

قال الآلوسي: «وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف، فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم، وأيضا يرجح كون المراد به أبي مريم، أن الله تعالى ذكر اصطفاءها بعد ونص عليه»[2].

وبذكر هذه الأسرة، وتخصيص الذكر بأم مريم امرأة عمران، واهتمام القرآن بشأن هذه المرأة الصالحة فإنه بالمقابل لم تذكر الأناجيل هذه الشخصية، و لم تعرها أي اهتمام[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب الإسراء بالرسول r ١/١٠٥.

(٢) أبي الفضل شهاب الدين السيد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد حسين العرب،(دار الفكر، بيروت ـــ لبنان، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م) ٣/١٣١.

(٣) انظر : العقيدة النصرانية بين القرآن و الأناجيل ،حسن الباش، ١/٤٤.

المطلب الثاني
ولادتها ونشأتها

الحمل بها وولادتها:

لقد كان حمل امرأة عمران بمريم عليها السلام، على كبر سن ويأس من الحمل، فلا يولد لمثلها كما ذكره المفسرون، وأن الله أمسك عنها الولد حتى أسنّت، وتقدم بها العمر.

إلا أن إرادة الله فوق كل شي، وحب الولد مفطور في النفس، فاشتهت ولداً وتمنته، ثم دعت الله أن يرزقها ذكراً، وهي تؤكد هذه الأمنية بالنذر الصادر منها، إن هي رزقت ولداً، لتحررنّه لخدمة بيت المقدس على الرغم أن القوم كانوا لا يحررون إلا الذكور.

يخبر الله تعالى عن امرأة عمران حكاية عنها وعن نذرها فيقول:﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وكانت امرأة لا تحمل، فاشتهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً، فاستجاب الله دعاءها، فحملت، فلما تحققت الحمل، نذرت أن يكون محرراً أي: خالصاً مفرغاً للعبادة ولخدمة بيت المقدس[١].

وعندما استجاب الله دعاءها فحملت، ثم وضعت حملها؛ غير أن المولود لم يكن ذكراً كما تمنت لنذرها، بل كانت أنثى، فلجأت إلى ربها وقالت:﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].

يقول بعض العلماء: إن قولها هذا «للتحسر، وليس مرادها الإخبار بمفهومه، لأن الله عالم بما وضعت، بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها، والوفاء بما التزمت به، والاعتذار؛ حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته»[٢].

بينما ذكر بعض العلماء رأياً أخر في سبب قولها هذا، وهو ليس للتحسر، وإنما من أجل تعظيم الله والتسليم له. يقول القرطبي[٣] في ذلك: «وفيها معنى التسليم لله، والخضوع، والتتريه له أن يخفى عليه شيء، و لم تقله على طريق الإخبار؛ لأن علم الله في كل شيء قد تقرر في نفس المؤمن، وإنما قالته على طريق التعظيم والتتريه لله تعالى»[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٣٩/١ .

(٢) إعراب القران الكريم ٤٩٨/١، وانظر زبدة التفسير من فتح القدير، الشوكاني، اختصار: محمد سليمان عبد الله الأشقر، دار المؤيد - الرياض، ط . ١٤٢٠/٥هـ - ١٩٩٩م) .ص٦٨.

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي: مفسر، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن في ١٥ مجلدا توفي (٦٧١هـ) (معجم المؤلفين٥٢/٣).

(٤) تفسير القرطبي، ٦٨/٣، ٦٩ .

ولكن الله أعلى من شأن هذه المولودة وما سيؤول إليه أمرها فقال: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**﴾وفي هذا «إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود الذي لم تأبه له بادئ الأمر، وهي جاهلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام»[١].

يقول الألوسي[٢]: «الجملة اعتراضية سيقت لتعظيم المولود الذي وضعته، وتفخيم شأنه، والتجهيل لها بقدره، أي: والله أعلم بالشيء الذي وضعته، وما علق به من عظائم ودقائق الأسرار، وواضح الآيات، وهي غافلة عن ذلك كله»[٣].

ثم عاد الخطاب لها معتذرة إلى ربها بأن المولود أنثى فقالت: ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾ومقصودها في القوة والجلد، في العبادة وخدمة المسجد الأقصى؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة، وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس[٤]والقيام بالخدمة؛ لما يعتريها من الحيض والنفاس [٥].

وقال الرازي[٦]: «ثم قال تعالى حكاية عنها﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾[آل عمران: ٣٦]

وفيه قولان: الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى، وسبب هذا التفضل من عدة وجوه:

أحدها: أن شرعهم يُجّوز تحرير الذكور دون الإناث.

الثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة مواضع العبادة، ولا يصح ذلك في الأنثى لما يعتريها من الحيض وسائر أعراض النسوان.

الثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

الرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة الله تعالى، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه[٧].

---

(١) إعراب القران الكريم ، محي الدين الدرويش ٤٩٨/١ .

(٢) محمود بن عبدالله الألوسي: مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي نحوي، مشارك في بعض العلوم، ولد في بغداد(١٢١٥هـ) وتوفي بها(١٢٧٠هـ) من مؤلفاته: روح المعاني في تفسير القران والسبع المثاني في تسع مجلدات، (معجم المؤلفين ٨١٥/٣).

(٣) تفسير الألوسي ٣ /١٣٥.

(٤) القدس: اسم للبيت المقدس. معجم البلدان ٣١١/٤.

(٥) انظر: : تفسير ابن كثير ٣٣٩/١ وتفسير ابن جرير الطبري ١٧٤٩/٣. وانظر:تفسير القرطبي، ٦٨/٤ .

(٦) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني: الأصولي المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة(٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١٦٦/٣).

(٧) انظر : التفسير الكبير، الرازي ٢٤/٨.

وقد تعقب الألوسي قول الرازي هذا؛ لأن الأنثى موهوبة الله وما يفعله الرب خير لما يريده العبد، بأن هذا القول فيه نظر فقال: «فلأنه ينافي التحسر والتحزن المستفاد من قولها :﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى**﴾ [آل عمران: ٣٦]. فإن تحزنها ذلك إنما هو لترجيحها الذكر على الأنثى»[١].

ولكل من القولين وجاهته، ولا يوجد نص صريح في أي القولين هو المراد.

ثم بينت الآيات أن أم مريم لكونها مصرة على هذا النذر وإتمامه، فاختارت لهذه المولودة اسما له معنى العابدة أو الخادم فقالت:﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾ومعنى مريم: «خادم الرب في لغتهم»[٢].

وللعلماء كلام في سبب تصريحها بهذا الاسم واختياره، فيقول محي الدين الدرويش: «والغرض من التصريح بالتسمية: التقرب إلى الله، والازدلاف إليه بخدمة بيت المقدس أولاً، ورجاء عصمتها ثانياً، فإن مريم في لغتهم العابدة، وإظهاراً لعزمها على الوفاء ثالثاً أي: إنها وإن لم تكن خليقة بالسدانة[٣] فأرجوا أن تكون من العابدات المطيعات »[٤].

ثم قالت﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران: ٣٦].

عوذتها بالله U من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى u - تفاؤلا أن تعيش المولودة وأن تنجب الذرية - فاستجاب الله لها ذلك فأعاذها وذريتها منه، و لم يجعل له عليها سبيلا[٥].

وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحاح[٦] وغيرها يخبر فيها الرسول r عن إعاذة الله لها وابنها من الشيطان الرجيم، منها ما رواه أبو هريرة t قال: سمعت رسولَ اللهِ r يقول: «ما مِن بَني آدمَ مولودُ إلا يَمسُّهُ الشيطان حينَ يولد فَيستَهِلُّ صارخاً مِن مَسِّ الشيطانِ، غيرَ مريمَ وابنِها. ثم يقول أبو هريرة:﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران: ٣٦] [٧] ».

وقد قبل الله نذر أم مريم رغم أنها أنثى، و لم يكن ينذر مثلها، ولكنها المرأة الصالحة التي آثرت ما عند الله على حظوظ نفسها، لتكون قصة حملها وولادتها وقبول الله لها وما يلي هذا من أحداث ابتداءً للفت الأنظار حولها فسيكون لها شأن تتميز بها على كل النساء.

---

(١) تفسير الألوسي ٣/١٣٦.

(٢) تفسيرالقرطبي ٤/٧٠ .

(٣) سدانة البيت : الخدمة القاموس المحيط ٢/١٥٨٣.

(٤) إعراب القران الكريم ١/٤٩٨-٤٩٩، وانظر : تفسير الألوسي ٣/١٣٦.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣٣٩، وقد ورد في تفسير ابن جرير ٣/١٧٥٠.

(٦) الصحاح: جمع صحيح الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة. تيسير مصطلح الحديث، الطحان، ص٣٤.

(٧) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم -باب قول الله تعالى:﴿واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٤/١٦٤

يقول السعدي[1]: «فجبر الله قلبها، وتقبل الله نذرها، وصارت هذه الأنثى، أكمل وأتم من كثير من الذكور، بل من أكثرهم، وحصل بتا من المقاصد، أعظم مما يحصل بالذكر ولهذا قال الله تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾ [آل عمران: ٣٧] [2].

وبعد إخبار القرآن الكريم عن ولادتها أخبر عن نشأتها ومن تكفل بنشأتها ورعايتها.

نشأتها وكفالتها:

نشأت مريم عليها السلام نشأة كريمة في ظل نبي يرعاها ويحوطها ويكرمها أيما إكرام، وهذا من لطف الله بهذه المولودة وعنايته بتا، ووفاءً لنذر أمها بتا، فلن تستطيع أن تقوم بما يطلب منها من الخدمة والعبادة في بيت المقدس إلا وهي على رفعة في الخلق والعفة والعبادة.

ومن جميل لطف الله بتا أن جعل نبي الله زكريا هو من يقوم على تربيتها وتهذيبها، ومع كونه يحمل شرف النبوة، فهو في ذات الوقت قريب لها سيقوم عليها وزوجه خير قيام.

قال السعدي: «وهذا من منة الله على العبد أن يجعل من يتولى تربيته من الكاملين المصلحين»[3].

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقد ثبتت كفالة زكريا لمريم عليها السلام بخروج القرعة[4] عليه، كما قال تعالى ﴿**وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

قال ابن كثير: «اتخذ لها زكريا مكانا شريفا من المسجد، لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها»[5].

وكما روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس t قال «اقترعوا فجرت الأقلام مع الجرية، وعال قلم زكريا الجرية فكفلها زكريا»[6].

ومع هذه النشأة الكريمة، والرعاية لها من قبل نبي الله زكريا u ، وقبول الله لها.

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي: مفسر، محدث، أصولي متكلم، واعظ، ولد بالقصيم بنجد سنة (١٣٠٧ هـ) توفي (١٣٧٦ هـ) حفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم المنان في تفسير القران، الحق الواضح في توحيد الأنبياء المرسلين. (معجم المؤلفين ٢/١٢٢).

(٢) تفسير السعدي ١/١٤٩.

(٣) تفسير السعدي /١٤٩.وانظر: ابن كثير ١/٣٤٠.

(٤) القرعة : المساهمة، ومنه اقترع القوم، ويقال كانت له القرعة أي: أصابته القرعة دونه. لسان العرب. ٨/٢٦٦.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ١/٢٥٩. وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٥/٣٦١.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات ٣/١٨١.

فقد تناول العلماء المقصود من هذا الإنبات الحسن والقبول بأقوال كلها تعود إلى إصلاح الله حالها لما كان فيه خير دنياها وأخراها بما كانت عليه من العبادة والتبتل، وبما يسر لها من أسباب القبول، وبما قرنها بالصالحين(١).

كما قال تعالى في ذلك:﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقد أورد المفسرون في كتبهم روايات كثيرة في كيفية الكفالة، غير أنه لم يرد فيها آية ولا حديث صحيح عن الرسول r يبين كيف كان الاقتراع، وهذا من مبهمات القرآن الكريم، ولذلك أعرضت عن ذكرها، وهي مذكورة في كتب المفسرين عند تفسيرهم قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ كما عند ابن جرير والقرطبي وابن كثير وغيرهم(٢).

ومع ما قيل، فإن النص القرآني ظاهر الوضوح؛ إذ تناولها بالثناء عليها، وأن الله تولى رعايتها وتربيتها، وكفلها أفضل الناس في زمانها نبي الله زكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وأختم هذا بما يقوله الدكتور الشتيوي: «فالبيت الذي تربت فيه مريم إنما هو بيت الله، والذي قام على تربيتها وتنشأتها نبي من أنبياء الله، والطعام الذي تغذت بت إنما هو من عند الله: فأي نبات أطيب وأحسن من هذا النبت الكريم» (٣).

وكان نتيجة هذه التربية النبيلة أن تمتعت هذه المرأة الشريفة بكثير من الفضائل والصفات التي فاقت بتا نساء العالمين، والذي هو حديث المطلب التالي.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٤٠، ٣/١١٢. وانظر تفسير القرطبي ٣/٧٠.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٦٧-٢٦٨ و انظر : تفسير القرطبي ٤/٨٦، وتفسير ابن كثير ١/٣٦٤.

(٣) د /محمد رجب الشتيوي،النصرانية دراسة مقارنة، (دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ص ٣٥.

المطلب الثالث
صفاتهـــا و فضائلهـــا

إن اصطفاء الله لمريم وأسرتها مع النشأة الكريمة والتربية الصالحة على يد نبي من أنبياء الله لهذه المرأة الجليلة، كان من ثمار ذلك أن بلغت من الكمال غايته، وفاقت النساء بالعبادة والأخلاق الفاضلة، حتى أثنى عليها ربها تبارك وتعالى، واصطفاها على نساء العالمين، وأثنى عليها رسوله r في أكثر من حديث كما سيأتي.

فحباها الله تبارك وتعالى من الفضائل والصفات ما سأحاول جمعها واختصار ما قيل فيها وتناثر في كتب السابقين واللاحقين.

فمن صفاتها: أنها صديقة:

وهي أهم الصفات التي بلغتها، وهذه الصفة هي المنزلة الثانية في فضائل البشرية بعد منزلة النبوة.

قال تعالى: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾ [المائدة: ٧٥].

ويقول جل ذكره:﴿**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[التحريم: ١٢]. وصفة الصديقة منزلة عالية، ومرتبة فاضلة، قد امتدح الله أهلها وبين أنهم من الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والشهداء والصالحين.

قال تعالى:﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [النساء: ١٣].

فما المراد الشرعي من هذه المنزلة؟

الصديقة: مبالغة في الصدق والتصديق، وهي العلم النافع.

قال السعدي: «والصديقية: العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح»(١).

وقد ذكر العلماء عدة أسباب في تسميتها بالصديقة:

ومن ذلك كثرة تصديقها بآيات ربها وكلماته، وأنها لم تسأل آية عند بشارتها، ولتصديقها ولدها فيما أخبرها بت وَكُتُبِهِ التوراة والإنجيل(٢).

---

(١) تفسير السعدي ٢/٢٩٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٦/٢٣٥. وانظر: تفسير ابن كثير ١/٣٦٣ وانظر: تفسير القرطبي، ٣/٨٥. تفسير ابن جرير الطبري ١٠/٨١١٦.

وصفة الصديقية هذه هي أعلى مرتبة بلغتها مريم عليها السلام، بخلاف القول الذي يقول إن مريم عليها السلام نبية كما سيأتي بيانه، بدليل خطاب الملائكة لها في قوله تعالى :﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢].

مسألة نبوة مريم عليها السلام:

ثبت تفضيل الله لمريم عليها السلام وبلوغها المرتبة العالية بين نساء العالمين في الكتاب والسنة، إلا أن العلماء اختلفوا في المراد من هذا التفضيل إلى أي مرتبة يصل بتا من المراتب السامية لمن أنعم الله عليهم بتا من عباده الصالحين، والتي في قوله تعالى: :﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [النساء: ١٣].

واختلافهم في ذلك على قولين:

القول الأول: أن مريم عليها السلام نبية.

القول الثاني: أن مريم عليها السلام ليست بنبية وأن أعلى مراتبها كونها صديقة.

وإلى بيان القولين، وبيان الرأي الراجح منهما:

القول الأول:

يرى أصحاب هذا القول أن مريم عليها السلام قد بلغت مرتبة النبوة، واستدلوا بأدلة وقرائن فهموا منها أن مريم عليها السلام تكون في عداد الأنبياء، وممن ذهب إلى هذا القول الإمام محمد ابن حزم[1] الأندلسي، و الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي وغيرهما.

يقول ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل: «ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام يخاطبها وقال لها﴿**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾ [مريم: ١٩] فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح، ورسالة من الله تعالى إليها، وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقا... ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم، ثم قال عز وجل:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾ [مريم: ٥٨]. وهذا هو عموم لها معهم، لا يجوز تخصيصها من جملتهم. وليس قوله عز وجل وأمه صديقة بمانع من أن تكون نبية فقد قال تعالى:﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ** ﴾ وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر.

---

(١) أبومحمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي: فقيه حافظ، ومتكلم أديب، له مصنفات كثيرة، ولد بقرطبة عام (٣٨٤ هـ) وتوفي عام (٤٥٦هـ). (تهذيب سير أعلام النبلاء٢/٣٧٢).

والكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام، لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك، وكان تخصيصه r مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك... وقد قال تعالى:﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣]»[١].

والإمام القرطبي ممن ذهب إلى القول بنبوة مريم عليها السلام، ونصر قوله بما فهمه من نصوص الكتاب والسنة. يقول في تفسيره: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران... الحديث فقد قيل إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة، فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسية نبيتين، وقد قيل بذلك والصحيح أن مريم نبية؛ لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحي إلى سائر النبيين حسب ما تقدم... وقد خص الله مريم بما لم يؤته أحدا من النساء، وذلك أن روح القدس كلمها وظهر لها ونفخ في درعها ودنا منها للنفخة فليس هذا لأحد من النساء .

وكذلك شأن مريم لم تنل شهادة الله في التنزيل بالصديقية والتصديق بالكلمات إلا لمرتبة قريبة دانية، ومن قال لم تكن نبية قال إن رؤيتها للملك كما رؤى جبريل u في صفة دحية الكلبي[٢] حين سؤاله عن الإسلام والإيمان، ولم تكن الصحابة بذلك أنبياء والأول أظهر وعليه الأكثر، والله أعلم »[٣].

فهذا لباب ما قاله أصحاب هذا الرأي، واستنادهم في ذلك على خطاب الملائكة لها وأنها لا تخاطب إلا من يوحى إليهم من رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

ومن استنادهم كذلك أنها ذكرت مع الأنبياء في سورة مريم قال الله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾[مريم: ٥٨] فهذا غاية ما استند عليه أصحاب هذا القول.

وهذا القول المروي عن ابن حزم والقرطبي من تجويز النبوة للنساء قد ذكر في العهد القديم (التوراة) وكذلك عند النصارى.

يقول عبد الراضي محمد: ويطالعنا العهد القديم ببعض نبوات النساء... من تلك النبوات التي يقص العهد القديم عن نشاطها وظهورها إلى جانب الأنبياء...؛ مريم أخت موسى وهارون، دبورة، امرأة شلوم.

---

(١) الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية،١٤٢٠هـــ -١٩٩٩م) ، ١٣/٥- ١٤.

(٢) دحية بن خليفة ابن امريء القيس الكلبي: صحب النبي r وروى عنه بقي إلى خلافة معاوية t وكان رسول الله r إلى قيصرسكن دمشق (تهذيب التهذيب ١٧٩/٣).

(٣) تفسير القرطبي ٨٣/٤- ٨٤،٦/ ٢٥١.

ويمكن القول بأن نبوة المرأة كانت عنصراً مشتركاً وشكلاً من أشكال النبوة التي تكرر ظهورها في المسيحية [١].

فلهذا نجد أن نبوة النساء لها مستند عند النصارى كذلك في كتبهم.

أما القول الثاني:

فيرى أصحاب هذا القول وهم جمهور أهل السنة، أنه لا نبوة في النساء، وعلية فمريم عليها السلام غاية أمرها أنها صديقة و لم تبلغ مرتبة النبوة، وسأذكر طرفاً من أقوالهم.

قال ابن كثير حول تفسير قول الله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾ [يوسف: ١٠٩]: «يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة، أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات آدم وحي تشريع. - ثم يقول- الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري[٢] عنهم، أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران، حيث قال تعالى:﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقة، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن»[٣].

وقال السعدي: «وأمه مريم صديقة، أي: هذا أيضا غايتها أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء، والصديقية هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح، وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلا وشرفا، وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية؛ لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين في الرجال كما قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾ [يوسف: ١٠٩] [٤].

ويقول ابن تيمية في الفتاوى وهو يؤيد القول الذي يقول بأن مريم عليها السلام صديقة وليست بنبية: «والقرآن والسنة دلا على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي**

---

(١) د/عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م). ص ٤١٨، ٤١٩.

(٢) علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري اليماني البصري: العلامة مشارك في كثير من العلوم إليه تنسب فرقة الأشاعرة وقد رجع عنها كان ذكياً قوي الفهم متبحر في العلم له مصنفات كثيرة توفي ببغداد (٣٢٤هـ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ٦٨/٢) (معجم المؤلفين ٤٠٥/٢).

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٧/٢ وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٢٦٠/١ وانظر: تفسير ابن كثير ٧٨/٢ .

(٤) تفسير السعدي ٢٤٠/١.

إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ وقوله: **:﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾** ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقية»[1].

وقال في الجواب الصحيح: «فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة»[2].

ونبوة المرأة لم ينص عليها في الكتاب والسنة، بل دلت الأدلة على خلافها وأن النبوة مختصة بالرجال.

فـ «نبوة المرأة لا يقرها الإسلام، وما انفرد به بعض مفكريه من عدهم بعض من أوحي إليهن شيء من الأمر والنهي من النساء نبيات مردود من جمهور علماء الإسلام»[3].

والرأي الراجح هو قول من قال من علماء الإسلام أن ليس في النساء نبية لامريم ولا غيرها، وأن النبوة مختصة بالرجال؛ لقوله تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾** [سورة يوسف، ١٠٩، سورة النحل،٤٣، سورة الأنبياء،٧]

ولهذا يرد على القول الذي يقول بأن مريم عليها السلام نبية بما يأتي:

١) أن النص صريح في أن النبوة مختصة بالرجال؛ لقوله تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾** [سورة يوسف،١٠٩]

٢) أن النص صريح في مرتبة الصديقية لمريم عليها السلام للآية: **﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾** [سورة المائدة، ٧٥]

٣) أن كونها ذكرت مع الأنبياء لا يلزم من ذلك أنها نبية.

٤) أن كلام الملائكة لها لا يدل على نبوتها، فقد كلمت غيرها من الناس و لم يذكر أنهم أنبياء بمجرد خطاب الملائكة لهم، ففي الحديث عند مسلم[4]: «عن أبي هُرَيْرَةَ[5] عن النبي r أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فلما أتى عليه قال أَيْنَ تُرِيدُ قال أُرِيدُ أَخًا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٦/٤.

(٢) شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق : د/علي بن حسن بن ناصر الألمعي، وآخرون (دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).٣٤٩/٢ .وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٥٧٤/٦أورده عن القاضي عياض وعن النووي، انظرعمدة القاري، العيني ١٩٤/٤.

(٣) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤١٨، ٤١٩.

(٤) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري: الإمام الكبير الحافظ الحجة الصادق صاحب الصحيح قيل أنه ولد سنة (٢٠٤هـ) روى عن أحمد بن حنبل روى عنه ثقات وكان من الحفاظ (تهذيب سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١).

(٥) عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني صاحب رسول الله r كنيته أبو هريرة:حافظ الصحابة،كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، روى الكثير من الأحاديث قال فيه ابن عمر : أبو هريرة خير مني واعلم.توفي عام (٥٧هـ). (تهذيب التهذيب١٢/٢٨٨).

لِي فِي هذه الْقَرْيَةِ قال هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قال لَا غير أنى أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عز وجل قال فَإِنِّي رسول اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قد أَحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فيه»[1].

٥) أن الكمال المذكور في الحديث ليس المقصود به النبوة، بل المقصود به بلوغ النهاية في الفضائل[2].

وعليه فمريم أعلى مقاماتها الصديقية، وكفى بها شرفاً ومقاماً سامياً من ربها تبارك وتعالى.

ومن صفاتها أنها عفيفة طاهرة:

ومريم عليها السلام عفيفة طاهرة أثنى الله تبارك وتعالى عليها وهو سبحانه العليم بحالها والمطلع على سرها وجهرها.

وهذا الثناء عليها في مقابل قول خصومها فيها وما نسبوه إليها مما هي منه براء - كما سيأتي -.

قال تعالى:﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقال:﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾ [التحريم: ١٢].

وقال:﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٢].

يقول الفخر الرازي: «**وأما التطهير ففيه وجوه:**

أولها: أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية، فهو كقوله تعالى في أزواج النبي **r** ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وثانيها: أنه تعالى طهرها من مسيس الرجال.

وثالثها: طهرها عن الحيض قالوا : كانت مريم لا تحيض.

ورابعها: طهرها من الأفعال الذميمة والعادات القبيحة.

وخامسها: طهرها عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم»[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الحب في الله، ١٢/٨.

(٢) انظر: فتح الباري ،ابن حجر ٤٤٧/٦.

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي ٣٨/٨ . وانظر: ابن جرير١٧٧٧/٣.وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٢٦٠/١.

فطهارة مريم عليها السلام طهارة معنوية من الذنوب والمعاصي والأخلاق الذميمة والعادات القبيحة، وكذلك مادية من الحيض وغيره على قول بعض المفسرين.

ومن صفاتها أنها عابدة:

عاشت مريم عليها السلام عابدة مطيعة لله، تكثر من الصلاة والدعاء، وتتقلب في عبادتها لربها ليلاً ونهاراً ولذلك امتدحها ربها.

فقال تعالى:﴿ **وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾ [التحريم: ١٢]

قال ابن جرير: فقد كانت من عباد الله المطيعين، تقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صار يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل من القنوت والسجود والركوع،حتى يقال إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها، والقنوت هو: طول الركوع في الصلاة، امتثالاً لقول الله تعالى:﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾[آل عمران: ٤٣] (١).

ومما يدل على عبادتها وارتباطها بمولاها ما تبادر لذهنها عندما رأت أمامها من ظنته رجلاً، فقالت ملتجئة إلى ربها مستعيذة بالله من شر من رأت وهي توقن أن الله سيحميها ويعيذها ﴿ **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا** ﴾ [مريم: ١٨] فخاطبت فيه تقواه لله وخشيته منه، وهذا من تمام إرتباطها بالله؛ إذ ذكرته بما يجب عليه تجاه ربه، إن كنت ذا تقوى، تتقي محارم الله، وتتجنب معاصيه؛ لأن من كان تقياً لله يتجنب ذلك.

ومع أنها تربت على العبادة ونشأت فيها ألا إنها قد جاءها الأمر من ربها بكثرة العبادة والطاعة له: ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٣] .

فاستجابت لربها وعبدته حتى بلغت المنزلة التي أثنى الله ورسوله عليها بها.

ومن فضائلها أن الله جعلها آية للعالمين:

جعلها آية لأهل زمانها يتفكرون في أمرها، ويستدلون بها على عظيم قدرة الله ومشيئته تبارك وتعالى. قال تعالى:﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء: ٩١].

وقال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٠]

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٨١١٦/١٠. وانظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ٢٥٩/١ - ٢٦٠، تفسير ابن كثير ٣٤٣/١.

يقول ابن جرير: «وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانها يعتبرون بها ويتفكرون في أمرها، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء»[١].

ومن فضائلها اصطفاء الله لها:

فلقد اصطفى الله مريم عليها السلام على كثير من خلقه، وبشرتها الملائكة بهذا الاصطفاء، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾[آل عمران: ٤٢]

ومعنى اصطفاء الله لمريم أي: اختارها على نساء أهل دهرها، وقد يكون على نساء العالمين كلهم. أي اختارك لعيسى على نساء العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساء العالمين بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، وبشرت بأن يكون نبيا شريفا[٢].

يقول ابن كثير: «يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها... ويحتمل أن يكون قوله:﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها»[٣].

وعند ابن جرير فضلك على نساء زمانك[٤].

وقال القرطبي: «أن الاصطفاء الأول للعبادة، والثاني لولادة عيسى»[٥].

وأيّاً ما كان هذا الاصطفاء له فهو اختيار من الله لها على النساء، سواء أكان في عالم زمانها أو جميع العالمين، سواء أكان الاصطفاء لما ذكر أم لبعض ما ذكر، فيكفيها شرفاً وفخراً، وهنيئاً لها أن تكون بهذه المكانة عند ربها وتُخبَر به.

ومن صفاتها كما ل العقل ورجاحته:

ميزت مريم عليها السلام بكمال العقل ورجاحته، وجاءت السنة الصحيحة شاهدة لها بذلك واهتمت السنة ببيان هذا الأمر الجليل لهذه السيدة الفاضلة.

فقد أثنى رسول الله r على مريم بكمال العقل ورجاحته في أكثر من حديث، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري[٦] t قال: «كَمَلَ مِنَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يكمُلْ مِنَ

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٥٧٥٩/٧.

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٤١٠/١ وانظر: البداية والنهاية، ابن كير ٢٦٠/١ .

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٦٠/١ .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير الطبري ١٧٧٧/٣.

(٥) تفسير القرطبي، ٢ /١٣١٤، انظر: التفسير الكبير، الرازي ٤٣/٨ .

(٦) عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري: قيل إنه قدم مكة قبل الهجرة فأسلم ثم هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم المدينة استخلفه عمر على البصرة مات سنة(٤٢هـ) (كتاب تهذيب التهذيب ٣١٧/٥).

النساء إلاّ مريمُ بنت عِمرانَ وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ. وفضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثَّرِيدِ على سائر الطعام»[1].

ومن فضائلها أنها من خير نساء الجنة:

فقد جاءت السنة مخبرة عن مكانة مريم عليها السلام في الجنة، وبينت أنها من خير نساء أهل الجنة، يقول r : «خيرُ نسائها مريم ابنةُ عِمرانَ، وخيرُ نسائها خديجةُ»[2].

ومع هذا الفضل لهذه المرأة الطاهرة، فقد أورد بعض المحدثين أحاديث تبين أنها ستكون من أزواج الرسول r في الجنة، ولكن كما يقول ابن كثير أنها كلها في أسانيدها نظر[3] والله أعلم.

فهذه مريم عليها السلام بما تميزت به من كريم السجايا، ونبيل الصفات، وعظيم الفضائل من ربها تبارك وتعالى.

ولهذا فقد من الله عليها بكرامات أظهرت فضلها وطهرها للعالمين سواءً أكان ذلك في صغرها ورعايتها ونشأتها، أم في كبرها وحملها وولادتها حتى تكون مقبولة لدى البشرية؛ لما سيأتي منها من أمر خارق للعادة وخارج عن مألوف البشر.

وسيتم إيراد هذه الكرامات في المطلب التالي.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي - باب فضل عائشة، ٥/٢٩ وانظر: صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ٧/١٣٢ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم – باب﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ٤/١٦٤ وانظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، ٧/١٣٢.

(٣) انظر : البداية والنهاية ،ابن كثير ١/٢٦٢ .

المطلب الرابع
كرامات مريم عليها السلام

ومع كل هذه الفضائل لمريم البتول، ومع كل ما حباها الله به، فإن الله أظهر لها من الكرامات ما ثبت بها فضلها وخيريتها؛ لإعدادها لأمر خارق للعادة؛ ولترتبط بربها أكثر وأكثر حتى تكون محلاً لكرامته واختياراً لمعجزته تبارك وتعالى.

وأهل السنة والجماعة يثبتون الكرامة لأولياء الله، ويفرقون بينها وبين غيرها من خوارق العادات، جاء ذلك في ثنايا كتبهم وفي أقوال علمائهم.

فما الكرامة وما ضوابطها؟

الكرامة: «هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها، تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»[١].

ويفرق شارح الطحاوية بين المعجزة والكرامة فيقول: المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وفي عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل[٢] وغيره ويسمونها الآيات، وكثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة[٣].

وهي ثابتة في العيان، وأمر مشاهد ومحسوس، وقد جرت كثير من الكرامات لكثير من أولياء الله كما ذكر طرفاً منها شيخ الإسلام ابن تيمية.

فقال: «وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، ولا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله»[٤].

ويقول السفاريني[٥]: «فإن كرامات الأولياء ثابتة بالعيان والبرهان، أما أولا فإن وجودها جائز عقلا واقع عيانا، وشرعا فإن حمل مريم بلا ذكر، ووجود الرزق عندها بلا سبب، من فاكهة الصيف في

---

(١) العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، (المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ٢ /٣٩٢ وانظر شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، تحقيق أحمد الغامدي، ٩ /١٥ - ١٦ .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي: شيخ الإسلام صاحب فقه وحفظ ومعرفة ولد سنة(١٦٤هـ) ثبت في محنة خلق القرآن وبه نصرت السنة مات سنة (٢٤١هـ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٤٢٦) .

(٣) الأمام القاضي علي بن علي بن محمد الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنووط، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ٢ /٧٥٢ -٧٥٣.

(٤) الشيخ تقي الدين ابن تيمية، كتاب النبوات، أبو صهيب الرومي وعصام فارس الخرساني، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). ص٩. وانظر: ص ٢٩٠ .

(٥) محمد بن احمد بن سالم السفاريني الحنبلي: ولد عام ١١١٤هـ، محدث فقيه، أصولي صوفي، مؤرخ، ولد بسفارين من قرى نابلس، وتوفي فيها عام ١١٨٨هـ، ومن أشهر تصانيفه لوامع الأنوار البهية (معجم المؤلفين ٣/٦٥).

الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، من الخوارق، وليستا بمعجزتين؛ لعدم شرط المعجزة وهو دعوى النبوة والتحدي فتعين كون ذلك كرامة لها»[1].

وعليه فإن عقيدة المسلمين وخاصة أهل السنة والجماعة تؤكد إثبات كرامات أولياء الله وأهل طاعته، ومن يظهر عليهم سيما الصلاح والطاعة، بخلاف بعض الفرق التي انحرفت عن جادة الصواب سواءٌ، من أنكرها منهم، أم من غالوا فيمن وقعت له كرامة وأنزلوه منزلة غير المنزلة التي أنزله الله، سواءً أكان ذلك بعلمه ورضاه، أو لم يعلمه، أو علم وأنكر، فإن الصالحين حقيقة لا يغريهم إطراء ولا يستهويهم غلو[2] أو جفاء، والحق أحق أن يتبع.

وعلى هذا أقول إن مريم عليها السلام حصل لها من الكرامات ما ذكر في القرآن والسنة كما يوقعه الله لعباده الصالحين، لغاية يريدها الله تبارك وتعالى، ولذلك فإني سأستعرض كراماتها فقط بالدليل من الكتاب والسنة.

فمن كراماتها:

١) إعاذتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم. قال تعالى حكاية عن أمها أنها قالت حين وضعتها ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦] .

٢) وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ r أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، إلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا» [3].

٣) أنها أول امرأة قبلت في نذر في المتعبد. قال تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾[آل عمران: ٣٧]

٤) أن الله خلق فيها عيسى من كلمة ألقاها إليها من غير رجل كما سيأتي. قال تعالى:﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٥]

٥) أن الله غذّاها برزق من عنده لم يجره على يد عبد من عبيده، والله يكرمها بتقديم هذا الرزق لها بخارقة ليست مألوفة ولا معروفة، ولم يعرف أحد كيف كان يصلها. قال تعالى:﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ**

---

(١) لوامع الأنوار البهية، السفاريني ٢ /٣٩٤.

(٢) الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق. التعاريف١/٥٤٠، الموسوعة الميسرة٢/١١١٠.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفضائل - باب فضائل عيسى عليه السلام، ٧/٩٧.

عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقد تناولت كتب التفسير وغيرها الرزق الذي كان يأتي مريم عليها السلام بروايات وأقول اسرائيلية متعددة، ولكن يكفي أن يقال إن الله أكرمها برزق من عنده، كان يعجب منه نبي الله زكريا ويلفت نظره، وهو من المبهمات التي لم ينص عليها في كتاب الله ولا سنة نبيه **r** .

٦) أثمر الله لها في النخلة - التي نزلت تحتها حينما جاءها المخاض لتلد بعيسى **u** - رطباً جنياً. قال تعالى :﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥]

٧) نداء جبريل أو عيسى - على القولين - لها أثناء وضعها لعيسى **u** تسلية لها وتطييباً لخاطرها كما قال تعالى| :﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٤]

٨) أجرى الله لها جدول ماء وهو نهر صغير؛ لتشرب منه، وذلك حين ولادتها بعيسى **u** قال تعالى: ﴿ **قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾.

٩) أنطق الله لها عيسى **u** في المهد براءة لها، وذلك حين كلمها ابتداء، وحين أتت به إلى قومها فتكلم نيابة عنها؛ لتتم بذلك براءتها وطهرها كما قال تعالى:﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٦]، فقال تعالى عن عيسى **u** لما تكلم في المهد ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا** ﴾ [مريم: ٣٠] .

١٠) أنها السبب في وجود ولد لزكريا **u** عندما طمع في وجود ولد من صلبه، وإن كان قد أسن وكبر، وذلك لما كان يرى عندها من الرزق في غير أوانه، فظهر له أنه قد يرزق الولد في غير أوانه. فلجأ إلى الله يدعوه قال تعالى:﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾[آل عمران: ٣٨]

١١) خاطبتها الملائكة أكثر من مرة، عندما بشرتها بأنها ستلد غلاما زكياً من غير أب قال تعالى﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٥]

وعند إخبارها بأن الله طهرها واصطفاها على نساء العالمين قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٢]

«ورؤية غير النبي للملائكة كرامة له، ومخاطبة الملائكة للولي كرامة أخرى له»(١). (٢).

فهذه كرامات مريم عليها السلام كما جاءت في الكتاب والسنة، والمسلمون حولها وفي أمر مريم عليها السلام وسط بين طرفي نقيض، بين اليهود الذين أهانوها وافتروا عليها الزور والقول العظيم، وبين النصارى الذين غالوا بسببها حتى أنزلها بعضهم منزلة الرب تبارك وتعالى.

---

(١) القصص القرآني ، صلاح الخالدي ٤/١٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١١٥. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١/٤٠٤ البداية والنهاية، ابن كثير ١/٢٥٩ تفسير ابن جرير الطبري، ٣ /١٧٥٧ القصص القرآني، صلاح الخالدي، ٤ /١٨٦-١٨٧، ٢٥٢. قصص الرحمن في ظلال القرآن، أحمد الحمصي، ٤/١٨٨.

المطلب الخامس
براءتها مما نسب إليها

محبة النصارى لمريم عليها السلام، وتمجيدها، والهتاف باسمها، وتقديس الصور التي يمثلونها بها، وكل ماله صلة بها؛ إنما هو رغبة في التقرب إليها، وإلى الرب باعتبارها والدة الإله كما يعتقدون (عيسى بن مريم u).

كما هو رد فعل -كذلك - لليهود الذين قالوا فيها بهتاناً وإثماً عظيماً.

وإن الوصول إلى رضا الرب تبارك وتعالى، لن يكون طريقه اتباع سبيل النصارى الذين انحرفوا عن الحق الذي كان عليه أوائلهم في مريم عليها السلام، ولا اتباع طريق اليهود الذين كادوا لدين عيسى u .

إن الإسلام هو الذي أنصف مريم مما قاله اليهود فيها، وأنصفها من ضلال النصارى فيها، وبرأها من كل ما نسب إليها.

قال الله تعالى في حق اليهود:﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا** ﴾[النساء: ١٥٦]

قال ابن جرير: «يعني بفريتهم عليها ورميهم إيّاها بالزنا، وهو البهتان العظيم؛ لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثبت ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول»[١].

وقال القرطبي: «والبهتان العظيم: رميها بيوسف النجار وكان من الصالحين»[٢].

وقال الشنقيطي [٣]: إنه في هذه الآية لم يبين الله البهتان العظيم الذي رموا به مريم عليها السلام، ولكنه أشـــار إليه في قوله تعالى:﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٧]. يعنون ارتكاب الفاحشة ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٨]

فكيف تفجرين ووالداك ليسا كذلك، وفي القصة أنهم رموها بيوسف النجار وكان من الصالحين[٤].

أما النصارى فقد بالغوا في شأنها حتى جعلها بعضهم إلهاً[١] كما قال تعالى في حقهم:﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ**

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣٦٢٢/٤ .

(٢) تفسير القرطبي ١١/٦ .

(٣) محمد الأمين المختار الشنقيطي: ولد عام ١٣٢٥هـ وتوفي عام ١٣٩٣هـ حفظ القرآن، وعمل في التدريس والإفتاء في المسجد النبوي اشتهر بالتفسير والإعراب من كتابه (أضواء البيان ص ٢١٦٧).

(٤) أضواء البيان ، الشنقيطي ص ١٧٥ .

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦].

ويعتقد النصارى كما يقول ابن القيم أنها «اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله، وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره، ولا ولد له سواه، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى - والد ابنها-، وابنها عن يمينه.

والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحة البدن، وطول العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده... سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً، ويقولون في دعائهم: «ياوالدة الإله اشفعي لنا»! وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة، وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة» [٢].

وقد رد الله هذا الزعم في تعظيم مريم عليها السلام بأنها في حاجة إلى الطعام والشراب ليدل على بشريتها، وأن الإله لابد وأن يكون غير محتاج إلى شيء آخر، بل الكل في حاجته. قال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[المائدة: ٧٥]

يقول ابن كثير: «كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَام، أي يحتاجان إلى التغذية بت، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى»[٣].

وعلى هذا فقد برأها الله مما نسبه إليها اليهود، ومن مغالاة النصارى فيها.

إلا أنه من الملاحظ أن الأناجيل حين تنسب عيسى u فإنها تنسبه إلى يوسف النجار، وعليه فلا فرق بينهم وبين اليهود في ذلك، بخلاف القرآن، فإنه عندما يذكر المسيح فإنه ينسبه إلى أمه صراحة.

وبأي صفة تنسب ليوسف بن هالي «يوسف النجار»؟! علما بأن الأناجيل لم تذكر أنه تزوجها، وإنما قالوا خطبها.

وهل ينسب المسيح أيضا له كما نسبه اليهود؟! فقالوا إنه ابن زنا - والعياذ بالله- فادعوا كذبا وافتراء على أمه الطاهرة مريم، وبرأها الله من ذلك كله.

---

(١) بعض فرق النصارى جعلت مريم عليها السلام إلهاً والبعض الآخر أقل من ذلك وافترقت فيها الفرق النصرانية كما سيأتي .

(٢) الإمام ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أحمد حجازي السقا،(دار الريان للتراث، قسم عقيدة). ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٧٨/٢ . وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢٩٦٤/٤ . وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١٩٧/٢. وانظر: هداية الحيارى ، ابن القيم ،ص ١٩١ - ٩٢١ .

ومع كل ذلك فقد أثارت أقوال الأناجيل في مريم، وكذلك ما جاء به الفكر النصراني الكثير من التساؤلات والإشكالات، يصل بعضها حد الدخول في صلب العقيدة النصرانية.

لقد اختلفت الفرق النصرانية في تقييمها لشخصية مريم العذراء، فمنها من جعلتها إلها كما هو ابنها إله على حد قول النصارى، ومنهم من جعلها قديسة ولا تصل مرتبة الألوهية.

فالأرثوذكس[(١)] تكرم العذراء؛ لحلول الروح القدس عليها؛ ولأنها حسب قولهم والدة الإله. ويتشفعون بها ويذكرونها في صلواتهم. أما البروتستانت[(٢)]، فلا يكرمون السيدة العذراء ولا يطلبون شفاعتها وربما كرد فعل لمبالغة الكاثوليك[(٣)] في إكرامها يبالغون هم أيضاً في عدم إكرامها حتى ليقول بعضهم إنها مثل قشرة البيضة لا قيمة لها بعد خروج الكائن الحي منها.

ويعتقد الكاثوليك والأرثوذكس بأن جسد مريم العذراء صعد إلى السماء، وينكر ذلك البروتستانت.

وقد أبقى الله في الأناجيل ما يبطل زعم النصارى، ويدل صراحة على أنها أمة الله وليست بإله.

جاء في إنجيل لوقا، قال بعد أن بشرها الملك بأنه سيكون منها غلاماً، فقالت: «هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي قولك فمضى من عندها الملاك»[(٤)].

ويبقى السؤال من أين أتى المسلمون بهذه الأخبار عن مريم عليها السلام، و لم يدركوا لها زماناً، وهناك توافق في أهم مسألة، وهي أنها أم المسيح **u** ، وأنها من ذرية داود عليه السلام.

وتكمن الإجابة في أن الله تبارك وتعالى أخبر محمداً **r** بحقيقة الأمر، فقال تعالى:﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٤٤].

فالأخبار التي قصها الله على رسوله وبلغها أمته من أخبار الغيب إنما هي عن الله تبارك وتعالى.

---

(١) الأرثوذكس: تسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الشرقية أو اليونانية، مقرها الأصلي القسطنطينية، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية ١٠٥٤م وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة، وهي تتبع نظام الإكليروس ويبدأ من البطريك ويليه المطارنة ثم الأساقفة ثم القمامصة ثم القسس. مقارنة الأديان - المسيحية، شلبي ٢/٢٥٠- ٢٥٢.

(٢) البروتستانت: وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم، لا تختص طائفة مخصصة بفهمه وأتباعها أصحاب حركة الإصلاح الديني تنتشر في أوربا وأمريكا الشمالية ولكن الإنجليز ساروا على نهجها واستبقوا اسم الكاثوليكية وأطلقوا على الكاثوليكية الرومانية، وتتبع الكنيسة البروستانتية نظاماً تعاونياًيتعاون أعضاؤه على القيادة والوعظ مع عدم المساس الذاتي لكل كنيسة. مقارنة الأديان - المسيحية، شلبي ٢/٢٥٢- ٢٥٣.

(٣) الكاثوليك: تسمى كنيستهم الكاثوليكية أو الغربية أو اللتينية أو البطرسية أو الرسولية. ومعناها العامة لأنها تدعى أم الكنائس ويدعي النصارى أن مؤسسها بطرس الرسول والبابوات في روما خلفاءة، وهي تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وإرادته إلاهية لا تقبل المناقشة. مقارنة الأديان - المسيحية، شلبي ٢/٢٥٠.

(٤) لوقا ١: ٣٨ .

وفي هذا دليل على إثبات نبوته؛ لأنه أنبأ بما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي، ولم يطلع عليها، ولم يعلمها إلا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم، وقد أجمعوا أن النبي r كان أمياً.

فإنباؤه إياهم بالأخبار التي في كتبهم على حقيقتها من غير قراءة الكتب دليل على أنه نبي، وأن الله أوحى إليه بها [١].

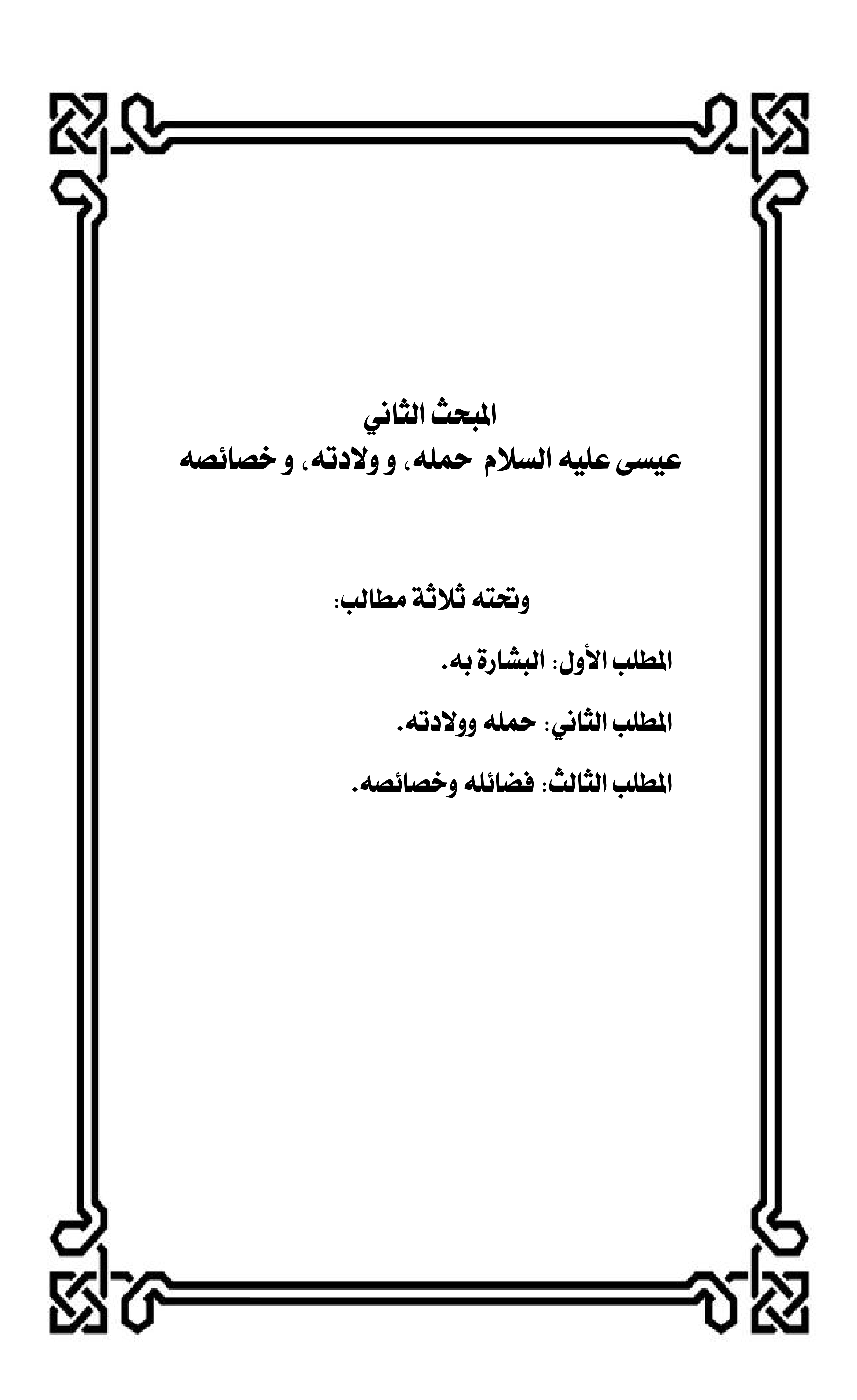
«وهنا تظهر عظمة هذا الدين، ويتبين مصدره عن يقين. فها هو ذا محمد r رسول الإسلام الذي يلقى من أهل الكتاب (ومنهم النصارى) ما يلقى من التكذيب والعنت والجدل والشبهات. هاهو ذا يحدث عن ربه بحقيقة مريم العظيمة، وتفضيلها على (نساء العالمين)، بهذا الإطلاق الذي يرفعها إلى أعلى الآفاق. وهو في معرض مناظرة مع القوم الذين يعتزون بمريم، ويتخذون من تعظيمها مبرراً لعدم إيمانهم بمحمد وبالدين الجديد!... إنه يتلقى (الحق) من ربه؛ عن مريم وعن عيسى u فيعلن هذا الحق في هذا المجال.. ولو لم يكن رسولاً من الله الحق، ما أظهر هذا القول في هذا المجال بحال!» [٢].

فهذه مريم العذراء طاعة وقربة، أخلاق وطهارة، صلة بالعزيز الغفار وأنس به بالليل والنهار؛ لتشكر ربها وتكون مهيأة للخطاب العظيم الذي يهز كل مشاعرها أن تكون أماً لنبي عظيم من غير أب؛ إليها ينسب، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وهو حديث المبحث التالي من حيث الحمل والولادة والخصائص. عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ٣ /١٧٨١ - ١٧٨٢وانظر تفسير القرطبي ٤ /٨٦ وانظر معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ٤١٠.

(٢) قصص الرحمن في ظلال القرآن، أحمد الحمصي ٤ /١٨٩-١٩٠. وانظر: القصص القرآني ، صلاح الخالدي ٤ /١٩٢ .



المبحث الثاني
عيسى عليه السلام حمله، و ولادته، و خصائصه

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البشارة به.

المطلب الثاني: حمله وولادته.

المطلب الثالث: فضائله وخصائصه.

تمهيـــد:

عندما ذكر القرآن الكريم قصة ولادة عيسى u ، سبقها بذكر ولادة يحيى u من أبوين عاجزين حسب الطبيعة البشرية؛ أحدهما قد بلغ به الكبر عتيا، وهو زكريا، والثاني عاقرٌ لا تنجب الذرية، وقد تقدم بها السن، وانقطع عنها الحيض.

لذلك فكأن الله يقدم للبشرية أنموذجا يرونه ولا ينكرون قدرته سبحانه وتعالى أنه لا معقب لحكمه.

وذلك تمهيداً للبشرية بقبول المعجزة الخالدة في إنجاب عيسى u من أم بلا أب.

«فقد جعل الله بمقتضى رحمته خلق يحيى مقدمة لخلق عيسى، ومعيناً للناس على فهم حقيقة الإعجاز في خلق عيسى من غير أب، فكانت آية خلق يحيى من جنس آية خلق عيسى، وهي إظهار قدرة الله على خلق ما يشاء. من حيث عدم وجود صلاحية السبب في الولادة بالنسبة ليحيى، كما قال زكريا: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا** ﴾ [سورة مريم، ٨]، وعدم وجود السبب أصلاً بالنسبة لعيسى ... والدليل على هذا الفهم: هو الصيغة القرآنية للبشرى بعيسى:﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا** ﴾ [سورة مريم: ٨] ﴿ **أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ** ﴾ [سورة آل عمران،٣٩] فجاءت البشرى بولادة يحيى، بصفته مصدقاً بــ (كلمة من الله) عيسى، وكان هذا التصديق هو أول صفات يحيى في خبر البشرى التي بشر الله بها زكريا بولادته»[1].

فعندما جاء عيسى u ،كان يحيى u من أول المصدقين به وبرسالته، وهذا الربط والتصديق إنما جاء ليرد ما كان عليه الناس في ذلك الزمان، حيث كانوا يربطون المسببات بالأسباب، وينكرون ماوراء ذلك فجاء يحيى مفارقاً لهذا الربط بين السبب والمسبب، وعيسى كان أعظم من ذلك حيث انعدم الارتباط في آيته بين السبب والمسبب.

«وكأن الله عز وجل يقول للبشر جميعاً إن قدرة الله لا تتناهى، ولا تتوقف قدرته عز وجل على العلل و الأسباب»[2].

ولهذا فإن في قصة عيسى من الآيات والعبر، ما يدل على وحدانية الله والتوحيد الخالص من البشارة به، إلى حمله وولادته، وبعثته، وخصائصه، فتبارك الله رب العالمين.

---

(١) رفاعي سرور، المسيح عليه السلام،(هادف، الطبعة الأولى). ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) النصرانية دراسة مقارنة، محمد رجب الشتيوي، ص٣٨ - ٣٩. ٢١٢.

المطلب الأول
البشـــــــارة به

لقد حملت الملائكة البشرى[١] إلى مريم عليها السلام من ربها تبارك وتعالى، وبشرتها أنها محل لعطائه وفضله بأن يصل للبشرية عن طريقها كمال قدرة الله وعظمته على كل شيء.

وها هو جبريل u عظيم الملائكة وأفضلهم عند الله، يبشرها بأنها ستحمل للبشرية نعمة مهداة وآية منه، غلاماً حسناً تعرف اسمه ولقبه وكنيته وبعض خصاله وفضائله قبل أن يوجد، وأنه سيخلقه الله فيها ليس بالسبب المعروف بين البشر بل بقدرة الواحد الأحد.

والقرآن الكريم بينه بياناً خفي على النصارى بعضه، وحرف بعضه، مما يجعل كل باحث عن الحقيقة ينقب عنها في مظانها التي توافق العقل والنقل، ولا أظن منصفاً سيجد بغيته والتي تطمئن إليها العقول السليمة إلا في القرآن الكريم، المهيمن على الكتب الإلهية الأخرى، وهو آخرها كما قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾[المائدة: ٤٨].

فمن البشير؟ ومن المبشر به؟ ما اسمه، ما لقبه، ما كنيته؟ و لم هذه الكنية، وما فضائله؟

قال تعالى:﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٥].

«هذه بشارة. من الملائكة لمريم، عليها السلام، بأن سيوجد منها ولد عظيم، له شأن كبير... يكون وجوده بكلمة من الله»[٢].

فماهي الكلمة المقصودة من البشرى؟

اختلف العلماء حول معنى هذه الكلمة: فقال بعضهم المقصود بكلمة من الله هي كلمة (كن) التي إذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، وممن قال بهذا القول الإمام ابن كثير وقتادة [٣] وغيرهما.

قال ابن كثير: «أي: بقوله: (كن) فيكون»[٤].

وجاء في أضواء البيان للشنقيطي قوله: «لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى. لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه، ولكنه بين في موضع آخر. أنها لفظة (كن)

---

(١) البشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب. التعريفات ١/٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٤٤ .

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي البصري: من التابعين روى عن بعض الصحابة، ثقة عالم ذكي قوي الحفظ عالما بالقرآن والفقه توفي سنة (١١٧هـ) (تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥)

(٤) تفسير ابن كثير ١/٣٤٤.

وذلك في قوله: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: ٥٩] [١].

ويرى ابن جرير أن المراد بالكلمة: الرسالة والخبر من الله، فيقول: «وقوله: (بكلمة منه)، يعني برسالة من الله وخبر من عنده، وهو من قول القائل: (ألقى فلان إلي كلمة سرني بها)، بمعنى: أخبرني خبرا فرحت به... يعني: بشرى الله مريم بعيسى، ألقاها إليها» [٢].

وقال في موطن آخر: «وقال آخرون: بل هي اسم لعيسى سماه الله بها، كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء، عن ابن عباس في قوله:﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**﴾ ، قال: عيسى هو الكلمة من الله».

وقد نصر ابن جرير قوله في أن المراد بها الرسالة والخبر بعد أن سرد عددا من الأقوال في هذه المسألة فقال: «وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي، القول الأول. وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقيها إليها: أن الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل، ولذلك قال عز وجل: (اسمه المسيح)، فذكر، ولم يقل: (اسمها) فيؤنث، و(الكلمة) مؤنثة، لأن (الكلمة) غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى (فلان)، وإنما هي بمعنى البشارة، فذكرت كنايتها» [٣].

والراجح من أقوال العلماء في معنى (بكلمة منه) هو كلمة (كن) فكان عيسى u بها بشراً سويا.

يقول ابن تيمية: «فدل ذلك على أن هذا الولد مما يخلقه الله بقوله كن فيكون؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل (عيسى مخلوق بالكن ليس هو نفس الكن) ولهذا قال في الآية الأخرى﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ فقد بين مراده أنه خلق بكن لا أنه نفس كن ونحوها من الكلام» [٤].

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ص١١٥.

(٢) تفسير الطبري ٣/١٧٨٤.

(٣) تفسير الطبري ٣/١٧٨٥.

(٤) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٠/٤٩٣-٤٩٤.

ويشهد لهذا التفسير كذلك ويبين أهميته ما جاء في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[1].

ولهذا فقد تضمنت بشرى الملائكة لمريم عليها السلام اسم الغلام المبشر به، ولقبه، وكنيته في قوله تعالى:﴿ **اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٤٥]

يكون مشهورا بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك... نسبة له إلى أمه، حيث لا أب له [2].

وقد اختلف العلماء كذلك في المراد بلقب المسيح لعيسى u ؟ و لم لقب بذلك على أقوال منها:

«(المسيح): لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق، وهو بالعبرية المشيح ومعناه المبارك»[3].

«وقد قيل: إن المسيح اسم لعيسى غير مشتق، سماه الله به.

فعلى هذا يكون عيسى بدلا من المسيح من البدل الذي هو هو»[4].

إلى غير تلك المعاني التي ذكرها العلماء، وعلى كل فإنه لا تناقض بين هذا المعنى أو ذاك، وقد يستوعب اللقب كل تلك المعاني، فلا مشاحة فيها.

وقد ذكر العلماء أقوالاً كثيرة في سبب تلقيبه بالمسيح، وقد ترد كلها بمجموعها على عيسى u ، فهي من باب التنوع وليست من باب التضاد .

فقيل: سمي مسيحاً لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص[5]لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ، وقيل: لأنه مسح الأرض، أي ذهب فيها فلم يستكن بكن. وقيل: لأنه ممسوح بدهن البركة. وقيل: لأن الجمال مسحه، أي أصابه وظهر عليه. وقيل: إنما سمي بذلك لأنه مسح بالطهر من الذنوب، وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب. وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه، فيطهر منه. وقيل سمي المسيح لأنها مسحت عنه القوة الذميمة من الجهل، والشره، والحرص، وسائر الأخلاق الذميمة[6].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قوله ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ﴾، ١٦٥/٤ قال الوليد حدثني ابن جابر عن عمير عن جنادة وزاد : من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣٤٤/١ .

(٣) إعراب القرآن الكريم ، أ/محي الدين الدرويش ١ /٥٠٩ انظر : تفسير القرطبي ٨٩/٤ .

(٤) تفسير القرطبي ٩١/٤.

(٥) الأخمص: من باطن القدم، مالم يصب الأرض . القاموس المحيط٨٤٠/١.

(٦) انظر: إعراب القرآن الكريم، أ/محي الدين الدرويش ١ /٥٠٩ . تفسير ابن كثير ٣٤٤/١. تفسير القرطبي ٨٩/٤-٩٠. تفسير ابن جرير الطبري ٢٦٤٧/٤. القصص القرآني، صلاح الخالدي ١٩٩/٤-٢١٢ .

وأما المراد من اسمه عيسى فكما يقول القرطبي: «وعيسى اسم أعجمي»[١].

وقال بعضهم هو عربي مشتق. ذكر ذلك القرطبي وغيره[٢].

والذي إليه أميل انه اسم علم أعجمي وليس عربي كما ذكر بعض أهل اللغة، وإنما عرب كبقية الأسماء الأعجمية المذكورة في القرآن، كإبراهيم وإسحاق وموسى وغيرها، بخلاف الأقوال الأخرى التي تجعله عربياً أو مشتقاً من عربي.

وأما كنية عيسى u فهي ابن مريم، وهذه الكنية هي- في ذات الوقت- نسبه، فعيسى u ينسب إلى أمه في القرآن الكريم صراحة ليس كبقية بني آدم في نسبتهم إلى آبائهم.

وفي هذا رد على مزاعم اليهود والنصارى في شأن عيسى u .

«ونسبته إلى أمه مقصودة ومرادة؛ ليكذب النصارى في زعمهم أنه ابن الله، فهم يقولون: عيسى ابن الله - تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا- والقرآن يقول لهم: إنه ابن مريم، وأمه معروفة، أنتم تعرفونها عن يقين، فكيف صار ابنا لله مع أنه ابن مريم»[٣].

وكذلك ليرد عليهم نسبته إلى يوسف النجار - كما سبق-

هذه بعض البشارة بالمولود الذي سيهبه الله لمريم عليها السلام، موضحاً لها اسمه ولقبه وكنيته.

ومع ذلك فقد اشتملت البشارة على بعض خصائصه وفضائله التي ستظهر لها جلياً في حياته، فكان من خطاب الملائكة لها قوله تعالى:﴿ **وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)**﴾ [آل عمران: ٤٥ – ٤٨].

فمن خصال الغلام الحميدة التي بشرت بها مريم قبل وجوده أنه:

١- وجيهٌ في الدنيا والآخرة.

٢- أنه من المقربين.

٣- أنه يكلم الناس في المهد وكهلا.

٤- أنه من الصالحين .

٥- أن الله سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.

فهذه خصاله إجمالاً، وأما تفصيلها فسيأتي - بإذن الله - .

---

(١) تفسير القرطبي ٩١/٤.

(٢) تفسير القرطبي ٩١/٤.

(٣) القصص القرآني صلاح الخالدي٤/٢٠٥.

فلما سمعت مريم عليها السلام هذه البشرى من الملائكة تساءلت كيف يكون لها هذا الغلام وليست ذات زوج؟ وليست بغياً؟! كما حكى الله عنها هذا التساؤل في روعته وبهائه وكمال العفة والطهر، وبما أجابها الملك في ذلك، فقال تعالى: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران: ٤٧].

ولهذا يقول الرازي: «إنما قالت ذلك لأن التبشير به يقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة»[١].

وعند ابن جرير لما قالت: ﴿ **رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ**﴾ من أي وجه يكون لي ولد؟ أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه، أم تبتدئ في خلقه، ومن غير أن يمسني بشر؟ فقال الله لها: ﴿ **كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾ يعني: هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسك بشر، فيجعله آية للناس وعبرة، فإنه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد[٢].

وهذا التساؤل منها عليها السلام ليس على سبيل الاستبعاد، بل هي موحدة لربها تبارك وتعالى ومصدقة لخبره؛ كيف وهي الصديقة!! ولكن كيف يكون هذا، ومتى سيكون؟ فهي العالمة أن الله لا يعجزه شيء، كما قال القرطبي: «وقيل: ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئا، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد ؟ من قبل الزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداء؟»[٣].

وبهذا تكون مريم عليها السلام قد علمت من بشارة الملك لها اسم ابنها، ولقبه، وصفاته، ومهمته التي سيوجده الله من أجلها من الرسالة والنبوة، وتقبلت خبر ربها بيقين واطمئنان.

---

(١) التفسير الكبير، الرازي٨/ ٤٧.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٣/ ١٧٨٩.

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ٨٧.

المطلب الثاني
حملـــــه وولادتـــــه

حملـــــه:

وتلك البشارة التي بشرت بها مريم عليها السلام إيذاناً بقدوم حمل قريب، وقبلتها بإيمان الواثق بربه، كانت تمهيداً للبشارة الأخرى، بأنه قد حان موعد الحمل بالغلام، وكان لها في هذا الفصل من فصول حياتها والمرحلة التي ستعيش تفاصيل أحداثها مواقف وأخبار، حكاها القرآن الكريم تذكيراً وإخباراً لنبينا محمد r وأمته من بعده، سواء أمة الإجابة أم أمة الدعوة على حد سواء.

قال تعالى:﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)** ﴾ [مريم: ١٦ – ٢١].

وقال تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ [النساء: ١٧١].

يذكر الله قصة حمل مريم بالمسيح، ويصور مشهد مريم عليها السلام، عندما تنحت واستترت عن قومها واعتزلتهم؛ لحكمة يريدها الله فيقول تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا**﴾ [مريم: ١٦ – ١٧].

فهو هنا يذكر لنبيه محمد r حال مريم يوم أن خرجت من مكانها الذي كانت فيه إلى مكان آخر جهة الشرق، وجعلت بينهم وبينها حجاباً من حائط أو نحوه، يقول الفخر الرازي وهو يذكر معنى الآية: «معناه تباعدت وانفردت على سرعة إلى مكان يلي ناحية الشرق، ثم بين تعالى أنها مع ذلك اتخذت من دون أهلها حجاباً مستوراً، وظاهر ذلك أنها لم تقتصر على أن انفردت إلى موضع، بل جعلت بينها وبينهم حائلاً من حائط أو غيره، ويحتمل أنها جعلت بين نفسها وبينهم ستراً، وهذا الوجه الثاني أظهر»(١).

---

(١) التفسير الكبير، الرازي ٢١ /١٦٧.

فأما إلى أين اتجهت فكما نص القرآن إلى جهة الشرق: واختلف العلماء في المراد بهذا الشرق إلى أقوال:

قال القرطبي: «دخلت في المسجد إلى جانب المحراب في شرقيه لتخلو للعبادة»[١].

وقال الشنقيطي: «وقوله (شرقيا) أي مما يلي شرقي بيت المقدس»[٢].

وقال ابن جرير: «عن ابن عباس، قال: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة؛ لقول الله: فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة»[٣].

وأما سبب اعتزالها فلم يبينه القرآن ولا السنة، ولكن وردت عن السلف أقوال فيه.

وقد جمع الرازي الأقوال التي قيلت في ذلك ما ملخصه:

الأول: أنها اعتزلت بسبب حيضها لتنتظر الطهر.

الثاني: أنها طلبت الخلوة لئلا تشتغل عن العبادة.

الثالث: قعدت في مشرقه للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها.

الرابع: أنها كان لها في مترل زوج أختها زكريا محراب، وكان يغلقه عليها عند خروجه، فتمنت خلوة لتفلي رأسها، فانفرج السقف، وخرجت إلى المفازة وراء الجبل.

الخامس: أنها عطشت فخرجت إلى المفازة لتستقي.

ثم قال واعلم أن كل هذه الوجوه محتمل، وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح واحدة منها[٤].

وعند محاولة الترجيح بين هذه الأقوال أو الجمع بينها، لا يحصل بذلك كبير فائدة، لأن هذه التفاصيل مما أبهمه القرآن، ولم يرد فيه -حسب اطلاعي- حديث صحيح، وإنما أثرت هذه الأقوال عن السلف الصالح، والذي يهم في القضية هو أنها اعتزلت وكانت في خلوة من الناس، لتكون إرادة الله، ويتحقق ما بشرت به من قبل، بأنها ستلد غلاما بطريقة معجزة لم يسبق لها معهود، لتكون وابنها آية للعالمين وفي هذا الاعتزال كانت المفاجئة!!.

فبينما كانت في خلوتها تلك إذ بها أمام رجل! فخافته وظنته يريد بها شراً، ما علمت أنه حان موعد تحقيق البشرى، وأنها أمام أفضل الملائكة (جبريل u) مرسل من الله، لينفخ فيها بالروح التي سيكون منها عيسى u قال تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾

---

(١) تفسير القرطبي ٨٧/١١. وانظر : التفسير الكبير، الرازي ١٦٧/٢١.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ص٦٩٩ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٥٤٦٧/٧.

(٤) التفسير الكبير، الرازي ١٦٧/٢١، وانظر: تفسير القرطبي ٨٦/١١. وانظر: تفسير ابن كثير ١٨٩/٣ .

وكما هو الحال في اختلاف آراء المفسرين عند عدم وجود النص الصريح، فقد اختلفوا من المراد بهذا الروح المرسل على قولان:

قال ابن جرير عن جمع من المفسرين هو جبريل u ، ودعم قوله بالآثار التي ساقها، ثم قال: «كلهم يروي أنه جبريل u »[١].

وذهب إلى هذا القول ابن كثير عن جمع من المفسرين كذلك، ثم قال: «وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن» [٢].

ومن المفسرين من قال إنه روح عيسى u ، وقد تعقبه ابن كثير بقوله: «وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي»[٣].

وهذا القول فيه مسايرة للنصارى في قولهم عن عيسى u - كما سيأتي إن شاء الله - فإنكاره لأنه بعيد عن فهم النص ويصل إلى مفهوم النصارى في المسيح u .

وعندما أرسل الله جبريل u إلى مريم عليها السلام تمثل لها بشرا مستوي الخلقة في أحسن الصّور الآدمية.

فعندما رأته على هذه الهيئة الحسنة استجارت بالله، واستعاذت به أن يكون رجلاً أراد بها سوءاً، فقالت كما حكى الله عنها: ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾

«أي: إن كنت تخاف الله. تذكيراً له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولا بالله U »[٤].

فطمأنها من كانت تخاطبه بأنه رسول الله جبريل u ، وأخبرها بالمهمة التي جاء من أجلها ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾ [مريم: ١٩]

والواهب في هذه الآية هو الله سبحانه وتعالى على الحقيقة، وإنما جبريل هو من قام به سبب النفخ فقط، ولذلك إنما جعل الهبة من قبله لأنه هو الذي أخبرها بهذه الهبة .

ومع ذلك فإن هناك قراءة تدل على هذا المعنى المذكور في الآية (ليهب لك).

وبهذا يكون معنى الآية على القراءة الأولى أنه جعل الهبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله. لأنه هو أرسلني إليك: أرسلني إليك لأهب لك (غلاما زكيا) على الحكاية، وعلى القراءة (ليهب لك) بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا[٥].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٧/٥٤٦٨ – ٥٤٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١١٢ . انظر: تفسير القرطبي ١١/٨٦. انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ص٧٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/١١٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/١١٢ . انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٧/٥٤٧٠، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/٥٨٠.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١١/ ٨٦، وانظر: تفسير الطبري ٧/ ٥٤٧٠، وانظر: تفسير ابن كثير ٣/١٨٩.

ولذلك يقول الشنقيطي: «وأظهر الأقوال في ذلك عندي أن المراد بقول جبريل لها: (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) أي لأكون سببا في وهب الغلام بالنفخ في الدرع الذي وصل إلى الفرج، فصار بسببه حملها بعيسى» [١].

ويرى ابن كثير أنه لا فرق بين القراءتين فيقول: «وكلا القراءتين له وجه حسن، ومعنى صحيح، وكل تستلزم الأخرى»[٢].

وهنا عادت كما قالت له في البشارة الأولى كيف يكون لي غلام﴿ **وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٠]. وهذه المرة التي قالت فيها هذا القول غير المرة الأولى التي جاءها جبريل بالبشارة كما سبق في قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٥].

يقول العلماء أنها قالت هذا من هول الصدمة، وكأنها نسيت البشارة الأولى، ونسيت خطاب الملك لها، فأجابها هنا بما أجابها من قبل، وزاد عليه بأن هذا الأمر هين على الله، وأنه سيكون آية من الله ورحمة منه سبحانه الذي إذا قضى شيئاً وأراده فإنما يقول له كن فيكون فقال:﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** [مريم: ٢١]

« ﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾ يحتمل أن هذا من كلام جبريل لمريم، يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته. ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد r أنه كنى بهذا عن النفخ في فرجها، قال محمد بن إسحاق[٣]:﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾ أي: أن الله قد عزم على هذا، فليس منه بد، واختار هذا أيضا ابن جرير في تفسيره، و لم يحك غيره، والله أعلم»[٤].

و لم يذكر الله تعالى فيما بعد من الآيات كيف كان حملها به ولكنه بينه في سورتي الأنبياء والتحريم كما قال تعالى:﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء: ٩١].

---

(١) أضواء البيان ،الشنقيطي، ص٧٠١ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٨٩/٣.

(٣) محمد بن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار: محدث، حافظ، اخباري، عارف بأيام العرب وأنسابهم، راوية لأشعارهم، توفي ببغداد عام (١٥١هــ). (معجم المؤلفين ١٢٤/٣).

(٤) تفسير ابن كثير ١٨٩/٣ .

وقال تعالى:﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾[التحريم: ١٢].

فذكر تبارك وتعالى في هاتين الآيتين أن جبريل نفخ في فرجها فحملت به u ، أما كيف نفخ فلم يبينه سبحانه وتعالى في الآية ولكن للعلماء حول بيان معناها أقوال:

يقول ابن كثير:« فنفخنا فيه من روحنا أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فترلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى u ، ولهذا قال تعالى:﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾[(١)].

وقال القرطبي: «قال المفسرون: إنه أراد بالفرج هنا الجيب لأنه قال: (فنفخنا فيه من روحنا) وجبريل عليه السلام إنما نفخ في جيبها و لم ينفخ في فرجها. وهي في قراءة أبي (فنفخنا في جيبها من روحنا) وكل خرق في الثوب يسمى جيبا... ومعنى (فنفخنا) أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها (من روحنا) أي روحا من أرواحنا وهي روح عيسى[(٢)].

وبهذا أخلص في بيان هذه المسألة إلى ما قاله ابن تيمية إذ يقول: «والمسيح خلق من مريم و نفخة جبريل... فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع فمراده أنه u لم يكشف بدنها، وكذلك جبريل، كان إذا أتى النبي r وعائشة متجردة لم ينظر إليها متجردة، فنفخ في جيب الدرع، فوصلت النفخة إلى فرجها... فقوله فنفخنا فيها أو فيه من روحنا أي: من هذا الروح الذي هو جبريل، وعيسي روح من هذا الروح فهو روح من الله بهذا الاعتبار و(من) لابتداء الغاية» [(٣)].

«ونفخ جبريل في مريم بطريقة غيبية، لا نعرف كيفيتها، وعقولنا لا تدركها.. وانتقلت هذه الروح - النفخة - من فرج مريم إلى رحمها، وهناك صارت هذه النفخة الروح جنيناً حياً، ولا نعرف كيف انتقلت، ولا كيف صارت جنيناً حياً، ولا ما الذي جرى في رحم مريم من تطورات وتفاعلات لتتحول هذه النفخة الروح إلى جنين حي»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٩٤/٤ . وقد نقل ابن جرير روايات تدل على أن النفخ كان في الدرع وولجت إلى الرحم بمجموع الروايات تفسير الطبري ٥٤٧١/٧ . أضواء البيان، الشنقيطي، ص٧٠١ .

(٢)تفسير القرطبي ١٨/ ١٧٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢٦٢/١٧- ٢٦٤ .

(٤) القصص القرآني، صلاح الخالدي ٤ /٢٣٥ .

وبهذا تكون مريم عليها السلام قد استسلمت ورضيت بقدرة ربها تبارك وتعالى، وحملت بالغلام النبي، وهي مع ذلك ومع يقينها أن هذا أمر ربها، إلا أنها خافت قومها واتهامهم لها، وأنهم لن يصدقوها فيما تخبرهم به، وبذلك رأت أن تـــبتعد عن قومها حتى لا يراها الناس وهي حامل، وليست ذات زوج كما أخبر الله تبارك وتقدس فقال:﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٢].

«وقوله:﴿ **مَكَانًا قَصِيًّا** ﴾ القصي، البعيد »[١].

أما مدة الحمل به عليهما الصلاة والسلام فمنهم من قال في مدة حمل عيسى u إنها حملت به تسعة أشهر، وهذا المشهور عن الجمهور. وقال عكرمة[٢]: ثمانية أشهر، قال: ولهذا لا يعيش ولد لثمانية أشهر. وقيل: لستة أشهر، وعن ابن عباس سئل عن حبل مريم، قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت. وهذا غريب، وكأنه أخذه من ظاهر قوله تعالى: :﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾فالفاء وإن كانت للتعقيب، ولكن تعقيب كل شيء بحسبه، كما قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا** ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

فهذه الفاء للتعقيب بحسبها. وقد ثبت في الصحيحين: أن بين كل صفتين أربعين يوما...[٣].

فالمشهور الظاهر - والله على كل شيء قدير- أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس، يقال له: يوسف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك من أمرها، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها، ثم تأمل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول، فقال: يا مريم، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي علي. قالت: وما هو؟ قال: هل يكون قط شجر من غير حب؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من غير أب؟ فقالت: نعم - فهمت ما أشار إليه- أما قولك : (هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر؟) فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر (وهل خلق يكون من غير أب؟) فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم. فصدقها، وسلم لها حالها.

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ص٧٠٢.

(٢) عكرمة أبو عبد الله القرشي: حدث عن عدد من الصحابة، من أهل العلم تابعي ثقة،مات بالمدينة (١٠٤هــ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١٧١).

(٣) صحيح مسلم: باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، ٤ / ٢٠٣٦.

ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة، انتبذت منهم مكانا قصيا، أي : قاصيا منهم بعيدا عنهم ؛ لئلا تراهم ولا يروها.

قال محمد بن إسحاق: فلما حملت به وملأت قلتها ورجعت، استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب، والتوحم وتغير اللون، حتى فطر لسانها، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا، وشاع الحديث في بني إسرائيل، فقالوا: (إنما صاحبها يوسف)، وتوارت من الناس، واتخذت من دونهم حجابا، فلا يراها أحد ولا تراه [1].

والظاهر والله أعلم أن الصحيح ما ذهب إليه ابن كثير من أنها حملت به حمل النساء لأنها لو كانت حملت به فوضعته، سيعلم القوم بهذه المعجزة بنفسهم ويصدقوها، أمَا وأنها خافت عدم التصديق، وقد ذهبت بعيداً عنهم، وأصابها ما أصابها من الهم والحزن، ما ذاك ليكون إلا لأنها قد استغرقت مدة في الحمل ولذلك سكن الله فؤادها بالكرامات التي صاحبت مرحلة الولادة بعدها؛ تطميناً لقلبها؛ وتصديقاً من قومها لها كما سيأتي- إن شاء الله -.

وبهذا يكون حمل مريم عليها السلام في انتباذ، وهو الأول المذكور في الآيات، والولادة في انتباذ آخر، وهو الانتباذ الثاني المذكور في الآيات .

وفي ذلك يقول الخالدي: لقد ذكرت الآيات انتباذين لمريم، يقومان على المرحلية والتدريج.

الأول: انتباذ عام، وهو المذكور في قوله ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا**﴾ [مريم: ١٦ – ١٧].

وهذا انتباذ اعتادته، واعتاده منها أهلها، حيث كانت تقوم به، وتبتعد عن أهلها إلى مكان يقع شرقي أماكنهم، وكان لها فيه حجاب أو بناء أو صومعة، وكانت تعبد الله وتناجيه في ذلك المكان الشرقي.

الثاني: انتباذ خاص، وهو المذكور في قوله: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا** ﴾[**مريم**: ٢٢]

وهذا كان بعدما حملت بعيسى، وحملت به عندما كانت في حجابها في المكان الشرقي، الذي ذَكَره الانتباذ الأول.

أي أن الانتباذ الثاني بني على الانتباذ الأول، وكان نتيجة له، حيث غادرت ذلك المكان الشرقي، وذهبت إلى المكان القصي، وبذلك ابتعدت عن أهلها مسافة أبعد[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١١٤وانظر: تفسير القرطبي ١١/٨٨ .

(٢) القصص القرآني، صلاح الخالدي، ٤/٢٣٨- ٢٣٩.

وهذا يؤكد أن هناك مسافة زمنية بين الإنتباذ للحمل عندما جاءها الملك، والانتباذ الثاني عندما ظهر الحمل، مما يدل على أن للقول الذي يقول بأنها حملت به حمل النساء وجاهته.

وبهذا الانتباذ الثاني يرد على القول الذي يقول ما هو إلا أن حملت به فوضعته؛ لأنه لو كان كذلك فعلام يكون هذا الانتباذ الآخر وقد تمت الولادة في حين حصول الحمل.

وقبل أن أصل إلى قصة ولادة مريم عليها السلام، أود التنبيه على أن الأناجيل قد جاءت بأخبار قصة بشارة جبريل u بأنها ستلد ابناً بلا أب، وفيما يلي نص البشارة من إنجيل لوقا إذ يقول :« وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة[١]، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال: (سلام لك أيتها المنعم عليها !الرب معك . مباركة أنت في النساء) فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك (لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العليّ يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية) فقالت مريم للملاك (كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً) فأجاب الملاك وقال لها: (الروح القدس يحل عليك وقوة العليّ تظللك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله) [وبعدها استسلمت لأمر ربها].. فقالت مريم: (هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك)»[٢].

فهذه البشارة موافقة لبعض ما جاء في القرآن ولكنها مصبوغة بالعقيدة النصرانية مثل: (وابن العليّ يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية) وقوله كذلك: (القدوس المولود منك يدعى ابن الله).

وأما ما في القرآن من حقائق تخالف الإنجيل- مع موافقته له في أصل القصة- فلأنه من لدن حكيم، وهو مهيمن على ما سبقه من التوراة والإنجيل، وأما هما فتغيرت بعض أحداثها، لأنها أحاديث ركبان سار بحقيقة الخبر الزمان، ومع مروره أصابه ما أصابه من تحريف أو زيادة أو نقصان.

وهم يقولون أن هذا الملاك جبريل u كما هو عند المسلمين «إن الملاك الذي حمل البشارة إلى مريم العذراء وقال إنها ستصبح أما ليسوع لم يكن ملاكاً عادياً، بل كان هو جبرائيل، أحد الملائكة الثلاثة الذين ذكرت أسماؤهم في الكتاب المقدس»[٣].

وهذا يدل على أن القرآن الكريم كتاب منزل من الله تعالى على نبينا محمد r ، فمن أين له بهذه الحقائق وهو الأمي، ومن حوله أمة أمية، ولا اطلاع له على ما عند أهل الكتاب.

بل إن ورود قصة عيسى فيه أبلغ، مع ورود أحداث في القصة لم ترد عندهم.

---

(١) الناصرة : بلدة بالشام قريب من طبرية منها اشتق اسم النصارى. معجم البلدان .٥ / ٢٥١.

(٢) لوقا : ١: ٢٦-٣٨.

(٣) د/بيلي غراهم، الملائكة، ترجمة القس جريس دله، (دار النشر المعمدانية) ص١٣٨.

ولادة عيسى u :

وبعد حمل مريم بعيسى u ، حان موعد الولادة كما حكى الله الخبر في كتابه وما صاحبه من كرامات وتأييد فقال تعالى﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)**﴾ مريم: ٢٣ - ٢٩

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: ﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾

أي: فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة، وهي نخلة في المكان الذي تنحت إليه.

وقد اختلفوا فيه، وذكر الخلاف ثم قال: أن ذلك ببيت لحم[١]، فالله أعلم، وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم، وقد تلقاه الناس. وقد ورد به الحديث إن صح»[٢].

ويقول الشنقيطي: «والجمهور على أن المكان المذكور بيت لحم. وفيه أقوال أخر غير ذلك»[٣].

وأياً ما كان الأمر، وإلى أي مكان اتجهت، فإن هذا من المبهمات التي لم يبينها القرآن الكريم و لم يرد فيها حديث صحيح منسوب إلى النبي r - حسب علمي- وإنما وردت روايات عن السلف الصالح أحسبها من الإسرائيليات؛ لتوافقها مع بعض ما جاء في الإنجيل، وروايتها عن من يكثر من رواية الإسرائيليات على ما ورد ذكره في كتب المفسرين.

والذي يهمنا أنه بعد أن ألجأها الطلق إلى جذع النخلة، وحان موعد خروج المولود إلى العالم، تمنت الموت، وأنها لم تكن من قبل شيئا، فقالت: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا** ﴾ وهنا جاءتها كرامات ربها وتوالت عليها نعمه، بما يطمئن فؤادها ويجلو حزنها ويزيح كربها، فهي مريم الصديقة (نبتة مباركة من شجرة طيبة) وهي تنجب من بشرت به قبل أن يكون، ثُم كان بهيئة لم يسبق

---

(١) بيت لحم : بقرب إيليا من أرض الشام، وبه ولد المسيح عليه السلام، وبه النخلة التي تساقطت على مريم رطباً جنياً، والسري، قريبة من بيت المقدس، الروض المعطار في خبر الأقطار١/١٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ /١١٤ .

(٣) أضواء البيان ،الشنقيطي، ص٧٠٢ . انظر: تفسير القرطبي ١١/٨٩، انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٧/٥٤٧١ .

إليها البشر بأمر الله الذي إذا أراد للشيء أن يكون، كن قال له كن فيكون، بلا سبب مادي مع قدرة الله -كما هو الحال - في تكوين البشر.

فناداها من تحتها وهو يبشرها بأمور عدة، وقبل ذكرها أبين أن العلماء اختلفوا في هذا المنادي هل هو جبريل u كان في موضع قريب منها أسفل منها، أو أن المنادي هو عيسى u بعد وضعه.

فمن العلماء من قال إن الذي ناداها من تحتها جبريل u ، وذكروا ما روي عن ابن عباس: (فناداها من تحتها) جبريل، و لم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها [١].

ومنهم من قال إن الذي ناداها من تحتها عيسى ابن مريم، واختاره ابن جرير في تفسيره فقال: وأولى القولين بالصواب قول من قال أن الذي ناداها هو ابنها u [٢].

يقول الشنقيطي: أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان: الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور، إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل. لأن الله قال ﴿**فَحَمَلَتْهُ**﴾ يعني عيسى ﴿**فَانْتَبَذَتْ**﴾ أي بعيسى، ثم قال بعده ﴿**فَنَادَاهَا**﴾ فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى. والقرينة الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله وقالوا لها ما قالوا؛ أشارت إلى عيسى ليكلموه.كما قال تعالى عنها: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته. وبهذه القرينة الأخيرة استدل سعيد بن جبير[٣] في إحدى الروايتين عنه على أنه عيسى[٤].

والذي يظهر - والله أعلم - أن الذي ناداها عيسى u ، لقوة قرينته ودلالته على القول الذي يقول إنه جبريل u .

فعندما ناداها أخبرها وأرشدها إلى عدة أمور:

أولاً: عدم الحزن، وذلك لأن الله قد أيدها بالكرامات العظيمة المصاحبة للمولد الطاهر، فمنها أن الله أجرى لها جدول ماء من تحتها لتشرب منه، وهو السري المذكور في الآية قال تعالى:﴿ **فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾ .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣ / ١١٥، وانظر: تفسير القرطبي ٨٩/١١، وانظر: أضواء البيان، الشنقيطي ص٧٠٤.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٧/ ٥٤٧٩، وانظر: تفسير ابن كثير ٣ / ١١٥.

(٣) أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي الكوفي: حافظ مقريء مفسر، روى عن الصحابة، من كبار علماء التابعين. (تهذيب سير أعلام النبلاء ١٤٨/١)

(٤) انظر : أضواء البيان، الشنقيطي ص٧٠٤ .

وهو الذي رجحه كثير من العلماء على القول الذي يقول أن المراد بالسري هو عيسى u بناءً على أن المراد به في لغة العرب الرجل العظيم من الناس[(١)].

قال الشنقيطي وهو يورد القول الذي يقول بأنه جدول ماء والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: القرينة من القرآن، فقوله تعالى:﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي** ﴾ قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به في قوله:﴿ **قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾ لأن المعين: الماء الجاري.

الأمر الثاني: حديث جاء بذلك عن النبي r . قاله ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وقد جاء بذلك حديث مرفوع، ثم ذكره مع بيانه لضعفه رغم تعدد طرقه.

فهذا الحديث المرفوع إلى النبي r وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف، أقرب إلى الصواب من دعوى أن السري عيسى بغير دليل يجب الرجوع إليه. وممن اختار أن السري المذكور في الآية النهر: ابن جرير في تفسيره وغيره، قاله ابن كثير وغيره... [(٢)].

بل قد ورد عند الحاكم في المستدرك حديث في ذلك، وصححه، فيقول: «عن البراء بن عازب[(٣)] في قوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سريا قال: هو الجدول النهر الصغير» [(٤)].

ثانياً: أن تهز جذع النخلة اليابسة كرامة أخرى: لتساقط عليها رطباً جنياً﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥] .

يقول القرطبي:﴿**وَهُزِّي** ﴾ أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع... ﴿**رُطَبًا** ﴾ نصب بالهز، أي إذا هززت الجذع هززت **بهزه**﴿**رُطَبًا جَنِيًّا**﴾... ﴿**جَنِيًّا**﴾ معناه قد طابت وصلحت للاجتناء[(٥)].

ثالثاً: أن تأكل وتشرب مما أعطاها الله، وأن تقر عينها بذلك ﴿**فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**﴾ [مريم: ٢٦].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣ /٢٣٨-٢٣٩و أضواء البيان ،الشنقيطي ص٧٠٤ .

(٢) انظر: أضواء البيان ،الشنقيطي ص٧٠٥ -٧٠٦ .

(٣) البراء بن عازب بن الحارث الأوسي: صحابي ابن صحابي روى عن النبي r وعن بعض الصحابة كان غازياً وروى عنه جمع من التابعين نزل الكوفة ومات بها سنة(٧٢هـ) (تهذيب التهذيب١/٣٧٢)

(٤) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م)، تفسير سورة مريم ٢/٤٠٥. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١١/٨٩-٩٠.

« ﴿**وَقَرِّي عَيْنًا**﴾ برؤية الولد النبي»[١].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هل بمجرد أكل مريم عليها السلام وشربها سيزول الحزن الذي أصابها من إنجاب المولود، أم أن قرة العين وذهاب الحزن بسبب آخر؟!

إن قرة العين لا يمكن أن تحصل بمجرد الأكل والشرب، وإنما بالخوارق والكرامات التي بطريقها وصل إليها الأكل والشرب.

يقول الشنقيطي مبيناً أن وجود هذه الخوارق: «يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛ لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به. فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر، وإنبات الرطب، وكلام المولود تطمئن إليه نفسها وتزول به عنها الريبة، وبذلك يكون قرة عين لها؛ لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسيا منسيا لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر. وخرق الله لها العادة... لا غرابة فيه»[٢].

رابعاً: أخبرها أن تلزم الصمت، ولا تكلم أحداً من البشر كائنا من كان؛ لحكمة أرادها الله تعالى:﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٦].

فلماذا منعت من الكلام؟

وقد تكون الإجابة:

«أن الله أمرها بأن تمتنع من الكلام لأمرين:

١) أن يكون عيسى u هو المتكلم عنها؛ ليكون أقوى لحجتها، وأرهص للمعجزة، وبالتالي لإزالة عوامل الريبة المؤدية إلى اتهامها بما يشين.
٢) تشريع الكراهية لأية مجادلة مع السفهاء» [٣].

ومع وجود النص الصريح عند المسلمين بأنها ولدت عند جذع النخلة، مع عدم بيان مكانها فإن هذا موجود في كتب النصارى، فإن مكان النخلة لديهم منصوص عليه، بل بنوا على ذلك المكان كنيسة[٤]. يقول صلاح الخالدي: «ولقد وافق النصارى القرآن في القول أن مريم ولدت عند جذع نخلة، قال عبد الوهاب النجار: «وأقول أيضاً: إن وجود النخل ببيت لحم، وهي البلدة التي كانت بها

---

(١) تفسير القرطبي ٩١/١١ .

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ص ٧٠٥ـ٧٠٦ .انظر: إعراب القرآن الكريم ، أ/محي الدين الدرويش ٩٦/٦- ٩٧ .

(٣) إعراب القرآن الكريم، أ/محي الدين الدرويش ٩٧/٦.

(٤) الكنيسة: متعبد اليهود والنصارى وهي كلمة يونانية بمعنى مجمع المواطنين التي كانت تدعوهم الحكومة إليه للتشريع، وفي النصرانية المكان الذي تؤدى في الطقوس الدينية، وأولها كنيسة بطرس بروما والنصارى يختلفون في أمرها والدور المناط بها، وقد تعددت لتعدد الفرق النصرانية. الموسوعة الميسرة ١١٤٤/٢. انظر القاموس المحيط ٧٨١/١.

مريم يوم ولادة المسيح نادر . وقد رأيت بكنيسة بيت لحم المبنية على موضع ولادة المسيح مكاناً قد قُوِّرَ البلاط فيه. ويقولون إن في موضع هذا التقوير كانت النخلة التي ولدت عندها مريم»[1].

وهذا التوافق بين بعض ما جاء في القرآن وما عند النصارى، فلأنه لازال عندهم بقية من الحق الذي أخبر به الرسول ﷺ وبينه غاية البيان وأوضحه، وهو مما يلفت النظر إلى البحث في هذا الدين وحقيقته.

وبهذا تكون مريم عليها السلام بما رأت من آيات الله الباهرات، والكرامات الظاهرات، قد اطمأنت نفسها وسكنت، وعلمت أن الله معها وسيدافع عنها. كما قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [سورة الحج، ٣٨].

وبعد مشهد الولادة وما صاحبه من خوارق وكرامات، حملت ولدها وعادت به إلى قومها؛ ليشهد الملأ أمراً آخر غير ما رأت؛ وليرسي أسسه التي من أجلها أتى الله به إلى عالم الوجود، فقال الله عن هذا الموقف العظيم والمشهد المهيب:﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾
[مريم: ٢٧ – ٣٢].

فيخبر الله تعالى أن مريم أتت به إلى قومها وهي تحمله قال تعالى: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا**﴾ .

وهنا بدأت المواجهة بينها وبين قومها، واستنكروا أن تكون صاحبة الزهد والعبادة يكون منها مثل هذا، ثم ذكروها على سبيل الاستهزاء بها، والاستخفاف بما كانت عليه، فقالوا:﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ شبهوها برجل صالح منقطع للعبادة اسمه هارون، فأنت مثله في العبادة، وأهلك قوم صالحون، فأبوك ما كان رجل سوء يأتي الفواحشَ، وأمك ما كانت بغيا، وهم بهذا يعرضون بها، ويتهمونها بالزنا، كما قال تعالى:﴿**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا**﴾ [سورة النساء، ١٥٦].

---

(١) قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار، ص . ٣٨١ نقلاً من: القصص القرآني ، صلاح الخالدي، ٢٤٣/٤.

ومع هذا البلاء والاتهام، لم تجبهم بشيء، بل فعلت كما أمرت، فالتزمت الصمت، وأشارت إلى الغلام أن كلموه هو؛ ولهذا استنكروا فعلها هذا أيضاً وهي تحيلهم إلى غلام في المهد صبيا لايتكلم مثله، فقالوا استهزاءً بها كما قال الله تعالى:﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾

«وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة؛ لندائه لها عندما وضعته» [١].

وفي هذا الوقت ظهرت كرامة مريم، وبراءة الله لها، ومعجزة عيسى u لقومها -كما سيأتي - بكلام الصبي الذي يقرع الخصوم، ويبهر العقول، ويهدي به الله من شاء من عباده.

فتكلم، وأول ما تكلم به هي عبوديته لله تعالى، وبعثته إلى قومه، فقال:﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾.

ولهذا فقد وصف نفسه بثمان صفات:

الأولى: أنه عبد الله، فأثبت له الوحدانية، ونفى عنه الشريك والولد، وأثبت لنفسه العبودية لله تعالى في قوله تعالى حكاية عنه﴿ **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**﴾ .

الثانية: أن الله قضى وحكم أن سيؤتيه الكتاب، والمقصود به الإنجيل، في قوله﴿ **آتَانِيَ الْكِتَابَ** ﴾.

الثالثة: أن الله قضى وحكم بأن يجعله نبياً إلى بني إسرائيل في قوله:﴿ **وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾.

الرابعة: أن الله جعله مباركا أينما كان، ومن بركته أنه نفاع للناس، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرشد الضال، وينصر المظلوم، ويغيث الملهوف في قوله ﴿ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ** ﴾ **الخامسة:** أن الله أوصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة مادام حيا، وهو إخبار من الله بما هو كائن من أمره إلى أن يموت، في قوله﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾.

السادسة: أن الله أمره بالبر بوالدته والإحسان إليها، ولم يقل بوالدي، فعلم أنه شيء من جهة الله تعالى. في قوله ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** ﴾.

السابعة: أن الله لم يجعله جباراً شقياً، جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدته، فيشقى بذلك، ولكن الله ذللـــه لطاعته، وجعله متواضعا في قوله﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** ﴾ .

الثامنة: أن الله أعطاه الأمان والسلام في أشق ما يكون على العباد، وذلك حين الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث، وهو إثبات منه لعبوديته لله U، وأنه مخلوق من خلق الله، يحيا ويموت ويبعث

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ص٧٠٤ .

كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال، في قوله﴿ **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾(١).

فهذه الصفات والأحوال التي أعطاه الله تعالى، وذكرها وهو طفل في مهده، كانت حقيقة بعد ذلك، وتمت إرادة الله لهذا الطفل النبي، وعاش إلى أن حان موعد البعثة والأمر بتبليغ الرسالة.

فهذه حقيقة ولادة عيسى u من الكتاب والسنة، وما صاحب ذلك من خوارق وكرامات له ولأمه عليها السلام، وقد جاء فيهما بحقائق لم يذكرها كتاب الأناجيل؛ لغفلتهم عنها أو أنها لم تصلهم الحقيقة، أو مر عليها التحريف والتبديل مع مرور الزمان .

يقول العالم النصراني - الذي أسلم - محمد مرجان(٢): «ومرت الأيام، ونسي الناس الحقيقة وسط الترهات، وتمسكوا بالأكاذيب والشائعات، وضاعت في اليم معجزة الميلاد، إلى أن نزل القرآن فأعلن الحقيقة، وقطع دابر الشكوك وأعاد لمريم عفافها وطهارتها، وأعاد لعيسى قدره واحترامه، ولولا القرآن لاندثرت رواية الميلاد، ولعدت من الأباطيل والخرافات التي ترددها الأديان الوثنية(٣) القديمة، ولما صدقها أحد، ولكنت أنا أول المكذبين»(٤).

أما طفولة عيسى u فقد سكت عنها القرآن وكذلك السنة، ولا نجد لها خبراً إلا ما وجد من كتابات النصارى حولها، وأخذ بعض علماء المسلمين لها؛ لذلك أعرضت عن ذكرها لعدم وجود النص في أصل القصة.. وإن كان في الآيات قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾[المؤمنون: ٥٠].

فبعض المفسرين قال إن هذا الإيواء كان بعد ولادة عيسى u وفي زمن طفولته، منهم الرازي والألوسي(٥).

ومنهم من يرى أن هذا الإيواء كان في حمل أمه زمن ولادته يوم أن قال الله لها﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٥] ومنهم ابن كثير والسعدي(٦).

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣ /١١٤-١١٨تفسير ابن جرير الطبري ٧/٥٤٩٦، ٥٤٨٧. تفسير القرطبي ١١/٩٦-٩٧. إعراب القرآن الكريم أ/محي الدين الدرويش ص ٨٨-٨٩.

(٢) محمد مجدي مرجان: ولد في مصر في أسرة متدينة مسيحية، كان شماساً في الكنيسة، ثم اعتنق الإسلام وكتب في إظهار الحق عدة مؤلفات. (رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا- موقع صيد الفوائد).

(٣) الوثنية: هي العقائد التي لا تفرد الله تعالى بالتوحيد، وتنسب إلى عبادة الوثن من أحجار وأصنام،ولها صور متعددة في تأليه البشر والأنبياء والأبطال والملوك وغيرهم. الموسوعة الميسرة ٢/١١٧٥.

(٤) د/محمد مجدي مرجان، المسيح إنسان أم إله، (مكتبة النافذة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م)، ص٢٥-٢٧.

(٥) انظر: تفسير الكبير الرازي ٢٣/٩٠، وتفسير الآلوسي ١٨/٣٨-٣٩.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير ٣ /٢٤٧ . تفسير السعدي ١ /٥٥٣.

وبهذا يكون عيسى u بقدرة الله العظيمة آية في خلقه وتكوينه، آية في حمله وولادته، آية في مهده وتكلمه، أزال الله به عن أمه التهمة، وأظهر الله به معجزته الباهرة التي كانت وستبقى آية من آيات الله، تتلى إلى يوم القيامة؛ ليهلك فيها من يهلك عن بينه ويحيا من حي عن بينه، ويهدي بالحق من اتبعه إلى الطريق المستقيم.

المطلب الثالث
خصائص عيسى عليه السلام

لأنبياء الله ورسله خصائص ومميزات، يمتازون بها عمن سواهم من البشر، تبرهن صدق دعوتهم، وتؤيدهم أمام أعدائهم وخصومهم، بما يقرع الخصم ويرد كيده، ولولا تلك الخصائص والمميزات لما كان لهم فضل على من سواهم من البشر.

وهم قد يشتركون مع بعضهم في بعض الخصائص، وقد ينفرد النبي عن غيره بما يريده الله من حكم ومقاصد تتجلى للناس، وتتناسب مع قومه الذين بعث إليهم، أو تبقى من علم الغيب الذي انفرد الله بعلمه.

ومن هؤلاء عيسى u ، فقد كانت له من الخصائص ما جعلته ينفرد بها عن بقية الأنبياء فضلاً عن بقية البشر.

وهذه الخصائص منها ما يتعلق بأصل خلقه وتكوينه، ومنها ما يتعلق بهيئته وخلقته، ومنها ما يتعلق بأحواله مدة حياته، مما هو مبثوث في ثنايا الآيات، وصحيح الأحاديث، وسوف أذكرها على شكل موجز؛ لأن منها ما سيبسط في موضعه من الرسالة.

الخصائص العامة لعيسى u :

أولاً: أن الله جعله آية للناس، قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾المؤمنون: ٥٠]. وقال تعالى:﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾ [مريم: ٢١].

فهو دالٌّ على كمال قدرة الله، وكمال مشيئته سبحانه وبحمده، وأنه تعالى يخلق ما يشاء كيف يشاء، ومن ذلك أنه ولد من غير أب، بكلمة من الله، وقد جعل الله خلقه كخلق آدم u ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: ٥٩]. فكما أن آدم خلق بلا أب، وهذا معروف عند النصارى، مستقر في دينهم، ولم يخرجه هذا من كونه بشراً، فكذلك عيسى خلق بقدرة الله من غير أب، ولا يخرجه هذا من كونه بشراً كذلك [(١)].

ولما قدم وفد نجران وأنكروا على النبي r قوله: «إن عيسى عبد الله وكلمته» قالوا : أرنا عبدا خلق من غير أب، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «آدم من كان أبوه؟ أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فآدم عليه السلام ليس له أب ولا أم»[(٢)].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري ٣/١٨١٦،١٨١٢ .

(٢) نزلت في وفد نجران عندما جاؤا إلى النبي r انظر تفسير الطبري ٣/١٨١٦،١٨١٢ . ولم أجد الرواية في كتب السنة.

فذلك قوله تعالى:﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ**﴾ أي في عيسى﴿**إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ**﴾ في آدم﴿ **وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾ [سورة الفرقان، ٣٣] [(١)].

«**والحكمة من خلق عيسى من غير أب لها بُعدان أساسيان:**

١) المشيئة.

٢) القدرة.

فالمشيئة الإلهية المطلقة هي: الحكمة الثابتة في الآيات التي بشر الله فيها مريم بولادة عيسى، قال تعالى:﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٤٧]. ومع المشيئة تكون القدرة﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: ٤٧]. والمعالجة الحقيقية لولادة عيسى u لا تتم إلا بإدراك الدلائل الكاملة لقضية القدرة الإلهية على الخلق»[(٢)].

وبخلق عيسى بهذه الكيفة يكتمل التنوع في خلق بني آدم، فمنهم من خلق من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم u ، ومن هم من خلق من ذكر بلا أنثى وهي حواء عليها السلام، ومنهم من خلق من أنثى بلا ذكر وهو عيسى u ، وسائر البشر خلقوا من ذكر وأنثى .

وبهذا تظهر القسمة الرباعية التي أشار إليها ابن القيم في تنوع الخلق وتنوع عملهم، فيقول عن تنوع الخلق: «والله سبحانه قد نوع خلق آدم وبنيه إظهارا لقدرته وانه يفعل ما يشاء فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر وخلق سائر النوع من ذكر» [(٣)].

ثانياً: أنه كلمة الله وروح منه، قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾[النساء: ١٧١].

ومعنى هذا: أنه خلق بكلمة من الله وهي كلمة (كن) كما ذكرت سابقاً.

ثالثاً: أن الله جعله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا**﴾ [مريم: ٢١]. فهو رحمة لمن آمن به، ومن كفر به فلم يبتغ الرحمة لنفسه، فرحمته جعله نبيا من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده.

---

(١) تفسير القرطبي ٤/١٣٠-١٤٠.

(٢) المسيح عليه السلام ، رفاعي سرور ، ص ٥٢ .

(٣) انظر: المسيح عليه السلام، رفاعي سرور ص ٥٣ . هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ١ / ١٤٨. وانظر : تفسير ابن كثير ١٨٩/٣ .

رابعاً: أن تلقيبه وتسميته u كانت من قبل الله تعالى، وهذا شرف له ما بعده شرف، وهو شرف يليق بكونه نبياً ورسولاً، وهو أسوة بمن سماهم الله من أنبيائه كإسحاق ويعقوب، إشارة إلى قوله تعالى:﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ [هود:٧١] ويحي، إشارة إلى قوله تعالى:﴿ **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٧].

خامساً: أنه وجيه في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿**وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ آل عمران: ٤٥. فله وجاهة ومترلة عالية وشرف ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، ويترل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه الله به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

ولذلك يقول الرازي عند تفسيره لهذه الآية: «وللمفسرين أقوال:

الأول: قال الحسن(١): كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوة، وفي الآخرة بسبب علو المترلة عند الله تعالى.

والثاني: وجيه في الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه، ويحيي الموتى، ويبري الأكمه والأبرص، ووجيه في الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحقين، ويقبل شفاعته فيهم كما يقبل شفاعة أكابر الأنبياء عليهم السلام.

والثالث: أنه وجيه في الدنيا بسبب أنه كان مبرأ من العيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه، وعلو درجته عند الله تعالى.

فإن قيل: كيف كان وجيهاً في الدنيا واليهود عاملوه بما عاملوه، قلنا: وقد سمى الله تعالى موسى u بالوجيه مع أن اليهود طعنوا فيه، وآذوه إلى أن برأه الله تعالى مما قالوا، وذلك لم يقدح في وجاهة موسى u فكذا هنا»(٢).

سادساً: أنه من المقربين، قال تعالى:﴿ **وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾[آل عمران: ٤٥]. والمقصود بذلك أنه ممن يقربه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره ويدنيه منه، ولذلك يقول الرازي حول معنى هذه الآية: «أما قوله﴿**وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ ففيه وجوه:

أحدها: أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة، فألحقه بمثل مترلتهم، ودرجتهم بواسطة هذه الصفة.

وثانيها: أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه u سيرفع إلى السماء، وتصاحبه الملائكة.

---

(١) أبو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري : سيد أهل زمانه علماً وعملاً روى عن بعض الصحابة والتابعين من أعلم الناس بالحلال والحرام، توفي سنة(١١٠هـ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١٦٦).

(٢) انظر التفسير الكبير، الرازي٨/٤٥.

وثالثها: أنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقرباً؛ لأن أهل الجنة على منازل ودرجات»[١].

سابعاً: أن الله أثنى عليه بالصلاح عندما بشر أمه به، فقال تعالى:﴿ **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران:٤٦] والصلاح -كما لا يخفى - أهم ميزة يتصف بها المؤمن، وهي من أكبر نعم الله تعالى، فالصلاح يمتد خيره من الدنيا إلى الآخرة، ليكون سبباً في دخول النعيم المقيم والنجاة من الجحيم، وكيف لا يكون صالحاً وهو النبي المصطفى المختار، بل ومن أولي العزم من الرسل.

والصلاح يكون في قوله وعمله، فله علم صحيح، وعمل صالح، وهو من عداد أولياء الله الصالحين، لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل.

ولذلك ذكرت الآية أن هذا الغلام الموهوب زكياً بمعنى أنه «طاهر من الذنوب والمعاصي، كثير البركات»[٢].

وللرازي تعليق بديع على العلة من ختم هذه الآية بأنه من الصالحين، وقد ذكر من الصفات والخصائص ما هو أعظم من كونه صالحاً، فكونه وجيها في الدنيا والآخرة، وكونه من المقربين عند الله تعالى، وكونه مكلماً للناس في المهد، وفي الكهولة، كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحاً، فلم ختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله ﴿**مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾.

فيقول: «قلنا: إنه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً، لأنه لا يكون كذلك إلاَ ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على النهج الأصلح، والطريق الأكمل، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين، في أفعال القلوب، وفي أفعال الجوارح، فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذي يدل على أرفع الدرجات»[٣].

ومن صلاحه الذي نصت عليه السنة أنه معظم لربه تبارك وتعالى غاية التعظيم، كما في الحديث المروي عند مسلم والبخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللّهِ: «رَأَىٰ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ. فَقَالَ لَهُ عِيَسىٰ: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلاَّ. وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَقَالَ عِيسَىٰ: ءَامَنْتُ بِاللّهِ. وَكَذَّبْتُ نَفْسِي»[٤].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي٨/٤٥.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ص٧٠٠ .

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي٨/ ٤٧.

(٤) صحيح مسلم : كتاب الفضائل - باب فضائل عيسى عليه السلام ٧/ ٩٧ وانظر: صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٤/١٦٧.

ثامناً: أن الله علمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل في آية البشرى، فقال تعالى:﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**﴾[آل عمران: ٤٨]. والظاهر أن المراد بالكتاب ها هنا الكتابة والخط والحكمة، وهي السنة التي يوحيها إليه في غير كتاب. ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى u ، وقد كان u ، يحفظ هذا وهذا. و لم يكن قبله، ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه لأنها كانت تعلم فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا، يوحي إليه كتابا اسمه الإنجيل[1].

تاسعاً: أن رسالته خاصة ببني إسرائيل، عامة لجميعهم قوله تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [سورة آل عمران، ٤٩]

«وهذه الآية تدل على أنه r كان رسولاً إلى بني إسرائيل عامة، بخلاف قول بعض اليهود إنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين منهم»[2].

عاشراً: أنه أحد أولي العزم من الرسل: قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [سورة الأحزاب، ٧]

الحادي عشر: أنه بشر بنبوة محمد r قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[الصف: ٦].

الثاني عشر: أنه ليس بينه وبين محمد r نبي، لقوله تعالى: ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [الصف: ٦].

الثالث عشر: أن الله رفعه إلى السماء حياً، وهو فيها حتى يأتي يوم نزوله u قبل يوم القيامة، كما سيأتي في مبحث الرفع والنزول.

الرابع عشر: أنه يترل في آخر الزمان: فيحكم بشريعة محمد r ويقتل الخترير، ويكسر الصليب ويضع الجزية، ويقتل مسيح الضلالة، ثم يموت في الأرض، ويدفن فيها،[3]. ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم لقوله تعالى: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ [طه: ٥٥].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣/ ١٧٨٩-١٧٩٠.

(٢) انظر: التفسير الكبير، الرازي ٨/٤٨.

(٣) كما سيأتي تخريج الأحاديث في موضعها.

الخامس عشر: أن الله سلمه في أشق الأحوال على بني آدم، وهي التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾ [سورة مريم، ٣٣] .وأعاذه من الشيطان الرجيم، وهو استثناء من الله له ولأمه، كما في الحديث عند البخاري، عن أبي هريرة t قال: قال النبيُّ r : «كلُّ بني آدَمَ يَطعُنُ الشيطانُ في جَنبيهِ بإصبعيهِ حين يُولَد، غيرَ عيسى ابن مريم ذهَب يطعُنُ فطعَن في الحجاب»[١].

السادس عشر: موت الكافرين بما فيهم «اليهود والنصارى» بنَفَسه، بعد أن يترل من السماء قبل يوم القيامة، جاء في حديث الترول عن الرسول r كما عند مسلم وفيه «فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ[٢]. بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[٣]. وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنحَةِ مَلَكَيْنِ. إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ[٤] كَاللُّؤْلُؤِ. فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ. وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ»[٥].

السابع عشر: الارتباط القرآني بين إيجاده u بكلمة (كُن) وبين الساعة، حيث لم تذكر كلمة (كُن فَيَكُونُ) في القرآن إلا في ثمانية مواضع، أربع تتعلق بعيسى، وأربع بالساعة، وقد جمع الارتباطين في آية الزخرف.

يقول رفاعي سرور: والحقيقة أن بين عيسى والساعة ارتباطاً قرآنياً من خلال معنى الإرادة والمشيئة، والقدرة الإلهية المطلقة، حيث لم يذكر في القرآن تعبير(كُن فَيَكُون) إلا في ثمانية مواضع، أربعة متعلقة بعيسى ابن مريم، وأربعة متعلقة بقيام الساعة، ولذلك كان خلق عيسى دليلاً على قدرة الله في الخلق، ودليلاً على الساعة، حيث اجتمعت كل هذه الدلائل في قول الله في سورة الزخرف: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾[٦]. [سورة الزخرف، ٦٠-٦٤]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق - باب صفة ابليس وجنوده، ٤/١٢٥.

(٢) دمشق : قاعدة بلاد الشام . القاموس المحيط ٢/١١٧٤.

(٣) مهرودتين: حلتين مصبوغتين بالهرد وهو صبغ أصفر يقال له الكركم. الفائق ٤/١٠٠.

(٤) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار. وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ.النهاية في غريب الأثر ١/١٨٦.

(٥) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر الدجال، ٨/١٩٦

(٦) المسيح عليه السلام، رفاعي سرور ص ٥٧- ٥٨ .

هذه بعض خصائصه المتناثرة في كتب السابقين واللاحقين [١].

خصائص عيسى u الخلقية:

لقد وصفت السنة المطهرة خلقة عيسى u ، حتى لكأن الناظر ينظر إليه، بل زيد على ذلك بتشبيهه بأحد الصحابة، فزادت فيه أمة محمد u بصيرة، مع ما وهبهم الله فيه من علم بأحواله من حين أن بشر به إلى رفعه u ، وإلى نزوله وحياته بعد ذلك على الأرض، فمعرفة المسلمين له تفوق معرفة النصارى به، بل هم لم يعرفوه حق المعرفة وقد ضلوا فيه ضلالاً مبينا.

وسوف أعرض صفاته أولاً بما جاء في السنة، ثم أذكر الأحاديث دون تعقيب، وأحيل الى شروحاتها من شروح كتب السنة:

فهـــو u :

- رجل مربوع: متوسط القامة، قال أهل اللغة: هو الرجل بين الرجلين في القامة، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير...
- جعد: المراد بالجعد هنا جعودة الجسم، وهي اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر.
- سبط الرأس: سبط الشعر والسبط هو المسترسل ليس فيه تكسر.
- له لمة: ويجمع على (لمام) يعني بكسر اللام، وهو الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين.
- أنه إلى الحمرة والبياض....
- وفي رواية أسمر: ويقول ابن حجر[٢] في الجمع بين الروايتين: «والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، والآدم الأسمر، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه احمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر، والله أعلم»[٣].

وفي وصفه u عند نزوله قبل يوم القيامة، أن لمته وهي: شعره قد سرحها ففي الحديث قد رجلها فهي تقطر ماء: ومعناه سرحها بمشط مع ماء أو غيره.

---

(١) وانظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ص٧٠١. تفسير ابن كثير ٢/١٠٨-١٠٩، ٣/١٨٩، ١/٣٤٤، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد بن إبراهيم الحمد ١٣٧-١٣٩ تفسير القرطبي ٤/١٠٣-١٠٤، ١١/٢٩٥، ٤/٩١-٩٢. ٤/٩٤ تفسير الطبري ٣/١٨١٦،١٨١، ٧/٥٤٧٠، ٣/١٧٨٩،١٧٨٦، ٣/١٧٨٩،١٧٨٦ سارة بنت حامد بن محمد العبادي، موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، (مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م) ص٢٦٧-٢٧٢.

(٢) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني يعرف بابن حجر: ولد بمصر سنة (٧٧٣هــ) محدث، مؤرخ، أديب، زادت مصنفاته على ١٥٠ مصنفاً معظمها في الحديث والتاريخ توفي (٨٥٢هــ). (معجم المؤلفين ١/٨٠٤).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/٥٩٣،٥٩١.

- يقطر ماء. قال القاضي عياض[١] يحتمل أن يكون على ظاهره، أي: يقطر بالماء الذي رجلها به لقرب ترجيله. ثم قال: ومعناه - عندي - أن يكون ذلك عبارة عن نضارته وحسنه، واستعارة لجماله[٢].
- كأنما خرج من ديماس، وهو: الحمام: يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه، كأنه خرج من كن لأنه قال في وصفه كأن رأسه يقطر ماء.

أما الأحاديث التي وردت في صفة عيسى u فكثيرة وبروايات متعددة، منها ما جاء في البخاري وغيره :

١- عن عبد اللَّهِ بن عمر[٣] أن رسولَ اللَّه r قال: «بينا أنا نائم أَطوفُ بالكعبة فإِذا رجلٌ آدمُ سَبْطُ الشعر ينطفُ - أو يَهراقُ - رأسه ماءً، قلتُ: من هذا؟ قالوا: ابن مريمَ، ثم ذهبتُ أَلتفِتُ فإِذا رجلٌ جَسيمٌ أحمرُ جَعد الرأسِ أعورُ العينِ كأن عَينَهُ عِنَبةٌ طافيةٌ، قالوا: هذا الدجال، أقرَبُ الناس به شَبَهاً ابنُ قَطَنٍ رجل من خُزاعة»[٤].

٢- عن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله r قال: « أُراني الليلةَ عند الكعبة، فرأيتُ رجلاً آدمَ كأحسنِ ما أَنتَ راءٍ من أُدْمِ الرجال، له لِمةٌ كأحسن ما أَنتَ راءٍ منَ اللِّمَم، قد رجَّلَها تقطرُ ماءً، متكئاً عَلَى رَجُلَين - أو على عواتِق رجُلَين - يَطوفُ بالبيت، فسألتُ من هذا؟ فقيل: المسيحُ بن مريمَ. ثمَّ إذا أَنا برجُلٍ جَعدٍ قَطَط أَعورِ العين اليمنى كأَنها عِنَبةٌ طافية، فسألتُ من هذا فقيل: المسيحُ الدَّجال»[٥].

٣- «ذَكرَ النبيُّ r يوماً بينَ ظَهرَي الناسِ المسيحَ الدجّالَ فقال: إنَّ اللهَ ليس بأعور، ألا إن المسيحَ الدجالَ أعوَرُ العين اليُمنى، كأنَّ عَينَهُ عنبَةٌ طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنامِ، فإذا رجلٌ آدمُ، كأَحسنِ ما يُرَى من أُدْمِ الرِّجالِ تضرِبُ لِّمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسهُ ماءً، واضعاً يديهِ على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيتِ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا المسيحُ بنُ

---

(١) الإمام العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي: محدث، مفسر، فقيه، أصولي، عالم بالتجويد واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، شاعر، خطيب، توفي سنة ٥٤٤ بمراكش من مؤلفاته: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (معجم المؤلفين٢/٥٨٨، تهذيب سير أعلام النبلاء٣/١٦) .

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/٥٧٩.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب : الإمام القدوة شيخ الإسلام أسلم صغيراً، وهاجر مع أبيه روى علماً كثيراً عن النبي r وكبار الصحابة وروى عنه جمعاً من التابعين توفي سنة (٦٣هـ). (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٩٦)

(٤) صحيح البخاري : كتاب الفتن - باب ذكر الدجال، ٩/٦٠.

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب ذكر المسيح والمسيح الدجال ١/١٠٧ وانظر: صحيح البخاري : كتاب التعبير - باب رؤيا الليل رواه سمرة، ٩/٣٣.

مريمَ، ثمَّ رأيْتُ رَجُلاً وراءه جعداً قططاً، أَعْوَرَ العين اليمنى، كأَشْبَهِ من رأيتُ بابن قطنٍ، واضعاً يديهِ على منكبي رجل يطوف بالبيتِ، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدجَّالُ»[1].

٤- عن ابْنُ عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. رَجُلٌ آدَمَ طُوَالٌ جَعْدٌ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ. إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ. سَبِطَ الرَّأْسِ». وَأُرِيَ مَالِكا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ. فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ الله إِيَّاهُ ﴿**فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ**﴾ [سورة السجدة،٢٣] قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللّهِ قَدْ لَقِيَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ[2].

٥- عَنْ جَابِرٍ[3]، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ: « عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ. فَإِذَا مُوسَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - u -. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَها عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ. وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَها صَاحِبُكُمْ (يَعْنِي نَفْسَهُ) وَرَأَيْتُ جبْرِيلَ u . فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَها دِحْيَةُ». «وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: (دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ)»[4].

وبهذا يكون القرآن والسنة هما أصدق وثيقة للمسلمين والنصارى على حد سواء في تلقي خبر وأخبار عيسى u ، من حين البشارة به إلى حمله، وولادته، ونشأته، وخصائصه، وصفاته التي تميز بها سواء شاركه فيها غيره، أم انفرد بها، فهي تعتبر ميزة تميزت بها شخصيته، ينبغي توضيحها ليتبين فيه أهل الحق وطلابه، وأسأل الله أن يهدي إليه أمما يكونون للإسلام عزا وفي الآخرة ذخرا.

ويبقى السؤال إلى من بعث عيسى u ؟ وما هي رسالته؟ ودينه الذي جاء بت؟ ودعوته؟ وبماذا أيد من الآيات؟ وما عقيدة المسلمين؟ - وأخص منهم أهل القول الحق فيه - وفي رفعه، ونزوله، ووفاته، ثم براءته u مما رماه به من يظنون أنهم تبع له؟ وغير هذه المسائل التي هي محور الحديث في الفصل التالي.

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب ذكر المسيح والمسيح الدجال ١/١٠٧ وانظر: صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٤/١٦٦.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب الإسراء بالرسول، ١/١٠٦.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي: روى عن النبي r وعن أبي بكر وعن عمر وعن علي وغيرهم رضي الله عنهم وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة (تهذيب التهذيب ٢/٣٧).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب الإسراء بالرسول، ١/١٠٦.



الفصل الثاني
رسالة عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل

وتحته ثمـانية مباحث:

المبحث الأول: بعثة عيسى عليه السلام.

المبحث الثاني: العقيدة التي جاءِ بها عيسى عليه السلام.

المبحث الثالث: الإنـجيل المنزل على عيسى عليه السلام.

المبحث الرابع: معجزات عيسى عليه السلام.

المبحث الخامس: رفع عيسى عليه السلام.

المبحث السادس: نزول ووفـاة عيسى عليه السلام آخر الزمان.

المبحث السابع: براءة عيسى عليه السلام من معتقدات النصارى.

المبحث الثامن: اسـتثناء عيسـى عليـه السـلام مـن مصير الآلهـة المعبودة من دون اللّه تعالى.

المبحث الأول
بعثة عيسى عليه السلام

ما من أمة من الأمم إلا وبعث الله فيهم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله، ويحذرهم عبادة ما سواه، قال تعالى:﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، ٢٤]

وبنو إسرائيل من الأمم التي بعث منهم الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾ [سورة المائدة، ٧٠].

وأول رسلهم موسى u ، وآخرهم عيسى u .

وقد تكرر ذكر بني إسرائيل في الكتاب والسنة، ومن بعث إليهم من الأنبياء وأنبأنا الله من أخبارهم، وقص علينا قصصهم، بداية من يعقوب وبنيه، مروراً بموسى وهارون عليهما السلام، ثم داود وسليمان وزكريا ويحي، وانتهاءً بعيسى عليهم السلام.

و«كان هؤلاء الأنبياء والرسل يأمرونهم ويردونهم إلى الطريق المستقيم، ويبدو أن بني إسرائيل كانوا من أكثر الأمم التي أرسل الله إليهم أنبياء ورسلاً، نلمح هذا من قول النبي r عن أبي هريرة قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي..» [(١)]. [(٢)].

فمن هم بنو إسرائيل؟ وهل بعث إليهم عيسى خاصة؟ وما الدليل على بعثته؟ وما موقفهم من بعثته ؟ وما الحكم فيهم بعد بعثته؟

ينسب بنو إسرائيل إلى نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وهم من بعث إليهم عيسى u .

قال الله تعالى:﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة آل عمران، ٤٩]. وقال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٦ .

فهذه الآيات تشير صراحة إلى أن عيسى u رسول إلى بني إسرائيل خاصة، وأن دعوته مقصورة عليهم، وهذا لا يقلل من شأنه، ولا من شأن رسالته، فكل نبي يبعث إلى قوم مخصوصين يدعوهم إلى العبادة والتوحيد، ويحكم فيهم بشريعته؛ إلا رسالة النبي محمد r ، فهو آخر الأنبياء، رسالته عامة إلى الثقلين الإنس والجن، قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

---

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٦٩/٤.صحيح مسلم: كتاب الأمارة - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ١٧/٦.

(٢) نقض دعوى عالمية النصارى، فرج الله عبد الباري، ص ١٤-١٥.

َلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ، ٢٨]، وقال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] كما سيأتي بيانه.

وبنو إسرائيل هم: اليهود الذين أرسل فيهم موسى u وجاءهم بالتوراة، وكلما انحرفوا عن جادة الحق بعث الله إليهم رسولاً يحكم فيهم بشريعة موسى u ، قال تعالى:﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾ [المائدة: ٤٤] .

إلى أن بعث فيهم خاتم أنبيائهم ورسلهم عيسى u ، كما قال تعالى:﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ** ﴾[**سورة** الحديد، ٢٧]

وفي الحديث «وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى»[(١)].

وقد ذكر العلماء أن المقصود به خصوصية رسالته لبني إسرائيل.

يقول الفخر الرازي: «ونبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل»[(٢)].

ويقول ابن كثير: «حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم»[(٣)].

ورسالته إليهم: هي نعمة الله له، المقصودة بقوله تعالى:﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [سورة الزخرف، ٥٩] . يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه آية لبني إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالنا إليهم بالدعاء إلينا[(٤)].

«ورسالته التي أرسل بها إنما هي امتداد لرسالة موسى u وتجديد لها، وتصحيح لما دخلها من التحريف، وفيها تحليل لما حرم على اليهود من بعض الطيبات»[(٥)].

فهذه النصوص تؤكد أن عيسى u رسول وإلى بني إسرائيل دون سواهم.

والأناجيل تشهد بأن عيسى u بعث إلى بني إسرائيل خاصة.

---

(١) العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير،(دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٣/ ١٢٥ وقد أورده ابن كثير في تفسيره ١/ ٥٥٥ والقرطبي في تفسيره ٤/ ٩٤. «وفيه عمر بن أبي عمر أورده الذهبي في الضعفاء وقال قال ابن عدي مجهول وإبراهيم بن هشام الغساني قال أبو حاتم غير ثقة ونقل ابن الجوزي عن أبي زرعة أنه كذبه ويحيى بن يحيى الغساني خرجه ابن حبان ذكره كله الذهبي» فيض القدير ٣/ ١٢٦ .

(٢) التفسير الكبير، الرازي ٨/ ٤٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١١٧، وانظر : ٤/ ٣٥٩

(٤) تفسير الطبري ٩/ ٧٣٠٩ . وانظر: ٣/ ١٧٩٠.وبنحو هذا الكلام جاء في تفسير ابن كثير٤/١٣٤. وتفسير السعدى ٧٦٨/١.

(٥) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٣١ .

فمن تلك النصوص الدالة على خصوص الدعوة لبني إسرائيل:

أولاً: ورد في إنجيل متى «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»[١].

ثانياً: في نفس إنجيل متى نص آخر يدل دلالة صريحة وواضحة على كون دعوة عيسى u خاصة لبني إسرائيل فقط، مهما كانت الدواعي والظروف الموجبة لدعوة غيرهم، يقول متى: «وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد، يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[٢].

ثالثاً: ومن النصوص التي تدل على أن عيسى u جاء لبني إسرائيل، وأن تلاميذه كانت دعوتهم خاصة باليهود، ما ورد في إنجيل متى عن حساب يوم القيامة، وقيام المسيح وتلاميذه بالمحاسبة كما يعتقد النصارى، يقول متى: «ومتى جلس الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر»[٣].

رابعاً: ورد في إنجيل يوحنا: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله»[٤].

خامساً: عندما أمر التلاميذ بالدعوة، قصرهم على دعوة بني إسرائيل، فقال لهم: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[٥].[٦]

يقول شارل جينبير: «كانت الجماعة الأولى من المؤمنين بعيسى في القدس جماعة يهودية صرفة، وليس لدينا ما يدعو للشك فيما ترويه أعمال الرسل بهذا الشأن، وكان أعضاء هذه الجماعة لا يفترقون عن اليهود الآخرين الأتقياء إلا في إيمانهم بأن عيسى الناصري قد شرفه الله فجعل منه مسيحاً، وأنه قد تحققت به الآمال. ولا يمكننا أن نتصور أنهم اجتهدوا من أنفسهم إلى تبشير المشركين بعقيدتهم فلم يكن ذلك بالنسبة إليهم عملاً ذا معنى[٧].

---

(١) متى : ١/ ٢٠ .

(٢) متى١٥:٢٢-٢٤.

(٣) متى ١٩: ٢٧-٢٨.

(٤) يوحنا ١: ١٠-١١.

(٥) متى ١٠: ٥. انظر: متى ١٠: ٣٤.

(٦) انظر: نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، ص ٣٢- ٣٧ وانظر: د/ سعود عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (مكتبة الأضواء السلف، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ص ١٦٧-١٦٨ .

(٧) المسيحية نشأتها وتطورها، ص١٣. نقلاً من نقض دعوى عالمية النصرانية ص٣٤.

ويضيف الكاتب تعليقاً على كلام جينبير فيقول: «وكلام (جينبير) كلام الخبير بالديانة المسيحية المتعمق في دراسة تطورها خاصة بعد رفع المسيح u وسوف يقدم لنا تحليلات قيمة، عميقة عن التطور الذي لحق بالنصرانية، فحولها من ديانة خاصة لبني إسرائيل إلى ديانة عالمية، كل ذلك على يد (بولس) الذي سيحظى بكثير من الدراسة والتحليل من (شارل جينبير) ومنّا أيضاً في خلال هذا البحث، لنثبت أن عالمية النصرانية بدعة من بدع (بولس) وأن كُتاب الأناجيل تأثروا به»[١].

وقد أكد خصوصية رسالة عيسى إلى بني إسرائيل علماء النصارى الذين دخلوا في الإسلام، يقول محمد مجدي مرجان: «بعث الله عيسى نبياً إلى بني إسرائيل، وأرسله برسالة خاصة اقتصرت عليهم وحدهم دون سائر الشعوب.

إلى أن يقول: «ويبدأ عيسى دعوته، فيعلن في صراحة ووضوح أن رسالته مقصورة على بني إسرائيل، ولا تمتد إلى غيرهم، يقول عيسى «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة»[٢]. ويقول أيضاً «وقد أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء»[٣] . [٤].

وهذا الذي ذكرته - مما عند القوم - إنما هي نصوص صريحة، ترد على النصارى زعمهم عالمية النصرانية، والتبشير والدعوة إليها كما يقولون، بل هو خلاف طبيعتها المقتصرة على بني إسرائيل، وإن ورد ما يخالف هذا فإنما هي شطحات خالفت الأصل الصحيح، والقرآن الذي هو مهيمن على جميع الكتب السابقة فما وافق منها نصوصه علمنا أنه الحق، وأما ما خالفه فلا يلتفت إليه، ويكون من باب التناقض الذي أدلى به المحرفون، ولم يطمسوا به الحق الذي أبقاه الله عندهم ليكون حجة عليهم.

وبعد أن اتضح جانب خصوصية الدعوة لبني إسرائيل، يبقى السؤال: ما مدى قبولهم لهذه الرسالة؟

موقف بني إسرائيل من بعثة عيسى عليه السلام:

بعث عيسى u إلي بني إسرائيل «وقد بلغوا قمة الانحراف عن الشريعة الربانية، التي أنزلها الله على موسى u ، والتي أكدها وبينها الأنبياء والرسل الذين تتابعوا بعده من بني إسرائيل، كما أنهم عبثوا في دين الله كما شاء لهم الهوى، وتلاعبوا فيه حتى مست تحريفاتهم أصول شريعة الله ونصوصها وشروحها وأحكامها»[٥].

---

(١) نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، ص٣٤. وسوف أذكره في مواضعه من الرسالة .

(٢) متى ١٥:٢٤ .

(٣) إنجيل برنابا، ترجمة د/ خليل سعادة، تقديم د/ أحمد حجازي السقا، (كنوز للنشر والتوزيع) ٥٢:١٣.

(٤) المسيح إنسان أم إله ص٩٤- ٩٥ .

(٥) عبد الرحمن حبنكة الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ،(دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة ١٤١٣هـــ- ١٩٩٢م)، ص٣١.

فجاءهم ليجدد لهم أمر دينهم، ويردهم إلى جادة الحق، فمنهم من آمن به وصدقه، وهم القلة، أما السواد الأعظم منهم فقد تولى وكفر.

قال تعالى: ﴿ **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ** ﴾ [سورة البقرة، ٢٥٣] [١].

وقد بين العلماء أن المقصود في الآية هو: كفر بعض بني إسرائيل بعيسى u وإيمان بعضهم به.

فالذين آمنوا به سموا بعد ذلك بالنصارى، والذين كفروا به وجحدوا رسالته إليهم، وقالوا نؤمن بموسى ولا نؤمن بعيسى عليهما السلام، ثبتوا على تسميتهم باليهود.

يقول ابن كثير: «فلما بعث عيسى r وجب على بني إسرائيل اتباعه، والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى» [٢].

ولهذا كان «إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى u حتى جاء عيسى. فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى، فلم يدعها ولم يتبع عيسى، كان هالكا. وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد r » [٣].

ومع كفرهم فقد ناصبوه العداء، وكذبوه، واتهموه بأنه ساحر، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [سورة المائدة، ١١٠]

ثم، أغروا به الحكام، وحاولوا قتله، بل ادعوا أنهم قتلوه وصلبوه u .

ولأن عموم بني إسرائيل جحدوا دعوته، وكذبوا رسالته، لجأ إلى اتخاذ أنصار منهم لدينه، فقال لهم كما قال الله عنه: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٥٢]

وهذا خبر من الله u عن الحواريين [٤] أنهم قالوا: صدقنا بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك، وصرنا أتباع عيسى على دينك الذي ابتعثته به، وأعوانه على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك ﴿ **فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾، يقول: فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقروا لك بالتوحيد، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك.

---

(١) وانظر الآيات سورة الصف ١٤. سورة الصف ٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٩٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٩٩ . وانظر : تفسير ابن جرير الطبري ١٠/ ٨٠٢٢ .

(٤) الحواري: الناصر أو ناصر الأنبياء. القاموس المحيط ١/ ٥٣٩.

وأما سبب كفر من لم يؤمن من بني إسرائيل بعيسى u ، فكما نصت الآيات بأنهم حسدوه لما جاءهم بما يخالف أهواءهم، كما قال تعالى: ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [سورة البقرة، ٨٧]فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم.

فهذا موقف بني إسرائيل من رسالة عيسى u .

وهم يُدعون أمته ولا يُدعون قومه، فهم ليسوا له بقوم؛ لأنه ليس منهم، ولا نسب له فيهم، ولهذا لم يكن عيسى u ينادي بني إسرائيل ب (يا قوم) كما هو الحال من بقية الأنبياء، وذلك لأنه لا نسب له فيهم كما قاله جمع من المفسرين وأقتصر على ما ذكره القرطبي حيث قال: « (ليسوا قومه) وقال: (يا بني إسرائيل) و لم يقل (يا قوم) كما قال موسى، لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه»[1].

حكم من لم يؤمن برسالة عيسى u ومصيره:

يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل على كل **الأمم**، **فما من** نبي يبعث إلا ويجب على أمته الإيمان به وبمن سبقه من الأنبياء. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[سورة النساء، ١٥٢]

ومن كفر بأي رسول من رسل الله فهو كافر، لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [سورة النساء، ١٣٦]

وهذا ينطبق على عيسى u كغيره من الأنبياء، فمن حين أن بعث عيسى يجب الإيمان به على أنه آخر رسول لبني إسرائيل، ومن جحد رسالته من حين أن بعث سواء في زمن بعثته أم بعدها إلى أن بعث محمد r فحكمه كافر، قال تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٥٢]

وأما مصير من كفر بعيسى u فهو العذاب في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [سورة آل عمران، ٥٥]

---

(١) تفسيرالقرطبي ١٨/ ٧٥ــ٧٦ .

يقول القرطبي: «فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة، يعني: بالقتل، والصلب، والسبي، والجزية، وفي الآخرة بالنار»[١].

وبهذا يظهر أن حكم من لم يؤمن برسالة عيسى u أنه كافر، وأن مصيره العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

وهذا الحكم ينطبق على من آمن بعيسى ولكنه حرف وبدل بعده في عقيدته وشريعته، فهو ليس من أتباعه وإن ادعى ذلك، كما سيأتي ذلك في الحديث مفصلاً حول العقيدة التي جاء بها عيسى من ربه وحكم من لم يتبعه كما جاء بها.

أما بعد بعثة الرسول محمد r فلا يقبل إلا الإسلام؛ لأن رسالة الرسول r ناسخة لجميع الرسالات، قبلة قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٨١]

مسألة تبشير عيسى بمحمد r :

بعث عيسى u مبشراً بنبي يكون من بعده، وبه تختم جميع رسالات السماء، اسمه أحمد، وهو نبي الإسلام محمد r ، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [سورة الصف، ٦]

يقول ابن كثير: «يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد، فعيسى u وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين لا رسالة بعده ولا نبوة»[٢].

ويضيف السعدي «ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي، فعيسى عليه الصلاة والسلام كسائر الأنبياء يصدق بالنبي السابق، ويبشر بالنبي اللاحق»[٣].

وقد وردت آيات تشير إلى هذه البشرى، وأنه قد وجد ذكره واسمه في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**

---

(١) تفسير القرطبي ٤ /١٠٢، وانظر: تفسير ابن كثير ١/٣٦٨. تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٩٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٦٠ وانظر : تفسير ابن جرير الطبري ٢٨/٨٧.

(٣) تفسير السعدي ١/٨٥٩ وانظر : تفسير الآلوسي ٢٨/٨٦ تفسير القرطبي ١٨/٨٣ .

وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[سورة الأعراف ، ١٥٧]

وورد في القرآن أن أهل الكتاب يعرفون أن محمد بن عبد الله هو الرسول الذي بشرت به كتبهم، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة، ١٤٦]

وأخبر الله في كتابه العزيز بأخذه الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد r ، ويتبعه إذا بعث وهو لازال حياً، وأن يأمر كل نبي أتباعه بالإيمان بهذا النبي الخاتم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران، ٨١]

قال ابن كثير: « قال علي بن أبي طالب، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه»[1] .

وجاء في مسند الإمام أحمد ما يدل على معنى هذه الآية وأن الأنبياء وأممهم عليهم أتباع الرسول محمد r إذا بعث وهم أحياء كما في الحديث أن عُمَرُ بن الْخَطَّابِ جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رَسُولَ اللَّهِ إني مَرَرْتُ بِأَخٍ لي من قُرَيْظَةَ فَكَتَبَ لي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلاَ أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ قال فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال عبد اللَّهِ فقلت له ألا تَرَى ما بِوَجْهِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال عُمَرُ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم رَسُولاً قال فَسُرِّيَ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قال والذي نفسي بيده لو أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وتركتموني لَضَلَلْتُمْ إِنَّكُمْ حظي مِنَ الأُمَمِ وأنا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»[2].

وفي المسند كذلك ما روي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٣٧٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣/٤٧٠ حديث رقم١٥٩٠٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣/٣٣٨ حديث رقم ١٤٦٧٢.

وعند السعدي: «هذا قد علم أن محمداً r هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به، وإتباعه، ونصرته، وكان هو إمامهم، ومقدمهم، ومتبوعهم»(١).

وكما جاءت البشرى به وذكره في القرآن، وأنه بشر به الأنبياء السابقون، فكذلك ورد في السنة المطهرة ما يدل على ذلك.

في مسند الإمام أحمد قال: «قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إني عبد اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وإن آدَمَ u لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذلك دَعْوَةُ أبي إبراهيم وَبِشَارَةُ عِيسَى بي وَرُؤْيَا أمي التي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ»(٢).

وجاء في المستدرك عند الحاكم(٣) من حديث هجرة أصحاب رسول الله r إلى الحبشة، وفيه قول النجاشي(٤): «ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه»(٥).

وكما ذكرت بشارة عيسى u بمحمد r في الكتاب والسنة فكذلك قد استخلص علماء المسلمين، ومن أسلم من أهل الكتاب البشارة به من الكتاب المقدس وأنها تنطبق على النبي الخاتم r .

وقد اشتملت البشارات به r في الكتاب المقدس على خمسة أمور:

١) البشارة باسمه.
٢) البشارة بصفته.
٣) البشارة بمخرجه.
٤) البشارة بمبعثه.
٥) البشارة بصفه أمته.

---

(١) تفسير السعدي ١/١٣٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤/١٢٧رقم١٧١٩٠ و رقم ١٧١٩١ وانظر : صحيح ابن حبان، ذكر كتبه الله جل وعلا عنده محمدا r خاتم النبيين ١٤/٣١٣ وانظر: المستدرك على الصحيحين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين ٢/٦٥٦، قال الذهبي صحيح.

(٣) محمد بن عبدالله بن محمد بن الحكم النيسابوري: الإمام الحافظ الناقد العلامة صاحب التصانيف ولد سنة(٣٢١هـ) وسمع من نحو ألفي شيخ وحدث عنه جماعة وصنف وخرج وعدل وصحح وعلل وكان ممن يحوز العلم .(تهذيب سير أعلام النبلاء٢/٢٦١)

(٤) أصحمة ملك الحبشة النجاشي: هاجر إليه الصحابة كان نصرانياً ثم أسلم وحسن إسلامه توفي في حياة النبي r و صلى عليه r .توفي سنة (٩هـ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٤٢).

(٥) المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة النساء ٢/ ٣٣٨، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.وانظر: أضواء البيان ٨/١١٠.

وقد ذكرها الدكتور عبد الراضي، وذلك بعد أن ذكر مجمل هذه المقدمات الخمس على بشارة الأنبياء السابقين بالنبي محمد r ، فقال: «ويستخلص من هذه المقدمات الخمس تبشير الأنبياء السابقين بمحمد في مواضع متعددة يمكن تصنيفها حسب التقسيم التالي:

١) البشارة باسمه. ويتمثل ذلك في البشارة بالبارقليط الواردة في أربعة مواضع من إنجيل يوحنا، وهي اسم أو صفة لنبي يبشر به المسيح يأتي من بعده، تنطبق أوصافه على نبي الإسلام، إذ تعني الكلمة ما يعنيه اسم أحمد باللغة العربية أي المشهور والممجد .

٢) البشارة بصفته، وذلك كبشارة أشعيا[١] التي يعلق عليها ابن القيم قائلاً: «فمن وجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟ فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبياً جمع هذه الأوصاف كلها - وهي باقية في أمته إلى يوم القيامة - غيره، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا»[٢].

٣) البشارة بمخرجه، كالذي جاء في سفر[٣] التثنية: «أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وسطع من جبال فاران»[٤] ففاران هي مكة كما تقول التوراة، وتشير الآية في رأي جمهور مستخرجي البشارات إلى إنزال التوراة في سيناء، والإنجيل في فلسطين[٥]، والقرآن على محمد r في برية فاران، ويربط ابن تيمية بينها وبين قوله تعالى في القران:﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [سورة التين، ١-٣]، إذ يقسم الله تعالى بالأماكن الثلاثة التي أنزل فيها الوحي[٦].

٤) البشارة بمبعثه، حيث يقول الرب لموسى: «سأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به، وأي رجل لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه »[٧] فهي تنطبق على محمد r من وجوه عديدة.

٥) البشارة بصفة أمته، كالذي ورد في سفر أشعيا[٨] حيث يخبر عن امتلاء أرض قيدار بتسبيح الرب تسبيحة جديدة، وقيدار هو ابن من أبناء إسماعيل، وباسمه تتسمى بلاد العرب»[٩].

---

(١) أشعيا ٤٢: ١-٤.

(٢) هداية الحيارى ، ابن القيم ،ص ١٥٣.

(٣) الأسفار: أسفار الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى u ، وتطلق مجازاً على التوراة. الموسوعة الميسرة٢/٩٦٤.

(٤) التثنية ٣٣: ٢.

(٥) فلسطين: بالكسر ثم الفتح وسكون السين وهي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها البيت المقدس معجم البلدان ٤/ ٢٧٤.

(٦) أنظر: الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٣/ ٣٠١-٣٠٤ .

(٧) التثنية ١٨: ١٨-١٩.

(٨) أشعيا ٤٢: ٩-١٢.

(٩) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤٦٤ ـــ ٤٦٥.

وإنجيل برنابا وإن كان النصارى لا يعترفون به إلا أنه يحسن أن أبين أنه تردد فيه -كثيراً - اسم محمد ونبي الإسلام والبشارات به، وذكر صفاته، وما سيقوم به من أعمال، وسأكتفي بذكر نص واحد، من ذلك ما جاء في الإصحاح الثالث والستون بعد المئة.

قال برنابا: «وذهب يسوع مع تلاميذه إلى البرية وراء الأردن، فلما انقضت صلاة الظهيرة جلس بجانب نخلة، وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة، حينئذ قال يسوع: أيها الإخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أني أقول لكم الحق: إنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط، وهو الذي تتطلع إليه الأمم، الذي تتجلى له أسرار الله تجليا، فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم؛ لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة، بل إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية، هكذا تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان.

أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر، بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها، كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمرا بعد انقطاع المطر زمنا طويلا، فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله، وهي رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث»(١).

في هذا المبحث تجلى لنا بوضوح أن بعثة عيسى u كانت خاصة ببني إسرائيل جميعهم، لا تختص بها فئة منهم دون فئة، وأن من لم يؤمن بنبوته u يعتبر كافراً، وأن مصيره العذاب في الدنيا والنار في الآخرة.

وأن من بعثة عيسى u البشارة بنبي الإسلام محمد بن عبد الله r كما جاء ذلك في القرآن والسنة، وكتب الأناجيل المعترف بها، وغير المعترف بها، وبعثة الأنبياء إنما جاءت للدعوة إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة وحده دون سواه، كما هو حديث المبحث التالي.

---

(١) (إنجيل برنابا) ٦٣: ١-١١ ص ٢٩٣.

المبحث الثاني

العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام

خلق الله البشر حنفاء، وفطرهم على التوحيد، وكان الناس عليه عشرة قرون، إلى أن زين الشيطان لهم ثم طرأ عليهم الشرك ابتداء من تعظيم الصالحين إلى عبادهم، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وكانت الحاجة إلى اتصال الأرض بالسماء عن طريق رسل الله إلى الأرض.

«عن بن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال وكذلك في قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»(١).

ثم بعث الله بعد ذلك الرسل والأنبياء ليجددوا للناس أمر دينهم ويردوهم إلى الدين الحق.

وعقيدة عيسى u التي بعث بها إلى قومه ودعا إليها، هي العقيدة التي بعث بها جميع الأنبياء والرسل قبله وبعده، ودعوا إليها أممهم، من لدن آدم عليه السلام إلى آخرهم محمد r .

وهي عقيدة التوحيد الخالص. (دين الإسلام).

فلا دين غيره أمر الله به وشرعه.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [سورة آل عمران،١٩]

ولا دين غيره يقبله.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران، ٨٥]

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ إخبارا منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد r الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد r ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد r بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ** ﴾ وقال في هذه الآية مخبرا انحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام»(٢).

---

(١) المستدرك على الصحيحين،ذكر نوح u ٢/٥٩٦ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، قال الذهبي على شرط البخاري.

(٢) تفسير ابن كثير ١ /٣٥٥ انظر: تفسير الطبري ٣ /٢١٢ وانظر تفسير الآلوسي ٣ /١٠٦.

وذكر السعدي كلاماً نحوه فقال: «لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصا وانقيادا لرسله، فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل»(١).

وهذا الإسلام المرضي عند الله هو الدعوة إلى التوحيد الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله الذي بعث به جميع رسل الله وبلغوا ذلك إلى أممهم.

قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[النحل: ٣٦].

قال الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولاً بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه»(٢).

وقال ابن السعدي: «كلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦] فانقسمت الأمم، بحسب استجابتها لدعوة الرسل وعدمها، قسمين،﴿ **فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ** ﴾ فاتبعوا المرسلين، علما، وعملا، ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ**﴾فاتبع سبيل الغي»(٣).

إثبات أن دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد:

وعيسى u من المرسلين، بعث إلى أمته بعقيدة التوحيد وذلك تجديداً لما اندرس منه، ورداً لأمته إلى الدين الذي جاء به موسى u والأنبياء من بعده ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [سورة الزخرف، ٦٣-٦٤].

فهذه الآية صريحة فيما جاء به عيسى u في العقيدة، إذ يقول لأمته: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾.

---

(١) تفسير السعدي ١ /١٣٧.

(٢) أضواء البيان ، الشنقيطي ٢ /٣٧٤.

(٣) تفسير السعدي ١ /٤٤٠.

قال ابن كثير: «أي أنا وأنتم سواء في العبودية له، والخضوع والاستكانة إليه [P Q R Z[1].

وقد أكد الله هذا الأمر في أكثر من موضع في كتابه العزيز، وأن دعوة عيسى u إلى التوحيد الخالص قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ [سورة المائدة، ٧٢].

وسمى الله دين عيسى u في القرآن بالإسلام، كما قال تعالى على لسان حواريي:﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [سورة آل عمران، ٥٢-٥٣]

وإذا كان عيسى u إنما جاء ليرد الناس إلى التوحيد، فهو إنما يردهم إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الروم، ٣٠]

يقول السعدي: «فإن الله تعالى، فطر عباده على الدين الحنيف القيم. فكل أحد، فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير، وتبدل، بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة»[2].

«عن مجاهد فطرة الله قال: الإسلام»[3].

وفي الحديث: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[4].

وهذا بيان أن أهم مصدر يعتمد عليه المسلمون في بيان العقيدة التي جاء بها عيسى u إلى أمته هو القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وإن كان النصارى لا يؤمنون بهما قبل إيمانهم ببعثة محمد r إلا أن ذكرهما وبيانهما ملزم للدعوة إليهما.

---

(١) تفسير ابن كثير ١ /٣٦.

(٢) تفسير السعدي ١ / ٣٠٨وانظر: الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، (دار الفكر العربي) ، ص١٢.

(٣) تفسير الطبري ٢١ /٤٠ وقد سبق الحديث عن الفطرة.

(٤) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٤/ ١٦٧.

وأما ما في أيدي النصارى من مصادر دينية، ومع ما اعتراهما من تبديل وتغيير إلا أن الله أبقى فيها بقية تبين دعوة عيسى u إلى التوحيد الخالص - كما سيأتي بإذن الله -.

وقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة آل عمران،٦٧] فلو كانت النصرانية هي الدين الحق ما برأ الله نبيه إبراهيم u منها.

وقد شهد به الحواريون، قال تعالى:﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٥٢] .

ويجدر التنبيه إلى عدم الخلط بين أن أتباع المسيح الأوائل الذين سموا نصارى، وأثنى الله عليهم بها وبين أن دينه هو الإسلام فتسميتهم نصارى ليس لدينهم؛ وإنما لمناصرتهم لعيسى u .

كما أن دين محمد r الإسلام، وأن أتباعه الأولين سموا بالمهاجرين والأنصار، إلى أن فتحت مكة وانتهت الهجرة.

وقد انحرفت النصرانية عن طريق العقيدة الصحيح «إما بسبب تسرب المعتقدات الوافدة أحياناً من فلسفات قديمة، وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون.

فانقسم حينئذٍ المسيحيون إلى طائفتين: طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله - والعياذ بالله - وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، وضمت كل طائفة من الطائفتين تحت لوائها فرقاً كثيرة»(١).

ولقد أبقت لنا المصادر النصرانية بقية شاهدة على الدين الذي جاءهم به المسح u ، ودعاهم إليه، مع ما اعتراها من تحريف، ومحاولة النصارى في إخفاء هذه الحقيقة، إلا أن الحق لابد وأن يظهره الله مهما حاول أعداؤه إخفاءه.

ومن ذلك ما جاء في إنجيل مرقص، عندما جاءه أحد الكتبة إذ يقول: «سأله أحد الكتبة: أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى... لأن الله واحد وليس آخر سواه»(٢).

---

(١) انظر : علي وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٠٥ـــ١٠٦.نقلاً من : موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، سارة العبادي، ص٢١١.

(٢) مرقص ١٢: ٢٨ وما بعده.

وفي إنجيل متى عندما طلب إبليس من عيسى أن يسجد له، قال له يسوع: «اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد»(١).

وفي إنجيل يوحنا يخبر أن المسيح يرفع عينيه نحو السماء ثم يقول: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»(٢).

فهذه نصوص صريحة من الأناجيل على أن عيسى بعث إليهم بالتوحيد، وأنه دعاهم إليه. وهذه من الأدلة التي أبقاها الله بين يدي النصارى؛ ليهلك من يهلك عن بينة ويحيى من يحيا عن بينة.

وبقي التوحيد في الناس زمناً بعد رفع عيسى u إلى أن حرف دينهم (بولس) كما سيأتي مفصلاً في موضعه من البحث. ولكن يجدر التنبيه إلى أن هناك فرقاً من النصارى من القرون الأولى للمسيحية، وإلى الوقت الحاضر حافظت على التوحيد وظلت معتقدة بأن الإله واحد، وأن خالق الكون واحد لا شريك له، ومن تلك الفرق:

١- فرقة أبيون أو الأبيونيون(٣).

٢- فرقة بولس الشمشاطي(٤).

٣- أتباع أريوس(٥).

٤- فرقة الموحدين في العصر الحاضر(٦).

هذه إشارة فقط إلى بقاء التوحيد في النصرانية.

---

(١) متى ٤: ١٠.

(٢) يوحنا١٧: ٣.

(٣) فرقة أبيون: أتباع أبيون كانت تقر شريعة موسى u ، وتعتبر عيسى u ، المسيح المنتظر، وتنكر إلوهيته وأنه بشر رسول، انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي. علي وافي الأسفار المقدسة ص ١٠٨ نقلا من موقف اليهود والنصارى من المسيح u . ص ٢١٢.

(٤) فرقة بولس الشمشاطي: كان بطريكاً لأنطاكية، كان قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عبد الله ورسوله أنكر ألوهية المسيح، وكان يقول لا أدري مالكلمة ولا روح القدس ؟ وقد حرم من الكنيسة وبقي أتباعه إلى القرن السابع الميلادي. الفصل في الملل والنحل، ابن حزم،١/ ٦٤.علي وافي الأسفار المقدسة ص ١٠٨-١٠٩ نقلا من موقف اليهود والنصارى من المسيح u . ص ٢١٣.

(٥) أتباع أريوس: كان قسيساً بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد وإثبات عبودية المسيح وإنكار ألوهيته، وأخذ هذا المذهب في الإضمحلال بعد أن حكم مجمع نيقية بكفرأريوس وطرده حتى انقرض مذهبه في أواخر القرن الخامس ميلادي. الفصل في الملل والنحل، ابن حزم،١/ ٦٤،علي وافي الأسفار المقدسة ص ١٠٩ نقلا من موقف اليهود والنصارى من المسيح u .ص ٢١٦.

(٦) مرقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام ،سارة العبادي ص٢١٢-٢٢٨. وسيأتي ذكرهذه الفرقة في البحث.

وما دعوة عيسى u إلى التوحيد إلا امتداد لمن سبقه من الرسل، ومن جاء بعده، وقد تكاثرت النصوص الدالة على هذا المعنى، أذكر منها ما يلي:

١- ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [سورة الأنبياء، ٢٥]

٢- ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ [سورة الزخرف، ٤٥]

٣- ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [سورة الشورى، ١٣]

٤- ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [سورة الأعراف، ٥٩]

٥- ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [سورة الأعراف، ٦٥]

٦- ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[سورة الأعراف، ٧٣]

٧- ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[سورة الأعراف، ٨٥]

فهم دعوا إلى التوحيد وإن اختلفت شرائعهم، ومن جملتهم عيسى u .

ومع ذلك فإن الأمم مع رسلهم قد انقسموا عليهم قسمين، فمنهم من وفق لاتباع ما جاء به المرسلون، ومنهم من حاد عن الطريق وتنكب صراط الله المستقيم، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [سورة النحل، ٣٦]

فمن هداه الله واتبع المرسلين فسيسعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنهم فسيكون مصيره الشقاء في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ [سورة هود، ١٠٥]

وإن دعوة عيسى u يعود فضل بيانها وتوضيحها للناس إلى الرسول الخاتم محمد r ، فبه ختمت جميع رسالات السماء، وبه نسخت، فلا دين مقبول عند الله إلا ما جاء به r ، وعن طريقه،وما سوى ذلك فضلال وكفر.

لأن الله قد «سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد r ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد r بدين على غير شريعته فليس بمتقبل»[١] وقد أيد الله دعوة عيسى u بالكتاب المترل عليه، يصحح لهم به ما انحرف من دينهم وشرائعهم، والذي هو حديث المبحث التالي.

---

(١) تفسير ابن كثير ١ /٣٥٥.

المبحث الثالث
الإنـجيل المنزل على عيسى عليه السلام

ثبوت نزول الإنجيل على عيسى u :

بعث الله عيسى u برسالة التوحيد، وأنزل معه الإنجيل يهديهم بعظاته وأحكامه، ودستوراً يحتكمون إليه و يعملون به، بعد مفارقته لهم.

والقرآن والسنة تحدثا عن نزول الإنجيل -كتاب الله - على عيسى بن مريم u في نصوص كثيرة، بل قد بين أن ذكره سبق نزوله، كما في خبر بشرى الملائكة لمريم عليها السلام قبل، فقال تعال: ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**﴾ [سورة آل عمران، ٤٩]

يقول ابن جرير الطبري: والإنجيل: إنجيل عيسى، و لم يكن قبله، ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه، وإنما أخبرها بذلك فسماه لها؛ لأنها قد علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحى إليه كتابا اسمه الإنجيل(١).

وإن أعظم مصدر يعتمد عليه في صدق نزوله، وعلى من نزل، وما يشتمل عليه، هو ماعند المسلمين من نصوص صريحة في الكتاب وصحيح السنة.

قال تعالى:﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [سورة المائدة، ٤٦]

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله r أنه إذا أخذ مضجعه، قال: «...وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ كل شَيْءٍ أنت آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ...»(٢).

وفي المستدرك على الصحيحين «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إنما أحلت ذبائح اليهود والنصارى من أجل أنهم آمنوا بالتوراة والإنجيل »(٣).

وفي البخاري: «....ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا.... الحديث»(٤).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣ /٢٧٤.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٧٨/٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين، تفسير المائدة ٣٤١/٢. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، قال الذهبي :صحيح.

(٤) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة - باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ١١٦/١.

وخبر الإنجيل بقي ذكره في الناس، بل ومطالعته، إلى زمن بعثة الرسول r كما ورد عن ورقة بن نوفل،[1] والنجاشي، وغيرهم ممن بقي ذكرهم في كتب الحديث والسير.

أما خبر ورقة بن نوفل فقد ذكره البخاري في حديث نزول جبريل على الرسول r أول مرة وفيه :« فرجع النبي r إلى خديجة[2] يرجف فؤاده، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان رجلا تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية، فقال ورقة ماذا ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، وإن أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.... الحديث»[3].

وأما ما روي في خبر النجاشي، فقد جاء في سنن أبي داود[4]: «عن عامر بن شهر[5] قال كنت عند النجاشي فقرأ ابن له آية من الإنجيل، فضحكت فقال أتضحك من كلام الله»[6].

ومع هذا لا يمكن الجزم بأن ما ورد معهم هو إنجيل عيسى u الذي أنزل عليه.

وقد نزل الإنجيل على عيسى u جملة واحدة، يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**﴾ [سورة آل عمرا ن، ٣]

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي: ابن عم أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها،توفي في فترة الوحي قبل أن يبعث الرسول r .(البداية والنهاية ١/ ٤١٩، ٤٥٨).

(٢) خديجة أم المؤمنين ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية الأسدية: أم أولاد رسول الله r وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد وثبتت جأشه، كانت عاقله جليلة دينه مصونة كريمة من أهل الجنة . (تهذيب سير النبلاء ٥٣/١)

(٣) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب ﴿واذكر في الكتاب موسى ﴾ ١٥١/٤.

(٤) سليمان بن الأشعث بن شداد أبو داود السجستاني: محدث البصرة ولد سنة(٢٠٢هــ) رحل وجمع وصنف وبرع في هذا الشان سمع من مسلم بن إبراهيم وأحمد بن حنبل صنف كتاب السنن. (تهذيب سير أعلام النبلاء ٥٢٠/١).

(٥) عامر بن شهر الهمذاني أبو الكنود: له صحبة عداده في أهل الكوفة وكان من عمال النبي r على اليمن وذكر سيف ابن عمر التميمي في الفتوح بسنده عن ابن عباس انه كان أول من اعترض على الأسود العنسي لما ادعى النبوة (كتاب تهذيب التهذيب ٦١/٥).

(٦) الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود تحقيق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد دار ابن حزم، بيروت - لبنان،الطبعة الأولى ١٤١٨هــ - ١٩٩٧م) تحقيق: محمد عوامة (دار القبلة، جدة، ومؤسسة الريان ـــ بيروت، والمكتبة المكية - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هــ - ١٩٩٧م) سنن أبي داود: أول كتاب السنة - باب في القرآن ٦٩/٥. الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية (سنن الترمذي)، تحقيق: ماهر ياسين فحل، وإشراف: د/بشار عواد (دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م) وكذلك بتحقيق: سيد بن عباس الجليمي (دار الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هــ - ١٩٩٢م) ٥ /٤٧٢ سنن النسائي الكبرى /٤٠٨ مسند الإمام احمد رقم الحديث ١٥٥٧٥ صحيح ابن حبان١٠ /٤٤٥ رقم الحديث ٤٥٨٥- وانظر خبر سلمان الفارس (صاحب الكتابين) المستدرك على الصحيحين ٣٤١/٢. قال الذهبي : صحيح.

يقول الشوكاني[1]: ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ هذه الجملة في حكم البيان لقوله ل(ما بين يديه) وإنما قال هنا (أنزل) وفيما تقدم (نزل) لأن القرآن نزل منجما، والكتابان نزلا دفعة واحدة» [2].

وبهذا يجب الإيمان بثبوت نزول كتاب من عند الله على عيسى u ، اسمه الإنجيل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة .

أما معنى كلمة الإنجيل: اختلف العلماء في معنى كلمة الإنجيل هل هي كلمة عربية أم غير عربية؟ كما وقع الخلاف بينهم في أصل اشتقاقها إذا كانت من أصل عربي.

يقول الإمام القرطبي: والإنجيل إفعيل من النجل، وهو الأصل، ويجمع على أناجيل...

فالإنجيل أصل لعلوم وحكم .

وقيل: التوراة والإنجيل من اللغة السريانية[3].

ويقول الألوسي: ومما يؤيد أعجمية الإنجيل ما روي عن الحسن أنه بفتح الهمزة، وأفعيل ليس من أبنية العرب[4]

ما يشتمل عليه الإنجيل:

وردت النصوص ببيان بعض ما يشتمل عليه الإنجيل سواء على وجه الإجمال أم التفصيل في البعض.

من ذلك أنه جاء بخبر نبوة عيسى u ، وهو مصدق للتوراة المنزلة على موسى u ومبين لبعض أحكامها أو ناسخاً لبعض ما اشتملت عليه.

وأنه جاء مشتملاً على مواعظ وحكم ووصايا لبني إسرائيل.

وكذلك جاء مبشراً ببعثة محمد u ، وبيان بعض صفاته، وصفات أمته.

يقول تعالى في بيان أن عيسى u جاء بالإنجيل، ومصدق للتوراة، وأنه هداية وموعظة لهم:﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[سورة المائدة، ٤٦]

يقول السعدي: «بعثه الله مصدقا لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى، ولما جاء به من التوراة، بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية. وقد

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم ، حكيم ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان ونشأ وتوفي بصنعاء من تصانيفه: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (معجم المؤلفين ٣/٥٤١)

(٢) فتح القدير ١ /٣١٢ .

(٣) تفسير القرطبي ٤/٥- ٦ تفسير الألوسي ٣/٧٦- ٧٧ وقد أفاض في بيان أصل الاشتقاق إذا كان مشتق .

(٤) تفسير الآلوسي ٣ / ٧٧.

يكون عيسى u أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ **وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ »[١].

ويرى الرازي أن الإنجيل مغاير لما في التوراة، وأنه جاء بشريعة جديدة، ويوجه معنى قوله تعالى: ﴿ **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ** ﴾أنه مؤمن بترولها من عند الله، فيقول: «وهاهنا سؤالان:

السؤال الأول: أنه تعالى وصف عيسى بن مريم بكونه مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وإنما يكون كذلك إذا كان عمله على شريعة التوراة، ومعلوم أنه لم يكن كذلك، فإن شريعة عيسى u كانت مغايرة لشريعة موسى u ، فلذلك قال في آخر هذه الآية ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ**﴾ [سورة المائدة، ٤٧] فكيف طريق الجمع بين هذين الأمرين؟

والجواب: معنى كون عيسى مصدقاً للتوراة أنه أقر بأنه كتاب مترّل من عند الله، وأنه كان حقاً، واجب العمل به قبل ورود النسخ.

السؤال الثاني: لم كرر قوله ﴿ **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ والجواب: ليس فيه تكرار؛ لأن في الأول: أن المسيح يصدق التوراة، وفي الثاني: الإنجيل يصدق التوراة»[٢].

والظاهر أن تبقى الآية على ظاهرها، وهو أن شريعة عيسى u تبع لشريعة موسى u ، إلا ما خففه الله وبينه عيسى لهم.

يؤيد هذا ما قاله الله عن نصارى نصيبين، وأهم قالوا:﴿ **يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى**﴾[سورة الأحقاف، ٣٠]. فهم لم يقولوا بعد عيسى رغم أهم نصارى، لأن الإنجيل متمم لما في التوراة مخففاً لها، وهي بمثابة العمدة له.

وقد أورد ابن جرير الطبري الآثار في ذلك عن السلف رحمهم الله وذكر رواياقم في بعض الأحكام التي خففت عليهم[٣].

يقول الألوسي: وذهب بعضهم إلى أن الإنجيل لم يخص أحكاما، ولا حوى حلالا وحراما، ولكنه رموز وأمثال ومواعظ وزواجر، وما سوى ذلك من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة، وإلى أن عيسى u لم ينسخ شيئا مما في التوراة، وكان يسبت ويصلي نحو البيت المقدس، ويحرم لحم الخترير، ويقول بالختان، إلا أن النصارى غيروا ذلك بعد رفعه... واستدلوا على ذلك بأن المسيح u قال في الإنجيل: ما جئت لأبطل التوراة بل جئت لأكملها.

---

(١) تفسير السعدي ١ /١١٧ أو ٢٣٤ وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥.

(٢) التفسير الكبير، الرازي ١٢/٤٠٥.

(٣) انظر: تفسير ابن جري الطبري ٣/٢٨١ وما بعدها.

ثم يقول رداً على هذا القول:

ولا يخفى أن تأويل الآية بما أولوه به بعيد في نفسه.... وأن ما ذكروه من كلام المسيح u لا ينافي النسخ، لما علمت أنه ليس بإبطال، وإنما هو بيان لانتهاء الحكم الأول، ومعنى التكميل ضم السياسة الباطنة التي جاء بها إلى السياسة الظاهرة التي جاء بها موسى u ، لا ما يدل على تبديل أو نسخ بعض أحكام التوراة، بأحكام هي أوفق بالحكمة، وأولى بالمصلحة، وأنسب بالزمان، وعلى هذا يكون قول المسيح حجة للأولين لا عليهم(١).

فتبين بهذا أن الإنجيل مكمل للتوراة، تبع لها، وأنه مغير لبعض أحكامها فقط.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قد أخبر الله في القرآن أن عيسى قال لهم:﴿ **وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾فعلم أنه أحل البعض، دون الجميع، وأخبر عن المسيح أنه علمه التوراة والإنجيل بقوله ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ** ﴾ومن المعلوم أنه لولا أنه متبع لبعض ما في التوراة لم يكن تعليمها له منة (٢).

كما جاء الإنجيل مفصلاً لصفات الرسول محمد r ، ومبشراً به:

جاء في المستدرك بيان لبعض صفاته r في الإنجيل: «عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله r قال: مكتوب في الإنجيل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزئ بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح»(٣).

وفي حديث هجرة الصحابة الأوائل إلى الحبشة ولقياهم النجاشي، وإخبارهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته، واختلافهم مع الرسل الذين أرسلتهم قريش ليردوهم إليهم، قال النجاشي في آخر الحديث: «ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه» (٤).

ومما اشتمل عليه الإنجيل: المثل المضروب في وصف الرسول r وأصحابه رضوان الله عليهم قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ**

---

(١) تفسير الآلوسي ٣ / ١٧٢.

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٦/ ٤٣-٤٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين، آيات الرسول r التي هي دلائل النبوة٢/٦٧١ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

(٤) سبق تخريجه.

﴿فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح، ٢٩] (١).

واشتمل على بعض صفات النبي r، منها ما قاله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف، ١٥٧]

ومنها إخبار القرآن بلعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان عيسى بن مريم قال تعالى:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة المائدة، ٧٨] (٢).

هذا بيان لبعض ما ورد في الكتاب والسنة عن بعض ما اشتمل عليه الإنجيل.

وقد وصفه الله بأنه هدى ونور وموعظة للمؤمنين قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة المائدة، ٤٦]

حكم الإيمان بالإنجيل:

إن حكم الإيمان بالإنجيل كحكم الإيمان بسائر كتب الله من حيث الإجمال والتفصيل.

فيجب الإيمان بما أجمل منه على وجه الإجمال، والإيمان بما فصل منه على وجه التفصيل؛ لعموم الأدلة في الإيمان بكتب الله المترلة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء،١٣٦]

---

(١) وانظر: بيان هذا المثل في كتب التفاسير وغيرها ومنها أضواء البيان ، الشنقيطي ٧ /٤٠٥ ، ٣٩٩ ، وانظر: عمدة القاري ،العيني ١٩/٢٦.

(٢) وانظر كلام ابن جرير والأثر الذي أورده عن ابن عباس تفسير ابن جرير الطبري ٦ /٣١٧.

وقال تعالى﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة البقرة، ١٣٦]

فكيف يكون الإيمان بالكتب ؟

يقول حافظ الحكمي: «ومعنى الإيمان بالكتب: التصديق الجازم بأنها كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين، والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد»[١].

ويقول: والإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجبا على الأمم - الذين نزلت إليهم الصحف الأولى - الانقياد لها، والحكم بما فيها، كما قال تعالى:﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[٢].

وأن جميعها يصدق بعضها بعضا، لا يكذبه، كما قال تعالى في الإنجيل ﴿ **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [سورة المائدة، ٤٦]

وأن كل من كذب بشيء منها، أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك، كما قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾ [سورة الأعراف، ٤٠]

وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال تعالى:
﴿ **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [سورة آل عمران ، ٥٠]

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل، فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود[٣].

والإيمان بالكتب السماوية من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد بدونها.

---

(١) معارج القبول، حافظ الحكمي٢/٦٧٢.

(٢) معارج القبول، حافظ الحكمي ٢/٦٧٣.

(٣) معارج القبول، حافظ الحكمي ٢ / ١٨٤.

فمن لم يؤمن بنزول الإنجيل على عيسى u ، منذ أن نزل وإلى أن تقوم الساعة فهو كافر حتى وإن آمن بغيره من الكتب.

مسألة الحكم بالإنجيل:

شريعة محمد r ناسخة لكل الشرائع السماوية السابقة، ومن ذلك شريعة عيسى u المنزلة عليه في الإنجيل، ومع ذلك فقد ورد نص في القرآن الكريم يأمر أهل الإنجيل بالحكم بما فيه.

قال تعالى: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [سورة المائدة، ٤٧]

وكيف يكون ذلك مع عدم وجود إنجيل عيسى u ، ونسخ شريعته بنزول القرآن بعده وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم؟!

والجواب على ذلك بأن معنى الآية فيه وجهان:

«**الأول:** أن يكون التقدير: وقلنا ليحكم أهل الإنجيل، فيكون هذا إخباراً عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل، ثم حذف القول، لأن ما قبله من قوله ﴿ **وَكَتَبْنَا** ﴾ ﴿ **وَقَفَّيْنَا** ﴾ يدل عليه.

والثاني: أن يكون قوله ﴿**وَلْيَحْكُمْ**﴾ ابتداء أمر للنصارى بالحكم في الإنجيل.

فإن قيل: كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن؟

قلنا: الجواب عنه من وجوه: **الأول:** أن المراد ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم... **والثاني:** وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، مما لم يصر منسوخاً بالقرآن، **والثالث:** المراد من قوله ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ** ﴾ زجرهم عن تحريف ما في الإنجيل وتغييره مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة، فالمعنى بقوله ﴿ **وَلْيَحْكُمْ** ﴾ أي: وليقر أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل»[١].

هذه الآية وغيرها مما ينص الله تعالى فيه العمل بالإنجيل والحكم بما فيه، إنما المراد بما يعرفونه هم من الحق والعدل الذي أمروا به في شأن نبي الإسلام، وكتابه، ومما جاءت جميع الأديان بإثباته و لم يغير أو يبدل.

(١) التفسير الكبير، الرازي ١٢ /٤٠٥وانظر : تفسير ابن كثير ٢/٦٥ وانظر تفسير ابن جرير الطبري ٦/٢٦٦-٢٦٥٠ وانظر الجواب الصحيح ١/ ٣٧٧.

المبحث الرابع
معجـــزات عيسى عليه السلام

معجزات عيسى u جعلها الله تأييداً لرسالته، وتصديقاً له، وكل نبي يبعث إلى قومه بما يكون سبباً في إيمانهم.

ففي الحديث عنْ أبي هُرَيْرَةَ قال: قال النبيُّ r: «ما منَ الأنبياءِ نَبِيٌّ إلا أعطي ما مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وإنَّما كانَ الَّذِي أوتِيتُ وحْيا أوْحاهُ الله إليَّ، فأرْجُو أنْ أكون أكْثَرَهُمْ تابعا يَوْمَ القِيامَةِ» [١].

يقول العيني[٢]: « وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، كقلب العصا ثعبانا؛ لأن الغلبة في زمان موسى للسحر، فأتاهم بما فوق السحر، فاضطرهم إلى الإيمان به... وفي زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغة، فجاءهم بالقرآن»[٣].

وعيسى u قد أعطاه الله من الآيات والمعجزات من أمور خارجة عن مقدور البشر ما يوجب على أمته اتباعه وتصديقه، قال تعالى:﴿ **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾[سورة البقرة ٨٧] وقبل معرفة معجزات عيسى u يحسن التعريف بالمعجزة، وبيان ماهيتها.

فما هي المعجزة ولمن تكون؟

معنى المعجزة:

أصل المعجزة في اللغة: من العجز، وهو: نقيض الحزم، والضعف، ويقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا، ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه[٤]. والهاء في معجزة للمبالغة[٥].

أما في اصطلاح العلماء فقد عرفوا المعجزة بتعريفات عدة تعود في أصلها إلى معنى واحد.

فيقول السيوطي: «المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية»[٦].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٦/١٧٢، وانظر:صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة النبي١/٩٢.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى العيتابي الحنفي المعروف بالعيني: فقيه أصولي مفسر محدث مؤرخ لغوي نحوي بياني ناظم فصيح باللغتين العربية والتركية له شرح لصحيح البخاري (عمدة القاري) عاش بين عامي(٧٦٢-٨٥٥هـــ) (معجم المؤلفين ٣/٧٩٧)

(٣) عمدة القارئ، العيني ٢٠ /١٣.

(٤) ابن منظور:أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠ه – ١٩٩٠م) ٥ /٣٩٦-٣٧٠، وانظر: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي(دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ- ١٩٩٧م) ١/٦٦٣.

(٥) القاموس المحيط ١ /٦٦٣.

(٦) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،تحقيق سعيد المندوب (دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م)٤ /٣١١.

وقيل: «هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه»[١].

ويقول القرطبي: «فأما حقيقتها فهو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة...

وإنما قلنا أمر و لم نقل فعل، ليشتمل بذلك على الفعل الخارق للعادة، والمنع من الفعل المعتاد...

وإنما قلنا مقرون بالتحدي لئلا يتخذ الكاذب معجزة من تقدمه حجة لنفسه، ولتتميز عن الكرامة وما في معناها.

وإنما قلنا مع عدم المعارضة لتتميز عن السحر والشعبذة»[٢].

ودلائل النبوة كثيرة منها على سبيل الإجمال:

١) تأييد الله لرسله بالمعجزات .

٢) إخباره بالمغيبات الماضية والحاضرة والمستقبلية.

٣) صفات الرسل وأخلاقهم.

٤) نصر الله لهم وهلاك عدوهم.

٥) موافقتهم لما جاء به الأنبياء قبلهم.

٦) بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق [٣].

المعجزة دليل صدق النبوة:

لقد أيد الله الأنبياء بالمعجزات، لما لها من ثمرات تعود على البشر بالخير في الدنيا والآخرة.

فمن ثمراتها: أنها تثبت صدق النبي في دعواه النبوة، وما يدعيه من الرسالة، وهي ليست مقصودة لذاتها، وإنما الهدف منها حمل الناس على التصديق بالرسالة ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٤٩][٤].

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ١/ ٥٣، ٥٦.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا(دار التراث العربي، القاهرة ١٣٩٨هـ)١/٢٣٩.

(٣) انظر: قذلة بنت محمد بن عبد الله القحطاني، أصول الاعتقاد في سورة يونس، (دار طويق، الرياض، الأولى ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣ م) ص ٢٨٩. وانظر: عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، (الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ص٣٥٦.

(٤) انظر: أحمد علي عجيبة، الخلاص المسيحي ص ٧٣٣ — ٧٣٤ .

يقول عبد الراضي محمد: «وثمرة دلائل النبوة العلم اليقيني القطعي بصدق الأنبياء، وما جاؤوا به من الأوامر والنواهي، والأخبار، والعقائد. وهذه الدلائل كثيرة متنوعة تختلف باختلاف الأنبياء والرسل، فكل أوتي من الآيات والبراهين ما يناسب رسالته، ويلائم طبيعة المرسل إليهم»[١].

تدل على كونه رسولاً من عند الله، اصطفاه الله سبحانه وتعالى وأيده بالمعجزات، لتكون دليل صدق نبوته وبرهان رسالته، مثله كمثل الأنبياء الآخرين، وعيسى اعترف بأن الخوارق التي تقع على يديه إنما هي بإذن الله وقدرته، وبين لهم أنها ليست مقصودة لذاتها، وإنما الهدف منها حمل الناس على التصديق بالرسالة ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة آل عمران، ٤٩][٢].

ومن ثمراتها أنها تعين الناس على التصديق والامتثال بما يأمرهم به وينهاهم عنه.

قال ابن حجر: أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر على المعاندة، و كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها.

ويؤمن بذلك مغلوبا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، لكن قد يجحد فيعاند كما قال الله تعالى:﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [٣] [سورة النمل، ١٤]

ومن ثمراتها أنها تواجه المكذبين والمعاندين أمام غيرهم بأعظم مما يتصوره البشر ويكون في وسعهم استطاعته.

«فإن مسألة إثبات تلك النبوة والبرهنة على صدق ما جاءت به تعد من ألزم اللوازم، وأولى الأوليات، وكذلك أعتى التحديات في مواجهة إنكار المخالفين، والمكذبين إما بجنس النبوة: كالملحدين، وإما بأعيانها» [٤].

معجزات عيسى u :

لقد جاءت معجزات عيسى u في الكتاب والسنة، وتناولها العلماء بالشرح والبيان، ووردت روايات كثيرة عن السلف في بيان كيفية حصولها على اختلاف رواياتهم في ذلك، غير أنني سأختصر فيها قدر الإمكان.

فمعجزات عيسى u تميزت بأنها كلها حسية، مشاهدة للعيان، لحاجة أمة ذاك الزمان إلى رؤية المشاهد المحسوس، لتقتنع نفوسهم بصدق نبوته.

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤٢٣ .

(٢) أحمد علي عجيبة، الخلاص المسيحي ص ٧٣٣ - ٧٣٤ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩ /٦ وانظر: عمدة القاري، العيني ٢/ ١٣.

(٤) النبوات، ابن تيمية، ص ٣٨.

وهي كما يلي:

أولاً: تكلمه في المهد:

قال تعالى: ﴿ **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [سورة آل عمران،٤٦]

وقال تعالى:﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)** ﴾[سورة مريم ٢٩ -٣١]

يكلم الناس في المهد وكهلا « أي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره معجزة وآية، وفي حال كهولته حين يوحي الله إليه» [١].

يقول الرازي: والمعنى: يكلمهم طفلاً وكهلاً من غير أن يتفاوت كلامه في هذين الوقتين، وهذه خاصية شريفة كانت حاصلة له، وما حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده[٢].

ويقول السعدي: «المراد بالتكليم هنا، غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام. وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله. ولعيسى u من ذلك، ما لإخوانه، من أولي العزم، من المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر. وامتاز عنهم، بأنه كلم الناس في المهد فقال ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ »[٣]،[٤].

فهذه أولى معجزات عيسى u ، وقد كانت مبكرة جداً من حال ولادته؛ لتلفت الأنظار إليه، وما سيؤول أمره إليه بعد ذلك.

ثانياً: خلقه من الجمادات أرواحا:

ومن معجزات عيسى u أنه كان يشكل من الطين على هيئة الطير ثم ينفخ فيها فتطير بإذن الله. قال تعالى:﴿ **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [سورة آل عمران ٤٩]

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٥.

(٢) التفسير الكبير، الرازي ٤٩/١٢ وانظر : تفسير ابن جرير الطبري ٢٧٢/٣.

(٣) تفسير السعدي ١ /٢٤٨ تفسير الآلوسي ٣ /١٦٣.

(٤) وانظر أخبار من تكلموا في المهد كما في صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء،باب قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ ٤/ ١٦٥وقد أورد رواياتها القرطبي في تفسير ٩١/٤-٩٢.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي** ﴾ [سورة المائدة: ١١٠]

يقول ابن كثير: «وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله»[١].

والمراد بالخلق: التصوير والإبراز على مقدار معين، لا الإيجاد من العدم كما يشير إليه ذكر (المادة والهيئة) مصدر بمعنى المهيأ كالخلق بمعنى المخلوق.

والمعنى: أني أقدر لأجل تحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم إياي من الطين شيئا مثل الطير المهيأ، أو هيئة كائنة كهيئته ﴿ **فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا** ﴾ حيا طيارا كسائر الطيور ﴿ **بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ ثم أنفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى، والخلق من الله، كما أن النفخ من جبريل والخلق من الله.

وليس ذلك لخصوصية في عيسى u ، وهي تكونه من نفخ جبريل u ، وهو روح محض كما قيل: بل لو شاء الله تعالى الإحياء بنفخ أي شخص كان، لكان من غير تخلف ولا استعصاء.

واختلف هل كان ذلك بطلب واقتراح أم لا، فبعضهم قال بالأول قالوا : إن بني إسرائيل طلبوا منه على سبيل التعنت جريا على عادتهم مع أنبيائهم أن يخلق لهم خفاشا فلما فعل قالوا: ساحر وإنما طلبوا هذا النوع دون غيره، لأنه أكمل الطير خلقا، وأبلغ دلالة على القدرة، لأن له نابا وأسنانا، ويحيض ويلد، ويطير بغير ريش، وله آذان وثدي وضرع ويخرج منه اللبن، ويرى ضاحكا كما يضحك الإنسان، ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين، بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدا، والمشهور أنه لم يخلق غير الخفاش.

وورد عن ابن عباس قال وهب[٢]: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا، ليتميز عن خلق الله تعالى بلا واسطة وقيل: خلق أنواعا من الطير.

وذهب بعضهم إلى الثاني: أن عيسى u جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا: أو تستطيع ذلك قال: نعم بإذن ربي ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال: كن طائرا بإذن الله تعالى فخرج يطير من بين كفيه، وخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم وأفشوه في الناس[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٥/١ وانظر تفسير القرطبي ٩٣/٤.

(٢) وهب بن منبه اليماني أبو عبد الله: إخباري من التابعين له معرفة بأخبار الأوائل وأحوال الأنبياء وسير الملوك، صحب عبد الله بن عباس وولي قضاء اليمن (معجم المؤلفين ٧٩/٤).

(٣) انظر تفسير الآلوسي ٣ /١٦٦وانظر: تفسير القرطبي ٩٣/٤.

وليس ثمة فائدة من الترجيح فلم يرد النص عليها أولاً، والمقصود إثبات المعجزة سواء أطلبه القوم أم لم يطلبوه، وسواء أخلق غير الخفاش أم لم يخلق غيره، المهم إثبات هذه المعجزة لعيسى u .

ثالثاً: إبراؤه الأكمه والأبرص:

ومن معجزات عيسى u أنه كان يبريء الأكمه والأبرص، ويكون شفاؤهم بإذن الله، ومن هذه قال بعض العلماء أن سبب تسميته بالمسيح؛ لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات بريء بإذن الله تعالى كما سبق.

قال تعالى: ﴿ **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [سورة آل عمران – ٤٩]

وجاء في في المستدرك في حديث الشفاعة: «فيأتون عيسى بالشفاعة فيقول هل تعلمون أحدا هو كلمة الله وروحه، ويبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى غيري، فيقولون: لا» [١].

ولقد اختلف العلماء في المراد من الأكمه الذي كان عيسى u يبريه بإذن الله على أقوال:

فقيل من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل.

وقيل العكس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار.

وقيل من يولد أعمى.

وقيل الأعمش[٢].

وقال ابن كثير: «﴿ **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ** ﴾ قيل إنه الذي يبصر نهارا، ولا يبصر ليلا وقيل بالعكس وقيل الأعمش، وقيل هو الذي يولد أعمى وهو أشبه، لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي»[٣].

والراجح أنه من يولد وهو أعمى؛ ليكون ذلك أبلغ في المعجزة، وبه جزم بعض العلماء.

وقد أكده ابن حجر في الفتح واستدل على قوله بكلام نخبة من السلف من الصحابة[٤].

وأما المراد من البرص في لغة العرب فهو : داء معروف، وهو بياض يقع في الجسد [٥].

قال القرطبي: والبرص معروف، وهو بياض يعتري الجلد، ويجمع على الأبارص.

---

(١) المستدرك على الصحيحين،ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم u ٢/ ٦٥٠. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح.

(٢) العمش: ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات . القاموس المحيط ١/ ٨١٦.

(٣) تفسير ابن كثير ١ /٣٦٥ وانظر تفسير الطبري ٣ /٢٧٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٧٢ -٤٧٣.

(٥) لسان العرب ٧ /٥.

وخص هذان بالذكر لأنهما عياءان، وكان الغالب على زمن عيسى u الطب[١]، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك[٢] وقد كان عيسى يبرئ هذين المرضين، ويشفيهما الله بإذنه، في زمن كثر فيه الأطباء وعجز طبهم أن يصل إلى إبرائهما.

رابعاً: إحياؤه الموتى:

ومن معجزات عيسى u أنه كان يحيي الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿ **وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[سورة آل عمران، ٤٩] وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** ﴾[المائدة، ١١٠] وسبق ذكر هذا في حديث الشفاعة السابق[٣].

فقال في آية آل عمران ﴿ **وَأُحْيِي الْمَوْتَى** ﴾ وقال في آية المائدة ﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى** ﴾ فدلت هاتان الآيتان على أنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم.

قال ابن كثير: «وقوله﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** ﴾ أي تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته وإرادته ومشيئته»[٤].

وعبر في المائدة بالإخراج «قيل لكون إخراج الموتى من قبورهم - لا سيما بعد ما صاروا رميما - معجزة باهرة، حرية بتذكير وقتها صريحا، وما في النظم الكريم أبلغ من تحيي الموتى فلذا عدل عنه إليه»[٥].

وكانت وسيلته في إحياء الموتى أنه يدعو الله فيستجيب له[٦].

وقد أورد العلماء في كتبهم أخباراً كثيرة عمن أحياهم، وما كان يقول في دعائه، غير أنه لم يرد فيها حديث صحيح فأعرضت عن ذكرها[٧].

وعندما ذكر عيسى قيامه بهذه الأمور الخارجة عن مقدور البشر، فإنه ربطها بقوله ﴿ **بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾، وكذلك عندما أخبر الله عن معجزاته في سورة المائدة في معرض تعديد نعم الله عليه، فإنه ربطها كذلك بقوله ﴿ **بِإِذْنِي** ﴾ وذلك دفعاً لتوهم الإلوهية فيه كما سيأتي بيانه.

---

(١) الطب: علاج الجسم والنفس. القاموس المحيط ١/ ١٩٢.

(٢) تفسير القرطبي ٤ / ٩٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تفسير ابن كثير ٢ /١١٦.

(٥) تفسير الألوسي ٧ /٥٧ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٣ / ٢٧٨ وعند الألوسي (وكان دعاؤه يا حي ياقيوم) انظر: تفسير الألوسي ٣/١٦٦.

(٧) تفسير القرطبي ٤ /٩٤-٩٥ وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ١١٦، ٤٤٥-٤٤٦ تفسير الألوسي ٣/١٦٦- ١٧٠.

خامساً: الإخبار بالغيب:

وقد كان عيسى u يخبر بأمور غيبية تذهل من أخبرهم بذلك، معجزة له، ودليلاً على صدق نبوته.

أخبر القرآن عنها بقوله تعالى:﴿ **وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران – ٤٩]

أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغد، وذلك كله آية على صدقي فيما جئتكم به[١].

وعندما تناول العلماء هذا الإخبار بالمغيبات، اختلفوا في زمان هذا الإخبار على أقوال:

فقيل: كان ذلك زمن طفولته، إذ كان يخبر الصبيان بما أكلوه، وما خبأت لهم أمهاتهم في بيوتهم.

وقيل: بل كان ذلك بعد بعثته، فكان يخبر الناس بما أكلوه وما ادخروه في بيوتهم.

وقيل: بل كان ذلك بعد نزول المائدة، فكان يخبرهم بما أكلوه وما أخذوه منها وادخروه في بيوتهم.

وعلى كل قول مما سبق وردت الآثار والروايات عن السلف فيها[٢].

والراجح والله أعلم أن المقصود من هذا الإخبار الذي يكون معجزة له ودليلاً على نبوته، أنه ما كان بعد الرسالة. ولا يمنع أن يتناول الإخبار الكل.

ثم علل الألوسي تخصيص هذين الأمرين دون غيرها من المغيبات فقال: « أن غالب سعي الإنسان وصرف ذهنه لتحصيل الأكل الذي به قوامه، والادخار الذي يطمئن به» [٣].

وهناك تعقيب لابن جرير الطبري حول ما المعجزة في كونه يخبرهم بالمغيبات، وبين أفعال المنجمين، والكهان، وإخبار الناس بأمور غابت عنهم، فيقول: «فإن قال قائل: وما كان في قوله لهم ﴿**وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** ﴾ من الحجة له على صدقه، وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب؟ قيل: إن المتنجم والمتكهن معلوم منهما - عند من يخبره بذلك - أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه، ومن سائر أنبياء الله ورسله، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج، ولا طلب لمعرفته باحتيال، ولكن ابتداء بإعلام الله إياه من غير أصل تقدم ذلك احتذاه، أو بنى عليه، أو فزع إليه،

---

(١) تفسير ابن كثير ١ /٣٦٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣ /٢٧٨- ٢٨٠ انظر: تفسير القرطبي ٤ /٩٥ .

(٣) تفسير الألوسي ٣/١٧٠.

كما يفزع المتنجم إلى حسابه، والمتكهن إلى رئيه، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب، وإخبارهم عنها، وبين علم سائر المتكذبة على الله أو المدعية علم ذلك»[1].

سادساً: نزول المائدة:

ومن معجزات عيسى u أن الله أنزل عليه وعلى قومه مائدة من السماء.

وكانت هذه الآية بعد أن طلب الحواريون من عيسى u نزولها كما حكى القرآن الكريم ذلك، فقال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)** ﴾ [المائدة ١١٢- ١١٥]

وقد سأله الحواريون وهم المؤمنون من قومه u أن يسأل الله أن يترل عليهم مائدة من السماء فقالوا: له هل تستطيع أن تسأل ربك ذلك؟ ولم يكونوا شاكين في قدرته سبحانه وتعالى، فامتن الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم «لما أجاب دعاءه بترولها فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة. وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم»[2].

فوعظهم وأمرهم بتقوى الله من سؤال هذه الآية العظيمة، أو حثهم على التقوى حتى يستجاب لهم وتترل عليهم، فقال تعالى: ﴿**قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

فقالوا ﴿ **قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾.

يقول الرازي: فأجابوا وقالوا إنا لا نطلب هذه المائدة لمجرد أن تكون معجزة، بل لمجموع أمور كثيرة:

أحدها: أنا نريد أن نأكل منها، فإن الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاماً آخر.

وثانيها: أنا وإن علمنا قدرة الله تعالى بالدليل، ولكنا إذا شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين.

وثالثها: أنا وإن علمنا بسائر المعجزات صدقك، ولكن إذا شاهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين.

---

(١) تفسير الطبري ٣ /٢٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ١١٦ وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٧ /١٢٩.

ورابعها: أن جميع تلك المعجزات التي أوردها كانت معجزات أرضية، وهذه معجزة سماوية وهي أعجب وأعظم، فإذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين، نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ونكون عليها من الشاهدين لله بكمال القدرة، ولك بالنبوة [١].

وهنا اتجه عيسى إلى ربه وسأله، وعلل لذلك أسبابا فقال:﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [المائدة: ١١٤].

فوعدهم الله بإنزالها، وتوعدهم على أن من يكفر منهم بعد ذلك فسوف يعذبه الله عذاباً لم يعذبه أحداً من عالمي زمانهم قال تعالى:﴿ **قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ١١٥].

أما المائدة وخبر تفصيلها وماذا كان عليها فلم يفصل القرآن ولا السنة في خبرها شيئاً.

بينما وردت روايات كثيرة عن السلف في ماذا كان عليها وكيف كان نزولها؟

وسوف أورد ما ذكره ابن كثير في تفسيره من رواية ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه فيقول: عن ابن عباس، أنه كان يحدث عن عيسى، أنه قال لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم فإن أجر العامل على من عمل له؟ ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا إن أجر العامل على من عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا - حين نفرغ - طعاما، فهل يستطيع ربك ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى: ﴿**قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة: ١١٢] وذكر الآيات بتمامها.

قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم، كذا رواه ابن جرير[٢].

ومن السلف من يرى أنها لم تنزل، كما قاله الحسن ومجاهد[٣] وقالوا: إنما هو مثل ضربه الله. وقووا ذلك بعدم ذكر خبرها عند النصارى.

ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ثم قال: ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت، وهو الذي اختاره ابن جرير قال: لأن الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ**

---

(١) التفسير الكبير، الرازي ١٢/١٠٩ وانظر: تفسير ابن كثير ٢ /١١٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ /١١٧وانظر التفسير الكبير ١٢/١١٠-١١١.

(٣) مجاهد بن جبر المكي: تابعي ثقة روى عن جمع من الصحابة عالم بالتفسير أخذه عن ابن عباس توفي سنة (١٠٠هـ) (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨).

مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[المائدة: ١١٥] قال ووعد الله، ووعيده حق وصدق، وهذا القول هو والله أعلم الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم [١].

وتوقف السعدي عن الترجيح[٢].

والذي إليه أميل أنها نزلت، وأن عدم ذكرها في كتب النصارى من قبيل نسيانهم، وتحريفهم لما في كتبهم، وليعود فضل إخبارهم بها إلى الإسلام وأهله.

أما هل آمنوا كلهم بها أو كفر بها بعضهم. فهناك أخبار عمن كفر منهم ومسخهم الله قردة وخنازير، تناولتها كتب التفاسير أعرضت عن ذكرها وهي مذكورة عند قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

سبب مجيء معجزات عيسى عليه السلام من هذا النوع:

يقول العلماء إن معجزات الأنبياء تأتى مناسبة لحال الأمة في ذلك الزمان، فإن برعوا في شيء أتت الأنبياء بخوارق من جنس ما برعوا فيه، وليس في مقدور البشر مهما أوتوا المجيء بمثلها، ليظهر عجزهم، ويظهر للناس ولهم صدق دعوى النبي في ادعائه الرسالة وما يأمرهم به.

ومن ذلك كانت معجزات عيسى u فقد بعث إلى قوم بلغوا في الطب الذروة، وأتوا فيه بالعجائب، فأعجزهم الله بمعجزات عيسى، إذ خرقت عادة الطب وما بلغوا فيه، فأحيا الله على يديه الموتى، وشفى الأعمى، والأبرص، وخلق من الجماد روحاً بإذن الله.

وكما بعث في قوم هذه صفتهم، فقد ركنوا إلى المادة[٣] وما يبصرونه مما أعطاهم الله، وأنكروا الروح وما وراءها، فكانت هذه المعجزات كذلك لها علاقة بالروح وإثباتها، تصديقاً له ولما يأمرهم به.

وفي سبب أن الإعجاز كان بسبب تفوقهم في الطب، قال ابن كثير ما نصه: «...وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء، وأصحاب علم الطبيعة[٤]، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد»[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ /١١٧ وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٧ /١٣٣ و انظر: تفسير القرطبي ٦/٣٦٩ .

(٢) تفسير السعدي ١/٢٤٨.

(٣) المادة: هي النزعة المادية وأن كل ماهو موجود مادة قائم على التجربة وينكر أصحابها ماوراءها من الوحي والدين وهي نزعة قديمة عند الأمم السابقة. الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٤٧.

(٤) علم الطبيعة: يطلقها الفلاسفة على مجموعة العناصر والعوالم الكونية التي يزعمون أنها تؤثر في بعضها تأثيراً مستقلاً عن إرادة الخالق سبحانه وتعالى. الموسوعة الميسرة٢/١٠٩٧.

(٥) تفسير ابن كثير ١/٣٦٥ - ٣٦٦.

وقال ابن حجر: «إحياء عيسى الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، لكون الأطباء والحكماء،كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه»[١].

أما في السبب الآخر، وأنهم قوم غلبت عليهم المادة حتى أنكروا الروح فيتحدث الإمام أبو زهرة عن سبب مجيء معجزات عيسى u من هذا النوع فيقول: «الحق إن الذي نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات المسيح u جاءت على ذلك النحو، هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه، لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم، فجاء u بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة، مصدق لما يأتي به الرسول، وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح، وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، ما ذاك إلاّ لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل، وأوشكت أن تصير رميماً أو صارت، يناديه المسيح u فإذا هو حي يجيب نداء من ناداه، وما ذاك إلاّ لأن روحاً غير الجسم الذي غيره البلى حلت فيها بذلك النداء، ففاضت عليه بالحياة، وهكذا، فكانت معجزة عيسى u من جنس دعايته وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، وهل ترى أن معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار في إنكاره، أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر في جحوده؟»[٢].

ولا يمنع أن تحتمل المعجزات السببين معاً، فهم قوم غلب عليهم الطب، والحكمة[٣]، والفلسفة، ثم شاع فيهم الاعتماد على المحسوسات والمادة، وترك ما وراءها من الروح والحياة الآخرة.

فجاءت المعجزات تبين لهم عظمة الله وصدق رسوله بما يعجزهم ولا يستطيعون محاكاته، وتقول لهم إن هناك روحاً وحياةً آخرة، وبعثاً ونشوراً، كما أراكم قدرته وأنتم لازلتم على قيد الحياة، فآمنوا به وصدقوا رسوله فيما يأمركم وينهاكم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٩ / ١٤٨ وانظر: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة، بيروت ١٣٩١م) ٢/ ٩٨، وانظر: تفسير الآلوسي٣/١٦٦، وانظر:الخلاص المسيحي ص ٧٣١.

(٢) محاضرات في النصرانية ،محمد أبو زهرة ص٢٥-٢٦. وانظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، سارة العبادي ص٢٨١-٢٨٢.

(٣) الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري. التعريفات١/٦٠٠.

مسألة الفرق بين المعجزة والسحر والكرامة:

إن كلاً من المعجزة والسحر والكرامة أمر خارق للعادة في منظور البشر، فما الفرق بينها من جهة الشرع؟

فالمعجزة هي خاصة بالنبي وقد سبق بيانها وتعريفها.

أما الأمور التي قد تلتبس على بعض الناس، فهي السحر وما يتبعه من الكهانة والعرافة وغيرها، وبين كرامات الأولياء والصالحين.

وقد مر بنا تعريف الكرامة وإثباتها ولا بأس بإعادة التعريف.

يقول السفاريني: الكرامة: «هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»[1].

ويفرق شارح الطحاوية بين المعجزة والكرامة فيقول: المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وفي عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، وكثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة[2].

وبهذا يكون الفرق بين المعجزة والكرامة أنهما خارقتان للعادة، وتظهر على يد من هو مشهود له بالخير والاستقامة، وهما النبي والولي، غير أن النبي مدعٍ للنبوة، ومقصوده منها التحدي، والولي لايدعي النبوة، ولا يقصد التحدي، بل قد لايعلم بها أحياناً.

ويقول ابن حجر في الفتح: والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك، بل إنما تقع غالبا اتفاقا، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي.

والسحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق.

السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته[3].

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ٢/ ٣٩٢ وانظر شرح أصول الإعتقاد للالكائي ١/٢٣٦.

(٢) شرح العقيده الطحاويه، ابن ابي العز ٢/ ٧٥٢ - ٧٥٣ .

(٣) فتح الباري١٠/٢٢٣وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٦، الإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، شرح النووي على الصحيح مسلم،(مكتبة الرشد، السعودية، طريق الحجاز، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ١٤ /١٧٥- ١٧٦.

ويظهر الفرق بين المعجزة والسحر كذلك بمن يعاون الساحر أو النبي، فالسحرة لخسة طبعهم وفسادهم لا يعاونهم إلا الشياطين، بينما الأنبياء فإنهم إن احتاجوا إلى معونة في تحقيق معجزاتهم، فإن الملائكة الأطهار هم من يكونون عوناً لهم.

قال الآلوسي: وأما السحر فهو «يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، بارتكاب القبائح قولا، كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك، ومدح الشيطان وتسخيره، وعملا كعبادة الكواكب، والتزام الجنابة، وسائر الفسوق، واعتقادا كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه»[1].

وإذا كان هناك تساؤل، كيف يمكن أن يخرق الله العادة على يد الفاجر أو الكافر؟.

فالجواب أنه ليس لتأييد الله لهم، بل للفتنة والابتلاء، كما قال تعالى عن سحرة بابل هاروت وماروت: ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ [سورة البقرة، ١٠٢]

وخلاصة القول أن الله أرسل عيسى إلى بني إسرائيل، وأيده بما أيده من المعجزات العظيمة تصديقاً له في دعواه الرسالة، وتأييداً لما معه من الكتاب والحكمة، ثم رفعه إلى السماء.

---

(١) تفسير الآلوسي ١ / ٣٣٨.

المبحث الخامس
رفـــع عيسى عليه الســـلام

في هذا المبحث بيان لمسألة رفع عيسى u ، وهو حدث معجز في ذاته لجميع البشر، غير أنه لم يقصد به التحدي وإيمان بني إسرائيل به، لذلك لم أسرده في ذكر معجزات عيسى u ، وإنما جعلت الحديث عنه خاصاً لأهميته واختصاص عيسى u به.

وكذلك وقوع الخلاف فيه قديماً وحديثاً.

وهو من العقائد المهمة التي يبقى أثرها ممتداً من زمن رفعه u وإلى وفاته بعد ذلك.

وقد أثبت الله رفع عيسى u في القرآن خمس مرات، بعضها بصريح النص وبعضها الآخر بما يفهم من النص، وذلك في الآيات التالية:

قال الله تعالى في سورة آل عمران:﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [سورة آل عمران، ٥٥]

وقال في سورة النساء﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٥٧ – ١٥٨].

وقال في المائدة:﴿**وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [سورة المائدة، ١١٠]

وقال تعالى في النساء أيضاً:﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ [سورة النساء، ١٥٩]

وقال في الزخرف: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ [سورة الزخرف، ٦١]

وجاءت السنة ببيان رفعه u سواءٌ بالنص وانه رفع، أم ببيان النزول الذي هو مقتضى الرفع .

فمن ذلك ما جاء في المستدرك على الصحيحين: «عن سعيد بن المسيب[١] قال رفع عيسى بن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ومات معاذ بن جبل[٢] وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه»[٣].

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن من مخزوم: الإمام العلم عالم أهل المدينة وسيد أهل التابعين في زمانه روى عن كبار الصحابة وأفتى وهم أحياء، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ومات سنة(٩٤هـــ) (تهذيب سير أعلام النبلاء١/١٤٣) .

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي الأنصاري: شهد العقبة له عدة أحاديث من المقرئين بعثه الرسول r إلى اليمن توفي سنة(١٧هـــ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٤٤).

(٣) المستدرك على الصحيحين،ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل t ٣/٣٠٢.سكت عنه الذهبي في التلخيص.

وجاء في حديث نزول عيسى u آخر الزمان ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة t قال رسول اللَّهِ r: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا من الدُّنْيَا وما فيها ثُمَّ يقول أبو هُرَيْرَةَ واقرؤوا إن شِئْتُمْ ﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾[1].

وبهذا فإن رفع عيسى u قد وقع فعلاً.

ولكن متى حدث ذلك، و لم كان الرفع ؟

ويجيب القرآن بأن اليهود قد تبجحوا، وقالوا إنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم u .

فنفى الله تبارك وتعالى أنهم قتلوه أو أصابوه بأي أذى، بينما أثبت أنهم حاولوا قتله عندما جاءهم بالبينات والحجج الواضحات، فقال تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ ثم قال تعالى: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ .

وقال في معرض الإمتنان عليه: ﴿**وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ**﴾

قال ابن كثير: وكان من خبر اليهود أنه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان، وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم، فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويكف أذاه عن الناس[2].

كما سيأتي بيانه في الباب الثاني.

ولكن الله نجاه منهم كما قال تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [ال عمران، ٥٤]

فما المقصود من هذا الرفع وهل هو على حقيقته ثم ما أراء العلماء نحوه؟؟

المقصود من الرفع هو رفعه u إلى السماء كما سيتضح من أقوال العلماء فيما بعد.

وأما عن حقيقته وأراء العلماء فيه فيمكن القول.

بأنه قد جاء النص في القرآن بقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ١٦٨/٤. وانظر:صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ٩٣/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٧٤/١- ٥٧٥.

فالنصوص القرآنية ذكرت لفظ (متوفيك) و(رافعك إلي) ونفت أن يكون اليهود (قتلوه أو صلبوه) وذكرت أنه (شبه لهم).

ومن هذه النصوص القرآنية اختلف العلماء قديماً وحديثاً. حول هذه الحقائق هل توفاه الله ورفعه، أم رفعه حياً، وما المقصود (بشبه لهم).

وفيما يلي بيان أقوال العلماء في مسألة رفع عيسى u :

آراء العلماء في الرفع [١]:

الرأي الأول: القائلون بأن عيسى u رفع بجسده إلى السماء:

وقد أثبتوا ذلك من واقع تفسير النصوص وفهم علماء السلف لها. غير أنهم اختلفوا هل كان رفعه حياً أم ميتاً؟ على قولين:

القول الأول: رفع بجسده حياً إلى السماء:

يقول أصحاب هذا القول بأن الله تبارك وتعالى رفع عيسى u بجسده حياً إلى السماء.

وأصحاب هذا القول مختلفون، فمنهم من قال إنه رفعه حياً ولم يسبقه نوم؛ استدلالا بظاهر النصوص. ومنهم من قال إنه سبقه نوم، أو وفاة، ولكل منهم دليله. وعمدتهم الآيتان الواردتان في الرفع ومقابلتها بنصوص أخرى.

وقد أورد ابن جرير مجموع الأقوال في قضية الرفع، وتناقلها المفسرون من بعده.

القول الأول: أن من العلماء من قال إنه رفع وهو نائم، واعتبر قوله (متوفيك) أي وفاة النوم، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني منيمك ورافعك في نومك، و ذكر الروايات في ذلك[٢].

وممن قال بهذا القول ابن كثير، فقال: «وأخذت عيسى u سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾[٣].

وقال في البداية والنهاية: «فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به» [٤].

---

(١) مع اختلاف العلماء في حقيقة رفع عيسى u فإن العلماء السابقين قالوا برفع المسيح u بالجسد والروح ولم أعثر على من قال بالرأيين الأخيرين فيما اطلعت عليه.

(٢) انظر : تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٨٩.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٧٥.

(٤) الحافظ: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية (مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، دار ابن حزم، لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ٢/٩١.

وعلل قوله بذلك فقال: «المراد بالوفاة هاهنا النوم كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ**﴾ [سورة الأنعام، ٦٠]، وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ [سورة الزمر، ٤٢] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور الحديث...» [١] [٢].

القول الثاني: أن المراد من (متوفيك) أي قابضك من الأرض، ولما يقال توفيت من فلان مالي عليه بمعنى قبضته واستوفيته، وممن ذهب إليه الطبري فيقول: «قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك إلي؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله **r** أنه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[٣].

وذهب القرطبي إلى معنى أن في الآية تقديماً وتأخيراً فقال: «إني متوفيك ورافعك إلي على التقديم والتأخير؛ لأن الواو لا توجب الرتبة، والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء» [٤] ذكر التقديم والتأخير عن بعض أهل المعاني.

ويقول الألوسي: «إن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم» [٥].

وبهذا فإن من قال إنه رفع حياً، إما أن يكون رفعه وهو نائم على أن النوم وفاة، أو كما قال الآخرون بأنه رفع حياً بلا نوم، وأنزل الآية على مستوفي مدة بقائك أو على التقديم والتأخير.

القول الثاني: رفع بجسده إلى السماء بعد موته:

وأصحاب هذا القول يقولون: إما أن الله أماته، ثم رفعه في موتته تلك، أو أن الله أماته ثم أحياه ورفعه.

وقد أورد الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره هذا القول، وأورد رواياتهم في ذلك مسندة فقال: «وقال آخرون معنى ذلك إني متوفيك وفاة موت».

ثم ذكر روايات من قال بذلك مسندة إلى ابن عباس ووهب بن منبه وابن إسحاق[٦].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا نام ٨/ ٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١ /٣٦٧.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٣ /٢٩١.

(٤) تفسير القرطبي ٤/ ٩٩.

(٥) تفسير الألوسي ٣ /١٧٩.

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣ /٢٩٠-٢٩١.

وقد ذكر تلك الأقوال الرازي وهو يعرض القول الذي يقول إن الله توفاه قبل أن يرفعه فقال: «والثاني: ﴿ وَرَافِعُكَ ﴾ أي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس، ومحمد بن إسحاق قالوا: والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله، ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء، ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه **أحدها:** قال وهب: توفي ثلاثة ساعات، ثم رفع، **وثانيها:** قال محمد بن إسحاق: توفي سبع ساعات، ثم أحياه الله ورفعه، **الثالث:** قال الربيع بن أنس[1]: إنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾[سورة الزمر، ٤٢] [2].

الرأي الثاني: رفع الروح والمكانة:

من الكتاب والعلماء المعاصرين من قال إن عيسى مات كغيره من البشر، ودفن في مكان ما، وأن النصوص التي في القرآن الكريم والمذكور فيها رفع عيسى u إنما المقصود من ذلك رفع الروح والمكانة، كما قال عن إدريس عليه السلام (**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**) [سورة مريم، ٥٧] وأن القول برفع عيسى u إلى السماء بجسده مشابهة لأقوال النصارى، بل ربما يزعم البعض أنه مأخوذ عنهم. وبناءً عليه فبعضهم ينكر النزول لعدم وجود النص الصريح كذلك في القرآن الكريم.

وممن قال بهذا القول أعني أن رفع عيسى u هو رفع المكانة، ولم يرفع بجسده إلى السماء الشيخ محمد عبده[3]، والشيخ محمد رشيد رضا[4] في تفسير المنار، والشيخ محمود شلتوت[5] شيخ الأزهر في الفتاوى، والشيخ المراغي[6] في تفسيره، والشيخ محمد الغزالي[7]، الأستاذ أحمد شلبي[8] في كتابه مقارنة الأديان.

---

(١) الربيع بن أنس البكري الخرساني: محدث صدوق، روى عن مالك بن أنس وغيره توفي سنة(١٣٩هـ) (تهذيب التهذيب ٣/٢٠٧).

(٢) التفسير الكبير، الرازي ٨/٦٠.

(٣) محمد عبده بن حسن التركماني: فقيه، مفسر، متكلم، أديب، لغوي كاتب، صحافي، سياسي، ولد بمصر عام(١٢٦٦هـ) من تصانيفه: تفسير القران الكريم لم يتمه، رسالة التوحيد، شرح مقامات البديع الهمذاني(معجم المؤلفين، التكملة/ ٥٠٢).

(٤) محمد بن رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل الحسيني:محدث مفسر مؤرخ أديب سياسي، ولد في الشام نشأ مثل أهله على الصلاح والتقوى والتنسك، تعلم قراءة القرآن، أخذ الحديث وفقه الإمام الشافعي، ودخل في الطريقة النقشبندية، وحبب إليه التصوف لإكثاره من مطالعة إحياء علوم الدين للغزالي. (معجم المؤلفين ج٣/ص٢٩٣) .

(٥) محمود شلتوت: فقيه مصري ولد فيها، تخرج بالأزهر عين وكيلا لكلية الشريعة من أعضاء كبار العلماء من أعضاء مجمع اللغة العربية وعين شيخا للأزهر له ٢٦مؤلفا، منها فقه القرآن والسنّة،الإسلام عقيدة وشريعة(معجم المؤلفين ٣/٨١٢).

(٦) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، عيّن أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة. من كتبه: الحسبة في الإسلام، الوجيز في أصول الفقه، تفسير المراغي، علوم البلاغة (معجم المؤلفين ١/٣٠٥).

(٧) محمد الغزالي : ولد في مصر عام (١٣٣٥هـ) نشأ في أسرة كريمة، مفكر ومثقف، خطيب بليغ، له مقال في مجلة الإخوان المسلمين. بلغت مؤلفاته ٢٢ مؤلف تقريباً. (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين – كتاب الكتروني، خالد الكحل).

(٨) أحمد شلبي: درّس في الأزهر أستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية، اشتغل بالتدريس، انتدب وحاضر في كثير من بلاد العالم، له مؤلفات تزيد عن خمسين كتاباً. من كتابه(مقارنة الأديان – المسيحية).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا - وهو يرى أن مسألة الرفع هي عقيدة أكثر النصارى - : «ليس في القرآن نص صريح على إن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء، وليس فيه نص صريح بأنه يترل من السماء، وإنما هي عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان - منذ ظهور الإسلام - بثها في المسلمين»[١].

وأما الشيخ محمود شلتوت فيرى في الفتاوى أن كلمة التوفي وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها، لم تستعمل في غير هذا المعنى إلا بجانبها ما يصرفها ويرى أن القائلين بالرفع بالجسد يحملون السياق مالا يحتمل تأثيراً بالآية ﴿ **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ وبالأحاديث التي تفيد الترول. ويرد على ذلك أنه لا داعي لهذا التفكير. فالرفع رفع مكانة، والأحاديث لا تقرر الرفع على الإطلاق [٢].

أما الشيخ المراغي فيقول: «ليس في القران نص صريح قاطع على أن عيسى رفع بجسده وروحه وعلى أنه حي الآن بجسمه وروحه، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله، كما قال تعالى في إدريس: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾ فحياة عيسى u حياة روحية كحياة الشهداء، وحياة غيره من الأنبياء»[٣].

ويقول في تفسيره: «إن التوفي هو الإماتة العادية، وإن الرفع بعده للروح، ولا غرابة في خطاب الشخص وإرادة روحه، فالروح هي حقيقة الإنسان والجسد، كالثوب المستعار ويزيد وينقص ويتغير والإنسان إنسان لأن روحه هي هي.

وإن المعنى هو: إني مميتك وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي، كما قال في إدريس عليه السلام ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ » [٤].

أما الشيخ محمد الغزالي فله في هذا الموضوع رأي يقول فيه بعد أن ذكر الرأيين: «وأنا شخصيا متردد في الميل إلى واحد من هذين الرأيين، مع إني لا أفهم الكلام إلا من القرآن والسنن، ثم جزم القول قائلا: ومن رأيي أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا لم يقل قولا حاسما أبدا أن عيسى حي بجسده، وخير لنا منعا للاشتباه في أنه ولد من غير أب وأنه باق على الدوام مما يروج لفكرة ثنائية الإلوهية فيه، خير لنا

---

(١) تفسير المنار ١٠ نقلاً من مقارنة الأديان- المسيحية، أحمد شلبي ص ٦٦.

(٢) الفتاوى ص٢ وما بعدها نقلاً من مقارنة الأديان -المسيحية، أحمد شلبي ص ٦٤-٦٥.

(٣) الفتاوى ،محمود شلتوت، ص ٧٦ نقلاً من وانظر المسيحية، شلبي ص ٦٦.

(٤) تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي مجلد١ ٣/١٦٩.نقلاً من ٢٥١.

أن نرى الرأي الذي يقول إن عيسى مات، وأنه كغيره من الأنبياء، لا يحي إلا بروحه فقط حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة» [(١)].

ويقول الأستاذ أحمد شلبي بعد أن أفاض في الانتصار لهذا القول ونقل آراء جملة من المفكرين!!! ونقل ماحكاه المفسرون مختزلاً بعض كلامهم بما يوافق ما ذهب إليه كالرازي والألوسي[(٢)].

«لقد أثيرت هذه المسألة منذ سنين في فتوى أجاب عنها الأستاذ المراغي، والأستاذ شلتوت، كما رأينا، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى، شأن كل جديد يخرج للناس، ومر الزمن، ورجحت هذه الفكرة، وأصبحت شيئا عادياً يدين به الغالبية العظمى من المثقفين، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفع صوته بها في قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية في العالم، وهي جامعة الأزهر، وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبولاً حسناً، والذي أرجوه أن يرفق المعارضون في تلقي الآراء الجديدة وأن يفحصوها بروح هادئة»!!

ثم يختم حديثه في مسألة الرفع بقوله: «ونختم هذا المبحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسمه وروحه اعتقاد متأثر بالفكر المسيحي» [(٣)].

وقد أورد مترجم كتاب الشيخ أحمد ديدات[(٤)] - في نهاية كتابه هل صلب المسيح - فتوى للشيخ محمود شلتوت، ومفادها أنها تقرر الرفع للروح والمكانة، وأنه مات ودفن كغيره من الأنبياء[(٥)].

هذه مجمل أقوال من يرون أن عيسى u لم يرفع بجسده وروحه، وكما قال بعضهم أنها شيء جديد خرج للناس، وسوف أتعرض لهذا القول عند عرض الرأي الراجح بإذن الله.

الرأي الثالث التوقف:

ومن الكتاب من توقف في مسألة الرفع، فالبعض توقف في هل رفع المسيح حياً أم ميتاً بجسده إلى السماء؟ ومنهم من توقف في الرفع إلى السماء أم هل المقصود به رفع الروح والمكانة، ورأوا أنها من المتشابهات، والتي من الخير عدم ترجيح قول على آخر لعدم ورود النص الصريح في ذلك.

---

(١) (ندوة مجله لواء الإسلام عن رفع المسيح حيا إلى السماء ١٣٨٢/١١/٨هــ. ١٩٦٣/٤/٢م ص ٢٥٤- ٢٥٥ بتصرف نقلاً من عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، يونس توري ٢٥١ -٢٥٢ وانظر المسيحية، شلبي ص ٦٨وانظر ص ٢٦٦.

(٢) مع أن الرازي قال:« أي متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن» التفسير الكبير ٦٠/٨، والألوسي قال: «أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم» تفسير الألوسي ١٧٩/٣.

(٣) انظر : المسيحية، شلبي ص ٥٦- ٦٩.

(٤) أحمد حسن ديدات: ولد في الهند عام (١٩١٨م) عالم وداعية، ناظر كبار علماء الدين النصراني، بالحكمة والموعظة. مما كان له الأثر في عودة ألالآف إلى الدين الإسلامي.مؤلفاته تزيد على ٢٠ كتاب. (مشاهير أعلام المسلمين، علي ناصر الشحود ١٢٠/١).

(٥) انظر هل صلب المسيح الشيخ أحمد ديدات ص ١٩٧-٢٠٣.

وممن رأى التوقف في مسألة الرفع هل كان حياً أم ميتاً مع إثبات أصل الرفع، وأن المسألة من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله سيد قطب[1] في تفسيره حيث يقول: «فأما كيف كانت وفاته وكيف كان رفعه فهي أمور غيبية تدخل في المتشابهات، التي لا يعلم تأويلها إلا الله، ولا طائل وراء البحث فيها لا في عقيدة، ولا في شريعة، والذين يجرون وراءها ويجعلونها مادة للجدل ينتهي بهم الحال إلى المراء وإلى التخليط، وإلى التعقيد دونما جزم بحقيقة، ودونما راحة بال في أمر موكول إلى علم الله»[2].

أما الإمام محمد أبو زهرة فقد توقف في كل قضية عيسى u هل رفع بأي طريقة أو مات كغيره من البشر؟ فقال بعد عرضه الأقوال في ذلك: «القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه ووفاة عيسى أو رفعه على الخلاف في ذلك، ولا إلى أين ذهب، وليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه، فلنترك المسألة ونكتف باعتقادنا اعتقاداً جازماً أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم»[3].

ثم هو لم يتعرض لمسألة نزول عيسى u آخر الزمان أثناء عرضه لعقيدة المسلمين فيه.

أسباب الاختلاف:

أما أسباب الاختلاف في قضية الرفع بين العلماء السابقين هل هو حي بجسده وروحه أو بعد وفاته؟ وبينهم وبين كتاب ومفكري الخلف بأن الرفع رفع مكانة ومترلة، وأنه مات كغيره من الأنبياء .

فيرى الدكتور هاشم جودة أن أسباب الاختلاف ما يلي:

أولاً: لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يبين أحد الأمرين السابقين في رفع عيسى u .

ثانياً: اختلافهم في فهم معنى قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** ﴾، وقوله: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾، وقوله جل اسمه: ﴿ **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾ ، وقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** ﴾.

ثالثاً: اختلافهم في معنى الواو الواردة في قوله تعالى:﴿ **وَرَافِعُكَ** ﴾ بعد قوله: ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** ﴾

---

(١) سيد قطب: باحث إسلامي مصري، تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، ومجلة الرسالة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم، وسجن معهم إلى أن اصدر الأمر بإعدامه من أثاره: النقد الأدبي، في ظلال القران، معالم في الطريق.(معجم المؤلفين التكملة /٨٠٤).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، (دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م ١/ ٤٠٣ وانظر ٢/ ٨٠٢.

(٣) محاضرات في النصرانية ،محمد أبو زهرة، ص ٢٤.

رابعاً: اختلافهم في تعيين من يعود عليه الضمير في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ [١].

خامساً: وكذلك من الأسباب عدم الأخذ بأحاديث الآحاد[٢]، وأنها لا تفيد العلم اليقيني في مسائل الاعتقاد.

سادساً: التحرز من مشابهة النصارى في قولهم بالرفع، والوقوع في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

الرأي الراجح في رفع عيسى u بجسده حياً إلى السماء وأدلته:

والرأي الذي أرى أنه الراجح هو: القول بأن عيسى u رفع إلى السماء حياً بجسده، من غير وفاة ولا نوم، وأنه فيها إلى الآن، وإلى أن يحين موعد نزوله الذي لا يعلمه إلا الله قبل قيام الساعة.كما سيأتي بيانه في الحديث عن نزوله u ، للأدلة السابقة.

ومع أن كل من قال بغير هذا القول من أصحاب الأقوال الأخرى، فإنهم يذكرون أن الدليل يؤيده، وأن النصوص دالة عليه، وهو ما فهموه منها، سواء من قال من العلماء أنه رفع بجسده في النوم.

أو الأقوال الأخرى التي ترى أنه رفع بعد ما أماته الله.

أو أن المعنى مقصود به رفع الروح والمكانة.

وكذلك من توقف في أمره وجعله من المتشابهات.

فإن هذه الأقوال كلها مردودة للأمور التالية:

أولاً: فلأن القول الذي رجحته هو قول القرون المفضلة، وهم أقرب إلى مصدر التشريع، وقد زكاهم الرسول r ، وأقوال الصحابة حجة في مسائل الاعتقاد، وهو الذي ذهب إليه كثير من العلماء المحققين.

يقول الشنقيطي وهو يختصر أقوال العلماء فيقول: «إن كثيرا ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى قد توفي، ويعتقدون مثل ما يعتقده ضُلال اليهود والنصارى، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [سورة آل عمران، ٥٥] وقوله﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ﴾[سورة المائدة، ١١٧]

فالجواب أنه لا دلالة في إحدى الآيتين البتة على أن عيسى قد توفي فعلا.

أما قوله تعالى: ﴿ **مُتَوَفِّيكَ** ﴾ فإن دلالته المزعومة على ذلك منفية من أربعة أوجه:

أولها: أن ﴿ **مُتَوَفِّيكَ** ﴾ حقيقة لغوية في أخذه بروحه وجسمه.

---

(١) العقائد المسيحية د.هاشم جوده،ص ٣٠٩ نقلا من رساله منيره الحبيب .٢٥٨.

(٢) أحاديث الآحاد: كل خبر لم تتوفر فيه شروط التواتر. تيسير مصطلح الحديث، الطحان،ص٢٢.

الثاني: أن ﴿ **مُتَوَفِّيكَ** ﴾ وصف محتمل للحال والاستقبال والماضي، ولا دليل في الآية على أن ذلك التوفي قد وقع ومضى، بل السنة المتواترة والقرآن دالان على خلاف ذلك.

الثالث: أنه توفي نوم، وقد ذكرنا الآيات الدالة على أن النوم يطلق عليه الوفاة، فكل من النوم والموت، يصدق عليه اسم التوفي، وهما مشتركان في الاستعمال العرفي.

وأما الوجه الرابع: أن الذين زعموا أن عيسى قد مات، قالوا إنه لا سبب لذلك الموت، إلا أن اليهود قتلوه وصلبوه، فإذا تحقق نفي هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره، تحققنا أنه لم يمت أصلا، وذلك السبب الذي زعموه، منفي يقينا بلا شك، لأن الله جل وعلا قال: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ [النساء، ١٥٧] وقال تعالى : ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ** ﴾ [سورة النساء : ١٥٧ - ١٥٨] وضمير رفعه ظاهر في رفع الجسم والروح معا كما لا يخفى[(١)].

أما الآية في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ [سورة النساء، ١٥٩]

فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها تدل على موت عيسى u قرب قيام الساعة، وليست دالة على كل كتابي عندما يعاين الموت يؤمن بحقيقة عيسى u .

يقول الإمام ابن كثير: «ثم قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصحة، **القول الأول**، وهو: أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى u إلا آمن به قبل موت عيسى u ، ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح»[(٢)].

ولأن كل كتابي بعد بعثة الرسول r ، إذا آمن بحقيقة عيسى u ،لم ينفعه ذلك الإيمان، ولن ينجيه من عذاب الله؛ لانتهاء زمن بعثته برسالة محمد r ، فالنجاة بالإيمان بها مع الإيمان بعيسى u .

وأن الرواية المروية عن ابن عباس أن الله أماته فقد ضعفها العلماء، قال الآلوسي: «وأخرج الحاكم عنه أن الله تعالى توفي عيسى سبع ساعات ثم أحياه، وأن مريم حملت به ولها ثلاث عشرة سنة، وأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين، وأن أمه بقيت بعد رفعه ست سنين، وورد ذلك في رواية ضعيفة عن ابن عباس»[(٣)].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي، ص١٥٣٩،١٥٣٦. وانظر : التفسير الكبير، الرازي ٨/٦٠-٦١ وانظر: المسيح عليه السلام، رفاعي سرور ص ٦٨،٧٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١ /٥٧٩ وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٩١.

(٣) تفسير الآلوسي٣/١٧٩ وانظر المستدرك على الصحيحين، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم r ٢/٦٥١. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.قال الذهبي عبد المنعم ساقط.

وقال الشنقيطي: «وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أياما، ثم أحياه فلا معول عليهن؛ إذ لا دليل عليه»[١].

وفي التعقيب على رفعه ميتاً يقول الدكتور هاشم جودة: «ولا يصح أن يحمل التوفي على الإماتة، لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الإمتنان بها»[٢].

ثانياً: أن القول بعدم ورود النص الصريح في ذلك غير مسلم به، فإن أحاديث الترول بالإضافة إلى النصوص القرآنية في غاية الوضوح، فمن أين يترل إن لم يكن رفع، وكما هو معلوم فإن الترول مرادف للرفع فاكتفي بأحدهما عن الآخر[٣].

بينما أنه قد ذكر حديث مجمل في الرفع في المستدرك على الصحيحين: «عن سعيد بن المسيب قال رفع عيسى بن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه» [٤].

والمفهوم من الآيات كذلك يفيد معنى الرفع يقول هاشم جودة: «المعقول والمقبول أن يكون الإضراب عن القتل إلى الرفع مقصودا به إبطال أن يكون عيسى قد مات، وإثبات أن الله رفعه إليه حيا بجسده وروحه» [٥].

«وقد وردت آيات في القرآن تنص على رفع عيسى u وهذه الآيات إن لم تصرح برفع جسد عيسى u ، فإنها لم تصرح برفع روحه أيضاً، وعهدنا بالقرآن أنه إذا تحدث عن شخصية من الشخصيات، لم يقل في حديثه إنه يتحدث عنه جسداً أو روحا، أو جسداً فقط، بل يذكر اسم المتحدث عنه أو صفته الدالة عليه، اكتفاء بدلالة الاسم أو الوصف على ذات المسمى، أو الموصوف، جسداً وروحاً فقال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا**﴾ [سورة الإسراء،١]. ولم يقل بروحه وجسده. فالقول برفع روحه فقط محمل للكلام على غير وجهه فلا يعتد به»[٦] .

وقد وردت رواية عند ابن جرير عن الحسن أنه قال: «قال رسول الله r لليهود: «إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة»[٧].

ثالثاً: أن من قال برفع الروح فقط، فهو بهذا ينفي الخصوصية التي جعلها الله لعيسى u ، إذ كل الأنبياء رفعت أرواحهم إلى السماء، وكذلك الشهداء لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي**

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ص ١٥٣٦،١٥٣٩. وانظر: الإمام العصر المحدث الشيخ محمد انورشاه الهندي، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، الشيخ عبد الفتاح ابو غدة، (دار السلام للطباعة، الطبعة السادسة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ٦٢/١.

(٢) بتصرف العقائد المسيحيه ص٣١٥ نقلا من عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة، منيره الحبيب.٢٦١.

(٣) وقد سبق بيانها وكما سيأتي توضيحها.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) العقائد المسيحية ص ٣٠٩ نقلا من رسالة منيره الحبيب .٢٥٨.

(٦) يتصرف العقائد المسيحية ص ٣١ نقلا من عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة، منيره الحبيب ص٢٦٠.

(٧) تفسير ابن جرير الطبري ٣ /٢٩٠ أما الرواية فلم أجدها في كتب الحديث.

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران، ١٦٩] بل لربما يقال على هذا القول، إن الشهيد أفضل في ذلك؛ إذ نفى الله عنه الموت، وعيسى u جزم هؤلاء بموته.

وفي هذا يقول الدكتور هاشم جودة: «وإن كان الرفع للروح فقط، فأي مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء، والصحيح إن عيسى رفع حيا بجسده وروحه إلى السماء، فإنه كان معجزة - u - في مولده، فكذلك هو معجزة من المعجزات في رفعه»[١].

وقولهم بنصوص الرفع هو رفع مكانه، فإن النزول هو انحطاط المكانة، وذلك مستحيل في حق الأنبياء، ولا يقول بذلك عاقل.

وإن كان فعلا مات على الأرض، وصعدت روحه إلى السماء كسائر البشر، لقيل: بعث عيسى آخر الزمان بدلاً من نزوله آخر الزمان، والله أعلم[٢].

رابعاً: أن من يقول كذلك برفع الروح فقط، فليس لديهم أي نصوص يعتمدون عليها، وإنما تأويلات للنصوص بما فهموه منها، وعندما جاءوا إلى الحديث النبوي قالوا بأن الأحاديث التي احتج بها أصحاب القول برفع الروح والجسد - وهي أحاديث النزول-[٣] أحاديث آحاد، ولا يحتج بها في مسائل الاعتقاد، ورفع عيسى مسألة اعتقادية.

وهذا مردود بما قد تناقله عدول هذه الأمة، بأن أحاديث الآحاد يعمل بها إذا صح الحديث[٤].

يقول العلامة محمد ناصر الدين الألباني[٥]: «واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة، كما شهدت بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيرهم»[٦].

خامساً: أن من رأى التوقف في بيان هذه المسألة الاعتقادية، فلأن الأمر لا يعدو كونه من المتشابهات، فلا معنى لهذا التوقف في رفعه أو موته كبقية البشر؛ للنص على الرفع وإثباته.

وأما لأن هذا القول سيلبس على الناس ويشبه ما قاله النصارى، فإنه لا يمكن بحال أن يتشابه من يقول إن الابن رفع بجانب أبيه ليترل ويحكم بين الناس، ويجازيهم على أعمالهم، ومن يقول: إن عبد الله

---

(١) بتصرف العقائد المسيحية ص٣١٥ نقلاً من عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة، منيرة الحبيب ص ٢٦١.

(٢) عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، يونس توري ص ٢٥٦-٢٥٥.

(٣) فذكر النزول دليل على الرفع وإلا من أين يترل؟!.

(٤) كما سيأتي بيان أن أحاديث النزول أحاديث متواترة .

(٥) محمد بن نوح بن آدم الشهير بمحمد ناصر الدين الألباني: محدث ولد في ألبانيا عام (١٣٣٢هـ) هاجر إلى بلاد الشام سوريا، ثم استقر في الأردن، فقيه على المذهب الحنفي، نبغ في علم الحديث والتخريج. (الآلي الحسان في ذكر محاسن الدعاة والأعلام،مهنا نعيم نجم ١/ ٧٣-٩٨).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ،ابن أبي العز ص.٦٥٥، انظر: رسالة عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة، منيرة الحبيب ص٢٦٩، وانظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح الكشميري ص ٥٨.

ورسوله رفع إلى السماء لحكمة، ويبقى إلى غاية ثم يترل ليقوم بأمور هو مأذون له فيها من الله تبارك وتعالى، ثم يموت كغيره من البشر.

ثم لا يعنينا ما بقي لدى النصارى في أصل المسألة، وهو الرفع والترول على اختلاف ما عند المسلمين، إذ القرآن والسنة هما المبينان لهما والحاكمان على ما سبقهما.

يقول ابن تيمية:وصعود الآدمي ببدنه إلى السماء قد ثبت في أمر المسيح عيسى بن مريم u فإنه صعد إلى السماء، وسوف يترل إلى الأرض، وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين، فإنهم يقولون إن المسيح صعد إلى السماء ببدنه وروحه كما يقوله المسلمون، ويقولون إنه سوف يترل إلى الأرض أيضا كما يقوله المسلمون، وكما أخبر به النبي r في الأحاديث الصحيحة، لكن كثيرا من النصارى يقولون إنه صعد بعد أن صلب، وأما المسلمون فيقولون إنه لم يصلب، والمسلمون ومن وافقهم من النصارى يقولون إنه يترل إلى الأرض قبل القيامة، وأن نزوله من أشراط الساعة كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وكثير من النصارى يقولون: إن نزوله هو يوم القيامة، وإنه هو الله الذي يحاسب الخلق ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة(١).

وإنما أطلت في الرد على من قال إن الله توفاه، أو أنها رفع المكانة والمترلة، أو يرون التوقف مع صراحة النصوص ووضوحها، وذلك لأنني في أثناء مطالعتي للكتب الحديثة في هذه المسألة، رأيتهم يقولون بهذه الأقوال، ويردون على ما قاله السلف بتأويلات فاسدة، أو أن هذه الأقوال ظهرت جديدة على الناس، وأن الاعتراض عليها من قبيل الاعتراض على ما يستجد، ثم ما يلبث الناس أن يألفوه ويقولوا به.

وبالله من أين لأحد أن يجدد القول في مسألة لا يمكن الحكم عليها ومعرفتها إلا من طريق الوحي؟! وأي الناس أبصر بأمور الغيب، هل من قرب من زمن الوحي، أم من بعد عنه فكراً وعملا؟! والله الهادي(٢).

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٦ /١٧٨-١٧٧.

(٢) وقد اختصر هذه الشيخ ابن عثيمين «يقول الله:(اني متوفيك) : ذكر العلماء فيها ثلاثة أقوال :

القول الأول : (متوفيك)؛ بمعنى : قابضك ،ومنه قولهم : توفى حقه؛أي قبضة .

القول الثاني :(متوفيك) : منيمك ؛ لأن النوم وفاة ؛كما قال تعالى :(وهو الذي يتوفاكم باليل ويعلم ماجرحتم بالنهارثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى)٦٠الانعام .

القول الثالث : انه وفاة موت : (متوفيك):مميتك ،ومنه قوله تعالى : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا } (٤٢) سورة الزمر.

والقول بأن (متوفيك) متوفيك بمعنى نميتك بعيد ؛لأن عيسى u إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } (١٥٩) سورة النساء.

أي: قبل موت عيسى على أحد القولين، وذلك إذا نزل في أخر الزمان .وقيل: قبل موت الواحد؛ يعني :ما من أحد من أهل الكتاب إلا إذا حضرته الوفاة ؛ آمن بعيسى، حتى إن كان يهوديا .وهذا القول ضعيف .

بقي النظريين وفاة القبض ووفاة النوم، فنقول: انه يمكن أن يجمع بينهما، فيكون قابضا له حال نومه؛ أي أن الله تعالى ألقى عليه النوم؛ ثم رفعه ولا منافاة بين الأمرين.

أما كيف رفع؟ فلم يرد نص صريح من الكتاب والسنة فأعرضت عنه، وقد وردت روايات أقواها ما أورده ابن كثير عن ابن عباس وصححها[1].

الحكمة من الرفع:

أما الحكمة من رفع عيسى u ، فكما سبق بيانة أن الله رد كيد يهود، وأنجاه منهم بمعجزة تقرع النفوس، وتبين عظمة الله وقدرته على كل شيء، كما ذكره في معرض الامتنان عليه في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [سورة المائدة، ١١٠]

وكما كان رفعه لنجاته، فإنه كذلك ليكون علماً من علامات الساعة، ويكون بنفسه مكذباً لليهود الذين ادعوا قتله، وللنصارى الذين زعموا فيه الألوهية، وأنه سيحاسب الناس يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا**﴾ [سورة الزخرف، ٦٠]

فيترل ليدق الصليب، ويعلن التوحيد، ويقتل من يدعي أنه رب؛ ليري الناس أجمعون التوحيد في كل أموره، منذ أن دعى إليه وهو بين قومه، وإلى أن يترل أخرى بفعله داعية إلى التوحيد .

وفي هذا يقول رفاعي سرور: «وإدراك الحكمة من رفع عيسى يبدأ بتفسير حقيقة عيسى نفسه، فهو (جانب الخير) المقابل للدجال (جانب الشر)، وتحقيق (جانب الخير) في عيسى جاء باعتبار أن الشيطان لم يمسه، وباعتبار أنه لم يذنب قط.

وبذلك اقتضى الأمر أن يرفع عيسى بن مريم ليكون له وجود ممتد في السماء، يتقابل مع الوجود الممتد للدجال على الأرض، حتى لا ينقطع وجود عيسى.. باعتباره (جانب الخير) المقابل للدجال.. باعتباره (جانب الشر).

ولعلنا نلاحظ في الآية أن الرفع جاء قبل النجاة من الذين كفروا؛ لنفهم أن العلة الأساسية من الرفع هي بقاء عيسى حياً حتى يترل في آخر الزمان.

إن قدر الله بنجاة أنبيائه ليس مجرد إنقاذ لحياهم، ولكنه قد يظهر الله به حقائق يريد من الناس أن يفهموها ويؤمنوا بها»[2].

فالحاصل أن القرآن العظيم - على التفسير الصحيح - والسنة المتواترة عن النبي r كلاهما دال على أن عيسى حي في السماء، وأن نزوله في آخر الزمان من علامات الساعة، الذي هو حديث المبحث التالي.

---

(١) ذكره ابن كثير في كيف رفع u في تفسيره ١/٥٤٤ وقال صحيح إلى ابن عباس. و هو حديث النسائي: كتاب التفسير، سورة الصف ١/٢٩٩.

(٢) المسيح عليه السلام ، رفاعي سرور ص ٧١- ٧٢

المبحث السادس
نزول ووفاة عيسى عليه السلام في آخر الزمان

تقدم الحديث عن رفع عيسى u ، وأنه حي في السماء ببدنه وروحه.

وذكرت الأدلة على ذلك من الكتاب، والسنة، وأقوال سلف الأمة.

وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن نزول عيسى u ، وأن نزوله شرط من أشراط قيام الساعة.

وقد اختلف العلماء في نزول عيسى u على أقوال:

القول الأول: إثبات نزول عيسى u .

ذهب كثير من العلماء إلى القول بترول عيسى u ، كما ثبت عند أهل السنة والجماعة بالدليل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

ومن أدلتهم على نزوله: قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ [سورة النساء، ١٥٩]

وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾[سورة الزخرف، ٦١]

وأما نصوص السنة فهي كثيرة، وتبلغ حد التواتر في إثبات نزوله، ومنها المجملة، ومنها المفصلة لأحواله، وما سيكون منه، وفي ذلك بوب المحدثون في كتبهم باباً لترول عيسى بن مريم u .

ومن تلك الأحاديث: ما أخرجه الإمام مسلم عن حُذَيْفَةَ بن أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ(١) قال: «اطَّلَعَ النبي صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فقال ما تَذَاكَرُونَ؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فذكر الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ» (٢).

وما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ بن مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا

---

(١) حذيفة بن أسيد ويقال ابن أمية أبو سريحة الغفاري: شهد الحديبية روى عن النبي r وعن أبي بكر وعن علي وأبي ذر رضي الله عنهم مات سنة ٤٢ (تهذيب التهذيب ٢/١٩٢)

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٨/١٧٨.

من الدُّنْيَا وما فيها ثُمَّ يقول أبو هُرَيْرَةَ واقرؤوا إن شِئْتُمْ ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ (١).

وروى البخاري كذلك أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «كَيْفَ أَنْتُمْ إذا نَزَلَ ابن مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» (٢).

وعند مسلم عن ابن الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سمع أَبَا هُرَيْرَةَ يقول: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضُ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» (٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: « عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ قَالَ: نُزُولُ عيسى بن مريم مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٤).

وأما ما أُثر عن السلف: فيقول السفاريني: «ونزوله ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾[سورة النساء، ١٥٩] أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان، حتى تكون الملة(٥) واحدة ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً.

وأما السنة: ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخترير، ويضع الجزية» (٦) الحديث .

وأما الإجماع، فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه» (٧).

قال العلامة الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ التحقيق: أن الضمير في قوله: ﴿**وَإِنَّهُ**﴾ راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي **r** .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ١٦٨/٤.

(٣) صحيح مسلم: الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ٩٣/١.

(٤) صحيح ابن حبان، ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة ٢٢٨/١٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك،كتاب التفسير ٢/ ٢٧٨ وقال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي :صحيح.

(٥) الملة: هي جملة الأصول والعقائد التي بلغها كل رسول أو نبي إلى قومه. الموسوعة الميسرة١١٦٢/٢.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) لوامع الأنوار البهية للسفاريني الحنبلي ٢ / ٩٤ ـــ ٩٥.

ومعنى قوله: ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ - على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم، والسنة المتواترة — هو: أن نزول عيسى في آخر الزمان حيا علم للساعة، أي: علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها .

أما دلالة القرآن الكريم على هذا القول الصحيح، ففي قوله تعالى سورة النساء : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك صريح في أن عيسى حي وقت نزول آية النساء هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب. ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض.

فالجواب: أن يكون الضمير راجعاً إلى عيسى، يجب المصير إليه، دون القول الآخر؛ لأنه أرجح منه من أربعة أوجه - أقتصر على وجهين منها وهي-:

الأول: أنه هو ظاهر القرآن المتبادر منه، وعليه تنسجم الضمائر بعضها مع بعض.

والقول الآخر بخلاف ذلك.

وإيضاح هذا: أن الله تعالى قال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي: عيسى، ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ أي: عيسى ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾أي: عيسى﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾أي: عيسى ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: عيسى، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ أي: عيسى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. أي: عيسى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: عيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: عيسى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: يكون هو، أي: عيسى عليهم شهيداً.

فهذا السياق القرآني الذي ترى، ظاهر ظهوراً لا ينبغي العدول عنه، في أن الضمير في قوله﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، راجع إلى عيسى.

الوجه الثالث من مرجحات هذا القول الصحيح، أنه تشهد له السنة النبوية المتواترة؛ لأن النبي ﷺ قد تواترت عنه الأحاديث بأن عيسى حي الآن، وأنه سيترل في آخر الزمان حكماً مقسطاً، ولا ينكر تواتر السنة بذلك إلا مكابر» (١).

---

(١) أضواء البيان ، الشنقيطي ٧ / ١٢٨ – ١٣٠ وانظر: تفسير الطبري٤ / ١٣٣-١٣٤

ويقول السعدي عند بيانه لآية الزخرف: «وإن عيسى u ، سيترل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة، ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر»(١).

وقال الإمام النووي(٢): «قال القاضي رحمه الله تعالى: نزول عيسى u ، وقتله الدجال، حق وصحيح عند أهل السنة؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب اثباته» (٣).

وقال الطحاوي(٤): «ونؤمن بأشراط الساعة، من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم u ، من السماء»(٥).

وقال ابن تيمية: «والمسيح u وعلى سائر النبيين، لا بد أن يترل إلى الأرض، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية، مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون، لأنه يريد الترول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره» (٦).

فهذا قول الأئمة الأعلام في نزول عيسى u .

القول الثاني: ذهب بعض المسلمين إلى إنكار نزوله u .

فهم بعض المسلمين عدم نزول عيسى u في آخر الزمان، وقالوا: إن القول بتروله يعارض قول الله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[سورة الأحزاب، ٤٠] وممن قال به قديماً المعتزلة(٧) والجهمية(٨).

وفي العصر الحديث ظهر من الكتاب المسلمون من ينكر نزول عيسى بن مريم، وما يتبعه من الآيات، واعتبروها أموراً أخذها المسلمون عن أهل الكتاب، وليست من العقائد الإسلامية التي يجب الإيمان بها.

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٢١٤،٧٦٨

(٢) يحيى بن شرف بن مري الشافعي محيي الدين أبو زكريا النووي: فقيه، محدث، حافظ، لغوي، مشارك في العلوم، ولد في نوى، وقرأ فيها القران، قرأ الفقه وأصوله، والحديث وأصوله، والمنطق والنحو، وأصول الدين، له مؤلفات كثيرة (معجم المؤلفين ج٤/ص٩٨)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨ / ٧٥ .

(٤) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن الطحاوي: الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها الحنفي صاحب التصانيف سنة (٢٣٩هـــ) ومات سنة(٣٢١هـــ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٥٢٠)

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ،ابن أبي العز ١ / ٥٦٤.

(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/٣٢٩).

(٧) المعتزلة : أصحاب واصل بن عطاء .الذي اعتزل الحسن البصري، ولهم أقوال منكرة في الصفات، والقدر، ومرتكب الكبيرة من المسلمين، وغيرها من مسائل الاعتقاد، ويقوم منهجهم على أصول خمسة تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، وفرقهم عديدة .انظر الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٥٧ وما بعدها.

(٨) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم القائلون بخلق القرآن، ولهم أقوال مخالفة لأهل السنة في الصفات، والقدر، والجنة والنار، والإيمان وغيرها من العقائد الباطلة. انظر الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٩٦-٩٧.

ومن هؤلاء العلماء: محمد رشيد رضا، في (تفسير المنار) حيث يرى ما ينقله عن شيخه محمد عبده فيما يراه من تخريج لحديث من أحاديث نزول عيسى بن مريم، وقتله للمسيح الدجال، فيقول : «إن هناك تخريجين لهذا الحديث:

١- أولهما: أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا القطعي؛ لأن المطلوب فيها اليقين، وليس في الباب حديث متواتر.

٢- ثانيهما أن الدجال ليس إلا رمزاً للخرافات والدجل، وقد وجد ذلك، وسيوجد عدة مرات، وهو يزول بشريعة الإسلام الغراء، وبالقرآن، والحديث، وجهود العلماء والمفكرين، وعلى هذا فلا وجود لما يسمى المسيح الدجال، وهو الرأي الذي يرتضيه أكثر العلماء» [١].

وقد ذهب أحمد شلبي إلى ما ذهب إليه كل من محمد عبده، ومحمد رشيد رضا في نفس المصدر المذكور أعلاه.

وأما المراغي، فقد قال بقول محمد عبده، وفي ذلك يقول: «ولم يقل علماء المسلمين بهذا القول إلا في القرون المتأخرة، بدليل أن الروايات روايات آحاد ولا يعتد بها في الأمور الاعتقادية»[٢].

وأيضاً ممن قال بهذه الأقوال، ونافح من أجل الانتصار لها: مصطفي بوهندي[٣].

في كتابه (التأثير المسيحي في القرآن) حيث تناول مسألتي الرفع والنزول، وما يتبع ذلك، بالعرض والنقد لما قاله أصحاب كتب التفسير، والحديث، وغيرهم.

وذكر بأن هذه المعتقدات قد تسربت إلى المسلمين من أهل الكتاب، سواء من عصر الصحابة فما بعدهم، وأنهم تعسفوا في تفسير آيات القرآن، على ضوء ما عند أهل الكتاب، ثم قُرأ القرآن بعد ذلك من منظور مسيحي، إلى غير تلك الأفكار التي ملأ بها رسالته في كل مباحثه لمسائل الاعتقاد في رفع عيسى، ونزوله، وما سيقوم به من أعمال، فضلاً عن باقي ما قاله في جميع أشراط الساعة.

حيث يقول: «ويحق لنا أن نطرح هذا السؤال: لماذا لم يذكر القرآن - وهو أساس عقائد الإسلام وشرائعه - شيئاً عن المسيح المنتظر وانتظاره؟ وكيف يحدثنا عن قصة المسيح بتفاصيلها الدقيقة ولا يشير إلى عودته، بل نفهم من قصته أنه لن يعود قبل يوم القيامة؟!.

وكيف لا يحدثنا عن شريعته التي لا يجوز أن نفاجأ بها، حيث تبدل شريعتنا بشريعة لا قتال فيها..- إلى غير تلك الاعتراضات التي اعترضها على ما سيقوم به من أعمال عند نزوله -.

---

(١) تفسير المنار ٣/ ٣١٧-٣١٨ نقلاً من المسيحية ، شلبي ٦١-٦٢ عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، يونس توري ص ٢٦٢- ٢٦٣ وانظر العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل حسن الباش ١/ ١٨١.

(٢) تفسير المراغي ٣ / ١٩٦-١٧٠ نقلاً من عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، يونس توري ص٢٦٣.

(٣) مصطفي بوهندي : باحث في مقارنة الأديان وكتب رسالة (دكتوراه) بهذا الشأن بعنوان العقائد النصرانية وعلم التفسير الإسلامي) وطبعت بعنوان (التأثير المسيحي في تفسير القرآن).

ثم يقول في رده على الروايات والأحاديث : والحقيقة أن هذه الروايات مشبعة بالمفاهيم الكتابية، التي سبق أن أشرنا إليها عن المسيح المنتظر، وهو مايكشف عن مصدريتها اليهودية والمسيحية المخالفة لدين الإسلام»[١].

القول الثالث: من قال بالتوقف:

ومنهم من رأى التوقف في هذه المسائل، وأنها ليست من العقائد التي يوجد فيها نص صحيح. [٢]

والراجح هو: القول بنزول عيسى u ، قبل يوم القيامة؛ للأدلة السابقة الثابتة من الكتاب والسنة.

أما الرد على الأقوال التي تنكر نزول عيسى u قبل يوم القيامة، ومايتبعه من أعمال، فسأكتفي بالرد الإجمالي من أقوال علماء الإسلام.

وفي ذلك قال الإمام النووي في معرض نقله لقول القاضي عياض: «وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية، ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى ﴿ **وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾وبقوله r (لا نبي بعدي)[٣] وبإجماع المسلمين، أنه لا نبي بعد نبينا r ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة، لاتنسخ، وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسى u أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا، وما سبق في كتاب الإيمان وغيره، أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس»[٤].

وقال الشيخ الفوزان[٥]- وهو يرد على كتاب العصر الحديث بعد أن نقل كلام القاضي عياض السابق - مانصه: «أقول: وفي عصرنا هذا ينكر بعض الكتاب الجهال، وأنصاف العلماء، نزول عيسى u ، اعتماداً على عقولهم وأفكارهم، ويطعنون في الأحاديث الصحيحة، أو يؤولونها بتأويلات باطلة، والواجب على المسلم التصديق بما أخبر به النبي r ، وصح عنه اعتقاده؛ لأن ذلك من الإيمان بالغيب الذي أطلع الله رسوله عليه.

---

(١) د/ مصطفي بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤).ص ١٩٠-١٩١.

(٢) وقد ذكرت قوله في الرفع وأنه يلحق به النزول محاضرات في النصرانية ،محمد أبو زهرة ،ص ٢٤ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨ /٧٥-٧٦.

(٥) صالح بن فوزان الفوزان: علامة وله مؤلفات عدة ولد عام (١٣٥٤هـ) عضوفي هيئة كبار العلما في السعودية والمجمع الفقهي (مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء١/٥).

وقال العلامة السفاريني رحمه الله: «ويكون مقرراً لشريعة نبينا محمد r ؛ لأنه رسول لهذه الأمة كما أمر، ويكون قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى، وهو في السماء قبل أن يترل»[1].

أما احتجاجهم بأن تلك الأحاديث أحاديث آحاد، ولا يؤخذ بها في تقرير العقيدة، فقولهم هذا مردود لأنه مخالف لقول جمهور العلماء المسلمين.

قال ابن تيمية: ولهذا كان جمهور أهل العلم، من جميع الطوائف على أن (خبر الواحد) إذا تلقته الأمة بالقبول، تصديقا له، أو عملا به، أنه يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون من أصحاب[الفقهاء الأربعة][2] إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام[3]، أنكروا ذلك، ولكن كثيرا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء، وأهل الحديث والسلف على ذلك[4].

ومع ذلك فأحاديث الترول من المتواتر، كما قال بذلك جمع من العلماء والمحدثين. يقول ابن كثير: «وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله r أنه أخبر بترول عيسى u قبل يوم القيامة إماما عادلا، وحكما مقسطا»[5].

وبهذا يتبين القول الراجح في شأن عيسى u ، وأن نزوله حق، وهو من أشراط الساعة، وأن ما سيقوم به من أعمال - بعد نزوله، وإلى وفاته - حق يجب الإيمان بها، واعتقادها، واعتقاد صدق من أخبر بها، ومن بلغها إلى الأمة من الصحابة، ومن بعدهم جيلاً فجيلاً.

ما يقوم به من أعمال بعد نزوله في آخر الزمان:

فمن تلك الأعمال ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال: «عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قال قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم والله لَيَنْزِلَنَّ بن مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فلا يُسْعَى عليها، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إلى الْمَالِ فلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»[6].

---

(١) د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد،(مكتبة الهداية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م). ص١٩١.

(٢) المقصود بهم الإمام مالك، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والشافعي.

(٣) علم الكلام:علم يبحث في أحوال الواجب (الله) وأحوال الممكن (ما سوى الله) من حيث المبدأ والمعاد وإثبات العقائد الدينية بالحجج ودفع الشبه. الموسوعة الميسرة٢/١١٠٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٣ /٣٥١.

(٥) تفسير ابن كثير ٤ / ٣١٣ – ١٣٤.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ١/ ٩٤.

وورد في الأحاديث الصحيحه أنه عندما ينزل، يصلي خلف المهدي[١] كما جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قال فَيَنْزِلُ عِيسَى بن مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم فيقول أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لنا فيقول لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذه الْأُمَّةَ» [٢].

وفي الحديث الآخر من طريق أبي هريرة يقول : «قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ أَنْتُمْ إذا نَزَلَ بن مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ»[٣].

ثم يتوجه بعد ذلك عيسى ابن مريم، والإمام المهدي، والمسلمون معه لقتل المسيح الدجال.

قتله المسيح الدجال:

المراد بالمسيح الدجال هو الكذاب. جاء في لسان العرب: و دجل الرجل وسرج، وهو دجال : كذب،و الداجل: المموه الكذاب، وبه سمي الدجال. و الدجال: هو المسيح الكذاب، ثم يقول: «المسيح الدجال: رجل من يهود، يخرج في آخر هذه الأمة، سمي بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل، وقيل: بل لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه، وقيل: لأنه يغطي على الناس بكفره، وقيل: لأنه يدعي الربوبية، سمي بذلك لكذبه، وكل هذه المعاني متقارب. قال ابن خالويه: ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمرو قال: و الدجال المموه.

قال أبو العباس: سمي الدجال دجالا لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها»[٤].

والمسيح الدجال أعظم فتنة تكون في آخر الزمان، يبتلي الله به.

فعندما ينزل عيسى بن مريم u ، فإن أول مهامه التي يقوم بها وأعظمها، أنه يقتل المسيح الدجال.

جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال: «أن رسول الله r ، قال يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة[٥] حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام[٦] وهنالك يهلك»[٧].

---

(١) المهدي المنتظر: هو محمد أو أحمد بن عبد الله من ذرية فاطمة بنت رسول الله r من ولد الحسن بن علي t ، يخرج من قبل المشرق لا من سرداب سامراء كما يقول الرافضة، يملك سبع سنين، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكثر في زمانه الخيرات، وأحاديث خروجه متواترة (أشراط الساعة، يوسف الوابل، ٢٤٩- ٢٧٠)

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ١/ ٩٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ١/٩٤.

(٤) لسان العرب ١١ /٢٣٦ -٢٣٧ ، وانظر: القاموس المحيط ١/ ١٢٨٩،انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٣ /٩١.

(٥) المدينة : وهي مدينة الرسول r وكان اسمها يثرب. معجم البلدان ٥ / ٨٢.

(٦) بلاد الشام:حدها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم. معجم البلدان ٣/ ٣١٢.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الحج - باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ٤/١٢٠.

فهلاكه يكون بالشام.

أما أن عيسى u هو من يقتل المسيح الدجال، فقد تكاثرت الأحاديث في ذلك، منها المجمل ومنها المفصل: جاء في حديث مسلم الطويل عن النواس بن سمعان[1] في ذكر الرسول صلى الله عليه وسم الدجال وفيه: «فَبَيْنَمَا هو كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله الْمَسِيحَ بن مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بين مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ على أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وإذا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ[2] كَاللُّؤْلُؤِ فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حتى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ[3]فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بن مَرْيَمَ قَوْمٌ قد عَصَمَهُمْ الله منه فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ في الْجَنَّةِ» [4].

والمسيح الدجال حقيقة، وليس كما زعم بعض الكتاب، أنه رمز للخرافات والدجل، ولقد ورد ذكره في الأحاديث الصحاح، وغيرها كما سبق، ويكفي نقل مايقوله ابن كثير عنه، إذ يقول:« فأما أحاديث ذكر الدجال فقط، فكثيرة جدا، وهي أكثر من أن تحصى؛ لانتشارها، وكثرة رواياتها، في الصحاح، والحسان[5]، والمسانيد[6] وغير ذلك»[7].

يقول ابن تيمية في هذا: «وثبت أيضا في الصحيح عن النبي r ، أنه قال:« يترل عيسى بن مريم من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ويقتل مسيح الهدى عيسى بن مريم مسيح الضلالة الأعور الدجال على بضع عشرة خطوة من باب لد»[8].

يقول عمر الأشقر[9]: «وأول عمل يقوم به عيسى هو مواجهة الدجال، فبعد نزول عيسى يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصرا عصابة المسلمين، فيأمرهم عيسى بفتح الباب، ففي سنن ابن ماجه وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا انْصَرَفَ قال عِيسَى عليه السَّلَام افْتَحُوا الْبَابَ فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ معه سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ

---

(١) النواس بن سمعان الأنصاري: صحابي روى عن الرسول r سكن الشام. (تهذيب التهذيب ١٠/٤٢٨)

(٢) الجمان هو اللؤلؤ الصغار . وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ .النهاية في غريب الأثر ١/١٨٦.

(٣) لد: بالضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها. معجم البلدان ٥/١٥.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر الدجال ٨/١٩٦.

(٥) الحسان: جمع حسن وهو الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة. تيسير مصطلح الحديث، الطحان،ص٤٦.

(٦) المسانيد: جمع مسند وهو كل كتاب جمع فيه مرويات كل صحابي على حده. تيسير مصطلح الحديث، الطحان،ص١٧.

(٧) تفسير ابن كثير ١ / ٥٨٣ .

(٨) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢/ ٣١، وانظر: ٥/ ٢٥٣ومجموع الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها ما سبق تخريجه وما سيأتي.

(٩) عمر سليمان عبد الله الأشقر: ولد في نابلس –فلسطين عام (١٩٤٠م) أحد علماء الدين والسنة، له عدة مؤلفات منها سلسلة العقيدة. (موقع الموسوعة الحرة).

كلهم ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ[1]فإذا نَظَرَ إليه الدَّجَّالُ ذَابَ كما يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عليه السَّلَام إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ فلا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إلا أَنْطَقَ اللهُ ذلك الشَّيْءَ لَا حَجَرَ ولا شَجَرَ ولا حَائِطَ ولا دَابَّةَ إلا الْغَرْقَدَةَ فإنها من شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ إلا قال يا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هذا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ» [2].

وبهذا تبين لنا - بالدليل الصحيح - وجود الدجال، وخوفه، وهروبه من عيسى ابن مريم r، ثم قتله له في أرض فلسطين عند باب لد الشرقي.

قتال عيسى عليه السلام لليهود:

وإنما يقتل عيسى بن مريم المسيح الدجال وأتباعه من اليهود معه، فيهزم الله اليهود كما في حديث نزول عيسى بن مريم، وفيه: «فيقتتل الدجال ويهزم أصحابه، حتى أن الشجر والحجر والمدر[3] يقول يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»[4].

جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عليهم حتى يَقُولَ الْحَجَرُ يا مُسْلِمُ هذا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[5].

وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حتى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ من وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فيقول الْحَجَرُ أو الشَّجَرُ يا مُسْلِمُ يا عَبْدَ اللَّهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إلا الْغَرْقَدَ فإنه من شَجَرِ الْيَهُودِ»[6].

ومن غفلة اليهود أنهم ينتظرون مسيحاً يخلصهم ويسودون على الناس، ثم يتبعون المسيح الدجال الذي يكون معه هلاكهم على أيدي المسلمين، كما في الحديث السابق.

---

(١) ساج: وهو الطيلسان الأخضر وقيل هو الطيلسان المقور ينسج كذلك كأن القلانس كانت تعمل منها. النهاية في غريب الأثر ٢/٤٣٢.

(٢) الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: د/ بشار عواد معروف (دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) وكذلك بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار الريان للتراث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم ٢/ ١٣٦١- ١٣٦٢ وأورده الألباني في ضعيف ابن ماجة ص ٣٣١، د/ عمر سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، (دار النفائس، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ- ٩٩٧م) ص٢٦٣.

(٣) بالمدر وهو الطين المتماسك. النهاية في غريب الأثر ٤/ ٣٠٩.

(٤) هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه المستدرك على الصحيحين ٤/ ٨٦١٢. قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

وقد أورده الألباني حديث قتل عيسى u للدجال واليهود معه وأن الحجر والشجر ينطق في صحيح الجامع ٦/٢٧٥ نقلاً من القيامة الصغرى، عمر الأشقر ص ٢٤٩.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت ٨/١٨٨.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت ٨/١٨٨.

ويقول ابن تيمية في حديثه عن اليهود وانتظارهم للمسيح الذي يخلصهم: «وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال، فإنه الذي يتبعه اليهود ويخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان[(١)]، ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي r »[(٢)].

وبعد قتاله لليهود وقتله لهم هو ومن معه من المسلمين، يكون هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه u .

قال تعالى:﴿ **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ [سورة الأنبياء، ٩٦-٩٧]

فهم يعيثون في الأرض فسادا حين يخرجون بعد أن يقتل عيسى بن مريم المسيح الدجال جاء في حديث مسلم عن النواس بن سمعان وفيه: «فَبَيْنَمَا هو كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى الله إلى عِيسَى إني قد أَخْرَجْتُ عِبَادًا لي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ وَيَبْعَثُ الله يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ من كل حَدَبٍ يَنْسلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ على بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ[(٣)] فَيَشْرَبُونَ ما فيها وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لقد كان بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حتى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا من مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ الله عليهم النَّغَفَ[(٤)] في رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فرسى[(٥)] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأرض فلا يَجِدُونَ في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى اللَّهِ فَيُرْسِلُ الله طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[(٦)] فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لَا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ[(٧)] فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حتى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[(٨)]»[(٩)].

وقد ورد في أمرهم أحاديث كثير اكتفيت بذكر الحديث السابق.

---

(١) أصبهان: كانت مدينة أصبهان بموضع معروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان. لما سار بخت نصر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان فبنوا لهم في طرف مدينة جي محلة ونزلوها وسميت اليهودية ثم خربت جي وما بقي منها إلا القليل وعمرت اليهودية مدينة أصبهان معجم البلدان ١ / ٢٠٦-٢١٠.

(٢) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢/ ٢٩- ٣١ وانظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٣٣٧.

(٣) بحيرة طبرية : بين غور الأردن وبيت المقدس. معجم البلدان ١/ ٢٠٦.

(٤) النغف: دود تكون في أنوف الإبل والغنم. الفائق ٤/٨ .

(٥) فرسى : جمع فريس وهو القتيل. الفائق ٤/٨.

(٦) البخت: الجمال. النهاية في غريب الأثر١/١٠١.

(٧) الوبر والمدر: أي أهل البوادي والمدن والقرى. النهاية في غريب الأثر ٥/١٤٤.

(٨) الزلفة : المرآة الفائق ٤/٨.

(٩) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر الدجال ٨/١٩٦.

يقول شارح الطحاوية: «وأحاديث الدجال وعيسى بن مريم u ، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم» [١].

وبعودته بالناس إلى دين الله الصحيح فإنه يقوم بمهام أخرى، إما منعاً، أو فعلاً لتكون كل المعالم توحي بالعودة للشريعة المرضية عند الله. فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحج ويعتمر وغير ذلك.

يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية:

ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ r :«والله لَيَنْزِلَنَّ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ.... الحديث»[٢].

فعندما ينزل عيسى u ، فإنه يكسر صليب النصارى الذي يعظمونه، ويدعون أنه صلب عليه تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا.

يقول ابن حجر حول معنى هذا الحديث: «ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد على ملته قوله: (فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير) أي يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه»[٣].

وكذلك يقتل عيسى u ، الخنزير، لاستحلال النصارى له، مع تحريمه عليهم، فيكذبهم في تبديل شرعه، ويشير إلى ذلك بقتله للخنزير الذي استحلوه بعد رفعه.

يقول ابن حجر: «ويقتل الخنزير أي: يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى، ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته»[٤].

وكذلك يضع عيسى عليه السلام الجزية، والتي تؤخذ من اليهود والنصارى عند بقائهم في ديار المسلمين مع بقائهم على كفرهم.

قال ابن حجر: «قال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية- مع أنها مشروعة في هذه الشريعة - أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى؛ لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية، بل نبينا r هو المبين للنسخ بقوله هذا»[٥].

وبهذا يقضي عيسى u بأمر الله على عناصر الشر، وتتغير كثير من الأحوال منها إيمان الناس أجمعين، وتصبح الملة واحدة وهي ملة الإسلام.

---

(١) شرح العقيده الطحاويه ،ابن أبي العز١/ ٥٦٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ١/ ٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٤١٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٤/ ٤١٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦ /٤٩١ – ٤٩٢، وانظر تحفة الأحوذي ٦ /٤٠٦ ، وانظر المسيح عليه السلام، رفاعي سرور، ص٨٩.

إيمان الناس واجتماعهم على ملة الإسلام وتكون الملة الواحدة:

وعد الله سبحانه وتعالى بإتمام الدين الحق دين الإسلام، وإظهاره على كل الأديان، حتى لا يبقى في الأرض إلا من يدين به، ويعمل في ضوء حكمه وشريعته قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة التوبة، ٣٣، سورة الصف، ٨]

قال العلماء: إن زمن إظهار دين الإسلام على جميع الأديان، إنما يكون ذلك بعد نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان.

قال ابن جرير: «ليظهره على الدين كله يقول ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه، وذلك كان كذلك حين يترل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، فحينئذ تبطل الأديان كلها غير دين الله الذي بعث به محمدا r ، ويظهر الإسلام على الأديان كلها»[١].

وابن تيمية يؤكد هذا المعنى في أكثر من موضع. قال في الجواب الصحيح :« إنه يترل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخترير، ولا يبقى دين إلا دين الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب اليهود والنصارى» [٢].

ومع أنه يوحد الناس على دين الإسلام بعد أن يكسر الصليب، ويضع الجزية، فهو في ذلك كله إنما يحكم بشريعة الإسلام شريعة محمد r .

الحكم بالشريعة المحمدية:

عندما يترل عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان فإنه سيكون حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً يحكم بين الناس بشريعة الله شريعة دين الإسلام، الذي بعث به محمد r .

وقد تكاثرت الأحاديث المروية عن الرسول r ، في الصحاح وغيرها، والتي تبين بروايات متعددة أنه يترل إماما حاكماً بشريعة الإسلام.

من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إذا نَزَلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ ثم فسرها راوي الحديث فقال: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ r »[٣].

وقد أجمع عدول هذه الأمة من الصحابة فمن بعدهم على نزوله حاكماً بالشريعة المحمدية. يقول الإمام السفاريني في ذلك: «وقد انعقد إجماع الأمة على أنه يترل ويحكم بهذه، وليس يترل بشريعة

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ /١٠٩ وانظر تفسير القرطبي ٨ /١٢١- ١٢٢.

(٢) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢ /٣٣٦ وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٦ /٤١٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى بن مريم ٩٣/١.

مستقلة عند نزوله من السماء، وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي. وتقدم أن عيسى u يصلي وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته»[١].

وليس معنى أنه يترل ويحكم بالشريعة أن ذلك نسخاً لأن تكون نبوة محمد r، هي الرسالة الخاتمة كما قال تعالى عنه ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ كما أنكر ذلك بعض الناس[٢].

ولا يمنع أنه هو الإمام العدل ومن يحكم بين الناس بالشريعة وجود المهدي وصلاته خلفه كما ورد في الأحاديث الصحيحة [٣].

وفي سبب عدم تقدم المسيح عيسى بن مريم للصلاة يقول عمر الأشقر: «والسبب في عدم تقدم عيسى بن مريم للإمامة هو الدلالة على أنه جاء تابعاً لهذا النبي صلى الله عليه وسلم، حاكما بالقرآن لا بالإنجيل، فإن شريعة القرآن ناسخة للشرائع قبلها، وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد r، ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء»[٤] [٥].

يحج أو يعتمر أو كلاهما:

ورد في الحديث الصحيح أن عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض أنه يحج أو يعتمر أو يثنيهما.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء[٦]حاجا أو معتمرا أو ليثنيهما»[٧].

تغير بعض الأحوال المصاحبة له:

وفي آخر الزمان بعد نزول عيسى u تتغير بعض الأمور عن ما كانت عليه قبل نزوله.

فيكون فيه من البركات والخير العظيم، ما جاءت الأحاديث الصحيحة وغيرها بوصفه، حتى لكأنه رأي عين، من ظهور الأمنة في الأرض على غير ما كانت عليه في جميع العصور والأزمان، كأن ترتع الذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات.

---

(١) لوامع الأنوار البهية ،السفاريني ٢ / ٩٤ - ٩٥ وانظر :معارج القبول ،حافظ الحكمي ٣ /١٠٩٩.

(٢) انظر:شرح النووي على صحيح مسلم١٨/٧٥-٧٦وانظر: فيض القدير، المناوي ٦/٤٦٤ وشرح كتاب التوحيد، آل الشيخ ١/٣٣٠ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، عبد المجيد حلبي، ص٧٥٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) كما ورد في سورة آل عمران ٨١.

(٥) القيامة الصغرى ،د/ عمر سليمان الأشقر ص٢٦٢. وانظر تحفة الأحوذي، المناوي ٥ /٤٦٥.

(٦) فج الروحاء: بين مكة والمدينة .معجم البلدان ٤/٢٣٦.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الحج - باب إهلال النبي r وهديه ٤/ ٦٠.

وتكثر النعم، ويفيض المال، وتذهب البغضاء، والتشاحن، والتحاسد بين الناس، وغيرها مما سأذكره من النصوص الواردة في ذلك.

ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة السابق أَنَّهُ قال : قال رسول r «والله لَيَنْزِلَنَّ بن مَرْيَمَ وفيه... وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ[1] فلا يُسْعَى عليها وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إلى الْمَالِ فلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»[2].

وفي المستدرك عند الحاكم: «وَيُلْقِي اللَّهُ الأَمَنَةَ حَتَّى يَرْعَى الأَسَدُ مَعَ الإِبِلِ وَالنَّمِرُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ مَعَ الْحَيَّاتِ لا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[3].

وعند مسلم في حديث النزول الطويل وفيه: « ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ من الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ حتى أَنَّ اللِّقْحَةَ[4]من الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[5] من الناس وَاللِّقْحَةَ من الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ من الناس وَاللِّقْحَةَ من الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ[6]من الناس فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كل مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ الناس يَتَهَارَجُونَ[7]فيها تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» [8].

وسبب استفاضة المال، وذهاب التحاسد، والتشاحن، أن العدل قائم، فيأخذ كل ذي حق حقه، وبذلك تنتفي العداوة والبغضاء من قلوب الناس.

(ولا تشاح) بين الناس (ولا تحاسد ولا تباغض) مقصود الحديث، أن النقص في الأموال والثمرات، ووقوع التحاسد، والتباغض،إنما هو من شؤم الذنوب، فإذا طهرت الأرض أخرجت بركتها، وعادت كما كانت، حتى إن العصابة ليأكلون الرمانة، ويستظلون بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير، فالأرض إذا طهرت، ظهر فيها آثار البركة التي محقتها الذنوب ذكره ابن القيم [9].

---

(١) القلاص :الجمال.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم ٩٤/١.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم r ٦٥١/٢. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي :صحيح.

(٤) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالنتاج والجمع لقح .النهاية في غريب الأثر ٢٦٢/٤.

(٥) الفئام: الجماعة الكثيرة . النهاية في غريب الأثر٤٠٦/٣.

(٦) فخذ:هم أقرب العشيرة اليه. النهاية في غريب الأثر ٤١٨/٣.

(٧) يتهارجون: الهرج بين يدي الساعة أي قتال واختلاط وأصل الهرج الكثرة في الشيء والاتساع. النهاية في غريب الأثر ٢٥٦/٥.

(٨) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر الدجال ١٩٦/٨.

(٩) ابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ، دار الكتب العلمية - بيروت. ص٤٣.

الحكمة من نزوله:

ذكر العلماء من السلف أو الخلف على حد سواء حكماً من نزول عيسى u أوجزها فيما يلي:

١- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه وصلبوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم.

٢- لتكذيب النصارى وإظهار زيفهم في دعواهم الأباطيل وقتله إياهم .

٣- نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

٤- لأنه دعا الله تعالى لما رأى صفة محمد r ، وأمته أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حياً حتى يترل في آخر الزمان، ويجدد أمر الإسلام.

٥- أن خصوصيته بالأمور المذكورة، لقوله r : (أنا أولى الناس بابن مريم ليس بيني وبينه نبي)[١]، وهو أقرب إليه من غيره في الزمان، وهو أولى بذلك.

٦- ليتبين للناس أن البشر لا يكون إلها، فيقتل من ادعى فيه أنه الله، وهو بريء مما ادعى فيه، ولمن ادعى في نفسه أنه الله وهو دجال كذاب[٢].

هذا هو الصحيح في عقيدة أهل السنة والجماعة في نزول عيسى بن مريم u ، بالنصوص والأدلة الواضحة، وأقوال سلف هذه الأمة، من القرون المفضلة، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وما سيكون من أحواله، وأعماله من حين نزوله، وإلى مدة بقائه،ثم وفاته، وقبره u .

قال تعالى:﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾[سورة الرحمن، ٢٦-٢٧]

ومابين نزوله إلى وفاته هي مدة إقامته. وقد اختلف في مدة بقائه بعد نزوله وإلى وفاته على أقوال متعددة تبعاً لاختلاف الروايات في ذلك.

أورد ابن حجر في (الفتح) الروايات التي قيل فيها إنما يمكث سبع سنين، والتي قيل فيها يمكث أربعين سنة، قال ابن حجر: وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين، وعن أبي هريرة يقيم بها أربعين سنة، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة مثله مرفوعا[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٤٩٢ عمدة القاري، العيني ٣٩/١٦ فيض القدير ٤٦٥/٦ الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢/ ٣٢. يوسف عبدالله يوسف الوابل ،اشراط الساعة ،(دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة والعشرون، محرم ١٤٢٧هـ). ص٣٥٥-٣٥٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦ /٤٩٣ والحديث في صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب خروج الدجال ٢٠١/٨، سنن أبي داود: أول كتاب الملاحم - باب خروج الدجال ٣٢٣/٤.

ويقول ابن عثيمين[1] «وقد أجمع المسلمون على نزوله، فيترل عند المنارة البيضاء في شرق دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين... إلى أن يقول.

وروى الإمام أحمد وأبو داود «أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[2].

وذكر العلماء أنه بعد موته يصلي عليه المسلمون ويدفن مع النبي محمد r ، في حجرته.

وفي هذا يقول ابن عثيمين: «وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي r فالله أعلم»[3].

وعلى هذا فيحتمل أن يكون مدة بقائه أربعين سنة، وقد يكون غير ذلك فالله تعالى أعلم. وبوفاة عيسى u ودفنه ينتهي أمر عيسى في الأرض.

أما ما يعتقده الناس فيه u ، سواء أهل الإسلام الذين يعتقدون ثبوت رفعه بالكتاب والسنة، ونزوله بهما كذلك، وما يقوم به من أعمال.

أم من أهل الكتاب الذين فرطوا فيه ونسبوا إليه سيء الأقوال وهم اليهود، أم من الذين أفرطوا فيه حتى جعلوه لله ندا وهم النصارى، فهو ما سيكون في المبحث التالي.

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين التميمي: ولد في عنيزة عام(١٣٤٧هـــ)، من عائلة معروفة بالدين والاستقامة، قرأ القران على جده وحفظه، اتجه إلى طلب العلم تتلمذ على الشيخ السعدي وابن باز، عًرف بالذكاء والهمة العالية،له مؤلفات كثيرة. عين مدرسا في معهد عنيزة العلمي وفي كليتي الشريعة وأصول الدين (مقدمة مجموع الفتاوي ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٩).

(٢) حديث صحيح: رواه أحمد (٩٢٥٩) وأبو داود (٤٣٢٤) وابن حبان (٣٨٨/٨) والحاكم (٥٩٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي. وابن أبي شيبة (١٥٨/١٥) وابن جرير (٣٨٨/٩) من حديث أبي هريرة» رضي الله عنه، نقلاً من محمد بن صالح العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (مكتبة طبرية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م) ص١٠٦- ١٠٧ ورواه الحاكم في المستدرك «فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » في ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم r ٦٥١/٢. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح.

(٣) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح العثيمين ص١٠٦-١٠٧. [انظر: الهامش]، وانظر:تفسير ابن كثير٥٨٥/١، وانظر: و لوامع الأنوار البهية، السفاريني ٢ / ٩٨ -٩٩.

المبحث السابع
براءة عيسى عليه السلام من معتقدات النصارى

انحرف النصارى في عيسى u ، وفي الشريعة التي جاء بها بعد رفعه u ، بما يخالف ما أمرهم به، سواء ما كان منها في العقيدة أم في تبديل الشريعة.

فجاء القرآن الكريم والسنة النبوية ببراءة عيسى u من كل ضلالاتهم فيه.

وقد تجلت في آيات سورة المائدة براءته u من معتقداتهم الضالة، وبين بنفسه ما دعاهم إليه في تلك المساءلة التي ستكون بين عيسى u وبين ربه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [سورة المائدة ١١٦- ١١٩]

«وقد جاء الخطاب بصيغة الماضي مع أنه سيكون يوم القيامة بحضرة من اتخذ عيسى وأمه إلهين من دون الله، ليدل على الوقوع والثبوت» [(١)].

وفي هذه الآيات يظهر بجلاء ما بلغ عيسى قومه وأنه بريء من كل ما زعموه بعده، مما يخالف الدين الذي أرسله الله به.

ويظهر ذلك بعدة مؤكدات في الآيات بعد السؤال الموجه إليه بقوله: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾.؟!

وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع لهم على رءوس الأشهاد يوم القيامة.

لأنهم سوف يسمعون الجواب الحق من عيسى u أمام الملأ.

---

(١) عمر أحمد عمر، رسالة الأنبياء من شعيب إلى عيسى، (دار الحكمة، سورية - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ) ٣٢٩/٢.

وهذا هو الرأي الراجح والله أعلم، من أن هذه المساءلة ستكون يوم القيامة وليس في الدنيا يوم رفع إلى السماء، كما رجحه ابن جرير الطبري فيما يرويه عن السدي[١] [٢].

يقول ابن كثير: «إن ذلك كائن يوم القيامة، ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم، وتوبيخهم، على رءوس الأشهاد يوم القيامة» [٣].

وكان جواب عيسى في منتهى الدقة والتوفيق، وإلقاء الحجة عليهم بالعبودية لله، وأمرهم بعبادته، والتبرء منهم ومما اعتقدوه، وابتدأه بتتريه الله تعالى من أن يعتقد فيه وفي توحيده مثل هذا القول الشنيع، أو أن يأمرهم به، ثم ختم جوابه بتفويض أمرهم إلى الله، ورد المشيئة إليه سبحانه فيهم.

قال تعالى فيما سيكون من عيسى من جواب: ﴿ **قَالَ سُبْحَانَكَ** ﴾ وهذا في غاية الأدب مع الله، وفيه توفيق للجواب الكامل بعده، أن ابتدأ قوله بتسبيحه لله، وتتريهه من كل مالا يليق به.

﴿ **مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** ﴾ فليس من حقي أن أدعي استحقاقي لمقام الإلهية، أو أن أقول شيئا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، وإنما جميع الخلق عباد مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون. ثم قال: ﴿ **إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** ﴾ فإن كان صدرت مني هذه المقولة الشنيعة فقد علمتها لا محالة لأنك: ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ وعلمك بما تضمره نفسي - فضلا عما تصدره جوارحي - يدلك على براءتي من هذا القول، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي، فلو كنت قد قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله"، كنت قد علمته، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به، فكيف بما قد نطقت به، ثم أكد هذا التوحيد والاعتراف بأنك أنت وحدك تعلم الغيب فكأنه عندك علانية فقال: ﴿ **نَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ وهذا من كمال أدب المسيح u ، في خطابه لربه. فلم يقل u : (لم أقل شيئا من ذلك) وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تتريه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة. ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل بكمال الخضوع والذل بين يدي الله فقال: ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ** ﴾ وهذا استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه u ، فقد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه، على أبلغ وجه وآكده، حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور، وفيه حسن الأدب؛ لئلا يجعل ربه - سبحانه - ونفسه معا آمرين به.

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي القرشي (أبو محمد): مفسر، سكن الكوفة، توفي عام ١٢٧ هـــ، من آثاره : التفسير(معجم المؤلفين١/٣٦٨).

(٢) انظر : تفسير ابن جرير الطبري ٤/ ٣١٢١- ٣١٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٢ /١٢١.

فكأنه يقول لم أزد في تبليغ الرسالة إليهم عن ما أمرتني به، و لم أتجاوز الحد في ذلك وأبالغ كما صدر منهم بعد أن رفعتني إليك، بل أمرتهم بالتوحيد الخالص، وأنك ربي وربهم، فقلت لهم: ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** ﴾كما قال الله على لسان عيسى بن مريم في سورة آل عمران﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [سورة آل عمران٥٠- ٥١]

وهذا تصريح منه، ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿ **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ** ﴾ وكانت معرفتي بهم ومراقبة أحوالهم يوم أن كنت بينهم وفيهم، وأشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم بت، لكن بعد أن رفعتني إليك انقطع أمري فيهم، وبقيت رقابتك أنت وحدك عليهم، فقال مخاطباً ربه: ﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ المطلع على سرائرهم، وضمائرهم، وأعمالهم، وأحوالهم.

ثم رد أمرهم إلى الله، وما يستحقونه من جزاء فقال له: ﴿ **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ .

فعلى رؤوس الأشهاد ينقطع أمرهم، وتبطل مزاعمهم، وتظهر فضيحتهم، وكذبهم أمام الخلائق أجمع، فيقول الله تعالى: ﴿ **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[١].

وفي الحديث عند الترمذي[٢]: عن أبي هريرة قال: «يلقى عيسى حجته فلقاه الله في قوله﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلقاه الله ﴿ **قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ [سورة المائدة، ١١٦]»[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٤/ ٣١٢١- ٣١٢٤ تفسير ابن كثير ٢ /١٢١-١٢٣، تفسير السعدي ١ /٢٤٩-٢٥٠تفسير الألوسي ٧ /٦٤-٦٨.

(٢) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي: الحافظ العالم الإمام البارع ولد حدود سنة(٢١٠هـــ) قال عنه ابن حبان في الثقات: (كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحقق وذاكر) مات(٢٧٩هـــ) (تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٥٢٤).

(٣) جامع الترمذي: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ومن سورة المائدة ١٤٩/٥. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

ويقول ابن جرير الطبري عند بيانه لآية آل عمران ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [سورة آل عمران ٥٠- ٥١]: «وهذه الآية وإن كان ظاهرها خبرا، ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله محمد r على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران، بإخبار الله عز وجل عن أن عيسى كان بريئا مما نسبه إليه من نسبه إلى غير الذي وصف به نفسه، من أنه لله عبد كسائر عبيده من أهل الأرض، إلا ما كان الله جل ثناؤه خصه به من النبوة والحجج التي آتاه دليلا على صدقه - كما آتى سائر المرسلين غيره من الأعلام والأدلة على صدقهم - وحجة على نبوته»[١].

وفي الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري أن الله يسأل النصارى ماذا كانوا يعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيكذبهم ويلقي حجتهم ثم يأمر بهم إلى النار والعياذ بالله.

فعن أبي سعيد الخدري[٢] قال في حديث طويل وفيه: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد. وفيه ثم يدعى النصارى، فيقال لهم من كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد»[٣].

يقول ابن تيمية بعد حديثه عن فرق النصارى: «كل طائفة تكفر الأخرى، وتلعنها وتشهد عليها أنها مكذبة ببعض ما في النبوات، غير موجبة لطاعة بعض ما فيها، بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة، فزعم كل فريق منهم، أن المسيح جاء بما هم عليه، والمسيح u وجميع الرسل بريئون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وبريئون ممن يقول على الله غير الحق، أو يقول على الله ما لا يعلم، وبريئون من كل قول باطل يقال على الله عز وجل، وإن كان قائله مخطئا لم يتعمد الكذب، وفي مقالات النصارى من هذه الأنواع ما يطول وصفه»[٤].

وفي موضع آخر يبين ما يدعيه النصارى في عيسى u وينفي ذلك بما يعتقده المسلمون فيه وما يجب على النصارى اعتقادهم فيه كذلك فيقول: «فالنصارى يقولون هو الله ويقولون أيضا هو ابن الله وهو إله تام وإنسان تام.

وأما المسلمون فيقولون هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه لا يغلون فيه غلو[٥] النصارى ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود»[١].

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ١٧٩٩-١٨٠٠.

(٢) أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن الخزرج: الإمام المجاهد، مفتي المدينة.وشهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان وحدث عن النبي r وكان احد الفقهاء المجتهدين مات سنة (٧٤هـ) (تهذيب سير النبلاء ١/٩٢).

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير - باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة. يعني زنة ذرة ٦/٤٤.

(٤) الجواب الصحيح،ابن تيمية ٢/ ٤١٢.

(٥) الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على مايستحق. التعاريف١/٥٤٠، الموسوعة الميسرة٢/١١١٠.

وهذه البراءة لعيسى u هي لتقريع وإذلال من ادعى فيه الإلوهية ، فهو نبي مرسل، عهد الله إليه بالرسالة وهو أهل لها، ولا يمكن أن يصدر منه هذا الإدعاء، أسوة بغيره من الأنبياء، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران ٧٩ – ٨٠]

---

(١) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢/ ١٤٤- ١٤٥.

المبحث الثامن

استثناء عيسى عليه السلام من مصير الآلهة المعبودة من دون الله تعالى

قضى الله عز وجل في كتابه الكريم أن يعذب كل من كفر به وأشرك معه غيره في عبادته بعد وصول الحجة إليه أن يكون مصيره نار جهنم.

ومن زيادة العذاب والتنكيل بالمشرك؛ أن يرى معبوده من دون الله معه في نار جهنم فتزيد الحسرة، ويعظم البلاء قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [سورة الأنبياء، ٩٨] والنصارى أشركوا مع الله بعبادة المسيح عيسى بن مريم.

وقد استثناه الله من مصير الآلهة المعبودة من دون الله قال تعالى في سورة الزخرف:﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ(٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [الزخرف، ٥٧-٦٦]

فلما نزلت آية﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [سورة الأنبياء، ٩٨]

جاء مشركي قريش إلى النبي r وقالوا له إنك تزعم أننا وآلهتنا في النار، وهؤلاء النصارى قد عبدوا المسيح وهو خير من آلهتنا فيكون في النار معها.

ذكر ابن كثير في تفسيره سبب نزول هذه الآية من رواية ابن إسحاق فقال: «وجلس رسول الله r فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله r فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله r حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ الآيات ثم قام رسول الله r وأقبل عبد الله بن الزبعري التميمي حتى جلس،فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخصمته سلوا محمدا أكل ما

يعبد من دون الله في جهنم مع عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله r فقال كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته فأنزل الله عز وجل ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦] الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى u ،وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** ﴾[الزخرف: ٥٧] [١].

ويقول الشنقيطي: والآية المذكورة إنما عبر الله فيها بلفظة (ما) التي هي في الموضع العربي لغير العقلاء لأنه قال ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ** ﴾ الأنبياء: ٩٨ لم يقل (ومن) تعبدون وذلك صريح في أن المراد الأصنام، وأنه لا يتناول عيسى ولا عزيرا ولا الملائكة، كما أوضح تعالى أنه لم يرد ذلك بقوله تعالى بعده : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى** ﴾ الآية[٢].

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن المعبودات من دون الله تكون في النار مع عابديها، وجاء الاستثناء في ذلك لعيسى u وغيره ممن عبد من دون الله وهو غير راض، ومن ذلك ما رواه الحاكم عن بن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾فقال المشركون الملائكة وعيسى وعزير يعبدون من دون الله، فقال لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها قال فنزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ [سورة الانبياء،١٠١] عيسى وعزير والملائكة»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ /١٣٢.

(٢) أضواء البيان ،الشنقيطي، ص١٥٣٣،١٥٣٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة الأنبياء ٢/٤١٦. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.قال الذهبي: صحيح.

غير أنه جاء في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن النصاري سيتبعون الصليب إلى النار« عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا ؟قلنا لا. قال فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما. ثم قال ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون. فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم»[١].

وبهذا يتبين أن هناك فرق بين المعبودات من دون الله إن كانت مما يعقل أو لم تكن كذلك.

كما هناك فرقا بين من عبد وهو راض بعبادته من الطواغيت[٢]، وبين من عبد و لم يعلم و لم يكن راض عن عبادتهم له.

يقول حافظ الحكمي: والقسم الثاني وهو من كان مطيعا لله، وغير راض بالعبادة له من دون الله، كعيسى، ومريم، وعزيز، والملائكة، وغيرهم فهم براء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة...

ثم يقول وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى:﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله. كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾... ثم ساق على ذلك الأدلة [٣].

ثم يبين ابن تيمية زيادة على هذا أن الكافر عندما يرى من عبده من دون الله أو مع الله فإنما هذا زيادة في عذابه وأما قياس عيسى **u** على غيره من المعبودات فهو قياس فاسد. إذ كيف يعذب من لا يستحق التعذيب، وأن ابن الزبعري لما قاس المسيح على آلهة المشركين، وظن أن العلة في الأصل بمجرد كونهم معبودين، وأن ذلك يقتضي كل معبود غير الله فإنه يعذب في الآخرة، فجعل المسيح مثلا لآلهة المشركين قاسهم عليه قياس الفرع على الأصل.

ثم ذكر الأدلة وأن الله بين أن هؤلاء القائسين ما قاسوه إلا جدلا محضا[٤].

فظهر بيان استثناء الله تعالى لعيسى **u** من مصير المعبودات التي اتخذت آلهة مع الله، أو دونه حيث سيجعلها الله في النار مع عابديها زيادة في العذاب وفي التنكيل بهم في نار جهنم، نسأل الله الثبات إلى أن نلقاه.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾١٢٩/٩.

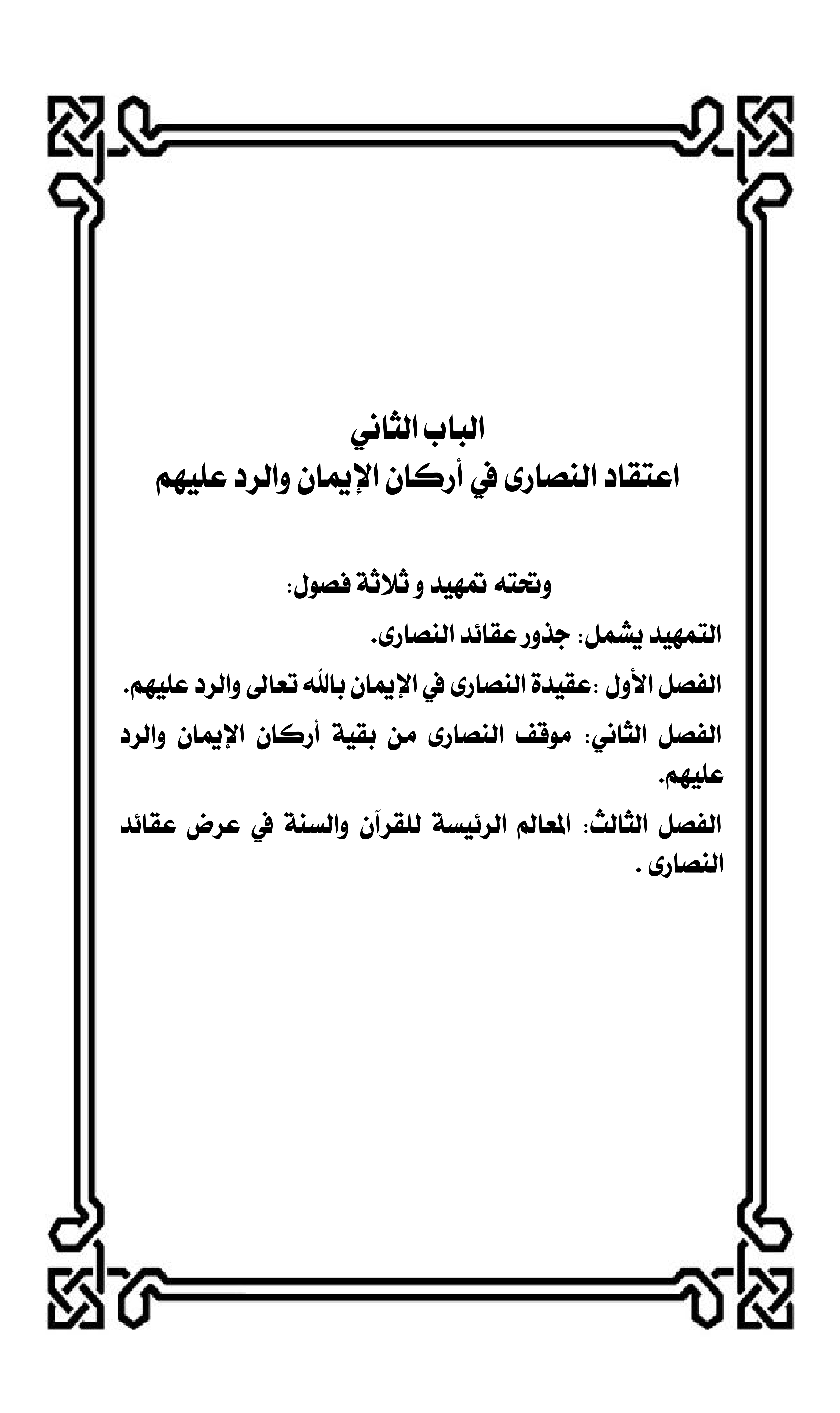
(٢) الطواغيت: طاغية وهي ما كانوا يعبدونه من الأصنام وغيرها. النهاية في غريب الأثر١٢٨/٣.

(٣) انظر : معارج القبول ،حافظ الحكمي ٤٨٧/٢- ٤٨٨ وانظر : شرح كتاب التوحيد ،آل الشيخ١ /٢٤٢- ٢٤٣.

(٤) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ١ /٢٢٢- ٢٢٥.

وبهذا المبحث ينتهي الحديث في الباب الأول عن ما يجب على المسلم اعتقاده في عيسى بن مريم، وكيف بين الكتاب والسنة أمر عيسى u من حين البشرى به وإلى وفاته u .

وبقي الحديث عن معتقدات النصارى في أركان الإيمان الستة، كما بينها الكتاب والسنة مع الرد عليهم فيما خالفوا فيه العقيدة الصحيحة فيها، والذي سيكون حديث الباب الثاني. ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[سورة مريم، ٣٤-٣٥]



الباب الثاني
اعتقاد النصارى في أركان الإيمان والرد عليهم

وتحته تمهيد و ثلاثة فصول:

التمهيد يشمل: جذور عقائد النصارى.

الفصل الأول :عقيدة النصارى في الإيمان بالله تعالى والرد عليهم.

الفصل الثاني: موقف النصارى من بقية أركان الإيمان والرد عليهم.

الفصل الثالث: المعالم الرئيسة للقرآن والسنة في عرض عقائد النصارى .

التمهيد:
جذور عقائد النصارى

أصل الدين الذي بعث به المسيح u التوحيد ثم دخله التحريف في العقيدة والشريعة، حتى أصبح لا يمت بصلة إلى الدين الذي جاء به عيسى u ، وكان خروجه من التوحيد إلى الوثنية بعدة عوامل ووسائل كما سيظهر من البحث.

أما عند التحقيق في مشابهة عقائد النصارى للوثنيات القديمة بمئآت وآلاف السنين . فقد توالى على ذلك الباحثون في تحقيق جذور عقائد النصارى سواءً من علماء المسلمين، أو المنصفين من علماء ومفكري النصارى. وقد أشار الله تعالى إلى هذا الأساس بقوله تعالى:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [سورة التوبة، ٣٠]

وسوف أتحدث هنا باختصار عن جذور العقائد الوثنية في الديانة النصرانية سواء في العقائد أو الشرائع تاركة التفاصيل في ثنايا البحث:

أوجه الشبه بين العقائد والشعائر والطقوس الوثنية وبين النصرانية:

١- التثليث: القول بالإله المثلث الأقانيم (الأب والإبن وروح القدس) في العقائد الوثنية عند الهنود (برهمة وفشنو وسيفا) وعند الفرس (أوزمرد ومترات واهرمان) وعند الاسكندنافيون (أودين وتورا وفرى) وغيرهم.

٢- تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة: فعند الهنود أن (فشنو) ثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم، وعند البوذيين أن (بوذا) قال دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع علي كي يخلص العالم. وعند المصريين أن (أوزريس) أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة. والفرس يعتبرون مترا الكلمة والفادي.

٣- الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين للعالم: ومن ذلك الظلمة التي حدثت عند موت (كرشنة) على الصليب، وعند موت إله الرومانيين (كيبرييئوس) أظلمت الشمس.

٤- ولادة أحد الآلهة الذين قدموا أنفسهم فداء عن الناس: عند الهنود أن (كرشنة) إلها ظهر بالناسوت وولد من (ديفاكي)، (وبوذا) ترك الفردوس ونزل إلى الأرض وتجسد وولد من (مايا). وهنود أمريكا يعبدون إله ظهر بالناسوت ولد من أم بشرية يسمونه (ميشابويح).

٥- النجوم التي ظهرت في الشرق واستدل المجوس الحكماء بولادة أحد الآلهة مثل: ظهورها عند ولادة (كرشنة) لدى الهنود، وولادة (يو) لدى الصينيين وغيرهم.

٦- الجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله وتقدسه عند ولادة أحد الآلهة: مثل ظهورها عند ولادة إله المصريين (أوزوريس)، وإله الصينيين (كونفوشيوس) وغيرهم.

٧- الاستدلال على الطفل الإلهي وإكرامه بالهدايا:مثل (كرشنة، وبوذا).

٨- محل ولادة بعض الآلهة الذين ظهروا بالناسوت مثل: ولد (كرشنة) في غار ثم وضع في حظيرة غنم، و(متراس) ولد في غار، و(أتيس) إله الفرنجيين ولد في كهف.

٩- القول عن الآلهة أنها من سلالة ملوكانية: مثل (حورس) إله المصريين و (كونفوشيوس) إله الصينيون و(كرشنة) وغيرهم.

١٠- اعتقاد الوثنيين بطلب الملوك والجبابرة لقتل الآلهة المتجسدة: مثل عند ولادة (كرشنة). وحياة (بوذا) كانت محدقة بالأخطار. و(حورس) إله المصريين.

١١- تجربة الشيطان لأبناء الآلهة المذكورين وصيامهم أربعين يوماً.

١٢- نزول أبناء الآلهة المتجسدين إلى الجحيم لأجل خلاص الأموات. مثل الآلهة المذكوريين وغيرهم مثل (كوتزلكوتل) مخلص المكسيكيين.

١٣- قيام أولئك الآلهة من بين الأموات.

١٤- مجيء الآلهة التي قامت من بين الأموات إلى هذا العالم ثانية للدينونة.

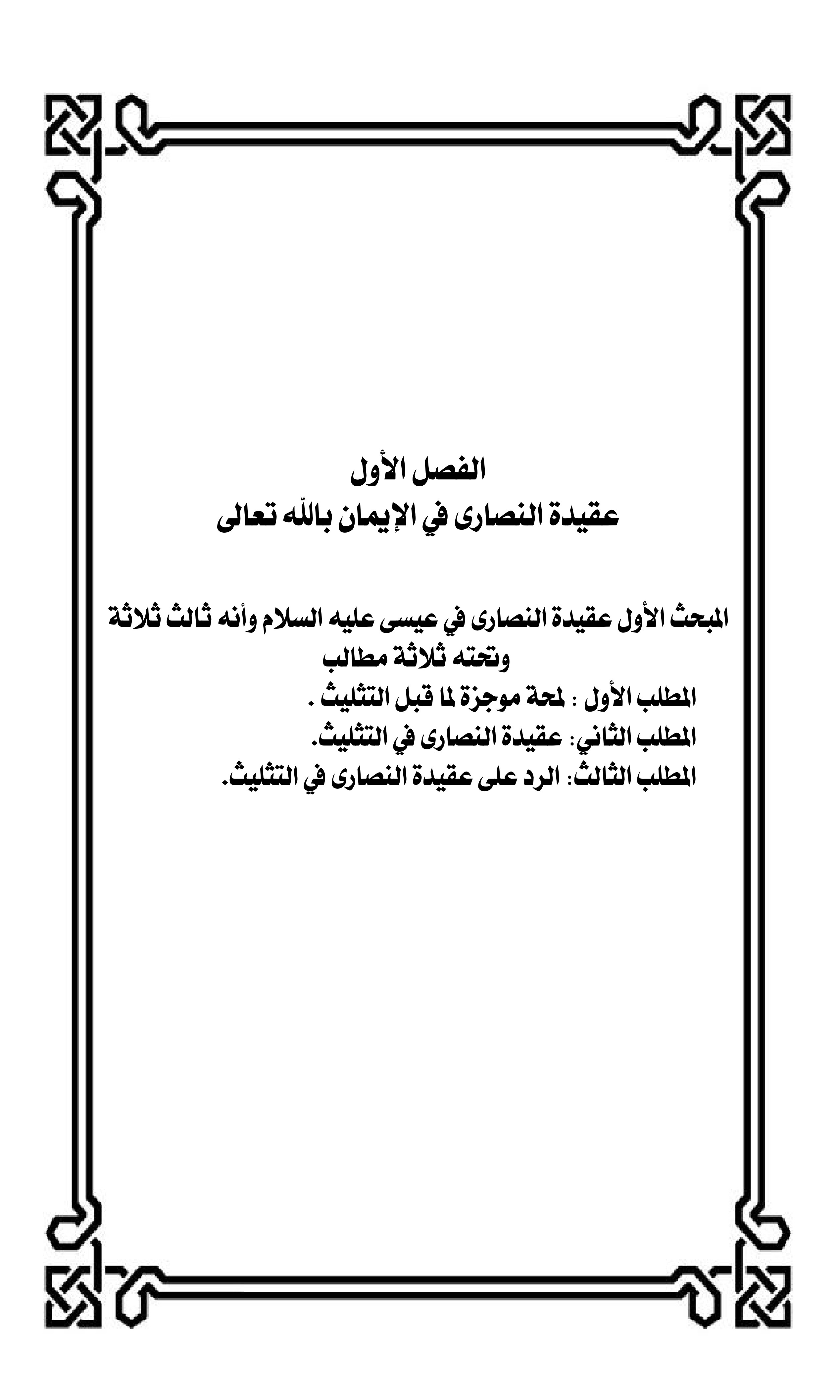
١٥- الإعتقاد بأن الإبن هو الخالق والمصور للكائنات: مثل (كرشنة وأوزمرد ونرودك) إله الآشوريين.

١٦- العمادة لإزالة الخطيئة: كما عند الفرس والمصريين واليونانيين والرومانيين والهنود من التعميد وإيقاد الشموع وحرق البخور على المذابح وقراءة الكهنة صلوات مخصوصة والتغطيس بالماء ثلاث مرات والماء المقدس [1]. وغيرها مما هو نسخة مطابقة لما عليه النصارى.

هذه أهم الأمور الوثنية والتي كانت فيما بعد عقائد نصرانية دخلت إليها بوسائل وأساليب متنوعة حتى نقلتها من دين سماوي إلى طقوس وثنية.

---

(١) محمد طاهر التنر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،(مكتبة النافذة، مصر - الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥)، ص٢٩-١٣٨.



الفصل الأول
عقيدة النصارى في الإيمان باللّه تعالى

المبحث الأول عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام وأنه ثالث ثلاثة
وتحته ثلاثة مطالب

المطلب الأول : لمحة موجزة لما قبل التثليث .

المطلب الثاني: عقيدة النصارى في التثليث.

المطلب الثالث: الرد على عقيدة النصارى في التثليث.

المبحث الأول
عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام وأنه ثالث ثلاثة

المطلب الأول: لمحة موجزة لما قبل التثليث

قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الروم ٣١]

بهذه الآية وغيرها يبين الله تعالى أنه فطر الناس على التوحيد، وأخذ الميثاق منهم عليه.

وكلما انحرف الناس عنه بعث الله إليهم الرسل تردهم إليه، فلما انحرف بنو إسرائيل بعث الله موسى u إليهم، وأنزل معه التوراة، وأمره فيها بعبادته وحده وأنه لا شريك له، وشرع لهم من الشرائع ما يصلح به حالهم ومآلهم. ومع ذلك اعتراهم ما يعتري الناس بعد الرسل فكثر فيهم الفساد والانحراف مع توالى إرسال الرسل إليهم . إلى أن بعث الله عبده ورسوله عيسى بن مريم u .

فجدد لهم أمر دينهم وأمرهم بالتوحيد وإفراد العبودية لله تعالى، وخفف لهم من الشريعة الموسوية ما خفف، وبقي فيهم يدعوهم إلى ذلك حتى رفعه الله إليه.

وبقي حواريوه من بعده كذلك على ما جاءهم به من البينات والتوحيد.

ثم حصل لبني إسرائيل من الاضطهاد والنكبات ودخول غيرهم من الأمم فيهم، ما صرف دعوة عيسى u ، وحاد بشريعته عن الحق الذي به أمر أتباعه.

فتغير الدين، وبدأ يضعف التوحيد، ودخلته الجهالة والكيد والتحريف، حتى أصبح ديناً آخر لا يمت إلى التوحيد بأدنى صلة.

فكان الانحراف من التوحيد إلى التثليث!! رغم أن التثليث لم يكن دفعة واحدة عقب رفعه u ، بل كان هذا الانحراف حسب العوامل المؤثرة في انحرافهم.

ومع ذلك فقد بقيت فرق منهم على التوحيد، سواء استطاعوا إظهاره أو لم يتمكنوا من ذلك في أول أمر النصرانية، ولا زال من أتباعها من ينادي به بين الفينة والأخرى، إلا أن الانحراف بقي السمة الظاهرة في الديانة النصرانية على مر عصورها.

ولعل آخر ما كان من معتقدهم الذي عليه أجمعوا أمرهم، وأصبحوا به يبشرون، وإليه ينادون، هو(التثليث) الذي يقول وحدانية في ثلاثة وهم الآب، والابن، وروح القدس.

وقد تناول الإسلام معتقد النصارى في الإيمان بالله، وما أصابه من تحريف من جميع طوائف وفرق النصارى، سواء القديمة والتي قد اندثر بعضها و لم يبق لها أثر على النصارى، أو الحديثة والتي كانت زمن

بعثة الرسول r ، وإلى وقتنا الحاضر، والقائلة بالتثليث الذي إليه تنصرف جميع الأذهان عند استعمال مصطلحه والتعبير به.

وقبل بيان أقوال النصارى في التثليث الموجود حالياً والتعريف به، يحسن أن أذكر ما قالوه في معتقدهم في عيسى u والذي ورد ذكره في القرآن الكريم على وجه الإجمال.

لأنه وإن اشترك في النتيجة من الانحراف إلا أنه قد كان قولا مستقلاً في زمن أو في طائفة منهم قبل إتمام القول بالتثليث كما سيأتي.

وبهذا أجمل الحديث في ثلاثة أقوال للنصارى في جانب الإيمان بالله وتوحيده وهي كما يأتي:

أولاً: القول بأن عيسى u ابن لله سبحانه وتعالى.

ثانياً: القول بأن عيسى u هو الله.

ثالثاً: القول ب إلوهية مريم عليها السلام.

القول الأول: القول بأن عيسى u ابن لله سبحانه وتعالى.

لقد بدأ القول بأن عيسى u ابن الله مبكراً في العقيدة النصرانية، بل أنها سبقت القول بإلوهيته، وكانت توطئة له ومقدمة في تسلسل انحراف الدين الذي جاء به المسيح u .

وقد اشتمل العهد الجديد من الكتاب المقدس على عدد من النصوص في ذلك، وهي تبين وجود الخلاف بين النصارى في هذه القضية، وأن هناك من ينكر القول ببنوة عيسى u لله تجاه القائلين ببنوته، والمنصوص عليه في رسالة يوحنا حيث يقول: «قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة، منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا.... من هو الكذاب! إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح؟ هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الأب، والابن، كل من ينكر الابن، ليس له الأب أيضاً، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً»[١].

وجاء في إنجيل متى «وفيما هو يتكلم! إذا سحابة نيرة ظلتهم، وصوت من السحابة قائلاً: (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا)»[٢].

يقول شارحو هذا النص: «إن الرب يسوع أعظم من مجرد قائد عظيم وأعظم من مثال صالح أو نبي فهو في الحقيقة ابن الله»[٣].

ولوقا يقول: في حديث الملك لمريم «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله!»[٤] .

---

(١) رسالة يوحنا الرسول الأولى ٢: ١٨-٢٣.

(٢) متى ١٧: ٥.

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من العلماء، (لتعريب والجمع شركة ماستر ميديا، القاهرة- مصر).

(٤) لوقا ١: ٣٥ وانظر لوقا ١٠: ٢٢.

وبولس يقول «ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه...»[١].

«وإن كنا نلاحظ أن هذه الأناجيل الأربعة تتفاوت في تقرير هذه العقيدة، فبينما تقتصر الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) على تقرير عقيدة البنوة، نجد أن يوحنا قد زاد عليها تقريرا لعقيدة إلوهية المسيح أيضاً، منفرداً وحده بتقرير هذه العقيدة»[٢].

وقد جاء القرآن والسنة بذكر من ادعى أن المسيح u ابن لله تعالى مع بيان باطلهم، وأنهم مقلدون لغيرهم قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [سورة التوبه، ٣٠]

القول الثاني: القول بأن عيسى عليه السلام هو الله:

قبل أن يسود القول بالتثليث بصورته كما في الوقت الحالي، فقد قال بعض النصاري بإلوهية عيسى u وأنه الله - تعالى الله عن قولهم – من غير ذكر إلوهية روح القدس، ولا أنه إبن الله، ليس عن طريق الحلول[٣] ولا الإتحاد[٤] بل إنه الله نفسه وعندما صلب وقتل، فقد بقي العالم بلا مدبر ثلاثة أيام.

وفي هذه الفرقة يقول ابن حزم: «وقالت اليعقوبية[٥] أن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك[٦] بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثا، وأن المحدث عاد قديما، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به، وهم في أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة.

---

(١) غلاطية ٤:٤.

(٢) د/ مريم عبد الرحمن عبد الله زامل، موقف ابن تيمية من النصرانية، (مطابع جامعة أم القرى، ١٤١٧هـــ - ٩٩٧م). ١/ ٣٢٠

(٣) الحلول: قسم الجرجاني الحلول إلى ١- الحلول الجواري عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء في الكوز ٢- الحلول السرياني عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد ويقصد به تجسد الخالق في المخلوق وامتزاجه فيه بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية، وهو ما يعرف باتحاد اللاهوت في الناسوت. التعاريف ١/٢٩٥وانظر:التعريفات١/٦٠٩. الموسوعة الميسرة ٢/١٠٥٩.

(٤) الإتحاد: الاتحاد جعل الشيئين واحدا، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدا، وقيل الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا .انظر التعاريف ١/٣١، التعريفات ١/١٤.

(٥) اليعقوبية: أصحاب يعقوب البرذعاني، كان راهباً بالقسطنطينية وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامة. الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ١/ ٦٦.

(٦) الفلك: وفي هي مدار النجوم. القاموس المحيط ٢/ ١٢٥٩.

ثم يقول «ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السموات والأرض وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التي كان فيها ميتا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»[١].

ويقو الشهرستاني[٢] وهو ينقل تفرق اليعقوبية في عيسى u ، وأن منهم من قال بأن المسيح هو الله لا على سبيل الإتحاد: «قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو وعنهم اخبرنا القرآن الكريم ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [سورة المائدة ٧٢]

ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت[٣] فصار الناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان، وكما أخبر التتريل عن جبريل u ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾[٤].

فيظهر من هذا القول بال إلوهية، سواء أكان مقصودهم أنه الله نفسه، أو ألوهيته على سبيل الحلول والإتحاد، أنه سبق القول بالتثليث بزمن، وذلك أن تقرير إلوهية عيسى u اعتمد رسمياً كدين يجب على النصارى إتباعه، ومعاقبة من يخالفه، في مجمع (نيقية) كما سيأتي.

وليس معنى هذا أنه لم يقل بهذا القول إلا في هذا المجمع، بل قد قيل قبله كما قيل ببنوة عيسى u ، إلا أنه لازال هناك من ينكر القول ب إلوهية المسيح، و إلوهية روح القدس، حتى تقرر هذا في المجامع، وتم لعن وطرد كل من يخالف القول بالتثليث.

يقول محمد فريد وجدي[٥]: «كانت الكنائس النصرانية في الجيل الرابع متوزعة بين حزبين أحدهما يقر بإلهية المسيح، والآخر ينكرها »[٦].

---

(١) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ١/ ٤٩.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني: شيخ أهل الكلام وصاحب التصانيف له كتاب الملل والنحل كثير المحفوظ قوي الفهم مليح الوعظ ولد سنة (٤٦٧هـ) ومات (٥٤٩هـ) (سير أعلام النبلاء ٣/٣١).

(٣) اللاهوت والناسوت: مصطلح لعقيدة النصارى في المسيح مؤداها أن له طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية فاتحدت الطبيعة الإلهية (اللاهوت) بجسم المسيح واختلطت بناسوته (الناسوت) . الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٦٧.

(٤) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ) ١/٢٢٥- ٢٢٦.

(٥) محمد فريد بن مصطفى وجدي: عالم حكيم كاتب صحافي ولد ونشأ في الإسكندرية من تصانيفه:دائرة معارف القرن العشرين عاش بين عامي (١٢٩٢-١٣٧٣هـ) (معجم المؤلفين ٣/٥٨٦).

(٦) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي١٠/ ٢٠٣ نقلا من د. محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، (دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ص١٦٦.

القول الثالث: القول بإلوهية مريم عليها السلام:

من تعظيم النصارى لمريم عليها السلام أن جعلها بعضهم إلها من دون الله مع ابنها عيسى u ، ويرجع ذلك إلى تقديسها، والذي مازالت رواسبه موجودة في الفكر النصراني إلى وقتنا الحاضر، وإن كان القول بإلوهيتها قد ظهر عليه الخفاء منذ زمن ليس بالقريب.

يتحدث الإمام ابن حزم عن وجود من أله مريم عند حديثه عن بعض الفرق النصرانية فيقول : «ومنهم البربرانية. وهم يقولون أن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل. وهذه الفرقة قد بادت»[١]

وقد ورد النص من القرآن الكريم فيمن اتخذ المسيح وأمه إلها من دون الله في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾[سورة المائده ١١٦]

يقول ابن كثير : « مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾[سورة المائدة ١١٦] وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رءوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره»[٢].

وقد رد الله عليهم في قوله تعالى:﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [سورة المائدة ٧٥]

«وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي، وإن كان من ذكرها في القرآن الكريم أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول r .

ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب كثيرة. في معظم الفرق المسيحية، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات، وطقوس، وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرق النصارى في الوقت الحاضر، باستثناء فرقة البروتستانت»[٣].

---

(١) الفصل في الملل والنحل،ابن حزم ١ /٤٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٢١.

(٣) الأسفار المقدسة، علي وافي ص ١٠٧ نقلا من موقف اليهود والنصارى من المسيح u ، سارة العبادي ص٢٢٠.

وبعد بيان بدايات أقوالهم في التوحيد وانحرافهم فيه ننتقل إلى القول الذي ساد على جميع الأقوال وأصبح السمة الأساسية في النصرانية على اختلاف فرقها وطوائفها ألا وهو القول بالتثليث وهو عنوان المطلب التالي الذي سيكشف كيف نشأ؟ وما معناه؟ ومدى صحته؟ إلى غير ذلك مما يتعلق به.

المطلب الثاني
عقيدة النصارى في التثليث

عقيدة التثليث هي صلب العقيدة النصرانية، وجوهرها، وحقيقتها، فبدون التثليث لا يمكن أن تكون هناك نصرانية، أو من يدين بها، وهو الركن الأول الذي يجب الإيمان به.

وقد كتبت الرسائل والكتب، ما بين مطول و مختصر، حول عقيدة التثليث، ولذلك فإنني سأجمل القول فالمهم من البحث جمع أصل المسألة ونقضها، من غير التفصيلات الدقيقة، التي لم تستوعبها الرسائل المخصصة لكثرة شعبه، وأقوال النصارى فيه واختلافهم حوله.

لهذا سيكون الكلام حول هذه العقيدة من عدة جوانب فقط، من حيث المعنى والمقصود منه، ومسألة النشأة والتطور، والمسألة الثالثة ما هي مصادر النصرانية في التثليث وعلام يعتمدون فيها؟

معنى التثليث:

عسير على النصارى أن يوجدوا معنى للتثليث صحيح، لأنه لا يعقل أو يدرك هذا السر في النصرانية، ومع ذلك فقد اجتهدوا ومن وقت مبكر لإيجاد معنى له، على قدر وسعهم، وبقي إدراك كنه حقيقته، عندما يأذن الله في بيانه كما يقولون.

فالتثليث هو التوحيد! ويعني ذلك الإيمان بثلاثة آلهة في واحد وهم الآب، والابن، وروح القدس.

يقول قاموس الكتاب المقدس: «الثالوث الأقدس (التثليث): عرف قانون الإيمان لهذه العقيدة بالقول: (نؤمن بإله واحد الآب، والابن، وروح القدس. إله واحد، جوهر واحد، متساويين في القدرة والمجد).

وفي طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاث خواص أزلية، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم[1]) متساوية، ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم، ليست إلا حقاً سماوياً، أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمه في العهد الجديد واضحاً. ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط التالية:

١) الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

٢) هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب المقدس بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.

٣) هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي.

٤) هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاثة جوهر واحد.

---

(١) الأقانيم: كلمة سريانية معناها شخص أساسي وفرق النصارى مختلفة في تفسيرها هل هي ذوات متميزة أو طبيعة واحدة إلى غيرها من الاختلافات. الموسوعة الميسرة٢/٩٧٦.

٥) الشخصيات الثلاث الآب، والابن، وروح القدس متساوون.

٦) ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية»[١].

ولهذا فإن علماء النصرانية يحاولون أن يوجدوا قناعة لدى أنفسهم ومن يدعون بأن هذه العقيدة حين لن تفهم، أو يبدوا عليها التناقض، فلأجل أنها سر من أسرار الله، وسيأتي الزمن الذي يدركون فيه هذه العقيدة، بما سيفيض عليهم في المستقبل.

يقول القس حبيب سعد: «لا تعني عقيدة الثالوث أن لنا ثلاثة آلهة، بل إله واحد في ثلاثة أقانيم وقد عبر عن هذه العقيدة أحسن تعبير قانون ماراثناسيوس: «الإيمان الجامع هو أن تعبد إلها واحدا في ثالوث، وثالوثنا في وحدانية، لا نخلط الأقانيم ولا نفصل الجوهر . فإن للأب أقنوما على حده، وللابن أقنوما آخر، وللروح أقنوما آخر. ولكن لاهوت الآب، والابن، وروح القدس كله واحد، والمجد متساو والجلال أبدي معا. الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد... الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب. لكن ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد... الدين الجامع ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة، أو ثلاثة أرباب» [٢].

ويقول الخوري في سر الثالوث الأقدس: «إن سر الثالوث الأقدس غير مدرك. وكل لسان يعجز عن أن يقوم بحق تفسيره، لان الله غير محدود، بينما عقل الإنسان محدود جداً، ومعرفتنا محصورة في حدود ضيقة.

وعليه فليس من طريقة تشبه أو تمثل بها يمكننا أن نقترب من هذا السر، لأن الرب قال بفم أشيعا النبي (بمن تشبهونني أو بمن تمثلونني)[٣] غير أن الروح القدس، لأجل تعزيتنا وراحة بالنا، قد وعد بأنه ينير عقلنا، في الحياة الآتية، بمعرفة كاملة وحية. فما ننظره الآن بطريقة غامضة وكما في لغز، ننظره حينئذ بكل وضوح وجلاء، وسنبهج ونفرح بالمكافأة الكريمة، بسبب صبر إيماننا. وهاك ما قاله الرسول بهذا الشأن (الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت)[٤].

وقال يوحنا الحبيب في رسالته الأولى(ولكن نعلم أنه إذا ظهر نكون مثله لأننا نراه كما هو)[٥]»[٦].

---

(١) نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، (مجمع الكنائس في الشرق الأدنى،بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١م)ص ٢٣٢. وانظر: الإيمان المسيحي ر.ك. سبرول ص٤٠.

(٢) أديان العالم،حبيب سعد، ص ٣٠٠.

(٣) اشيعا ٤: ٥٦.

(٤) الرسالة الأولى إلى كولوسي ٣: ١٢.

(٥) يوحنا ٣: ١٢.

(٦) الخوري يوحنا حزبون: الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذوكسية، (منشورات النور).ص٧١-٧٢.

وهنا يتساءل محمد مجدي مرجان فيقول: «ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء، قد عجزوا عن فهم الثالوث، فمن يا ترى يستطيع فهمه ؟ وما موقف البسطاء والعامة إذا ما حاولوا الفهم، وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا، وأفهامنا، فبماذا يمكننا إدراكها؟ وإذا كنا نحن وهم لا ندرك هذا الثالوث فكيف يمكن لكل منا أن يتبعه أو يسير عليه؟»(١).

وعند التفصيل في معنى التوحيد المثلث عند النصارى، وأنه مكون من ثلاثة أقانيم، فإن لكل أقنوم حقيقة تختلف عن الأقنوم الآخر، مع كون الثلاثة مرتبطين لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

حقيقة الإله الآب(٢):

سأترك بيان حقيقة الله الآب في المسيحية للقس حبيب سعد حيث يقول: «تفردت المسيحية في إطلاق هذه الصفة على الله، ولكن ليس لهذه اللفظة في المدلول المسيحي، أية صلة بالأبوة البيولوجية، وقد علم يسوع أتباعه أن يصلوا قائلين: (أبانا الذي في السموات...) وهي الصلاة الربانية التي يرددها المسيحيون في كل أرجاء الأرض. وقد تبنت الكنيسة هذه الصفة من صفات الله، وصاغتها في نصوص عقائد الإيمان. وكلمة (آب) بسيطة في مبناها، عميقة في معناها، فالله الآب السماوي يحبنا كأبناء- أبرار كنا أو خاطئين، مذنبين كنا أو تائبين،حكماء كنا أو جاهلين – وقد لا نكون أهلا لمحبة الأبوة الإلهية كما شرح المسيح ذلك في مثل الابن الضال(٣).

ولكنه لا يفتأ يحبنا حينما نجيئ إلية بروح التوبة والإخلاص، ولسان حالنا (أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابنا).

هذه هي الصفات الأساسية لله في المسيحية: خالق. ديان. عادل. فاد. مخلص. أب. ولكن المسيحيين يؤمنون أن الله يرى كل شيء، ويسمع كل شيء. ويعرف كل شيء. وهو قادر على كل شيء. أزلي أبدي. إنه الحاكم الأعلى لكل الكون، وهو الإله الواحد الذي نستمد منه حياتنا. وكل نعمة من نعم الأرض. وهو بعيد عنا جدا وبلا حدود، ولكنه معنا أيضاً، ويعمل الخير لأجلنا. ويمنحنا عزاء في كروبنا، ونورا في ظلامنا، وقوة في ضعفنا.

ويؤمن المسيحيون بوحدة الله الواحد، وهو كأب يحب الناس أجمعين، بحنان غير محدد، فكلهم إخوان وأبناء للآب واحد. وفي يسوع المسيح أعلن لنا ذاته وطبيعته في جلاء ووضوح. وبالروح القدس نحس بحضوره معنا وقربه منا - كآب وابن وروح القدس - »(٤).

---

(١) الله واحد أم ثالوث، محمد مرجان:ص٧١ نقلاً من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج ٢٠٨.

(٢) لفظ يطلقه المسيحيون على الله لأنه الآب السماوي. قاموس الكتاب المقدس ص ١.

(٣) لوقا ١٥: ١١-٣٢.

(٤) أديان العالم،حبيب سعد، ص ٢٥٥-٢٥٦.

حقيقة الإله الابن[١]:

الإله الابن أحد الأقانيم الثلاثة، وهو المسيح u ، ويقصد به في التثليث (حكمة الله) ويمكن توضيح ذلك من خلال كلام القس حبيب سعد حيث يقول: نؤمن حقا ويقينا أن الله لم يلد و لم يولد ولكن نؤمن أيضا أن المسيح هو ابن الله (كلمته الأزلية). «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[٢] ثم ذكر بعدها عدداً من النصوص من العهد القديم تعبر عن الحكمة أو الفهم والعقل.

منها: في الإصحاح الرابع (اقتن الحكمة. اقتن الفهم... احفضة فإنه هو حياتك)[٣] ثم يقول: «ألا يرى القارئ في هذه الكلمات صورة مما ورد في حديث يوحنا عن الكلمة ؟ ألا نسمع هنا أصداء من أفكار الوحي في البشارة الرابعة عن الكلمة الأزلي؟ فالحكمة هناك منذ الأزل قوة جبارة خالقة، يصدر عنها النور والبهجة والحياة، أليس هذا هو نفس حديث يوحنا عن (الكلمة) الذي منذ البدء كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان؟، إن الحكمة هنا تبدو صنوا لشخص المسيح بالصورة التي وردت في مستهل بشارة يوحنا»[٤].

وهكذا وجد يوحنا أن أفضل طريق يصل به إلى قلوب أبناء شعبه أن يبدأ بالحديث عن الكلمة، الكلمة التي ليست مجرد صوت صارخ بل قوة دافعة لها فاعليتها، كلمة الله الذي به خلق العالمين، الكلمة كما وردت في الترجوم لتعبر عن فكرة عمل الله، وذاته و صفاته، ثم الحكمة الإلهية كما تصور أسفار الحكمة، قوة الله الخالق الأزلي، الذي ينير كل إنسان، وهكذا قال لأبناء شعبه مستعيراً هذا الفكر ليعبر عن المسيح: «إذا أردتم أن ترو كلمة الله الأزلي وأن تنظروا قوة الله الخلاقة. إذا أردتم أن تبصروا الكلمة الذي به خلق الله الوجود بما فيه. والذي وهب النور والحياة لكل إنسان، تطلعوا إلى ربنا يسوع المسيح، فهو كلمة الله قد تمثل بشراً في ما بينكم»[٥].

«وهكذا أتى يوحنا إلى اليهود واليونانيين على السواء. ليخبرهم أن يسوع المسيح هو كلمة الله، القوة الخالقة، الحافظة، المسيطرة، المنيرة لكل عقل قد أتى في ملء الزمان ولبس جسم بشريتنا. وما

---

(١) والخلاف بين النصارى في طبيعة الأقنوم الثاني (الابن) وموجزه أن الكنيسة الكاثوليكية تقول بأن له طبيعتين أما الأرثوذكسية ومنها الكنيسة القبطية، ومعظم كنائس المشرق فتقول بأن الأقنوم الابن طبيعة واحدة من طبيعتين: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج ٢١٦. (ومن هذا نرى أن الكنائس كلها تعتقد التثليث. وهذا موضع اتفاق. ولكن موضع الخلاف هو العنصر الإلهي في المسيح، أهو الجسد الذي تكون من روح القدس ومن مريم العذراء، الذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، أم أن الأقنوم الثاني له طبيعان ومشيئتان) . محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص ٩٤ .

(٢) انجيل يوحنا ١: ١.

(٣) أمثال ٤: ٤، ١٢.

(٤) أديان العالم، حبيب سعد،ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٥) أديان العالم ،حبيب سعد،ص ٢٩٤-٢٩٦.

عليهم بعد أن يرهقوا عقولهم في البحث والتنقيب، إلا أن يتطلعوا بالإيمان إلى يسوع المسيح، ليلمسوا فكر الله المتجسد الحي في شخصه المبارك»[١].

ويقول الخوري يوحنا: في الفصل الثاني من دستور الإيمان نتعلم الإيمان بابن الله..

وابن الله غير منفصل عن الآب في الجوهر، ولم يكن يوما الإله الآب بدون الإله الابن، ولهذا يدعى الابن (المولود من الآب قبل كل الدهور). أما ولادة الابن، فما يسمو على إدراك العقل البشري...

وقد أضيف إلى صفات الرب الإلهية اسمه (يسوع المسيح)، لكي تكون لنا كسلم نرتقي بها إلى سر التجسد الخلاصي... ويلي صفات الرب (في دستور الإيمان) تحقق لاهوته وتأكيده دفعاً لتكرار تعليم أريوس الكفري . فقد قيل في الدستور (نور من نور) فالنور نوعان.

الأول: حسي كالشمس التي صنعت مع سائر الخلائق.

والثاني: روحي أبدي هو ربنا يسوع المسيح نفسه.

فلذلك يسمى يسوع المسيح وهو (بهاء مجد الآب ورسم جوهره) نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق . وهذا ينسجم مع قولنا: (إنه مساو للآب في الجوهر به كان كل شيء) وعمل الخلق برهان على المساواة في الجوهر بين الآب والابن «كل به (بالابن) كان . وبدونه لم يكن شيء مما كان»[٢].

ونزول ابن الله من السماء ليس تنقلا بل عملا إراديا غايته التجسد: فصار منظوراً غير المنظورات بحسب اللاهوت «على الأرض ظهر ومع الناس تصرف»... وفي تأنس ابن الله اتحدت طبيعته الإنسانية بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تدرك. ومن اتحاد الطبيعتين صار شخصاً واحداً هو المسيح الإله والإنسان معا... وهو نفسه ابن الله وابن مريم ...[٣].

حقيقة الإله روح القدس:

من خلال كلام القس حبيب سعد يمكن التعريف بالإله روح القدس حيث يقول: «الروح القدس هو الأقنوم الثالث في الله الواحد الأبدي غير المحدد وهو يعمل في حياتنا، وموجود معنا دائما...

قال المسيح إنه سوف لا يتركهم بلا معين، وانه سيرسل لهم معزيا باسمه ليكون معهم إلى الأبد ويرشدهم إلى كل الحق، ويذكرهم بكل ما علمهم به...

فالروح القدس هو روح المسيح الحي. ومن ثم يكون الإله الواحد متمثلا في أقانيم ثلاثة الله الآب، الله الابن، الله روح القدس...

---

(١) أديان العالم، حبيب سعد،ص ٢٩٩.

(٢) يوحنا ١ :٣٠.

(٣) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا ٨٤-٩٠

والمجامع المسكونية ترى إنبثاق روح القدس من الآب يقول الخوري يوحنا: «في الفصل الثامن من دستور الإيمان نتعلم عن الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس (أي الروح القدس) انه قدوس ورب ومحيي ينبثق من الآب وانه نطق بالأنبياء.. وقد دعي الروح ربا ومحيياً لأن منه تنبع حياة البشر الروحية...

وأما كون الروح القدس ينبثق من الآب، ففيه يقول يسوع «متى جاء المعزي سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي» وقد ثبت في المجامع المسكونية حقيقة انبثاق الروح القدس من الآب. أما زيادة عبارة (ومن الابن) الغربية فلا أساس لها في الآيات الكتابية الصريحة الواردة بهذا الشأن، وهذه الزيادة في الدستور بالرغم من أوامر الآباء المتوشحين بالله والمجامع المسكونية تعد مخالفة وخطأ...»[١].

أما عمل روح القد س في البشر فيقول حبيب سعد: «عمل الروح القدس فينا: إن الروح القدس هو حضور الله معنا ، وعمله فينا .ويؤمن المسيحيون أن الله ذو الجلال يعلو بعيدا عنا. فهذه هي طبيعة الله في السمو والعلو والعظمة والقدرة، على أن المسيحيين يؤمنون أيضا أن الله روح شخصي محب للبشر يهتم بهم وهو قريب منهم . والإيمان بالروح القدس يؤكد هذا القرب الإلهي والمحبة الإلهية. الله الروح القدس يتحدث إلى أعماق أرواحنا، ونستجيب له بأفكارنا وحياتنا ونحن نتحدث إليه في الصلاة، واثقين أنه السميع الذي يهبنا الإرشاد والقوة، ويهدينا إلى سواء السبيل في كافة القرارات التي نتخذها»[٢].

«ومن هنا دعوة الروح القدس في دستور الإيمان (المحيي) أي مانح النعمة... فإذا سكن الروح القدس إنسانا ظهرت فيه ثماره»[٣].

ويقول القس بوطر: في رسالة (الأصول والفروع):« إن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين في الكمالات الإلهية، وممتازين في الاسم والعمل،، الكلمة والروح القدس اثنان منهم، ويدعى الأقنوم الأول (الآب) ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها، وأن نسبته للكلمة ليست صورية، بل شخصية حقيقية... ويدعى الأقنوم الثاني (الكلمة)، لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس، ويدعى أيضاً (الابن)، لأنه يمثل للعقل نسبة المحبة والوحدة بينه وبين أبيه. والتمييز بين نسبته هو إلى أبيه، ونسبة كل الأشياء إليه. ويدعى الأقنوم الثالث (الروح القدس) للدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته»[٤].

---

(١) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا،ص ١٠٦- ١٠٨.

(٢) أديان العالم ، حبيب سعد، ص ٢٥٨-٢٥٩ .

(٣) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ،ص ١٠٨.

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة، ص٩٢ وانظر : محمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص٢١٥.

نشأة التثليث وتطوره:

حين دخل في النصرانية من ليس منهم، وبدأت دعوة الناس إلى خلافها، سواءً أكانت الدعوة بالحيلة والمكر، أم كانت بقوة السلطان والقهر، حتى فشا التثليث وانحرف التوحيد.

وقد سبق القول أن التثليث أُقر جزء منه كدين للنصرانية في مجمع نيقية، غير أن نشأته قد سبقت هذا الوقت.

فكيف نشأ التثليث في النصرانية ودخل فيها؟

لم يدخل التثليث على النصارى جملة واحدة، وإنما كان الانحراف يتدرج مع الزمان، شيئاً فشيئاً وقد بدأت نشأته في ضل تنصر (بولس)، ثم دخول الوثنيين في النصرانية، وبعدهما انعقاد المجامع العامة، وإلى توضيح هذه النشأة وأسباها.

«إن المسيحية قد نشأت على أرض فلسطين، فكانت دعوة أراد الله تعالى لها أن تكون خاصة لبني إسرائيل فقط. ومضى عهد المسيح وعهد حوارييه والنصرانية تلتزم هذه الخاصية، ولكن الأمور قد تغيرت بعد انقضاء هذا العهد، فالقديس (بولس) اليهودي الروماني لم يلتزم بذلك، بل قرر الخروج بالنصرانية عن تلك القاعدة،وبدأ يبشر جميع الأمم، ويدعو إلى الديانة الجديدة وكانت الدولة الرومانية آنذاك تسيطر على أرض فلسطين، فدخل كثير من الرومان إلى النصرانية وأدخلوا معهم أفكارهم الفلسفية الوثنية، و لم تقف المسيحية عند هذا الحد بل عبرت إلى أوروبا بعد ذلك، وتشكلت داخل الفكر الروماني اليوناني على النحو الذي أراده (بولس) من قبل منحرفا عن المنهج الإلهي الذي جاء به عيسى **u** .

ومنذ أن عبرت المسيحية حدود الدولة الرومانية، وبدأت تبشر بدعوتها جميع الناس من رعايا تلك الدولة، غير مقتصرة على شعب اليهود، بدأت الدولة الرومانية تضطهد النصارى، والمؤرخون يشيرون إلى عشرة اضطهادات بين السنة ٦٤ بعد الميلاد والسنة ٣١٣ سنة البراءة [(١)].

ولعل أشد فترة من الاضطهاد كانت في عهد (نيرون ٥٤- ٦٨م) وقضى بأن لا يكون احد مسيحيا[(٢)].

وفي الفترة ما بين عبور النصرانية إلى المجتمع الروماني، واعتناق قسطنطين لها، فإن النصرانية كانت تعيش صراعا من الناحيتين:

الأولى: مع الدولة وقد واجهت منها اضطهاد شديدا وتنكيلا لا يطاق.

---

(١) (الروم د. أسيد رستم:٣٣/١، (دار المكشوف، بيروت الطبعة الأولى،١٩٥٥م) نقلا من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج ، ص ١٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٣ نقلا من النصرانية من التوحيد الى التثليث، محمد الحاج ص ١٢٦.

والثانية: مع المجتمع الروماني الوثني، فقد خاضت المسيحية معه صراعا دينيا وفكريا مريرين، حيث واجهت المسيحية الغضة أفكاراً فلسفية وثنية. وكان على المسيحية بوصفها ديانة تحمل تعاليم إلهية، أن تفرض هذه التعاليم على المجتمعات الأخرى، تصحح بها ما علق في أذهان الناس من خرافات الفلسفة والوثنية، ولكن الذي حدث عكس ذلك، فقد تنازلت المسيحية عن معتقداتها لتذوب وسط المعمعة الفكرية الوثنية .لقد بدأ النصارى يتنكرون لبعض المبادئ الأساسية في شريعتهم، ويتقبلون كثيراً من الأفكار الوثنية السائدة في ذلك المجتمع، كل هذا التنازل كان مداهنة منهم لتلك المجتمعات» [١].

وبدأ الانحراف ابتداء من اليهود، وانتهاء باليهود، ولعلى أوجزه في النقاط الآتية:

اليهود وخطر بولس:

لقد كان لليهود يد طولى في انحراف النصرانية عن طريقها الصحيح، وعندما لم يتمكنوا من مواجهتها والقضاء عليها بالسيف والسلاح، لجأوا إلى أسلوب المكر والخداع، حتى حصل انحرافها بشكل كلي، وأصبح المتمسك بها بعد انحرافها أشد كفراً منه قبل الدخول فيها.

ولعل أكبر خطر من اليهود عليها هو بولس اليهودي حيث تنصر نفاقاً، ليدس السم في العسل، وبدأت النصرانية معه رحلة الانحراف، وصدقه العامة والدهماء، ومن تصدى له أو لمبادئه فإنه لم يكتب له النصر على العموم، بل إن قوة السلطان قد واجهته بالقهر والاستبعاد.

وقد تحول هذا الرجل إلى النصرانية بحيلة ومكر مفاجئ، ليلعب دوره كمنافق يهودي كما سيأتي عند التعريف به في الرسل[٢].

وبعد أن بدأ بولس في دعوته للأمم، أخذ يبعث الرسائل إلى أقطار الدولة الرومانية، يدعوا فيها الناس إلى عقيدته اللاهوتية تماشياً مع الوثنيين، وتحريفاً للدين، فكتب أربع عشرة رسالة. ومن الواضح أن هذه العقيدة تختلف تماما عن عقيدة النصارى التي جاء بها المسيح u ، يقول المؤرخ ول ديورانت: «ولقد أنشأ (بولس) لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته»[٣].

يقول المستشار محمد عزت طهطاوي: «يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته للتظاهر بالدخول فيها، ليستمر في حربها بسلاح جديد،سلاح التهديد من الداخل، بإفساد معالمها ومسخها...

---

(١) النصرانية من التوحيد الى التثليث، محمد الحاج،ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) أعمال الرسل ٩: ١-٢٢.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت :٢٦٤/١١ نقلاً من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج،ص ١٤٥.

وخلق ديناً جديداً سلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه وذلك طبقاً للآتي:

١- نقلها من ديانة إلى بني إسرائيل إلى ديانة عالمية.

٢- نقلها من التوحيد إلى التثليث.

٣- قال ب إلوهية المسيح و إلوهية روح القدس.

٤- اختراع قصة الفداء بالتكفير عن خطيئة البشر .

٥- ألغى المعالم الهامة التي نادى بها عيسى نفسه كالختان وعدم أكل الخنزير.

٦- أهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود،وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد... »[١].

ورغم تقديس النصارى لبولس واعتباره رسولاً إلا أن الفاتكان[٢] يعترف بعدم اهتمام بولس في النصرانية، وإلى أي شيء يدعوا الناس فيها يقول الأستاذ أحمد شلبي: «والعجيب أن الفاتكان يعترف إلى حد كبير بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها. فقد جاء في كتاب نشره الفاتكان سنة ١٩٦٨ بعنوان (المسيحية عقيدة وعمل) ما يلي: كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع»[٣].

وبعد أن بذر اليهود بذرة الانحراف أتى دور رجال الدين، والكنيسة، أصحاب الخلفيات والثقافات الوثنية، لإلزام الناس بما بدأ يشيع في أوساط الدعوة إلى المسيحية الجديدة، ومحاربة بقية التوحيد وأهل التوحيد، واعتبارهم خارجين هراطقة.

الكنيسة ورجال الدين:

أثر الكنيسة في نشوء عقيدة التثليث في النصرانية بدأ مع دخول رجال الدين الوثنيين في النصرانية، ثم توليهم المناصب العالية فيها، حيث بدأ الخلاف حول المسيح فيها مبكراً.

فأصبحت الكنائس على خلاف واسع النطاق، وأثر ذلك على العامة حول القول الحق في المسيح.

---

(١) محمد إسماعيل الطهطاوي، النصرانية والإسلام،(دار الأنصار بالقاهرة).ص ٢٥٩.

(٢) الفاتكان:محل إقامة بابا روما ويضم عدد كبير من الكنائس والمتاحف ومكتبة من أقدم المكاتب في العالم. الموسوعة الميسرة ١١١٦/٢.

(٣) المسيحية عقيدة وعمل نسخة الفتكان ص (٥٠) نقلاً من المسيحية، شلبي (١٣٠).

والمسيح u لم ينشئ كنيسة[١] أو دعا إلى إنشائها، ولا الحواريين من بعده، وإنما بدأت فكرتها ونمت من (القرن الثاني) عندما انتقلت النصرانية من أرض فلسطين إلى الدولة الرومانية، وكانت أول كنيسة في روما.

إن دعوة المسيح من البساطة واليسر بحيث لا تحتاج إلى هذا التنظيم الكنسي الذي نشهده وهذه المناصب الكثيرة وإلى هذا الجهاز الضخم من الكرادلة[٢] والبطاركة[٣] والمطارنة[٤] والأساقفة[٥] والشمامسة[٦]. وغير ذلك من ألقاب ما عرفها المسيح ولا سمع بها.

والأستاذ (جيني بير) يتحدث إلينا عن تطور فكرة الكنيسة، وكيف نمت هذه الفكرة مع بداية القرن الثاني، حتى تجلت واضحة في بداية القرن الرابع .فهو يقول:« أن المسيح لم ينشئ الكنيسة و لم يردها»[٧] وهكذا يمضي عهد المسيح u دون أي تفكير بإنشاء مؤسسة الكنيسة، ولقد كان الحال كذلك في عهد حوارييه.

أضف إلى ذلك أن الحاجة لإنشاء الكنيسة لم تنشأ إلا عندما أريد للمسيحية أن تنقل إلى العالم اليوناني الروماني، وكما يقول الأستاذ (جيني بير): «يمكن القول بأن فكرة الكنيسة نشأت عن انتقال الأمل المسيحي من فلسطين إلى ربوع العالم اليوناني، أيضاً إذا شئنا عن تطور هذا الأمل إلى العالمية»[٨].

ويشير المؤرخون إلى أن أقدم كنيسة هي كنيسة بطرس في روما، ولقد افترقت الكنائس تبعاً لافتراق النصارى، ولكل فرقة من الفرق الثلاث المعروفة اليوم كنيسة تعتبر أمّاً للكنائس المنتشرة في كثير من أقطار العالم[٩].

وبسبب وجود الكنائس، ونشوء الخلاف بين رجال الدين فيها، فإنه تم استحداث الفيصل الأخير على هذا الانحراف، والتحويل الجذري وذلك بعقد المجامع العامة وإقرار العقائد فيها.

---

(١) الكنيسة: متعبد اليهود والنصارى وهي كلمة يونانية بمعنى مجمع المواطنين التي كانت تدعوهم الحكومة إليه للتشريع، وفي النصرانية المكان الذي تؤدى في الطقوس الدينية، وأولها كنيسة بطرس بروما والنصارى يختلفون في أمرها والدور المناط بها، وقد تعددت لتعدد الفرق النصرانية. الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٤٤. انظر القاموس المحيط ١/ ٧٨١.

(٢) الكاردينال: عضو أعلى هيئة تساعد البابا في إدارة الكنيسة الكاثوليكية وهم الذين يختار منهم البابا. الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٣٦.

(٣) البطريك: كلمة يونانية معناها الأب الرئيس، ويذكر أنه لم يعرف قبل القرن الثالث الميلادي. وهي أعلى المناصب في الكنيسة، وهي في الأصل لثلاثة بطريك روما وأنطاكية والإسكندرية، وعلى غيرهم تشريفاً. الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٩٩.

(٤) المطران: رئيس ديني دون البطريك، وفوق الأسقف. الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٥٨.

(٥) الأسقف:أصلها يونانية ومعناها مشرف وهي دون المطران وفوق القسيس رغم أنه كان من بينهم ولكن مع كثرة النزاعات خص أحد القساوسة بالرئاسة للباقين وسمي أسقف. الموسوعة الميسرة٢/٩٦٦.

(٦) الشماس:كلمة يونانية معناها الخادم درجه كهنوتية داخل الكنيسة، وله واجبات معينه، كقراءة فصول من الكتاب المقدس وخدمة المذبح،مساعد للأسقف، ولهم رئيس يعرف بالأرشيدياكون. الموسوعةالميسرة٢/١٠٩٣.

(٧) المسيحية، شارل جيني بير ص١٣٠ نقلا من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج ١٦٤.

(٨) المسيحية، شارل جيني بير، ص١٣١. نقلا من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج ١٦٥ .

(٩) انظر : النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، ص ١٦٤- ١٦٥.

المجامع العامة:

تعتبر المجامع العامة من أهم أسباب ونشوء الانحراف من التوحيد إلى التثليث في الديانة النصرانية، إذ اتخذها الحكام الوثنيين السبيل الأمثل إلى حل النزاع الدائر في الكنائس، وإلزام الكل بما يرونه مناسباً.

وسأقتصر على ذكر مجمعين فقط، والذي لهما الدور في نشوء عقيدة التثليث، بخلاف المجامع الأخرى التي كان دورها في حل النزاعات حول تفاصيل أخرى في إقرار أو إلغاء معتقد ما في الأمور التفصيلية.

مجمع نيقية سنة ٣٢٥م:

عقد هذا المجمع في عام (٣٢٥م) بأمر من الحاكم الروماني قسطنطين الذي دعى إلى عقده بسبب الخلاف الناشئ حول المسيح u ، هل هو إله، أو بشر رسول، وكان لكل قول أتباع، منهم من يقول بالتوحيد، ومنهم من يقول بالشرك.

ولما دخل النصرانية مزيج غير تام التكوين، فقد بقي عند كل عن عقائده الأولى ما أثر في تفكيره. وبسبب الإضطهادات التي تعرض لها النصارى من الدولة الرومانية فقد بقيت العقائد في طور الكتمان، حتى إذا ما حكم الرومان (قسطنطين). ومنحهم عطفه، استطاع النصارى إظهار عقائدهم ومن ثم بان اختلافهم .فدعى (قسطنطين) إلى عقد هذا المجمع للفصل في الخلاف.

والسبب الخاص لعقده هو ما يسميه النصارى ببدعة (أريوس) حيث كان يقول كما يقول ابن البطريق: «أن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن». وكان له أنصار كثيرون على هذا القول، وكان له كذلك معارضون، ومنهم بطريك الإسكندرية[1] (بطرس) حيث أراد أن يقضي على هذه الفكرة، ويطرد أريوس من الكنيسة، إلا أنه لم يفلح حيث كان له أتباع كثر، ومنهم أسقف مقدونيه[2] وفلسطين وأسيوط، وانحصر الخلاف بين أريوس و بطريك الإسكندرية (الإسكندر) الذي خلف (بطرس) فتدخل (قسطنطين). إمبراطور الرومان وجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

فجمع البطاركة والأساقفة من جميع البلدان، وكان عددهم (٢٠٤٨) وكانوا مختلفي الأقوال في معتقدهم، حتى إذا ماتناظروا عجب قسطنطين من المقالة التي تقول ب إلوهية المسيح وهي مقالة بولس.

وكان عددهم (٣١٨) أسقفاً، و لم يكن قد تنصر بعد، بل كان لازال على وثنيته، ورجح ماهو أقرب إلى الوثنية لوثنيته، وسلطهم على مملكته، وتم لعن وطرد كل من يخالف تلك المقولة رغم أنهم كانوا الغالبية، وإحراق كل الكتب التي تخالف هذا القول.

---

(١) الإسكندرية: الإسكندرية العظمى التي بمصر اختلف في من بناها فقيل الإسكندر الرومي وقيل غيره فتحت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . معجم البلدان ١ / ١٨٢- ١٨٨.

(٢) مقدونية : اسم لمصر باليونانية القديمة (معجم البلدان ٥/ ١٧٣).

ووضعوا نص عقيدتهم والتي يسمونها الأمانة وهي: «أومن بإله واحد. آب ضابط الكل. خالق السماء والأرض. كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح. ابن الله الوحيد. المولود من الأب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب في الجوهر. الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماوات وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطي. وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب. وصعد إلى السماوات. وجلس عن يمين الآب. وأيضا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه»[١].

وفي هذا المجمع كان النص على إلوهية المسيح، ولم يتعرضوا لروح القدس، حيث قرروا إلوهية المسيح بقوة السيف، ورهبة الحكام، وهي فكرة عارضة، والأصل هو التوحيد، كما يستنبط من هذه الأحداث وغيرها مما هو موجود في مصادر النصرانية.

«وهكذا نجد مغالبة قوية بين التوحيد و إلوهية المسيح، الأولى تغالب بالكثرة وقوة الإيمان والثانية بقوة السلطان وبقايا الوثنية التي كانوا متأثرين بها... ولكن قوة السلطان طمست المذهب الأول... ولم يبدو على السطح إلا إلوهية المسيح»[٢].

غير أن الركن الثالث من أركان التثليث لم يكن كعقيدة رسمية للنصرانية إلا في مجمع القسطنطينية الأول.

مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م:

عقد هذا المجمع بسبب إنكار رجل اسمه (مقدونيوس) أن روح القدس إله ولكنه مخلوق مصنوع، وشاعت مقالته في الناس، ولم يجدوا لها نكيراً، فاجتمع إلى الملك ذوو الأمر من وزرائه وقواته، وأخبروه بأن أمر العامة قد فسد، متأثرين بوحدانية أريوس، وحرضوه على عقد مجمع يقرر إلوهية روح القدس زيادة على ما أقر في مجمع نيقية الأول.

فاجتمع في القسطنطينية (١٥٠) أسقفاً وقرر في المجمع بطريك الإسكندرية إلوهية روح القدس.

وهذا مانقله ابن البطريق عنه «قال تيماوثاوس بطريك الإسكندرية، ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق، فقد قلنا أن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن حياته غير مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن».

---

(١) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا ص٦٦.

(٢) انظر محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة ، ص ١١٢- ١٢١وانظر : المسيحية،شلبي ص ١٤٦- ١٤٩.

ثم يقول ابن البطريق في بيان قرارهم «زادوا في الأمانة التي وضعها (٣١٨) أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة» [١][٢].

وفي هذا يقول الخوري يوحنا «ألف دستور الإيمان المجمع المسكوني الأول الذي صار التئامه في مدينة نيقية الصغرى. ووضع تتمته من الجزء الثامن إلى آخره المجمع المسكوني الثاني الذي اجتمع في مدينة القسطنطينية» [٣].

وبهذا المجمع اكتملت عناصر التثليث الثلاثة، وبقيت المجمعات الأخرى لإضافة أو إلغاء تفاصيل حول التثليث، من حيث الانبثاق والحلول والإتحاد، وحول المشيئة وطبيعة اللاهوت والناسوت، ووالدة المسيح، وما الذي ولد إلى غير تلك التفاصيل التي لا يمكن دراستها في هذه الرسالة العامة في أصل معتقدهم.

مصادر عقيدة التثليث:

اعتمد النصارى في القول بالتثليث على عدة مصادر. منها ما يقول به النصارى وأنها عمدتهم على القول بالتثليث. بالإضافة إلى مصادر أخرى يقول بها علماء المسلمين وأن النصارى اقتبسوا القول بالتثليث منها. وسأختصر القول في ذلك وأجعله على قسمين:

مصادر عقيدة التثليث عند النصارى [٤]:

الكتاب المقدس:

يعترف النصارى أنه لا يوجد نص صريح في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يصرح بعقيدة التثليث، أو الأقانيم، ومع ذلك فقد جعلوا أن عمدتهم في القول بالتثليث الكتاب المقدس، بنبوءات ونصوص من العهد القديم، وكذلك نصوص يفهم منها من العهد الجديد.

يقول محمد فريد وجدي جاء في دائرة المعارف الفرنسية: «أن عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد، ولا في أعمال الآباء الرسوليين، ولا عند تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروستانتي التقليدي، يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند

---

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص ١٢٣ .

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة ص ١٢١- ١٢٤ وانظر : المسيحية،شلبي، ص ١٥٦-١٥٨.

(٣) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا، ص٦٧ .

(٤) ومع ذكر مصادرهم وما اعتمدوا عليه في القول بالتثليث إلا أنهم لم يتفقوا من أين مصدريته.

المسيحيين في كل زمان، رغماً عن أدلة التاريخ التي ترينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك»[١].

بل إن القس بوطر يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، وأن التوراة اشتملت على الوحدانية، بل منذ أن خلق الله الخليقة وكان لا يعلن للناس غيرها، إلى أن أتى الزمان الذي فيه فهم التثليث. فلم يفهم إلا بعد الإنجيل فيقول: «بعد ما خلق الله العالم، وتوج خليفته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدانيته، كما يبين ذلك من التوراة، على أن المدقق لا يزال يرى بين السطور إشارات وراء الوحدانية. لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات: (كلمة الله، أو حكمة الله، أو روح القدس).

ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني لأنه لم يكن قد آن الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت... ثم لما جاء المسيح إلى العالم أرانا بتعاليمة وأعماله المدونة في الإنجيل أن له نسبة أزلية سرية إلى الله تفوق الإدراك، فهو مسمى في أسفار اليهود (كلمة الله) وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة. ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحا، ليسكن بين المؤمنين، وقد تبين أن بهذا الروح أيضا نسبة أزلية إلى الله فائقة، كما للابن ويسمى الروح القدس»[٢].

ويقول سبرول «وعلى الرغم من أن تعبير "الثالوث القدوس" ليس موجوداً في الكتاب المقدس، غير أنه من الجلي أن المفهوم موجود هناك. فالكتاب المقدس من ناحية، يؤكد بقوة وحدانية الله [٣]إلا أنه من ناحية أخرى يؤكد بوضوح إلوهية التامة لأقانيم اللاهوت الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. وقد رفضت الكنيسة هرطقات الظهورات (أي القول بأن الله واحد لكنه مرة يظهر كالآب،ومرة كالابن، والثالثة كالروح القدس) والتثليث (أي القول بثلاثة آلهة)[٤].

يقول الخوري يوحنا وهو يتحدث عن أدلة الثالوث: «هذا السر الذي أعلن لنا اليوم بتحنن الهي لم يبين في العهد القديم إلا بطريقة التلميح.

فقد ورد في سفر التكوين[٥] «وقال الله لنصنعن إنسانا على صورتنا ومثالنا» وأيضا «هو ذا آدم صار كواحد منا»[٦] وكذلك التسبيح المثلث التقديس «قدوس قدوس قدوس رب الجنود الأرض كلها

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ١٠/ ٢٠٢ نقلاً من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج ٢١٩.

(٢) رسالة الأصول والفروع ص ٤٣-٤٥ نقلاً من المسيحية، شلبي ص١٤١-١٤٢.

(٣) تثنية ٦ :٤.

(٤) ر. ك. سبرول / ترجمة : نكلس سلامه، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، (مكتبة المنار، مصر - القاهرة). (٣٩ وانظر : أديان العالم، حبيب سعد،ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٥) سفر التكوين ١:٢٦.

(٦) تكوين ٣:٢٢.

مملؤة من مجده»[١] وآيات أخرى من سفر المزامير ومن باقي أسفار الكتاب المقدس تشير بطريق التلميح إلى أن هذا السر قد ظهر لأولياء الله على سبيل التورية والرمز...

وأما في العهد الجديد فالثالوث القدوس يعلم ويشهد به صريحا وبكل جلاء فالمخلص عندما أرسل تلاميذه إلى العالم أوصاهم بأن يعمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس»[٢] وعندما اعتمد هو عز وجل. «أما الآب فشهد له من العلاء وأما روح القدس فانحدر بشكل حمامة»[٣] وقد قال المخلص «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من عند الآب، روح القدس الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي»[٤] وبالإجمال من يتصفح العهد الجديد من الكتاب المقدس يجد في أكثر آياته شهادات ساطعة تؤكد هذا السر[٥].

ومن النصوص التي يقول بها النصارى أنها دليل من الكتاب المقدس على التثليث ما يأتي:

أ) من العهد القديم :

١- «أنا إله أبيك،إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»[٦].

٢- «وهذا نادى ذاك وقال (قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض)»[٧].

ب) من العهد الجديد:

١- «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» [٨].

٢- «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيًا عليه، وصوت من السماوات قائلا(هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)»[٩].

٣- «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد»[١٠].

٤- عندما سألهم من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال «أنت هو المسيح ابن الله الحي» فأجاب يسوع وقال «له طوبى لك ياسمعان بن يونان»[١١].

---

(١) أشيعا ٦: ٣.

(٢) متى ٢٨ : ١٩.

(٣) متى١٦:٣.

(٤) يوحنا ٢٦:١٥.

(٥) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا، ص٧٢.

(٦) سفر الخروج ٣: ٦.

(٧) أشعياء ٦: ٣.

(٨) متى ٢٨ : ١٩.

(٩) متى ٣: ١٦-١٧.

(١٠) رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧.

(١١) متى١٥:١٦ -١٧.

أما الأدلة من العقل، فإن تعقيد عقيدة التثليث لا تسعفهم أن تكون لهم القوة في إيجاد دليل عقلي عليها؛ رغم الاعتراف كما سبق عن عدم إدراك هذا السر.

إلا أنه مع ذلك فقد تكلف بعض النصارى أدلة عقلية على صحة عقيدة التثليث. أكتفي بذكر ثلاث محاولات لإقناع العقل به. وإن كنت لم أعثر فيما اطلعت عليه سواء من كتابات النصارى، أو ما كتب عنهم إشباعاً لهذا العنصر الهام في اكتساب عقيدة تطمئن إليها النفس، ويركن إليها العقل ويهدأ من إيجاد التساؤلات الكثيرة والملحة على صحة ما يعتقده.

3 **فالدليل العقلي الأول:** أن هؤلاء الثلاثة كل واحد منهم يكون عنصراً هاماً لتكوين الوحدة الإلهية فحين يكون أحدهما هو الذات والأصل يكون الآخر هو مصدر النطق والحكمة بينما يكون الثالث مصدر العلم وهذه الأمور الثلاثة المتفرقة في الأقانيم تجتمع لتكون الوحدانية**!!:**

يقول محمد مجدي مرجان: «يرى فلاسفة المسيحية أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم أي ثلاثة عناصر أو أجزاء: الذات، والنطق، والحياة، فالله موجود بذاته، ناطق بكلمته، حي بروحه. وكل خاصيّة من هذه الخواص تعطيه وصفا معيناً فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الآب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس» (١).

ويتساءل الأستاذ (مرجان) عن سر هذه التسمية فيقول: «لماذا أطلق على الله الموجود لفظ (الأب) وعلى الناطق لفظ (الابن) وعلى الله الحي لفظ(الروح القدس)».

والجواب عند القس (توفيق جيد) في كتابه (سر الأزل) الذي يقول: أن تسمية الثالوث باسم الآب، والابن، والروح القدس، تعتبر أعماقاً إلهية، وأسراراً سماويّة، لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها، ونلصق بها أفكاراً من عنديّاتنا»(٢).

3 **والدليل الثاني:** فهو أن التثليث والوحدة، كالشمس. فهي لها ثلاث عناصر: جرم، وشعاع، وحرارة، وهذه العناصر الثلاثة تكون شيئاً واحداً وهو الشمس.

«فالشمس أيضاً كالله تماماً تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء هي: جرم الشمس، وشعاع الشمس، وحرارة الشمس. فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع والجرم. والكل شمس واحدة»(٣).

3 **الدليل الثالث:** ولعله أغرب التفسيرات لسر الثالوث هو التفسير العاطفي**!!** لإقناع العقل أن هذا التثليث صحيح ناج معتقده من عذاب الله، وهو ما ذهب إليه الأب إلياس اليسوعي عند تفسيره

---

(١) النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد الحاج ص ٢١٠ .

(٢) الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، ص ٩-١٠ .

(٣) الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان ص١٦ النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد الحاج، ص ٢١١.

لسر الثالوث فقال:« لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث، وكنه الله محبة[1] ولا يمكن إلا أن يكون محبة، ليكون الله سعيدا فالمحبة هي مصدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور، فهي إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما. وليكون الله سعيدا - ولا معنى لإله غير سعيد وإلا انتفت عنه الإلوهية - كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، ويكون بالتالي صورة ناطقة له، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، وبادل الابن الآب هذه المحبة ووجد فيه هو أيضا سعادته ومنتهى رغباته. وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس. هو الحب إذاً يجعل الله ثالوثاً واحداً معا..

ليس الله إذا كائناً تائهاً في الفضاء، منعزلا في السماء، لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة، وتفيض منها على الكون براءته، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض هذا التثليث»[2]. وبهذا التفسير أختم القول حول مصادرهم!!.

الوثنيات القديمة:

والتثليث الذي يقول به النصارى، إنما هو عند العلماء والمحققين، ويشهد لذلك الواقع والتاريخ، قد سبق النصرانية بمئات السنين، فقد كان عند الرومان، والمصريين، والهنود، والصينيين، وغيرهم من الأمم.

وتنمو أفكاره في النصرانية كلما ازداد عدد الداخلين فيها من الوثنيين.

وبهذا تشهد دائرة المعارف الفرنسية إذ تذكر نص كلام المؤرخ (جوستن ماستر من القرن الثاني) حيث يقول: «إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك، أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين، ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل»[3].

ويعتبر هذا المصدر من أهم مصادر النصرانية الحقيقية، سواء قال به النصارى، أم لم يقولوا به، فهم اقتبسوا فكرة التثليث بما فيه من عقائد الأبوة، و البنوة، والروح، والصلب والقيامة وغيرها من الوثنيين قبلهم، وقد اعتنى علماء وكتاب المسلمين ببيان هذه الحقيقة، والرجوع إلى مصادر الديانات الوثنية، وإيجاد أوجه التشابه بين الدين السماوي الأصل، والوثنيات الأرضية.

---

(١) يوحنا الأولى٤ : ١٦.

(٢) الأب بولس الياس اليسوعي يسوع المسيح ص ٧٦- ٧٧، نقلاً من المسيحية، ١٣٢- ١٣٣ .

(٣) دائرة معارف القرن االعشرين، محمد فريد وجدي ١٠/٢٠٢ نقلا من النصرانية من التوحيد الى التثليث، محمد الحاج ٢٢٥.

وممن اعتنى بذلك كاتب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية حيث يقول: «لقد أصبح من الحقائق المؤكدة، أن الديانات الوثنية كثيرة التشابه جدا وأسباها عديدة، ولما كانت إحدى أمم التاريخ المهمة تنشر في الأرض، كانت تنشر دياناها وعلومها معها. بالوقت نفسه يدخل في دينها أشياء من الأديان الأخرى»[(١)].

وقد قال برتشرد: «لا تخلو كافة الأبحاث المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي «أي الآب والابن وروح القدس»[(٢)].

قال موريس: «كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي، (أي: أن الإله ذو ثلاثة أقانيم) [(٣)].

ولعلي أوجد مقارنة بين الوثنيات القديمة وبين النصرانية ليتضح دقة الاقتباس:

من ذلك يظهر التثليث عند المصريين في ثلاثة آلهة هم (أوزوريس، وإيزيس، وحورس) يقول الدكتور سامي جبره: «إن كثيراً من المفكرين ينتهون إلى أن الثالوث يرجع إلى خمسة عشر قرنا على الأقل قبل مولد المسيح، فقد وجد في مصر في ذلك التاريخ، وتأثر الفكر المسيحي بالفكر المصري، وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعوني والفكر المسيحي»[(٤)].

قال العلامة بونويك: «وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين (الوثنيين القدماء) هو قولهم (بلاهوت الكلمة) وإن كل شيء صار بواسطتها وإنها (أي كلمة) منبثقة من الله وأنها الله»[(٥)].

وقال داون: «وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم، مثل الهنود تماما، وهم (أورمزد، ومترات، واهرمان) فأورمزد (الخلاق) ومترات (ابن الله المخلص والوسيط) واهرمان (الملك)». ثم ذكر التثليث عند اليونان، وعند الرومان[(٦)].

وعند الهنود نجد ثلاثة آلهة «أو أقانيم وهي (برهمة، و فشنو، وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهي الرب، والمخلص، وسيفا»[(٧)].

وفي الفكر البوذي «ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون، يلاحظ غوستاف لوبون تشابها واضحا بين الديانتين من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع»[(١)] وهذا يتضح أن تثليث النصارى ما هو إلا نسخة مكررة من الوثنيات القديمة قبله.

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير (مكتبة النافذة، مصر ــ الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥)، ص ٢٩.

(٢) خرافات المصريين الوثنيين، برتشرد ص٢٨٥نقلاً من العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير٢٩.

(٣) موريس: الآثار الهندية القديمة في المجلد السادس ص ٣٥. نقلاً من العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير٢٩.

(٤) المسيحية،،شلبي ص١٧٧.

(٥) بونويك: إعتقاد المصريين ص ٤٠٢ نقلاًمن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير ص٣٤.

(٦) فسك: كتابة الخرافات ومخترعها ص٢٠٥ نقلاًمن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير ٣٥.

(٧) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير، ص٣٠.

الفكر الفلسفي:

تأثرت النصرانية بالفكر الفلسفي الذي كان موجوداً في مصر على وجه الخصوص في مدرسة الإسكندرية، التي كان لها الغلبة في المجامع كما سبق، ومن ذلك فكر (أمنيوس) ومن بعده (أفلوطين) كما يذكر ذلك الأستاذ محمد أبو زهرة فيقول: «كان شيخ هذه المدرسة أمنيوس المتوفى سنة٢٤٢، اعتنق في صدر حياته الديانة المسيحية. ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين، وجاء من بعده تلميذه أفلوطين المتوفى سنة٢٧٠ وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية أولا، ثم رحل إلى فارس والهند، وهناك استقى ينابيع الصوفية الهندية، واطلع على تعاليم بوذا وديانته، وبراهمة الهند وديانتهم وعرف آراء البوذيين في بوذا والبراهمة في كرشنة، وقد عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية. وأخذ يلقى بآرائه على تلاميذه، وجلها يتجه إلى تعرف ما وراء الطبيعة، ومنشيء الكون.

ويلخص اعتقاده في منشيء الكون في ثلاثة أمور:

(أولها) أن الكون قد صدر عن منشيء أزلي دائم لا تدركه الأبصار، ولا تحده الأفكار، ولاتصل إلى معرفة كنهه الأفهام.

(ثانيها) أن جميع الأرواح شعب لروح واحد وتتصل بالمنشيء الأول بواسطة العقل.

(ثالثها) أن العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة. وهو تحت سلطانها.

ثم ذكر كلاما طويلاً ونقولا عن المستشرق ليون جوتيه [٢] حول الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وأثرها على الفكر الديني المسيحي. أكتفي بالإشارة إلى مرجعها.. [٣].

وظائف الثالوث:

يرى النصارى أن لكل إقنوم من عناصر التثليث وظيفة يقوم بها تجاه المخلوقات، وفي ذلك يقول محمد مجدي مرجان:

«فالله الآب جعلوه مصدر العدل.

والله الابن جعلوه مصدر الرحمة.

والله الروح القدس جعلوه مصدر النعمة.

والله الآب ينسب إليه الخلق والتبني، أما الله الابن فينسب إليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب، وأما الروح القدس فينسب إليه منح الميلاد الثاني (الميلاد الثاني هو الإيمان والاعتقاد ببنوة المسيح لله ليستحق به كفارة المسيح لذنوبه وخطاياه) والحياة الطاهرة للبشر وتقديس النفوس»[٤].

---

(١) حضارة الهند ص(٣٤٤-٣٤٥ نقلاًمن المسيحية،شلبي ص١٧٨.

(٢) ليون جوتيه من كتابه (مقدمة «أوالمدخل» لدراسة الفلسفة الإسلامية) طبعة باريس عام ١٩٢٣م.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة ص ٣٢- ٣٦.

(٤) عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، يونس توري ٨٧...

هذا هو التثليث في النصرانية بمفهومه وأدلته ومصادره التي اعتمد عليها، سواء التي قال بها أهل التثليث، أم قال بها من تحدث عنهم وبين معتقدهم فيه، وأقوال المقسطين منهم، أو ما أجراه الله على ألسنة بعضهم ليبقى حجة عليهم، وهداية لمن أراد سلوك طريق الحق والاهتداء إليه ﴿ **فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾[سورة آل عمران، ٢٠]

أما الرد عليهم فمن خلال مصادرهم، والعقل الصريح، مع ماورد من نصوص الكتاب والسنة، إذ هما الحكمان على ما كان قبلهما، باعتبارهما آخر مصادر التشريع من لدن الحكيم العليم، والذي سيكون في المطلب التالي.

المطلب الثالث
الرد على عقيدة النصارى في التثليث

إن عقيدة التثليث من الهشاشة والضعف، مايسع العاقل أن يعلم بطلانها بمجرد النظر في معناه، الذي لا تدركه العقول ولا تستوعبه الأفهام.

كما أن الأدلة المعتمدة عندهم، لا تدل أو تنص عليه بحال، بل قد تكون ضده أو يفهم منها غير ما تعسف النصارى فهمه منها، وبما أن النصارى يقولون بالتثليث، وبه يبشرون وإليه يدعون فإنه من باب دعوتهم والمجادلة بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [سورة العنكبوت ٤٦] ننقض ماعليه أهل التثليث، ابتداء من النصوص التي يعتمدون عليها، ثم بأدلة التوحيد من الكتاب المقدس، وبعد ذلك من العقل الصريح والنص الصحيح.

وبهذا يكون الرد على التثليث من أربع جهات:

الجهة الأولى: رد أدلة التثليث في الكتاب المقدس عند النصارى:

يقول النصارى بأن مستندهم في التثليث (الكتاب المقدس)! وإنما لجأ النصارى في تكلف إيجاد نصوص من الكتاب المقدس تدل على التثليث؛ لأنه لا يمكنهم إقناع أنفسهم، ولا غيرهم به عقلاً، فلا يمكن استيعابه أو فهمه أو إدراك كيفية الجمع بين الوحدانية الحقة والتثليث المزعوم.

ولقد ذكرت من أقوال النصارى وتخبطهم في ذلك عند عرض معتقدهم في التثليث ما يغني عن إعادته في الرد عليهم.

وكما سبق عندما ذكرت أدلتهم من الكتاب المقدس، فقد اخترت ستة نصوص من التي يقولون بها، ولأنه ليس المراد الحصر بل الإشارة فقط، فإنني سأقتصر في الرد على النصوص التي اخترتها بشكل موجز.

الدليل الأول:

ما جاء في العهد القديم في سفر الخروج «أنا إله أبيك،إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»(١)

وقبل نقض هذا النص أود التنبيه على أنه لا يحق للنصارى الاستدلال من العهد القديم عليه، لأنه نزل في زمن قبل أن تعرف النصرانية مقولة التثليث، أو نزول الابن وإلوهيته، ولا يمكن أن يخاطب الله أمة من الأمم بما لا يمكنهم فهمه، وإلا كان نزول الآيات التي لا يمكن فهمها عبثاً والله متره سبحانه عنه.

---

(١) سفر الخروج ٣:٦.

ففي هذا النص يخاطب الله موسى u ، ويخبره أنه إله أبيه وإله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب.

والنص بهذه الطريقة مفهوم أنه إله واحد لهؤلاء الأربعة، أبوه وإبراهيم وإسحاق ويعقوب، أو قل الثلاثة، وأن التفصيل لما أجمل لإله أبيك.

فأين التثليث في هذا النص؟! ولإضافة بيان تهافت الاستدلال به على التثليث يمكن مراجعة تعليق كلام العلماء حوله.

قال ابن تيمية رحمه الله وهو يورد شبهتهم بأن الله قال: «(أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب) و لم يقل أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل كرر اسم الإله ثلاث دفوع، قائلا أنا إله وإله لتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته.

والجواب أن الاحتجاج بهذا على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أنه لو أريد بلفظ الإله أقنوم الوجود، وبلفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان الأقنوم الواحد إله إبراهيم، والأقنوم الثاني إله إسحاق، والأقنوم الثالث إله يعقوب، فيكون كل من الأقانيم الثلاثة، إله أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومين ليسا بإلهين له. وهذا كفر عندهم، وعند جميع أهل الملل.

الوجه الثاني: أنه يقال إن الله رب العالمين، ورب السماوات، ورب الأرض، ورب العرش ورب كل شيء، أفيلزم أن يكون رب السماوات ليس هو رب الأرض رب كل شيء.

وكذلك يقال إله موسى، وإله محمد، مع قولنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أفتكون الآلهة خمسة! وقد قال يعقوب لبنيه: ﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** ﴾ [سورة البقرة، ١٣٣] .

أفتراه أثبت إلهين أحدهما إلهه والآخر إله الثلاثة؟!

الوجه الثالث: أن العطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات كقوله تعالى... ﴿**إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ** ﴾(١) وهو هو سبحانه.

فقوله في التوراة إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب هو من هذا الباب، ولا يختص هذا بثلاثة، بل يقال في الاثنين والأربعة والخمسة، بحسب ما يقصد المتكلم ذكره من الصفات»(٢).

---

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾سورة البقرة١٣٣.

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٣ /٤٥٧-٤٦٠.

الدليل الثاني:

ما جاء في سفر أشعياء: «وهذا نادى ذاك وقال: (قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود . مجده ملء كل الأرض)»[1].

وقد أورد ابن تيمية قولهم أن أشعياء شهد بتحقق الثالوث بوحدانية، ثم ذكر أنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت، يقف الحران أمامهم ويقول كلاما عبرانيا هذا تفسيره ولا يجحدونه: (نقدسك ونعظمك ونثلث لك تقديسا مثلثا كالمكتوب على لسان نبيك) فيصرخ الجميع مجاوبين: قدوس، قدوس، قدوس، رب القوات، ورب السماوات والأرض، وذكر كلامهم أن هذا دليلاً لهم على التثليث ثم قال: والجواب أما ما في كتب الأنبياء عليهم السلام من تثنية اسم الرب عند إضافته إلى مخلوق آخر فهو من نمط تثنية اسم الإله.

وهذا لا يقتضي تعدد الأرباب والآلهة، ولهذا لا يقتضي جعلهم اثنين وأربعة، إذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة.

فكذلك إذا ذكر ثلاث مرات، لا يقتضي أن الأرباب ثلاثة، وهم أيضا لا يقولون بثلاثة أرباب وثلاثة آلهة، فلو كان هذا يدل على ثلاثة أرباب، وثلاثة آلهة، لدل على نقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم إنما يثبتون إلها واحدا، ولكنهم يناقضون فيصرحون بثلاثة آلهة، ويقولون هم إله واحد. والكتب لا تدل على قولهم المتناقض بوجه من الوجوه، بل الكتب الإلهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب، وعند المسلمين، ولايفهم منها ثلاثة أرباب، أو ثلاثة آلهة إلا من اتبع هواه بغير هدى من الله، وقال قولا مختلفا يؤفك عنه من أفك، ومثل هذا موجود في سائر الكلام، يقال هذا أمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وهو أمير واحد.

ويقال هذا رسول الله إلى الأميين، ورسول إلى أهل الكتاب، ورسول إلى الجن والإنس، وهو رسول واحد.

وهذا كما في السنن عن النبي r أنه قال: إذا قال العبد في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه، وذلك أدناه، وإذا قال في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثا فقد تم سجوده، وذلك أدناه.[2] والتسبيح هو تقديس الرب وأدناه أن يقدسه ثلاث مرات، فمعناه قدسوه ثلاث مرات لا تقتصروا على مرة واحدة. ولهذا يقولون مجيبين قدوس، قدوس، قدوس، فيقدسونه ثلاث مرات فعلم أن المراد تثليث التقديس، حيث ما دل عليه لفظه، وما يفعلونه ممتثلين لهذا الأمر، وما يفعل في نظير ذلك من تثليث

---

(١) أشعياء ٦: ٣.

(٢) جامع الترمذي: أبواب الصلاة عن رسول الله r - باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود١/٣٠٠، سنن ابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها - باب التسبيح في الركوع والسجود ٢/١٥٨، سنن أبي داود: كتاب الصلاة - تفريع أبواب الركوع والسجود ١/٣٨٥، قال أبو داود: هذا مرسل.

تقديسه، وأن يقدس ثلاث مرات، لا أن يكون المقدس ثلاث أقانيم، فإن هذا أمر لم ينطق نبي من الأنبياء به لا لفظا، ولا معنى، بل جميع الأنبياء عليهم السلام أثبتوا إلها واحدا له الأسماء الحسنى[١].

أما العهد الجديد فهم يستدلون منه بكثير من النصوص سواء الأناجيل الأربعة أو الرسائل ومن ذلك ما سأورده في الدليل الثالث.

الدليل الثالث:

جاء في إنجيل متى: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس» [٢].

ودائرة المعارف الفرنسية تؤكد أن أتباع المسيح الأوائل كان فهمهم لهذا النص أبعد ما يكون من فهم النصارى بعدهم، وأنها لم تدلهم على التثليث. فتقول «نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكروا عليه اسم الأب، والابن، والروح القدس، ولكن سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلولات غير ما يفهم منها نصارى اليوم، وأن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، وما كان (بطرس) حواريه يعتبره أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله»[٣].

وهؤلاء ثلاثة وليسوا واحداً، ولا أقل أن تعني هذه العبارة على فرض صحتها أن يكون فيها طلب الإيمان بهؤلاء الثلاثة.

ويقول ابن تيمية في معنى هذا النص بعيداً عن التكلف: « إن كان قال عمدوا الناس باسم الآب، والابن، وروح القدس، مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله، ونبيه الذي أرسله، وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمرا لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.

فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذي يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم، ويوافق القرآن، ويوافق العقل، أولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ولا هو من التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره»[٤].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح،ابن تيمية ٤٦١/٣- ٤٦٧ وانظر : موقف اليهود والنصارى،سارة العبادي، ص ٣٥٠.

(٢) متى ٢٨ : ١٩.

(٣) النصرانية من التوحيد الى التثليث،محمد الحاج، ص ٢٢٣ .

(٤) الجواب الصحيح،ابن تيمية، ١٩٧/٣.

الدليل الرابع: «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيًا عليه، وصوت من السماوات قائلا (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)»[1].

فهم يرون أن المسيح اعتمد هذا الاعتماد المقصود على رأس الثلاثين، ولا أقل أن يكون المقصود من ذلك النبوة والرسالة، وليس أنه ابن لله؛ لأن البنوة كما يقولون قد كانت من القدم، و لم يكن في الرحم إلا وهو ابن الله، والروح قد يكون جبريل أتاه بالرسالة والنبوة.

وفي هذا يقول القرطبي: «ثم نقول زعم النصارى أجمعهم، وكتبوا في كتبهم، أن يحيى عمد عيسى المسيح بوادي الأردن.

فنقول لهم هل كان عيسى u ، قبل أن يعمده يحيى مقدسا أم لم يكن، فإن قلتم أنه كان مقدسا فلا فائدة لفعل يحيى، ولأي شيء لم يترل عليه روح القدس قبل التعميد، وأنتم تقولون أنه لما عمده نزل عليه الروح القدس مثل حمامة بيضاء، وإن كان غير مقدس فكيف يكون من ليس بمقدس إلها، أو ابن إله، وأنتم تزعمون بجهلكم على اختلاف أقوالكم، أنه اتحد بناسوته اللاهوت وهو في بطن أمه، وكيف يتحد اللاهوت بمن ليس بمقدس، وهل هذا كله منكم إلا هذيان وضرب من الخذلان تمجه القلوب والآذان!!» [2].

الدليل الخامس:

«فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد»[3].

هذا النص قد أثبت إلحاقيته بالنص الذي بعده علماء النصارى وهو «والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح، والماء، والدم، والثلاثة هم في الواحد»[4] حتى يتم لأهل التثليث ما أرادوا وبين زيادته كما ذكر ذلك رحمة الله الهندي فقال: «وهي ملحقة يقيناً. وكريسباخ وشولز متفقان على إلحاقيتها. وهورن مع تعصبه قال: إنها إلحاقية واجبة الترك . وجامعوا تفسير هنري واسكات اختاروا قول هورن. هنري واسكات أيضاً مال إلى إلحاقيتها. وأكستاين الذي كان أعلم العلماء المسيحية التثليثية في القرن الرابع من القرون المسيحية، وهو إلى الآن مستند أهل التثليث أيضاً، كتب على هذه الرسالة عشر رسائل، و ما نقل في رسالة من هذه الرسائل هذه العبارة، وهو كان من معتقدي التثليث، وكان مناظراً مع فرقة إيرين التي تنكر التثليث.

---

(١) متى ٣: ١٦-١٧.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي١/ ٤٠٤- ٤٠٥.

(٣) رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧.

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٥: ٨.

فلو كانت هذه العبارة في عهده لتمسك بها ونقلها في إثباته، ولما ارتكب التكلف البعيد الذي ارتكبه في الآية الثامنة فكتب في الحاشية ««إن المراد بالماء الأب وبالدم الابن وبالروح القدس». فإن هذا التكلف ضعيف جداً، وأظن أنه لما كان هذا التوجيه بعيداً جداً اخترع معتقدوا التثليث هذه العبارة التي هي مفيدة لعقيدتهم وجعلوها جزءاً من عبارة الرسالة. وأقر صاحب الميزان الحق أيضاً على رؤوس الأشهاد في المناظرة التي وقعت بيني وبينه سنة ١٢٧٠هـــ بأنها محرفة»[١].

الدليل السادس:

«عندما سألهم من تقولون إني أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال (أنت هو المسيح ابن الله الحي) فأجاب يسوع وقال (له طوبى لك ياسمعان بن يونا)[٢] وهذا النص مع غيره من النصوص الكثيرة التي تقول بأنه ابن الله تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء.

والمقصود أن إثبات البنوة لله ظلم وكفر في أصل مقصودها، ولكن قد يقال أن المقصود بالبنوة في الكتاب المقدس – ان صح أن عيسى u قالها - ليس ما يفهمه النصارى منها بل قد يراد منها الصالح والبار والمطيع لله، بل قد أطلق في الكتاب المقدس على غير المسيح، فلم يعد اللفظ خاصاً بالمسيح u .

يقول رحمة الله الهندي في نقضه لمراد النصارى من تأليه المسيح واستغلالهم للفظ ابن الله في الكتاب المقدس دلالة على ذلك فيقول: « إطلاق لفظ ابن الله على المسيح u ، أقول هذا الدليل في غاية الضعف بوجهين: أما أولا، فلأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان،كما عرفت! وبإطلاق ابن داود. فلا بد من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية ولا يلزم منه محال. وأما ثانيا، فلأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي، لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم من تولد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا. فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح. «ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرح هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله» [٣].

ونقل لوقا قول القائد هكذا «بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً) [٤]»[٥].

---

(١) رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، إظهار الحق، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـــ). ص ١٧٥يقصد القسيس (فندر) في المناظرة الكبرى التي وقعت بينهما في الهند .

(٢) متى١٥:١٦- ١٧.

(٣) مرقس ١٥: ٣٩.

(٤) لوقا ٢٣: ٤٧.

(٥) إظهارالحق،رحمة الله الهندي ٢٨١.

وورد لفظ البنوة في حق غيره كما في إنجيل متى هكذا: «أحسنوا إلى مبغضكم وصلوا لأجل الذين يسيئون، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات». فأطلق عيسى u ، من أحسن إلى غيره وكان صالحاً أنه ابن الله، وقد ذكر الإمام رحمة الله الهندي نماذج كثيرة من ذلك[١].

وبعد هذا العرض الموجز لبعض أدلة التثليث ونقضها كما ذكر علماء الإسلام وما اكتفيت به من ذكر غيض من فيض الردود على هذه النصوص، سواءً من علماء المسلمين، أو علماء النصارى على حد سواء، مما يظهر للقارئ الكريم بطلان التثليث من أدلته.

وكما قال رحمة الله الهندي عندما وجه النقد إلى الإنجيل فقال: أن كلام يوحنا مملوء من المجاز، قلما تجد فقرة لا تحتاج إلى تأويل، وأن الإجمال يوجد كثيرا في أقوال المسيح u . بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه، و أن عيسى u ، ما بيّن ألوهيته إلى العروج ببيان لا يبقى فيه شبهة، ويفهم منه صراحة هذا المعنى.

فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالبا مجملة منقولة عن إنجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام، بعضها لا يدلّ بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم، فاستنباط ال إلوهية منها مجرد زعمهم. وهذا الاستنباط والزعم، ليسا بمعتمدين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية، والنصوص العيسوية، وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى، ومن بعض مواضع الإنجيل، وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم، فإذا وجب التأويل فلا بد أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص وأنى لهم ذلك[٢].

كما أن الكتاب المقدس مليئ بنصوص التوحيد، وما يناقض أقانيم التثليث، سواء أكان المراد من الآب، أو الابن، أو إلوهية روح القدس.

ولم ينص الإنجيل على التثليث، ولا وجد فيه ما يقول به النصارى في أمانتهم، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرد استدلالهم بالتثليث على الإنجيل فقال: قولكم وكذلك نحن النصارى العلة في قولنا إن الله ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيل نطق به.

فيقال لكم هذا باطل، فإنه لم ينطق لا الإنجيل ولاشيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم، ولا خص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها، ولا قال المسيح ولا غيره إن الله هو الأب، والابن، وروح القدس، ولا إن له أقنوما هو الابن، وأقنوما هو روح القدس، ولا قال إن الابن كلمته، أو علمه، أو حكمته، أو نطقه، وإن روح القدس حياته، ولا سمى شيئا من صفاته ابنا، ولا ولدا، ولا قال عن شيء من صفات الرب إنه مولود، ولا جعل القديم الأزلي مولودا، ولا قال لا عن قديم ولا مخلوق إنه إله حق، من إله حق، ولا قال عن صفات الله إنها آلهة، وإن الكلمة إله، والروح إله، ولا قال

---

(١) انظر : إظهارالحق،رحمة الله الهندي،رحمة الله الهندي، ص ٢٨١ -٢٨٣.

(٢) انظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي،ص٢٨٠.

إن الله اتحد لا بذاته، ولا بصفاته بشيء من البشر، بل هذا كله مما ابتدعتموه وخرجتم به عن الشرع، والعقل، فخالفتم الكتب المترلة والعقول الصريحة[١].

الجهة الثانية: رد التثليث من الكتاب المقدس:

ومع تكلفهم في إيجاد نص التثليث من الكتاب المقدس، فقد اشتمل على مالا يحصى مما يناقض التثليث ويهدم أركانه، وقبل أن أعرض نصوص التوحيد فيه، إذ لا يمكن اجتماع المتناقضات في كلام الله ومصدر التشريع، بل إنه عندما يعارض النص الصريح بالنص المحتمل، فإنه لا يسع العقل الصريح، إلا الرجوع إلى النص الصحيح، وفي هذا فقد وجد من علماء النصارى، ودوائر المعارف عندهم الاعتراف بعدم نص الكتاب المقدس على التثليث، وأنه من صنع البشر، وأن عيسى **u** ، ما دعا إلا إلى التوحيد فمن ذلك ما جاء في دائرة المعارف الفرنسية هذا القول: «جاء لفظ روح الله، ونفخة الله في التوراة، و لم يقصد بها إلا أصل القدرة الإلهية، أو طريقة تأثير تلك القدرة... قد جاء في الأناجيل ذكر الأب، و الابن، وروح القدس، ولكنه لا يوجد فيها إشارة ما إلى التثليث، ولا إلى ما يشير إليه العلم اللاهوتي اليوم، فالإله الذي كان يتكلم عنه عيسى **u** . وحواريوه هو الله الواحد رب الأنبياء والأولياء، الذي تجب له العبادة وحده، وكان عيسى **u** يدعو هذا الإله بالآب ولا يدعو رباً سواه»[٢].

وفي هذه الفقرة سأوضح الجانب المشرق في الكتاب المقدس وهو دلالته على التوحيد، ونفي إلوهية المسيح، وإثبات بشريته من غير تكلف شرح ولا توضيح بيان.

فمن نصوص الوحدانية والمليئة به نصوص التوراة والإنجيل[٣] والتي أبقاها الله فيهما، رغم التحريف والتبديل لتبقى عليهم حجة إلى يوم الدين ما يلي:

١- «وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»[٤].

٢- «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى»[٥].

---

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٤/ ٤٤١.

(٢) انظر: دائرة المعارف لقرن العشرين، محمد فريد وجدي :١٠/١٩٩. النصرانية من التوحيد الى التثليث، محمد الحاج،ص٢٢٦.

(٣) شأنهما شأن جميع كتب الله إذ لم يبعث الله الرسل ويترل الكتب إلا لرد الناس إليه كلما انحرفوا عن جادة الحق والصواب.

(٤) يوحنا ١٧: ٣.

(٥) مرقس ١٢: ٢٨-٣٠.

٣- في إنجيل يوحنا قول المسيح r في خطاب مريم المجدلية هكذا: «لا تلمسني لأني لم أصعد بعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[١]. فسوى بينه وبين الناس في هذا القول «أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» لكيلا يتقولوا عليه الباطل، فيقولون أنه إله أو ابن إله.

٤- في إنجيل يوحنا قول المسيح u هكذا: «إن أبي أعظم مني»[٢]. ففيه أيضا نفي، لأن الله ليس كمثله شيء، فضلا عن أن يكون أعظم منه، وهم يقولون بالمساواة وهنا نفيها.

٥- كان من عاداته الشريفة أنه إذا عبّر عن نفسه كان يعبر بابن الإنسان غالبا،[٣] ويشهد الكاتب الكبير كالتوف أن الاعتقاد ب إلوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات إلوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب، لذلك يقول «إن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل، وأن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) [٤] التي كانت إذ ذاك مسيطرة، وكانت آراؤها شائعة، وتكاد تكون عامة أو عالمية..

ويقول مدير ريبون هول – أكسفورد: ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به والاعتماد عليه والحاجة إليه[٥].

رد التثليث من إنجيل برنابا:

وإن كنا لسنا في حاجة إلى تصحيح عقيدة النصارى في عيسى u من إنجيل برنابا لما بين أيدينا من النص الصحيح في الكتاب والسنة، كما سيأتي ولأن هذا الإنجيل غير معتبر عند النصارى، لما يحتويه من نصوص تناقض ما هم عليه وتؤيد ما جاء في القرآن والسنة، إلا أنه سيبقى حجة ناطقة للمنصفين من النصارى مع ما سبق بيانه، من نصوص الكتاب المقدس في إثبات ضلال النصارى في القول بالتثليث.

فقد كتب برنابا إنجيله ليرد على بولس في تعليمه للناس بأن عيسى u ، إله وذلك ما أوضحه في مقدمته إذ يقول: «أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمة عظيمة للتعليم والآيات، التي اتخذها الشيطان ذريعة، لتضليل كثيرين بدعوى التقوى،

---

(١) يوحنا ٢٠: ١٧.

(٢) يوحنا ١٤: ٢٨.

(٣) كما لايخفى على ناظر هذا الإنجيل المروج أيضا مثلا في إنجيل متى ٨: ٢٠و١٣: ٦ و ١٧: ٩، ١٢، ٢٢، وغيرها كثير انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي ٢٧٣- ٢٧٩.

(٤) الميتافيزيقا:فرع من الفلسفة تبحث عن الحقيقة الأولية للوجود.يبحث في الإله والعالم والإنسان وفيما وراء الطبيعة والحس، هاجمتها المذاهب التجريبية. الموسوعة الميسرة٢/١١٦٥.

(٥) النصرانية والإسلام، الطهطاوي ص ٣٩-٤٠.

مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله، دائما مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضا بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق، الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما اكتبه، لتخلصوا خلاصا أبديا»[١].

وأكتفي بذكر هذا النص، رغم وجود النصوص الكثيرة التي تدل على التوحيد، وتنفي إلوهية المسيح، بل إنه بشر كغيره من البشر ورسول كبقية الرسل[٢].

الجهة الثالثة: رد التثليث عقلاً:

والعقل ينفي التثليث ولا يمكن أن يستوعبه مع الوحدة المزعومة، ولقد ذكرت من أقوال علماء النصارى عند عرض مصادرهم ما يغني عن إعادته هنا. بل إن المنصفين منهم ذكروا بشرية هذه العقيدة، وأنها لم تكن من عند الله، و لم يأمرهم بها عيسى u ، و لم تكن من تعليم حوارييه من بعده.

وقد تصدى لها علماء الإسلام بالرد وإبطال الشبهات حولها وعقد الحوارات والمناظرات مع أتباعها.

وقبل الرد أطرح هذه الحقيقة من أحد كتابهم فيقول: «تعليم الثالوث القدوس صعب علينا ومربك لنا. وأحياناً يعتقد أن المسيحية تعلم فكرة غبية هي ١+ ١+١=١. ومن الجلي أن هذه معادلة غبية. وتعبير (الثالوث) يصف علاقة، ليست بين ثلاثة آلهة، بل لإله واحد في ثلاثة أقانيم. والثـــالوث لا يعني تثليثاً، أي أن هناك ثلاثة كائنات هي معاً الله. وكلمة ثالوث تستعمل كجهد لتعريف ملء اللاهوت من ناحية وحدته وتنوعه.

والصيغة التاريخية للثالوث الأقدس هي أن الله واحد في الجوهر ولكن له ثلاثة أقانيم. وعلى الرغم من أن الصيغة غامضة، بل وتبدو متناقضة، إلا أنها لا تتضمن تناقضاً بأي حال. ذلك أن وحدة الله تتأكد من ناحية الجوهر أو الكينونة، في حين أن تنوع ال إلوهية تم التعبير عنه بالأقانيم».[٣][٤].

---

(١) إنجيل برنابا ١: ١-٩.

(٢) انظر:إنجيل برنابا مع الإطلاع على مقدماته لكل من د. خليل سعادة والسيد محمد رشيد رضا. ود. أحمد حجازي السقا.

(٣) الإيمان المسيحي، سبرول ص ٣٩.

(٤) وقد صدر كتاب في مدينة لندن ألفه سبعة من رجال الكهنوت عام ١٩٧٧م يعلنون فيه الآتي ١- إنكار إلوهية المسيح u ٢- تقرير بشريته فقط. ولقد نفدت طبعة هذا الكتاب في نفس أسبوع صدوره. انظر: الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق تأليف المستشار محمد عزت طهطاوي ص ٣٢٤ تحت عنوان (رجال الدين في أوربا الآن يرفضون القول ب إلوهية المسيح ٣٢٤- ٣٢٨).

بهذه المقدمة من كلام عالم بالنصرانية ومعتقد لها أقول قد أغنت عن الرد جملة وتفصيلا، لكن يبقى إبراز ما قاله علماء المسلمين في ذلك وتوضيح جهودهم، وسأقتصر على علمين من علماء المسلمين أحدهما من القدامى، والآخر من العصر الحديث.

الأول: ابن تيمية الحراني(١):

يقول في الجواب الصحيح: «قالوا والثلاثة أسماء فهي إله واحد، ورب واحد، وخالق واحد، مسمى واحد، لم يزل ولا يزال شيئا حيا ناطقا، أي الذات والنطق والحياة، فالذات عندنا الأب، الذي هو ابتداء الاثنين، والنطق الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل، والحياة هي الروح القدس والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن أسماء الله تبارك وتعالى متعددة كثيرة...

قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة الاعراف، ١٨٠]

وفي الحديث «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة»(٢).

وإذا كانت أسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها، فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل، وأي شيء زعم الزاعم في اختصاص هذه الأسماء به دون غيرها فهو باطل.

الوجه الثاني: قولهم الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والابن النطق الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل. كلام باطل فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل أولا وآخراً، ولم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا، لم يصر حيا بعد أن لم يكن حيا، ولا عالما بعد أن لم يكن عالما.

فإذا قالوا إن الأب الذي هو الذات هو ابتداء الحياة، والنطق اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، وأن يكون فاعلا للحياة والنطق، فإن ما كان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له. وهذا في حق الله باطل.

وكذلك قولهم إن النطق مولود منه، كولادة النطق من العقل، فإن المولود من غيره متولد منه، فيحدث بعد أن لم يكن كما يحدث النطق شيئا فشيئا، سواء أريد بالنطق العلم، أو البيان فكلاهما لم يكن لازما للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن.

---

(١) ولقد كتب الدكتور عبد الراضي بن محمد عبد المحسن كتاباً بين فيه منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى من خلال جهود ابن تيمية في الرد عليهم أوضح فيه التثليث عندهم مع اختلافهم الكبير في تفسيره وتمثيله ومصدره وأدلتهم عليه ثم هدم فكرته مع مناقشة لأفراد التثليث الآب والابن وروح القدس وإبطاله لهم .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشروط - باب ما يجوز من الاشتراط ٣/١٩٨.

الوجه الثالث: أن قولهم في الابن أنه مولود من الله، إن أرادوا به أنه صفة لازمة له فكذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون روح القدس أيضا ابنا ثانيا، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، صار عالما بعد أن لم يكن عالما، وهذا مع كونه باطلا وكفرا، فيلزم مثله في الحياة، وهو أنه صار حيا بعد أن لم يكن حيا.

الوجه الرابع: أن تسمية حياة الله روح القدس، أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المترلة فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم.

الوجه الخامس: أنهم يدعون أن المتحد بالمسيح هو (الكلمة) الذي هو العلم وهذا إن أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة، كان المسيح هو الآب وكان المسيح نفسه هو الآب وهو الابن وهو روح القدس، وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر.

وإن قالوا المتحد به هو العلم، فالعلم صفة لا تفارق العالم، ولا تفارق الصفة الأخرى التي هي حياة، فيمتنع أن يتحد به العلم دون الذات ودون الحياة.

الوجه السادس: أن العلم أيضا صفة والصفة لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضا فهو عندهم خالق السماوات والأرض فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإله المعبود هو الإله الحي العالم القادر، وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام.

فلو قال قائل يا حياة الله أو يا علم الله أو يا كلام الله اغفر لي وارحمني واهدني، كان هذا باطلا في صريح العقل، ولهذالم يجوز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلم بهذا الكلام اغفر لي وارحمني...

ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة، بل غايته أن يكون كلمة واحدة إذ هو مخلوق بكلمة من كلمات الله عز وجل.

الوجه السابع: أن أمانتكم التي وضعها أكابركم بحضرة قسطنطين، وهي عقيدة إيمانكم التي جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الإله واحد، وتبين أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه.

ففي هذه الأمانة التي جعلتموها أصل دينكم، ذكر الإيمان بثلاثة أشياء. بإله واحد خالق السماوات والأرض خالق ما يرى وما لا يرى فهذا هو رب العالمين الذي لا إله غيره ولا رب سواه وهو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء والمرسلين، وهو الذي دعت جميع الرسل إلى عبادته وحده لا شريك له ونهوا أن يعبد غيره.

ثم قلتم! وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو الآب في الجوهر، فصرحتم بالإيمان مع

خالق السماوات والأرض برب واحد مخلوق مساو الأب ابن الله الوحيد وقلتم هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه.

وهذا تصريح بالإيمان بإلهين أحدهما من الآخر...

وهم في هذه الأمانة قد جعلوا الله والدا وهو الآب، ومولدا وهو الابن، وجعلوه مساويا له في الجوهر، وقد نزه الله نفسه عن الأنواع الثلاثة، فقالوا مولود غير مخلوق مساو الآب في الجوهر، فصرحوا بأنه مساو له في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوي، ولا يساوي الآب في الجوهر إلا جوهر فوجب أن يكون الابن جوهرا ثانيا، وروح القدس جوهرا ثالثا.

وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر، وثلاثة آلهة، ويقولون مع ذلك إنما نثبت جوهرا واحدا وإلها واحدا وهذا جمع بين النقيضين.. وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)** ﴾[سورة الإخلاص، ١-٤]

ثم ذكرتم في عقيدة أمانتكم، أنكم تؤمنون بروح القدس الرب المحيي، فأثبتم ربا ثالثا، قلتم المنبثق من الأب، والانبثاق الانفجار،فانبثق أي انفجر، فاقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيي انفجر من الأب واندفق منه.

ثم قلتم هو مع الآب مسجود له وممجد ناطق في الأنبياء، فجعلتموه مع الآب مسجودا له فأثبتم إلها ثالثا يسجد له.

ثم رد رحمه الله تشبيههم التثليث بمثل الشمس فقال: وهم تارة يشبهون الأقنومين العلم والحياة، التي يسمونها الكلمة وروح القدس، بالضياء والحرارة التي للشمس مع الشمس، ويشبهون ذلك بالحياة والنطق، الذي للنفس مع النفس وهذا تشبيه فاسد فإنهم إن أرادوا بالضياء والحرارة، ما يقوم بذات الشمس فذلك صفة للشمس قائمة بها، لم تحل بغيرها ولم تتحد بغيرها، وإن أرادوا ما هو بائن عن الشمس قائم بغيرها كالشعاع القائم بالهواء والأرض، والحرارة القائمة بذلك كان هذا دليلا على فساد قولهم من وجوه: منها أن هذه أعراض منفصلة بائنة عن الشمس، قائمة بغيرها لا بها، ونظير هذا ما يقوم بقلوب الأنبياء من العلم والحكمة والوحي الذي أنذروا به. وعلى هذا التقدير فليس في الناسوت شيئ من اللاهوت وإنما فيه آثار حكمته وقدرته.

ومنها أن الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران، أعراض قائمة بغير الشمس، والكلمة وروح القدس عندهم هما جوهران... ومنها أن هذا ليس هو الشمس ولا صفة من صفات الشمس، وإنما هو أثر حاصل في غير الشمس بسبب الشمس... فما حل بالمسيح حل بغيره من المرسلين، وما لم يحل بغيره لم يحل به فلا اختصاص له بأمر يوجب أن يكون إلها دون غيره من الرسل، ولا هنا اتحاد بين اللاهوت

والناسوت كما لم تتحد الشمس ولا صفاتها القائمة بها بالهواء والأرض، التي حصل بها الشعاع والحرارة[١].

وقال في موضع آخر وهو يبين تخبطهم في الأقانيم الثلاثة وما يراد به «ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص[٢]، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معا وهذا تفسير حذاقهم»[٣].

وفي رده اعتقادهم فيه الربوبية، وأنه خالق بسبب معجزاته u ، وإيراد بعضهم ما جاء في القرآن الكريم، بأن الله نص في كتابه على إثبات لفظ الخلق له فيقول: قالوا وقد سماه الله أيضا في هذا الكتاب[٤] خالقا حيث قال: ﴿ **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** ﴾ [سورة المائدة، ١١٠]

فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة بالناسوت، المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي: « بكلمة الله خلقت السماوات والأرض ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه» وهذا مما يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح.

وقد رد عليهم من عدة أوجه منها:

أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح فإن الله أذن له فيه. والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرا بإذن الله عز وجل، ليس المعجزة مجرد خلقه من الطين فإن هذا مشترك.

ومنها: أن اللاهوت إذا كان هو الخالق، لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه فإنهم يقولون هو إله واحد وهو الخالق، فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه وينعم على نفسه.

ومنها: أن قولهم فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت، المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض).

يقال لهم هذا النص عن داود حجة عليكم، كما أن التوراة والقرآن وسائر ما ثبت عن الأنبياء حجة عليكم، فإن داود u ، قال بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، ولم يقل إن كلمة الله هي الخالقة كما قلتم أنتم أنه أشار بالخالق إلى كلمة الله.

---

(١) الجواب الصحيح،ابن تيمية ٣ /٢٢١- ٢٣٥.

(٢) أشخاص : الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد إثبات الذات فاستعير له لفظ الشخص لسان العرب ٧/ ٤٥.

(٣) الجواب الصحيح،ابن تيمية ٣/٢٠٠.

(٤) يقصدون القرآن الكريم.

والفرق بين الخالق للسماوات والأرض، وبين الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض أمر ظاهر معروف، كالفرق بين القادر والقدرة، فإن القادر هو الخالق وقد خلق الأشياء بقدرته، وليست القدرة هي الخالقة.

ومنها: أن قول داود u ، بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، يوافق ما جاء في القرآن والتوراة، وغير ذلك من كتب الأنبياء، أن الله يقول للشيء كن فيكون، وهذا في القرآن في غير موضع وفي التوراة قال الله ليكن كذا ليكن كذا [1].

الثاني: رحمة الله الهندي:

في العصر الحديث انبرى جملة من علماء المسلمين، ومفكريهم في الرد على النصارى، ومناظرتهم بالحجج والبراهين النقلية والعقلية. ومن هولاء الإمام (رحمة الله الهندي) حيث ناظر قساوستهم وعلماءهم في المجامع العامة وصنف الكتب في ابطال عقائدهم. وكان له اهتمام بالغ بالرد العقلي، ومن ذلك ماجاء في كتابه (إظهار الحق) إذ يقول تحت عنوان [في إبطال التثليث بالبراهين العقلية] ثم ذكر عدة براهين منها: «لما كان التثليث والتوحيد حقيقيين عند المسيحيين، فإذا وجد التثليث الحقيقي لابد من أن تأكد الكثرة الحقيقية أيضاً، ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقي، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين وهو محال. فلزم تعدد الوجباء وفات التوحيد يقينا.

فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله تعالى بالتوحيد الحقيقي. والقول بأن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي، وإن كانا ضدين حقيقيين في غير الواجب، لكنهما ليسا كذلك فيه سفسطة[2] محضة. لأنه إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر، فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة، واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب، كيف وإن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد. وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأساً. وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة. فلو اجتمعا في محل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزءاً. وإن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقية الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء، وهلم جراً. وكون الشيء مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل، باطلٌ قطعاً»[3].

---

(١) انظر الجواب الصحيح، ابن تيمية ٤/ ٤٢- ٥٠ .

(٢)السفسطة : قياس مركب من الوهميات والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته و(السوفسطائية) فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات وغيرها الواحد سوفسطائي. المعجم الوسيط ١ / ٤٣٣.

(٣) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ص ٢٦٨.

ويتساءل في موضع آخر لماذا لم يبينه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلا لأنه من صنع البشر ومصادم للحقيقة فيقول: «فلو كان التثليث حقا لكان الواجب على موسى u وأنبياء بني إسرائيل أن يبيّنوه حقّ التبيين. فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسى u ، خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة، على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها، نبيّا كان أو غير نبيّ.

وأعجب منه أن عيسى u أيضا مابين هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح، مثلا بأن يقول إن الله ثلاثة أقانيم ألآب والابن وروح القدس، وأقنوم الابن تعلّق بجسمي بعلاقة فلانية، أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، فاعلموا أني أنا الله لا غير لأجل العلاقة المذكورة. أو كلاما آخر مثله في إفادة هذا المعنى صراحة. وليس في أيدي أهل التثليث من أقواله إلا بعض الأقوال المتشابهة»[١].

ويتعجب كذلك كيف يحضر المسيح بناسوته في أماكن متعددة في ظل العقيدة النصرانية فيقول: «إن حضور المسيح بلا هوته في أمكنة متعدّدة في آن واحد، وإن كان ممكنا في زعمهم، لكنه باعتبار ناسوته غير ممكن .لأنه بهذا الاعتبار كان مثلنا حتى كان يجوع ويأكل ويشرب وينام ويخاف من اليهود ويفرّ وهلمّ جرّا . فكيف يمكن تعدّده بهذا الاعتبار بالجسم الواحد في أمكنة غير محصورة في آن واحد حقيقة ؟ والعجب أنه ما وجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الاعتبار في مكانين أيضا، فضلا عن الغير المتناهية، وكذا بعد عروجه إلى السماء . فكيف يوجد بعد اختراع هذا الاعتقاد الفاسد بالاعتبار المذكور في أمكنة غير محصورة في آن واحد»[٢]. ثم يذكر رحمه الله خبر ثلاثة أشخاص تنصروا وهو يلمح إلى هشاشة هذه العقيدة وعدم إدراك الداخلين فيها لها أو إيصال معلومة تقنع العقل في فهمها والإيمان بها فيقول:

«نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلّمهم بعض القسيسين[٣] العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث أيضا، وكانوا في خدمته فجاء محب من أحباء هذا القسيس وسأله عمّن تنصر، فقال ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب هل تعلموا شيئا من العقائد الضرورية؟ قال: نعم. وطلب واحدا منهم ليرى محبّه. فسأله عن عقيدة التثليث. فقال: إنك علّمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء، والثاني تولّد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة. فغضب القسّيس وطرده. وقال هذا مجهول. ثم طلب الآخر منهم وسأله. فقال: إنك علمتني أن

---

(١) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ص ٢٦٥- ٢٦٦.

(٢) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ص ٢٥٩.

(٣) قسيس: كلمة يونانية بمعنى شيخ وهو رئيس النصارى في العلم، والمفتي في الدين، ومقيم الصلوات وهو دون الأسقف وفوق الشماس. والبروستانت لا يعترفون بسلطة القساوسة حيث يعتبرون المسيح هو رأس الكنيسة وهم أعضاء فيها مثل باقي النصارى بنص الإنجيل أعمال الرسل ٢٠: ١٧-٢٨. الموسوعةالميسرة٢/١١٢٥.

الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم، فالباقي إلهان. فغضب عليه القسّيس أيضا وطرده. ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة إلى الأوّلين وحريصا في حفظ العقائد، فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علّمتني حفظا جيدا وفهمت فهما كاملا بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات، فمات الكلّ لأجل الاّتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد».

وقد علق عليها رحمة الله بقوله« (أقول) لا تقصير للمسؤولين فإن هذه العقيدة يخبط

فيها الجهلاء هكذا ويتحير علماؤهم، ويعترفون بأنا نعتقد ولا نفهم، ويعجزون عن تصويرها وبيانها»[١].

ولا يمكن أن يجعل الخالق الغني محتاجا إلى إفراغ عاطفته ومحبته لشخص آخر ثم ثالث كما فعل الأب إلياس حتى لكأننا ننظر إلى عائلة بشرية تربطهم علاقات حميمية تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا..

وهذا التخبط للنصارى في شأن المسيح u ، نتيجة استخدام عقولهم في غير محله، والتكلف البعيد للنصوص، فلا يعقل أن يخلو النص عن بيان أصل المعتقد، ويترك للناس عناء الاستنباط من بين النصوص والسطور لتكوين الأساس الأول للدين، فيترك هذا الحق، ويلجأ إلى تأويلات تنازعت فيها الآراء شذر مذر، ولا تزال كذلك إلى هذا العصر، مع انقضاء عصر تدوين هذه العقيدة، وسوف يبقى الاختلاف كذلك إلى أن يصحح لهم عقيدتهم عيسى u ، ويخلصهم مما هم فيه عندما يكسر الصليب، ويقتل الخترير، ولا يقبل إلا الإسلام.

ومما يبرهن إدعاء التثليث في النصرانية، هو بقاء طائفة من الموحدين في جميع عصورها منذ أن بدأت الدعوة إلى غير التوحيد، في زمن الإكراه والاضطهاد، ثم العصور التي أعقبتها، ولا يزال كذلك إلى عصرنا الحاضر، ومن تلك الطوائف ما نقل عنها الإمام ابن حزم في قوله: «والنصارى فرق منهم: أصحاب أريوس، وكان قسيسا بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى u ، عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض.

ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي، وكان بطريركيا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وإن عيسى عبد الله ورسوله، كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وكان يقول لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس.

وكان منهم مقدونيوس... وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد. وإن عيسى عبد مخلوق إنسان. نبي رسول الله، كسائر الأنبياء عليهم السلام» [٢].

وفي العصر الحديث تعود الدعوة إلى التوحيد بين الفينة والأخرى، أو نفي دعوى ال إلوهية في عيسى u ، ومن ذلك طائفة الموحدين في العصر الحاضر.

---

(١) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ص ٢٧١.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ١/ ٤٧، وانظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح u ، سارة العبادي ص ٢١٢- ٢١٧.

«وهذه الطائفة اسم لمجموعة دينية، ترفض العقيدة المسيحية القديمة المألوفة للكنيسة المسيحية، سواء كانت في عصر قديم، أو في عصر ما بعد التجديد.

تأسست في القرن ١٦م في المجر و رومانيا و بولندا، وفي القرن ١٨م و ١٩م انتشرت في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها، وهي تؤمن بأن الإله واحد لا شريك له، وتنكر إلوهية عيسى u وعقيدة التثليث»[١].

ثم انتشرت الموجة التوحيدية في بريطانيا، وكذا في أمريكا بين أبناء الطائفة الكالفنية... المتطهرة، وهؤلاء يدعون إلى أن الله وحده خالق العالم ومالكه، وأننا نستطيع أن نعبده جيداً بأن نتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأن عيسى المسيح رسوله»[٢].

«وتأسس في عام ١٨٢٥ اتحاد التوحيديين البريطانيين والأجانب، ولا تزال هذه الطائفة موجودة في بريطانيا وقد توحد أعضاؤها بعد أن كانوا متفرقين في منظمة سميت الجمعية العمومية لطائفة الموحدين والكنائس الحرة في عام ١٩٢٨م»[٣].

«وحينما انتشرت التوحيدية في مناطق الغرب الأوسط المفتوحة قريباً تحولت أسس ديانتها إلى نزعة إنسانية عالمية و عقائد علمية، مفضلة ذلك على المسيحية والكتاب المقدس .

وأسس الأمريكيون في عام ١٩٠٠م الاتحاد الدولي للمسيحية الحرة و الحرية الدينية.

وفي عام١٩٦١م توحد التوحيديون والعالميون في كنيسة واحدة وهي: الاتحاد الأمريكي التوحيدي العالمي»[٤][٥].

---

(١) ملخص و مترجم من (الموسوعة البريطانية ١٨ / ٨٥٩، ٨٦٠ نقلا موقف اليهود والنصارى من المسيح u ، سارة العبادي ص٢١٦.

(٢) ملخص و مترجم من (الموسوعة البريطانية) ١٨ /٨٥٩، ٨٦٠ نقلا من: موقف اليهود والنصارى من المسيح،سارة العبادي، ص٢١٦-٢١٧.

(٣) نقلا عن المرجع السابق، ص٨٦١.

(٤) نقلا عن : المرجع السابق، ص٨٦١. نقلا من: موقف اليهود والنصارى من المسيح،سارة العبادي، ص٢١٧.

(٥) وقد ذكر المستشار محمد الطهطاوي في كتابه (الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق) ص٣١٢- ٣١٩ تحت عنوان (بيان عن بعض الموحدين من النصارى وأوطانهم) عددا من الجماعات أو المذاهب أو الدعاة إلى التوحيد في كثير من الدول الغربية أو الشرقية التي تدين بالنصرانية، والمطالبة بالعودة إلى التوحيد، ثم يقول في نهاية بيانه (يا دعاة الإسلام في كل مكان: هؤلاء قد وصلوا بتفكيرهم الحر إلى عقيدة التوحيد دون مجهود منكم، أو من أحد غيركم، فهلا حملتم إليهم الإسلام وهو رائد عقيدة الموحدين ليتخذوه ديناً لهم ومنهاجا) ص ٣١٨.

وعند ذكر مهمة الإله الثالث في النصرانية، وهو روح القدس أنه يكون معهم ويؤيدهم ويرشدهم في الكنائس وغيرها يبقى السؤال لماذا يخالف بينهم و لم يجمع كلمتهم(١).

وفي الختام فإن تصريحات كثير من علماء النصارى، سواءً في دوائر المعارف أو مؤلفاتهم، عن عدم إدراك معنى التثليث أو فهمه بما تطمئن إليه القلوب، وزعمهم أنه لم يحن الوقت الذي يمكنهم إدراكه، لمن أقوى الأدلة على بطلانه، إذ كيف يعبد الله البشر بما لا يفهمه علماؤهم، فضلاً عن عامتهم.

الجهة الرابعة: رد التثليث من الكتاب والسنة:

إن الأصل الذي يعتمد عليه المسلمون في تقرير عقيدة صحيحة، أو رد معتقد باطل، هو الكتاب والسنة، ولا حاجة إلى أي مصدر آخر سواهما.

غير أنني أخرت نقض ما عليه النصارى من ضلال من الكتاب والسنة؛ لأجل توضيح باطلهم من مصادرهم التي عليها يعتمدون وبها يؤمنون.

ومن باب الدعوة وقرع الحجة بما هو أقوى منها، إذ القرآن الكريم لم تطله أيدي التحريف، وبين ماعليه النصارى بما يتوافق مع العقل الصريح، والفطرة السليمة التي فطر لله الناس عليها، فقد بين ما هم عليه من تحريف وضلال، في جانب الإيمان بالله وما يجب له من التوحيد والإفراد في العبادة في غير ما آية.

فتارة ينفي اتخاذ الند والشريك جملة، وأخرى ينهى عن الشرك به، وجعله ثالث ثلاثة، وأخرى ينفي أن يكون له ولد، وتارة يبين كفر من جعل له ولد، أو قال أن غيره إله مع بيان أنه لا يمكن أن يستقيم نظام العالم مع وجود إلهين يدبران أمره قال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء، ٢٢]

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [سورة النحل، ٥١]

وقد تكون النصوص تبرئة لعيسى مما يزعمه النصارى فيه، ويثبت في غير ما آية أنه عبد الله ورسوله، إلى غير تلك النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة،تعلي التوحيد، وتدحض الشرك، وتهدم أركانه.

فبين الله كفر من قال إن المسيح ابن مريم إله مع الله، وحاجهم تعالى بأنه u ، لا يملك لنفسه شيئا إن أراد الله إهلاكه ومن في الأرض جميعا، وما هو إلا خلق من خلق الله قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ**

---

(١) لم يجمع كلمتهم في الإله على قول واحد بل هم فرق وطوائف، وكل فرقة تضلل الأخرى، فأين روح القدس منهم، ومن هي الفرقة التي على الصواب منهم وهل عجز هذا الإله عن جمع كلمتهم، أم تركهم في تخبطهم وتفرقهم كيداً لهم،أم هنالك أسباب لا يعرفها النصارى لماذا لم يجمع كلمتهم بدل التخبط والعناء .

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة المائدة ١٧]

ومن ذلك قول الله تعالى في الرد على أهل التثليث، وبيان ضلالهم وكفرهم، وأن ما قالوه غلو في دين الله ما أنزل الله به من سلطان، وما كان عيسى بن مريم إلا رسول كغيره من الرسل قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[سورة النساء ١٧١].

وبينت الآيات أن عيسى u لا يستنكف ولا يتكبر، أن يكون عبداً لله، بل هو معترف بذلك وهذه من أعلى مقامات العبودية لله تعالى قال تعالى:﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء ١٧٢]

يقول السعدي: ينهى تعالى، أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو: مجاوزة الحد، والقدر المشروع، إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصارى، في غلوهم بعيسى u ، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله. فكما أن التقصير والتفريط، من المنهيات، فالغلو كذلك. ولهذا قال: ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ وهذا الكلام، يتضمن ثلاثة أشياء: أمران منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم، في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وشرعه، ورسله. والثالث: مأمور وهو: قول الحق في هذه الأمور. وقد نص على قول الحق فيه، المخالف للطريقة اليهودية والنصرانية قال: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ أي: غاية المسيح u ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة، التي هي أعلى الدرجات، وأجل المثوبات. فلما بين حقيقة عيسى u ، أمر أهل الكتاب بالإيمان به، وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله، ثالث ثلاثة، أحدهم عيسى، والثاني مريم. فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك، خير لهم، لأنه الذي يتعين، أنه سبيل النجاة، وما سواه، فهو طرق الهلاك. ثم نزه نفسه عن الشريك والولد

فقال: ﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ أي: هو المنفرد بال إلوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. سبحانه أن يكون لـــه ولد لأن﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ فالكل مملوكون له[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى الاقتباس الوثني للأمم السابقة لهم، وهم في ذلك أتباع ومقلدة لهم فقال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [سورة التوبة ٣٠]

وقد بين القرآن الكريم أنه لن يكون من نبي أرسله الله إلى أمه من الأمم أن يضل عباد الله ويأمرهم باتباعه وعبادته. فقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران ٧٩ -٨٠].

وقد أبطل الله كل مزاعم النصارى فيه وأثبت حقيقته في قوله تعالى:﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)** ﴾[سورة المائدة، ٧٢- ٧٨].

---

(١) تفسير السعدي ١ /٢١٦ وانظر : تفسير القرطبي ٦ /٢١.

يقول الرازي: اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود، شرع هاهنا في الكلام مع النصارى، فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، ثم حكى تعالى عن المسيح أنه قال – اعبدوا الله ربي وربكم- وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى، وذلك لأنه u لم يفرق بين نفسه وبين غيره في أن دلائل الحدوث ظاهرة عليه .

ثم قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾[سورة المائدة، ٧٢] ومعناه ظاهر

ثم قال: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [سورة المائده، ٧٣]

في تفسير قول النصارى (ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) **طريقان: الأول:** قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح ﴿ **وَإِذْ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾؟

والطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون : جوهر واحد، ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى. ثم قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [سورة المائدة،٧٣]

﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [سورة المائدة ٧٥] واعلم أن المقصود من ذلك: الاستدلال على فساد قول النصارى، وبيانه من **وجوه: الأول:** أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً.

والثاني: أنهما كانا محتاجين، لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة، والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون إلهاً.

الثالث: قال بعضهم: إن قوله ﴿**كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾ أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله، وأن الإله هو القادر على الخلق والإيجاد، فلو كان إلهاً لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب.

﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [سورة المائدة ٧٦] [1].

والنصارى إنما ألهوا عيسى u ؛ لأجل أصل خلقه وأنه ليس كبقية البشر، خلق من ذكر وأنثى وإنما بكلمة الله، من مريم البتول عليها السلام فقط، فرد الله ادعاءهم فيه الإلوهية، لأجل هذا السبب وبين أن آدم أبو البشر أعظم من ذلك إذ خلق لامن ذكر ولا أنثى. فقال تعالى﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [سورة آل عمران ٥٩] .

وقد جاءت من نصوص القرآن الكريم مالا يحصى في بيان وحدانية الله تعالى، أو نفي الشرك عنه، ومنها النافية عن الله الولد، والمثبتة أن عيسى u ليس أكثر من عبد رسول، وكفى بها فخراً وشرفاً له عليه u .

فمنها مايبين على وجه العموم أن الله لم يرسل رسولاً إلا بالتوحيد وأنه لا إله غير الله قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [سورة الأنبياء ٢٥]

وأن عيسى u لم يكن إلا كواحد من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .

يقول الله تعالى في ذكر المحاجة التي ستكون بينه وبين عيسى u يوم القيامة على رؤوس الخلائق: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[سورة المائدة ١١٦-١١٧].

وفي سورة مريم أول كلام عيسى u بالتوحيد والعبودية لله، وبالرسالة إلى بني إسرائيل وهو طفل في مهده، فكانت أول قضية واجه بها الناس: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٢/٥٠-٥١ وانظر : تفسير ابن كثير ٢ /٨٢ و تفسير السعدي ١ /٢٤٠.

(٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [سورة مريم٣٠-٣٢]

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، ٥٠ -٥١]

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة مريم، ٣٦]

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [سورة مريم ٨٨-٩٣]

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ١١١]

وفي سورة الزخرف يأتي النص القرآني بشرح موجز من عيسى u يلخص فيه مهمته لقومه:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[سورة الزخرف ٦٣-٦٥]

من السنة النبوية:

وقد ورد في السنة النبوية نصوص تؤكد بطلان قول النصارى في جعل عيسى بن مريم إله مع الله أو ابن له ومن ذلك: ما جاء في البخاري من حديث الرسول r قوله: «من شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ على ما كان من الْعَمَلِ»[1].

وقد نقل ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث قوله:« قال القرطبي مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه.

---

(١) سبق تخريجه.

ونقل عمن لم يسم قال: في ذكر عيسى تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض»[1].

ومنها ما جاء في البخاري كذلك من حديث الرسول r قوله: «لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النَّصَارَى بن مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ فَقُولُوا عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[2].

وفي البخاري كذلك عندما يؤذن يوم القيامة لتتبع كل أمة ماكانت تعبد وفيه: «ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لهم من كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قالوا كنا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بن اللَّهِ فَيُقَالُ لهم كَذَبْتُمْ ما اتَّخَذَ الله من صَاحِبَةٍ ولا وَلَدٍ »[3].

وفي سنن الترمذي تبرئته من عبادة النصارى له في حديث أبي هريرة تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ قال أبو هريرة عن النبي r فلقاه الله ﴿**سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾ الآية[4].

هذه بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة في الرد على النصارى في قولهم بالتثليث ب إلوهية المسيح، وروح القدس، وبنوة المسيح لله - تعالى عن قولهم علواً كبيرا- وإثبات التوحيد. وهي قليل من كثير إذ لم يبعث الله الرسل، وينزل الكتب، إلا من أجل تقرير هذا الأصل، وتعبيد الناس لله رب العالمين، ومعرفته بأسمائه، وصفاته، وأفعاله حق المعرفة، التي تدخل في رضوان الله وجنته، وتنجي من غضبه والنار.

ومع تقرير هذا الأصل وأن عيسى ما جاء إلا ليدعو إلى التوحيد، وليس ابنا لله. يبقى البحث في المعتقد الآخر للنصارى. وأن ابن الله ما نزل إلى الأرض إلا من أجل تكفير خطايا بني آدم بقتله على الصليب والذي هو عنوان المبحث التالي.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦ /٤٧٤-٤٧٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله:﴿واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٤/١٦٧.

(٣) سبق تخريجه..

(٤) سبق تخريجه.

المبحث الثاني
عقيدة النصارى في صلب عيسى عليه السلام

عقيدة الصلب عند النصارى من أهم عقائد الإيمان، التي بها يدخل الشخص في النصرانية وبدونها لا يصح إيمانه.

و الصليب في نظر النصارى ومن حيث تمثيله للتثليث، هو أساس قواعد الدين؛ أي أن النصرانية قائمة على الصليب. فالصليب مذبح المعصوم، وأساس الكنيسة، وعماد الإنجيل، وهو علامة يوم الحشر،فالمؤمن به لا يهلك أبدا وتكون له الحياة الأبدية [(١)].

وفي هذا المبحث سأعرض حقيقة الصلب عند النصارى، وأسبابه، ومصادره، ثم سأرد عليه بأمور عدة.

التعريف بالصلب:

وقبل الدخول في تفاصيله يحسن التعريف بالصلب.

الصلب لغة:

١) «مصدر صَلَبَه يَصْلُبه صَلْباً وأصله من الصَّلِيب وهو الوَدَك.... والصلب هذه القتلة المعروفة مشتق من ذلك لأن ودكه وصديده يسيل»[(٢)].

«صلبه جعله صلباً وشدَّه وقوَّاه»[(٣)] وذلك لأن المصلوب يشد على خشبة الصلب حين صلبه بالحبال أو المسامير .

أما في الاصطلاح:

الصلب: هو تقديم المسيح نفسه طواعية ليموت على الصليب، موتاً أليماً، وبطيئاً، مخلصاً البشر من عواقب الخطيئة[(٤)].

وقد اتخذ له النصارى شعاراً الصليب وهو: «المربع المشهور للنصارى من الخشب، يزعمون أن عيسى، u ، صلب على خشبة على تلك الصورة.... وكان أصله من خشب وربما يعملونه من ذهب وفضة ونحاس ونحوها»[(٥)]. الصليب في الاصطلاح النصراني: «الصليب هو الطريق الوحيد للخلاص»[(٦)]

أما الحديث عن هذا المبحث ففي مطلبين:

المطلب الأول: عقيدة النصارى في الصلب.

المطلب الثاني: الرد على النصارى في الصلب.

---

(١) عبد الأحد داود الأشوري العراقي، الإنجيل والصليب،(مكتبة النافذة، الطبعة الأولى،٢٠٠٤).ص ٢٥.

(٢) لسان العرب ٥٢٩/١ .

(٣) لسان العرب ٥٢٧/١.

(٤) انظر باختصار التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ٢٠٤٢، ٢٢٣٧ .

(٥) عمدة القاريء، العيني،كتاب المظالم ١٣/ ٢٧ وانظر تحفة الأحوذي، كتاب الفتن المباركفوري أبو العلاء ٤١٣/٦ و التعاريف ٤٦٠/١ و عون المعبود كتاب الملاحم العظيم أبادي أبو الطيب ١١/ ٣٩٧ .

(٦) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٢٥٠٠.

المطلب الأول
عقيدة النصارى في الصلب

انتهت حياة المسيح في الأرض كما في الفكر والمعتقد النصراني بموته علي الصليب.

وقد كان لصلبه حكم وأسباب، ومقدمات وأمور، حتى تتم إرادة الله كما يقولون.

والحديث عن هذا المطلب في النقاط التالية:

الأولى: تنبؤات الصلب .

الثانية : حادثة الصلب.

الثالثة : أسباب صلب المسيح.

الرابعة: مصادر عقيدة الصلب.

المسألة الأولى: تنبؤات الصلب.

عندما تناولت الأناجيل حادثة الصلب اعتبر كاتبوها أحداثا وأموراً متلاحقة أنها توطِئآت لصلب المسيح، فهو ينص حيناً على صلبه، وحيناً بكلام يفهم منه معنى أنه سيصلب على يد اليهود.

ومن هذه التنبوءات والمقدمات ما يلي:

١ - التنبوء بموته على الصليب:

قد تنبأ المسيح بموته على الصليب،وأن اليهود هم من سيقومون بصلبه، وأخبر تلاميذه بذلك يقول متى: «هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة[١] والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم، لكي يهزأُوا به ويجلدوه ويصلبوه، وفي اليوم الثالث يقوم»[٢] وفي متى تصريح بزمان الصلب: «تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يسلم ليصلب»[٣].

أما عند يوحنا فالحدث يختلف، فقد دار حوار بين المسيح والتلاميذ ثم قال: «الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع، قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت»[٤].

---

(١) الكهنة:يقصد بالكاهن عند اليهود الشخص المخصص لتأدية الخدمات الكهنوتية وفق طقوس وملابس خاصة،أما عند النصارى أحد أصحاب الرتب الدينية ويدخل في مسماه المطارنة القساوسة وغيرهم أما البروستانت فتعتبر الكاهن جميع المؤمنين الحقيقيين بالمسيحية. الموسوعة الميسرة٢/١١٣٦.

(٢) متى ٢٠ : ١٨ - ١٩وفي مرقس بدل يصلبوه (يقتلوه) ١٠: ٣٣، ٣٤.

(٣) متى ٢٦: ١-٢.

(٤) انظر ١٢: ٢٠- ٣٦.

٢ - رثاء أورشليم:

كان رثاء المسيح للقدس دليلاً على الصلب، وأنه سيترك الأرض ويتحول عنها. يخبر متى أنه قال: «ياأورشليم، ياأورشليم! ياقتلة الأنبياء... هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم الرب»[١].

وفي لوقا «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ماهو لسلامتك ! ولكن الآن قد أخفى عن عينيك...»[٢].

٣ - سكب الطيب على يسوع:

تذكر الأناجيل أن امرأة جاءت إلى المسيح وهو جالس مع تلاميذه وسكبت عليه طيبا، وغضب الحاضرون عليها؛ لكن المسيح فسر ذلك بأنه علامة على قرب نهايته على الأرض.

جاء في إنجيل متى حول الخبر أنه قال: «إنما فعلت ذالك لأجل تكفيني»[٣].

مع اختلاف الأناجيل في ذكر هذه القصة وتفاصيلها، وأين كانت وزمانها إلى غير ذلك.

٤ - خيانة يهوذا:

تبين الأناجيل أن القبض على المسيح كانت بمؤامرة بين اليهود وأحد تلاميذ المسيح، يدعى (يهوذا الإسخريوطي) وقد أخبر المسيح التلاميذ أن أحدهم سيسلمه إلى اليهود، بينما كانوا يتناولون عشاء الفصح. ففي إنجيل متى أن يهوذا ذهب إلى اليهود وقال لهم: «ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه»[٤].

ثم يقول «وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح... ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني فحزنوا جداً، وابتدأ كل واحد منهم يقول له: ها أنا هو يا رب؟ فأجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني! إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد ! فأجاب يهوذا مسلمه وقال : هل هو أنا يا سيدي؟ قال له أنت قلت»[٥].

---

(١) متى ٢٣: ٣٧ ــ ٣٩.

(٢) لوقا ١٩: ٤١ ــ ٤٢.

(٣) متى ٢٦: ٦،٧،١٢وانظر مرقس ١٤: ٣، ٨ لوقا ٧: ٣٦،٣٧، ــ ٥٠ يوحنا ١٢: ١ ــ ٨.

(٤) متى ٢٦ : ١٥-١٦ .

(٥) متى ٢٦ .

بهذا الكلام ونحوه ذكرته الأناجيل مع اختلاف في بعض التفاصيل التي تؤدي جميعها إلى القول أن يهوذا هو الذي خان المسيح وأراد تسليمه لليهود(١).

٥ - العشاء الرباني (العشاء الأخير):

تذكر الأناجيل أنه في يوم الفصح أخبر المسيح تلاميذه أن نفسه حزينة، وأن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب ثم سن لهم العشاء الرباني، وتحول لحمه ودمه إليهم، وكسب مغفرة الذنوب بذلك، وأخبرهم بذلك في تلك الليلة إيذاناً بقرب نهايته على الأرض.

جاء في إنجيل متى «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسَّر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا. هذا هو جسدي (وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً) اشربوا منها كلكم، لأن هذا دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا...»(٢).

الصلاة الأخيرة والقبض عليه:

قبل القبض على المسيح ذهب هو وتلاميذه. وأمرهم بالصلاة والدعاء، ثم تقدم عنهم يصلي ويدعو بإلحاح أن ينجيه الله من كيد أعدائه، وبعد أن فرغ من الصلاة أخبر التلاميذ أن من سيمسك به قد اقترب، وفعلاً كان ذلك، وأتى يهوذا واليهود وألقوا القبض عليه. وفيما يلي نص إنجيل مرقس: «وجاءوا إلى ضيعة يقال لها جثسيماني، فقال لتلاميذه: اجلسوا هنا حتى أصلي. ثم أخذ معه بطرس ويعقوم ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت! امكثوا هنا واسهروا ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال: (يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت) ثم جاء ووجدهم نياماً - فعاتبهم وطلب منهم السهر معه - فمضى أيضا ثانية وصلى ثم رجع ووجدهم نياماً ثانية وفي الثالثة قال لهم: ناموا الآن واستريحوا! يكفي! قد أتت الساعة! هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة. قوموا لنذهب! هو ذا الذي يسلمني قد اقترب! وللوقت فيما هو يتكلم، أقبل يهوذا واحداً من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبله هو هو أمسكوه وامضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً ياسيدي، ياسيدي! وقبله فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه فاستل واحداً من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه.

---

(١) انظر مرقس ١٤: ١٠-٢١. لوقا ٢٢ : ١-٢٣.

(٢) متى ٢٦ : ٢٦- ٢٨ وانظر: وفي لوقا ٢٢ : ٧ - ٢٠ مرقس ١٤: ١٢ - ٢٤.

فأجاب يسوع وقال لهم: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني! ولكن لكي تكمل الكتب. فتركه الجميع وهربوا»[١] وفي روايات الأناجيل اختلاف في عرض أحداث هذه القصة، إلا أنهم اتفقوا على أن اليهود هم الذين قبضوا عليه، وأن يهوذا من دلهم عليه[٢].

المحاكمـــــة:

بعد أن تم القبض على يسوع كما ذكرت الأناجيل، أخذوه لمحاكمته وتنفيذ حكم الصلب عليه؛ فمن سيحاكمه اليهود الذين يريدون التخلص منه، أم حاكم الرومان.

يجيب الكتاب المقدس بقول متى «والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ... والمجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور وقالا: هذا قال: إني أقدر أن أنقض هيكل الله. وفي ثلاثة أيام أبنيه. فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتاً فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له يسوع: (أنت قلت وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء) فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً: قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه! ماذا ترون: فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت... ولما جاء الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي... فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع أنت تقول. وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء فقال له بيلاطس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً.

وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوه وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم؟ باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح؟ لأنه علم أنهم أسلموه حسداً - وفي التفاصيل أنهم طلبوا أن يطلق باراباس بإلحاح منهم - قال لهم بيلاطس ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع ليصلب فقال الوالي وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً ليصلب! فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءاً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار! أبصروا أنتم! فأجاب

---

(١) مرقس ١٤: ٣٢ – ٥٠.

(٢) وانظر متى ٢٦: ٢٦-٥٦، وانظر: لوقا ٢٢: ٣٩-٥٣، وانظر: يوحنا١٨: ١-٩.

جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا. حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب»[١] .

بهذا يتبين من التنبوءات الماضية، أن كل واحدة منها تكفي لأن تكون دليلاً من الإنجيل، على أن المسيح تنبأ بأنه سوف يموت على الصليب، على يد أعداءه من اليهود.

لكن مامدى صحة هذه الحقائق وهل تلاعبت بها أيدي الكاتبين وفكر المغرضين هذا ما سيكشف عنه في المطلب الثاني بإذن الله.

وإلى بيان مسألة الصلب كما عند النصارى والتي تناولها الإنجيل بالتفصيل.

المسألة الثانية: حادثة الصلب:

بعد ذكر التنبوءات التي ذكرها الإنجيليون لصلب المسيح، هاهي تستمر في عرض الحادث إذ تتفق الأناجيل الأربعة على أن اليهود هم من تآمروا على قتله يقول متى: «حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة قيافا وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا: ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب»[٢].

فبعد أن أسلم بيلاطس المسيح إلى اليهود أخذوه ليصلب، وعرضوه لإهانات كثيرة على أيدي الجنود والخدم.

مثل قولهم: «فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية، وجمعوا كل الكتيبة. وألبسوه أرجواناً، وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه، وابتدأوا يسلمون عليه قائلين: السلام يا ملك اليهود. وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة، ويبصقون عليه، ثم يسجدون له جاثين على ركبهم وبعدما استهزأوا به، نزعوا عنه الأرجوان، وألبسوه ثيابه، ثم خرجوا به ليصلبوه. فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو ألالكسندرس وروفس، ليحمل صليبه»[٣].

ثم يقول مرقس بعد أن تمت محاكمته: «وجاءوا به إلى موضع (جلجثة) الذي تفسيره موضع (جمجمة) وأعطوه خمراً ممزوجاً بمر ليشرب، فلم يقبل. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها: ماذا يأخذ كل واحد؟ وكانت الساعة الثالثة فصلبوه. وكان عنوان علته مكتوباً (ملك اليهود) وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره فتم الكتاب القائل (وأحصى مع أثمة). وكان المجتازون يجدفون

---

(١) متى ٢٦: ٥٧-٦٦، ٢٧: ١-٢٦، وانظر: مرقس١٤: ٥٧-٥٨، ١٥: ١٥، وانظر: لوقا ٢٣: ٦-٢٤، انظر: يوحنا ١:١٨- ٤٠، ١٩: ١-١٦.

(٢) متى ٢٦: ٣- ٥، وانظر: مرقس ١٤: ١-٢، وانظر: لوقا ٢٢: ١-٢، وانظر: يوحنا ١١: ٤٧-٥٣.

(٣) مرقس ١٥: ١٦- ٢١.

عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين: آه ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام! خلص نفسك وانزل عن الصليب... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه»[١].

أما كيف مات على الصليب :«ولما كانت الساعة السادسة، كانت ظلمة على الأرض كلها حتى الساعة التاسعة، وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: (إلوي، إلوي، لما شبقتني؟) الذي تفسيره الهي، إلهي لماذا تركتني؟ فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا: (هو ذا ينادي إيليا فركض واحداً وملأ إسفنجه خلاً وجعلها على قصبة وسقاه قائلاً اتركوا. لنر هل يأتي إيليا ليترله!).

فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح. وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين، من فوق إلى أسفل ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله»[٢].

وبعد صلبه فقد دفنه أحد تلاميذ المسيح إذ طلب بيلاطس خفية أن يدفنه: «ولما كان المساء، إذ كان الاستعداد، أي ما قبل السبت، جاء يوسف الذي من الرامة، وشير شريف، وكان هو منتظراً ملكوت الله، فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً. فدعا قائد المئة : هل له زمان قد مات؟ ولما عرف من قائد المئة، وهب الجسد ليوسف فاشترى كتاناً، فأنزله وكفنه بالكتان، ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة، ودحرج حجراً على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع»[٣].

وبعد دفنه قام من قبره، والتقى بتلاميذه عدة مرات يقول مرقس: وبعدما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة، حنوطاً ليأتين ويدهنه. وباكر جداً في أول ألأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج! لأنه كان عظيماً جداً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء، فاندهشن فقال لهن لا تندهشن! أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد قام! ليس هو هنا. هو ذا الموضع الذي وضعوه فيه لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم. فخرجن سريعاً وهربن من القبر، لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن. ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات»[٤].

لكن الرواية في نفس الإنجيل اختلفت في خبر النسوة هل هربن خائفات، أو رأين المسيح، يتابع مرقس قوله على التوالي فيقول: «وبعدما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية... فذهبت

---

(١) مرقس ١٥ : ٢٢- ٣٢..

(٢) مرقس ١٥: ٣٣-٣٩ .

(٣) مرقس ١٥: ٤٢-٤٧ .

(٤) مرقس ١٦: ١- ٨ .

هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون. فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته، لم يصدقوا. وبعد ذلك ظهر بهيئةٍ أخرى لاثنين منهم، وهما يمشيان منطلقين إلى البرية. وذهب هذان وأخبرا الباقين، فلم يصدقوا ولا هذين.

أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام وقال اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن... ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله. وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. آمين»[١].

هذه أحداث الصلب بتسلسلها كما في إنجيل مرقس، وكما هو طبيعة الحال فإن هناك اختلافات وتناقضات كثيرة وزيادات ونقصان فيما بين الأناجيل؛ بل في الإنجيل الواحد لكن ماهو لسبب الذي من أجله صلب المسيح.

المسألة الثالثة: أسباب صلب المسيح:

ذكر الكتاب المقدس الأسباب التي دفعت اليهود للقبض على المسيح ومحاكمته، ثم التخلص منه بمكر واحتيال وهي الآتي:

أولاً: حادثة الهيكل:

وهي كما يقول مرقس: «ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع. وكان يعلم قائلاً لهم: أليس مكتوباً: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم؟ وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه، لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه»[٢].

ثانياً: إحياءه لعازر:

وهو أن شخصاً يدعى لعازر مات، فجاء عيسى u ودعا الله أن يحيه، فأحياه على مرأى من اليهود فكثير منهم آمنوا به، وذهب قوم منهم إلى رؤساء اليهود «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا: ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه»[٣].

---

(١) مرقس ١٦: ٩-٢٠ .

(٢) مرقس ١٥:١١-١٨ وانظر متى ٢١: ١٢-١٧ ولوقا ١٩: ٤٥-٤٨.

(٣) يوحنا ١١: ٤٧-٤٩، ٥٣ .

ثالثاً: الإدعاء أنه ابن الله، أو أنه الله:

يقول أهل الإنجيل أن سبب صلب اليهود للمسيح؛ إدعاؤه أنه ابن الله. ففي أثناء محاكمة رئيس الكهنة له قال: (أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله.قال له يسوع: أنت قلت! وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه! ماذا ترون: فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت»[١].

أما جعل نفسه إلهاً فقد تعرض ذات يوم لرجم اليهود له بالحجارة وإيذاءه فقال لهم: «أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجموني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديفك، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»[٢].

رابعاً: قولهم أنه يفسد الأمة ويمنع أن تدفع الجزية لأنه يدعي أنه ملك اليهود[٣]:

فقد ذكر أهل الإنجيل أن اليهود قالو لبيلاطس أثناء محاكمته«إنا وجدنا هذا يفسد الأمة، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر، قائلاً إنه هو مسيح ملك». ولذلك جعل علته فوق رأسه أثناء الصلب «هذا هو يسوع ملك اليهود»[٤][٥].

وهناك سبب آخر يذكره الكتاب أن اليهود سعوا إلى صلبه ليستحق اللعنة من الله «والأهم من ذلك أن قادة اليهود أرادوا أن يقدموا يسوع على صليب، إذ كانوا يعتقدون أن من يموت مصلوباً يكون ملعوناً من الله[٦]، فأرادوا أن يقنعوا الشعب أن يسوع كان ملعوناً من الله وليس مباركاً»[٧].

فهذه مجمل أقوال النصارى في سبب صلب اليهود للمسيح، وهي متناقضة وفي أماكن متفرقة في الكتاب المقدس.

---

(١) متى ٢٦: ٦٣- ٦٦.

(٢) يوحنا١٠ ٣٢- ٣٣ .

(٣) لوقا ٢٣: ٢-٣.

(٤) متى ٢٧: ٣٧.

(٥) انظر تثنية ٢١: ٢٣

(٦) يقصدون بذلك النص في سفر التثنية (وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفن من ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله).

(٧) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٢٠٤٢.

أسباب صلب المسيح عند النصارى:

أسباب صلب المسيح من أهم القضايا عند النصارى، والمتأمل لها يلحظ تداخلها كما يوردها النصارى فكل سبب له علاقة بما قبله وما بعده وهي:

أولاً: الخطيئة الأزلية:

تبتدئ قصة صلب المسيح منذ ابتداء خلق أبي البشر وخطيئته الأولى، وأصل هذه القصة كما يعتقدها النصارى(١) جاءت في سفر التكوين، عندما خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا من جميع شجر الجنة، إلا شجرة واحدة، جاء فيه «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن... وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت... فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت أيضاً رجلها فأكل... فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها»(٢).

وبهذه الخطيئة الأولى والأزلية استحق آدم وكل ذريته بعده الجحيم، فهم أصبحوا وارثين لخطيئة آدم u يقول بولس «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع»(٣).

ويؤكد هذا المعنى علماء ومفكروا النصارى يقول المفكر أوغسطين: «وكان من السهل أن يمتنع آدم عن أكل شجرة محرمة؛ وذلك لكونها وحيدة في العدد من ناحية، ولكثرة أنواع الثمار الأخرى الموجودة هناك من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ذلك كانت غريزة الطمع معدومة في آدم حينئذ، فعصيان الأمر الذي كان العمل به أيسر شيء جائز... فهكذا نزلت لأجل هذه الخطيئة اللعنة على النسل الإنساني بأكمله دون استثناء، ولم يتحرر منها كبير ولا صغير، ولا والد ولا مولود إلا بفضل الله عليه ورحمته وكرمه»(٤).

إذاً «يرى كتاب المسيحية: أن هذه الخطيئة الأولى لم تقتصر على آدم وحواء، بل امتدت بحكم التناسل من ذات الدم الموبوءة بالخطيئة إلى البشرية كلها على مر الأجيال، فجلبت الدمار على البشر

---

(١) وكذلك نحن المسلمين نعتقد أصلها كما جاء في القرآن إلا أننا نقف فيها حيث وقف القرآن فيها لا نزيد على ذلك ولا ننقص وانتهت بتوبة الله على آدم u كما سيأتي بإذن الله.

(٢) سفر التكوين ٢: ١٥-٣،١٧: ٦،٢٣.

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ٥: ١٢.

(٤) الأستاذ ساجد مير، المسيحية (النصرانية)، (دار السلام بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). ص ١٣٨. وانظر: د/عزية علي طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل دراسة المقارنة،(الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).ص ١٥٤.

أجمعين، وأن كل ما نحس به نحن البشر من شك أو نزوع إلى الفتنة، وما إليها من الدس والوقيعة والربا والخديعة، وأصول الجرائم وأسسها كلها منحدرة من مصدر واحد، هو الأبوان والأولاد»[١].

واستمر هذا التفكير رغم حركات الإصلاح الديني التي واجهتها النصرانية والكنيسة الرومية على وجه الخصوص، على يد (لوثر)، ومن بعده أمثال (كالفن) إذ يؤكد هذا الأخير على أن الجسد وارث للذنب عن آدم u ، وبأن العقوبة الإلهية على هذا الذنب واجبة في حق جميع الخلق[٢].

وبهذا تكون الخطيئة الأزلية هي أول الأسباب التي يرى النصارى قديماً وحديثاً أنه كان بسببها صلب المسيح إنقاذاً للبشرية من عقابها.

ثانياً: التكفير:

من أهم الأسس التي تقوم عليها النصرانية هي الخطيئة الأزلية، وقد تكرر ذلك في الأناجيل وفي رسائل بولس، والذي جعل من أهم منطلقات دعوته الإيمان بصلب وموت المسيح وقيامته تكفيراً عن الخطيئة. فمنها قوله: «وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم»[٣].

قد وردت النصوص صريحة في الأناجيل، وغيرها من الرسائل بصلب أو موت المسيح كفارة عن الخطيئة؛ إما بنصوص على لسان المسيح، أوبنقل الأخبار عنه.

فمثلاً في إنجيل متى على لسان المسيح u قوله «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»[٤] وفي إنجيل لوقا: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم»[٥].

ويؤكده يوحنا على أنه أنزل ابنه الوحيد ليكون به خلاص البشر:«لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين»[٦].

وبصلب المسيح خلصت البشرية من الدينونة في زعم بولس «فإذا كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس... هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا»[٧].

ويقول في رسالة أخرى: (فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب»[٨].

---

(١) المسيح إنسان أم اله، محمد مجدي مرجان، ص١١١.

(٢) منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، عزية طه ص ١٥٤.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ١٤.

(٤) متى ٢٦: ٢٨. وانظر مرقس ١٤: ٢٤.

(٥) متى٢٢: ١٩.وانظر يوحنا ٦: ٥١.

(٦) يوحنا ٣: ١٧.

(٧) رسالة بولس إلى أهل رومية ٥: ١٨،٢١.وانظر ٦: ٦.

(٨) رسالة بولس ١٥: ٣-٤. انظر: رسالة بولس إلى أهل أفسس٥: ١-٢.

وهو يتخلص من نص اللعنة في العهد القديم يقول الخوري يوحنا: «ينص الناموس (ملعون من علق على خشبة) [١] لكن بولس الرسول يجد في موت المسيح على الصليب سراً عظيماً، لأننا نحن كنا تحت لعنة لأجل خطايانا. فأخذ ابن الله اللعنة على نفسه بقبول الخشبة لكي نخلص نحن: المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع»[٢].

تقول دائرة المعارف البريطانية في بيان أهمية عقيدة الخلاص عن طريق الكفارة في العقائد المسيحية:«صارت نظرية الخلاص تحتل أبرز مكان في العقائد المسيحية لدرجة أن معظم المؤمنين (المسيحيين) يرون أنها أعظم العقائد وأعلاها رتبة، وحتى أهمية عقيدة إلوهية المسيح تكمن في الإيمان القوي لعقيدة الكفارة»[٣].

وهو كذلك بموته على الصليب أخرج الذين قد دخلوا في سجن الجيم ممن ماتوا قبله، وخلصهم منها يقول الخوري يوحنا: «ويجب أن نعلم ثانياً أن المسيح انحدر إلى الجحيم لكي يعلن هناك أيضاً انتصاره على الموت، ويحرر النفوس التي كانت بالإيمان ترجوا وتنتظر حضوره. وهذه الحقيقة وردت في رسالة بطرس الرسول «إن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا. البار من أجل الأثمة لكي يقربنا إلى الله في الجسد ولكن حياً بالروح. الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن»[٤].

ثالثاً: رحمة الله وعدله بالفداء:

وهو ما «يعبر عنه المسيحيون بظهور الله في الجسد، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح. وأساس هذا العنصر الثاني عند المسيحيين أن من صفات الله العدل والرحمة، فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها. وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر.

و لم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة؛ إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان، ثم يصلب ظلماً ليكفر خطيئة البشر، وهذا ما يعبر عنه النصارى بالخلاص. وهنا تمت المصالحة بين الله والناس»[٥].

---

(١) وانظر تثنية ٢١: ٢٣.

(٢) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ص ٩٤. وانظر رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣: ١٣-١٤.

(٣) المسيحية (النصرانية)، ساجد مير ص ١٣٧.

(٤) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا، ص ١٠٠.

(٥) النصرانية والإسلام، الطهطاوي ص٤٦وانظر: أ.د/ مصطفى حلمي، الإسلام والأديان ــ دراسة المقارنة،(دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هــ ــ ٢٠٠٥م، قسم: عقيدة)، ص٢٤٧.

جاء في قاموس الكتاب المقدس «الإنسان، لسوء طبيعته وفطرته، لا يقدر أن يصل إلى الله بأعماله أو يقوم بها... ولكن الله بحكم قدسيته لا يقيم الصلة بالإنسان إلا بعد زوال إثمه... ولكن لا يوجد في هذه الدنيا إنسان بار وعار عن الخطأ، ولا يمكن أن يفتدي إنسان عاص عن إنسان عاص آخر، ومن هنا تنشأ إمكانية التجسد، وهو أن يأتي أحد عار عن المعاصي والذنوب؛ فالله هو الذي دبر ذلك»[١].

وهذه العقيدة حث عليها الكتاب المقدس يقول يوحنا «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية»[٢].

ويشرح بولس نظرية الفداء على أساس تقديم ما هو أفضل عند الله قرباناً «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه... لأنه إن كان دم ثيران وتيسوس... يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب»[٣] واستمر هذا الرأي عند علماء ومفكري النصارى في تاريخهم إذ يقول الخوري يوحنا: «في عمل الفداء العظيم تجلت خواص الله غير المحدودة الآتية:

- تحنن الله حتى أسلم إلى الموت ابنه الوحيد المساوي له في الجوهر لأجلنا نحن أعداءه.
- وبقي عدله غير منثلم بحيث أن خطيئتنا غفرت إرضاء لله.
- وظهرت حكمته السامية في أنها أوجدت وسيلة ليسكب الله علينا عزيز صلاحه بدون أن يتضرر عدله »[٤] ثم استدل بعد ذلك بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس.

وجميع الكنائس في هذا العصر ترى أن موت المسيح لأجل فداء البشر من شؤم الخطيئة يقول كاتب (كتر النفائس في إتحاد الكنائس): «إن جميع الكنائس المسيحية، تعتقد أن يسوع المسيح بموته والذي احتمله لأجلنا وعنا أوفى العدل الإلهي الذي كان ساخطاً بسبب الخطيئة، وصالح الناس مع الله وأعد للذين يؤمنون به ووهبهم الغبطة الأبدية»[٥].

وفي تساؤل لم حصل الفداء متأخراً بعد هذه المدة من الزمن رغم محبة الله للبشر يقول زكي شنودة: «لم يكن معنى ذلك أن الله كان مسروراً بذنوبنا، وإنما احتملنا فقط، ولا أنه كان يستحسن ماكنا نرتكب من آثام حينذاك، وإنما كان يرمي لأن يخلق فينا عقلاً واعياً لأعمال البر، حتى إذا اقتنعنا في ذلك الزمن بعدم استحقاق لنوال الحياة بسب الأعمال، تفضل بدافع من رحمته فمنحنا الحياة، وأظهر الله لنا أننا بأنفسنا غير قادرين على دخول ملكوته وأعطانا بفضله أن نكون قادرين. ولكننا حين بلغ بنا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١٢٣.

(٢) إنجيل يوحنا ٣: ١٦.

(٣) الرسالة إلى العبرانيين ٩: ١٢-١٤.

(٤) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا، ص ٩٦ وانظر : المسيحية، شلبي، ص ١٧١. من كلام القس إبراهيم لوقا.

(٥) الأستاذ اللاهوت بأثينا، كتر النفائس في اتحاد الكنائس. الأنباء شنودة الثالث ص ١٦٨. وانظر حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، سبرول، ترجمة نكلس سلامة، ص١٩٨.

الشر أقصاه كان جزاء الشر هو العقاب والموت اللذان يتهددانا. وعندئذ حان الوقت الذي سبق أن حدده الله لإظهار عطفه وقوته، فأرانا كيف أن محبته الناجمة عن اهتمامه بالبشر قد جعلته لا ينظر إلينا بكراهية فلم يطردنا و لم يذكر إثم أفعالنا، وإنما أظهر لنا مدى تحمله وطول أناته، إذ حمل هو نفسه آثامنا وبذل إبنه فداء عنا»[١].

هذه أهم أسباب الصلب فبسبب الخطيئة الأزلية أنزل الله ابنه الوحيد متجسداً في إنسان ليصلب تكفيراً عنها ليظهر عدل الله ورحمته بفداء البشرية.

المسألة الرابعة: مصادر عقيدة الصلب عند النصارى:

يعتمد النصارى في عقيدة صلب المسيح على مصادرهم المقدسة والتي كتبت بالإلهام كما يقولون فهم أخذوه من بولس و الكتاب المقدس والمجامع الكنسية.

أولاً: بولس[٢]:

بولس هو المصدر الأول للقول بعقيدة الصلب، فأقواله سبقت الأناجيل كما سيأتي، وكما أصر هو في رسائله على أن إيمانه بالصلب والفداء وأنه أساس دعوته (كرازته) وأنه توصل إلى هذا بقوة الله أو بالروح أو بكلام عيسى له كما يزعم في أقواله.

يقول «وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله، لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً. وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة. وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله»[٣] ويقول: «وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم»[٤].

ويقول: «وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه... فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب»[٥].

وقد أكد هربرت مولر هذه الحقيقة وهي أن بولس هو الذي أسس نظرية الخطيئة الأزلية وفداء المسيح لها فقال عن بولس: «هو الذي أشاع نظرية الخطيئة الأزلية، و لم يستنتج أنبياء بني إسرائيل شيئاً

---

(١) علم اللاهوت العقدي، موريس تاوضروس، ٢/ ٣٥.

(٢) كما سيأتي في التعريف به.

(٣) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ٢: ١-٥ .

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ١٤.

(٥) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ١٥: ١- ٤.

كثيراً من أسطورة جنة عدن المذكورة في سفر التكوين؛ وأما يسوع فلم يحفل بها مطلقاً و لم يذكر قط هبوط آدم أو لعنة الخطيئة الأزلية»[١].

ويثبت (ولز) وهو أحد كبار علماء النصارى وباحثيهم، أن بولس من نقل إلى النصرانية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته فيقول: بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط... وكان شديد الاهتمام بعقائد زمانه، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومن ذلك قوله: إن المسيح ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب عن خطيئة البشر، وذلك مثل ممات الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية. [٢] ويؤكد هذا المعنى الأب بولس إلياس الخوري وهو أسقف نصراني في كتابه يسوع المسيح[٣].

ويقول بورنكام: «إن الأب بولس هو الذي روج لحادثة القيام ثانية. وقد مزج بولس المسيحية بكثير من الأفكار الفلسفية التي كانت سائدة لدى اليونان والرومان، وأن تلك الفلسفات كانت تعتبر قمة الفكر الإنساني في ذلك الزمان»[٤].

والسبب في تقبل الناس لدعوة بولس في الصلب والفداء، أنه استهدف في الدعوة الوثنيين «ولهذا فإن بولس كان يرى الانطلاق إلى الآفاق، والتبشير بالمسيحية حسب مفهومه لملايين البشر من الوثنيين الذين هم أقدر على فهم هذه العقائد الجديدة لقربها من معتقداتهم الأصلية الوثنية»[٥].

وبهذا يكون أهم مصادر عقيدة الصلب عند النصارى هو بولس والذي صرح هو بذلك في رسائله وأكد هذا علماء النصارى ومفكريهم.

ثانياً الكتاب المقدس:

إيمان النصارى بالصلب يعتمد على الكتاب المقدس، بمجموعه العهد القديم والعهد الجديد، سواءً بنصوص فهموا منها أن المقصود بها هو عيسى u أو أنها تنبؤات الأنبياء قبله، أو النصوص الواردة في العهد الجديد.

---

(١) المسيحية، ساجد مير ١٣٥.

(٢) النصرانية والإسلام، الطهطاوي،ص ٢٦١. وانظر : موقف ابن تيمية من النصرانية، مريم الزامل، ص٦٤٧.

(٣) انظر :النصرانية والإسلام، الطهطاوي،ص٤٧-٤٨ وانظر موقف ابن تيمية من النصرانية، مريم الزامل، ص٦٤٨.

(٤) نقلاً من منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة، عزية طه،ص ١٥٦.

(٥) د.محمد علي البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، (الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) ص٢١٤.

نصوص العهد القديم:

من النصوص التي يعتمد عليها النصارى التي تبشر بالمسيح المنتظر، وأنه سيتألم ويصلب فداءً عن الخطيئة.

ما أشار إليه دونالد ديماري، بأنه يموت عوضاً عن البشر، ثم استدل بذلك على ما ورد في سفر أشعياء «وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبجبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا»[١].

وفي سفر اللاويين «ويفعل بالثور كما فعل بثور الخطية. كذلك يفعل به. ويكفر عنهم الكاهن، فيصفح عنهم»[٢].

وإيمانهم بقيامته من الأموات، وأنه صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، فقد استدل الخوري يوحنا من العهد القديم بقوله: «وقد شهد يسوع المسيح لذلك مستعملاً عبارة داود النبي (قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك)»[٣].

أما الاستدلال عليه من العهد الجديد:

يقول الخوري يوحنا في موته لأجل البشر: «فقبل ذلك ابن الله ووسيطنا، واحتمل الآلام والموت بدلاً من الإنسان الذي خطيء وحل العقاب الذي احتمله المخلص البريء لنا محل القصاص الذي كنا نستحقه: "لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب أنه كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع ماتوا.

ويسوع نفسه أخبر التلاميذ أنه سيقوم في اليوم الثالث[٤] وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب هذه العبارة مأخوذة من الكتاب المقدس (الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات)[٥]»[٦].

ويقول دونالد ديماري: فأرسل ابنه الوحيد، حمل الله، ليموت عوضاً عنا ويتحمل عنا العقاب. ثم أشار إلى النصوص التالية.

---

(١) د/ دونالد ديماري، عقائد أساسية، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد،(مكتبة النيل المسيحية، القاهرة).عقائد أساسية في علم اللاهوت ترجمة شاكر إبراهيم ص ١٠٩. وانظر أشعياء ٥٣: ٥- ٦ .

(٢) اللاويين ٤: ٢٠. وانظر ٥: ١٠.

(٣) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا ص ١٠١، وانظر: مزمور ١١٠: ١، وانظر: متى ٢٢: ٤٤.

(٤) متى ١٦: ٢١. ومرقس ٨: ٣٠. ولوقا ٩: ٢١.

(٥) الرسالة إلى أهل أفسس ٤: ١٠، وانظر:متى ١٦: ٢١، وانظر: مرقس ٨: ٣٠، وانظر:لوقا ٩: ٢١.

(٦) الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا، ص ١٠١

قول بولس: «هكذا المسيح أيضاً، بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه»[1]. وقول بطرس: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شفيتم»[2].

ومن النصوص التي يستدل بها النصارى على أن مستندهم في الفداء الكتاب المقدس ما يلي:

(إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين»[3].

(أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»[4].

إلى آخر تلك النصوص التي استنبطها النصارى، بأنها دلالات واضحة على أن الكتاب المقدس هو الدليل على الصلب، وموت المسيح تكفيراً عن الخطيئة، وفداءً للبشرية.

ثالثاً: المجامع:

اختلف النصارى الأوائل حول عقيدة الصلب والفداء، بين رافض له وداع له حتى فصل ذلك الخلاف مجمع نيقية المنعقد (عام ٣٢٥) وأدرجه ضمن دستور الإيمان النيقاوي، وأجبر الناس على الإيمان به حتى أصبحت جميع فرق النصارى الكبرى معترفة به على اختلاف بينهم في التفاصيل وعلى من وقع الصلب عليه في إتحاد الناسوت باللاهوت.

«وفي العام ٣٢٥ عقد المجمع في نيقية برئاسة قسطنطين نفسه وصدر عنه دستور الإيمان النيقاوي الذي أدخلت عليه بعض الإيضاحات في المجامع اللاحقة، حتى صار على الوجه الآتي[5]: ءأمن بإله واحد، آب ضابط الكل،.. وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد.. والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر...» [6].

وبهذا أصبحت عقيدة الصلب من أسس الإيمان عند النصارى، وأصبح رمز الصليب مصدر تعظيم عند جميع الفرق النصرانية، يكفر من يجحده.

حتى جاء الإسلام فبين مصدره، وما فيه من خرافات، مع ما أثبته التاريخ من حقائق حوله وما تناقله العقلاء وأدى إليه اجتهادهم على مر التاريخ مما رد على النصارى زعمهم فيه والذي هو حديث المطلب التالي..

---

(١) وانظر.الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٨.

(٢) رسالة بطرس الأولى ٢: ٢٥ . انظر : عقائد أساسية في علم اللاهوت ، دونالد ديماري، ترجمة شاكر إبراهيم ص ١٠٩.

(٣) مرقس ١٠: ٤٥.

(٤) يوحنا ١٠ : ١١.

(٥) وفي هذا اعتراف ضمني بالتحريف وتدخل البشر في إقرار عقيدته .

(٦) أديب صعب، الأديان الحية نشوؤها وتطورها (دار النهار) ص ١٥٨.

المطلب الثاني
الرد على النصارى في الصلب

في المطلب السابق استعرضت حادثة الصلب كما وردت في الكتاب المقدس، وما سبقه من تنبؤات، مع بيان أسبابه، ومصادره، كما في الفكر والمعتقد النصراني.

وقد أبطل الله تعالى هذه العقيدة بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وقبل بيانه منهما يحسن نقضه من الكتاب المقدس وإنجيل برنابا، ثم العقل، وبعده من الكتاب والسنة.

أولاً: الرد على النصارى من الكتاب المقدس[١]:

عندما يستعرض العلماء الكتاب المقدس والذي يشير إلى صلب المسيح، نراهم يثبتون عكس ذلك منه، وذلك لأن المتفحص لأخباره يرى أن الكتاب المقدس هو أول من ينفي صلب المسيح u ، وموته على الصليب، وعلى هذا يمكن نقض عقيدة الصلب من الكتاب المقدس من عدة أوجه.

الوجه الأول: أن كتاب الأناجيل لم يشهدوا حادثة الصلب:

عند التحقيق عن كتاب الأناجيل من كان الشاهد منهم على صلب المسيح يظهر الآتي:

أن مرقس مجهول العين؛ لأنه لا يعرف اسمه الحقيقي، و لم يشاهد المسيح ولا شيئا من حياته، وقيل ألفه مابين (عامي ٦٤-٧٠م) وقيل كتب بعد (عام ١٥٠ أو١٨٠م) واللغة الأصلية المعتمد عليها في كتابة إنجيله مجهولة، وهناك شك كبير في الإصحاحات الأخيرة والتي تتحدث عن بعض أخبار الصلب أنها زيدت عليه،كما جاء في الموسوعة البريطانية، إذاً فشهادة إنجيله على صلب المسيح شهادة باطلة؛ لأنها تفتقد إلى الموثوقية، وربما نقلت عن رواة ليس لهم علاقة بالمسيح ولا عقيدته.

أما متى فلا يوجد أي شاهد على أن متى الحواري هو مؤلفه، وألف بعد (عام٧٠م) وألف بالعبرية، وترجم إلى اليونانية، والأصل العبري مفقود، والمترجم غير معروف، واعتمد على إنجيل مرقس، وهذه الأمور تعني أن متى لم يرى المسيح فكيف يكتب عن صلبه الذي لم يشاهده قطعاً، والواضح أن متى ينقل أخباراً نقلت إليه.

أما لوقا فهو كذلك مجهول، و لم يثبت أنه رأى المسيح و لم يشاهد صلبه، وكتبه بين (عامي ٧٠-٩٠م) وقد ذكره بولس وهو اليهودي الذي أصبح مسيحياً، وبهذا تكون شهادته مجروحة ولا تؤخذ أو يعتمد عليها.

أما يوحنا أنه أحد الحواريين، ويقال أنه شخص مجهول، كتبه ونسبه إلى يوحنا الحواري، وهو مكتوب بصيغة الغائب، وكأنه لم يشهد الأحداث ويرويها، ثم في آخره يقول «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق»[٢].

---

(١) وقد فصل الأستاذ أحمد ديدات. نقض مسألة موت المسيح على الصليب من الكتاب المقدس في كتابه(مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء).

(٢) يوحنا٢١: ٢٤

وشهادة هذا الإنجيل غير صادقة ولا واقعية؛ لأن الأناجيل نفسها تشير إلى أن التلاميذ كلهم قد هربوا عندما ألقي القبض عليه. بالإضافة إلى مخالفة هذا الإنجيل لغيره من الأناجيل، من عدة وجوه عقدية وتاريخية[١].

ومن خلال ما تقدم ندرك أن الشهادة الإنجيلية على صلب المسيح، صدرت عن أناس لم يشاهدوها وإنما نقلوها نقلاً.

وقد أكد العلماء السابقون أن قصة صلب المسيح تناقلها الرواة عن أساس يهودي:

يقول ابن تيمية: «فإن الأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب، فيها ذكر صلب المسيح، وعندهم أنها مأخوذة عن الأربعة، (مرقس ولوقا ويوحنا ومتى) و لم يكن في الأربعة من شهد صلب المسيح، ولا من الحواريين، بل ولا في أتباعه من شهد صلبه، وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود»[٢].

أما كيف نقلوها وعن من فهناك غموض كامل حول من الذي نقلها. كما سيأتي

ويقول ابن القيم:

«فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود، وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم اختلاف، وانتم مختلفون معهم في أمره... فهذا ما عند اليهود، وهم شيوخكم في نقل الصلب وأمره، وإلا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى، وإنما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه، وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم، فإن صدقتموهم في الصلب، فصدقوهم في سائر ما ذكروه» [٣].

وكذلك فإن منصفي علماء النصارى يشهدون بذلك. يقول المسيو الألماني: « إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شاهه من الذين لم يروا المسيح u وليست من أصول النصرانية»[٤].

الوجه الثاني: نفي حادثة الصلب على عيسى u بنصوص الأناجيل.

إن نصوص الإنجيل تدل على عدم صلب عيسى u ، وقد أقام كل من المسلمين والنصارى الأدلة على ذلك.

ولئن كانت رواية الصلب واردة بالأناجيل، إلا أن الدارس الفاحص عندما يقارن الحادثة بالأناجيل بعضها ببعض، يستخلص منها - على خلاف المعتقد - نفي صلب المسيح u . وإليك البيان: وردت قصة المحاكمة في إنجيل لوقا بالنص الآتي: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون،

---

(١) انظر العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل حسن الباش ١/١٤٤-١٤٦. دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، ص ١٥-٢٢. كتاب منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، عزية طه ص ٤٦٠-٤٧٥

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٢ /٣٠٢- ٣٠٢.

(٣) هداية الحيارى، ابن القيم، ص٢١٧، ٣٢١.

(٤) الإسلام والأديان، مصطفى حلمي ٢٥٢.

وتبعه أيضاً تلاميذه. ولما صار إلى المكان قال لهم: صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر... وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة؟»[١].

كذلك صرح إنجيل متى بأن«أظلمت الأرض ظلمة شديدة».

من هذا النص وغيره تأكيد نفي حادثة الصلب عن المسيح u ، وكونه إنسان بشر فهو يصلي في جهاد، فيترل ملاك من السماء ليقويه ويشد أزرة ثم يعود إلى تلاميذه فيجدهم ساعة هذه التجربة العظمى نياماً ومن هنا حدث لبس في شخصية المصلوب، فضلاً عن أن الوقت كان ليلاً لأن الرواية تضمنت أن الجميع جاءوا بمشاعل ومصابيح[٢].

كما أن اليهود كانوا في شك فيمن قبضوا عليه، حتى إن رئيس الكهنة استحلفه باسم الحي سائلاً الشخص المقبوض عليه أنت المسيح ابن الله؟ فأجابه الشخص المقبوض عليه (أنت قلت) فلم يقل أنا هو[٣]. وورد في إنجيل لوقا ما يؤكد شكهم إذ قالوا: إن كنت أنت المسيح فقل لنا؟ فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني[٤].

وكذلك ما ورد عند يوحنا عندما أقبلوا عليه فقال من تطلبون؟ أجابوا يسوع الناصري، قال: أنا هو ...[٥].

وبهذا يفهم من هذه الأحداث، أن اليهود كانوا شاكين فيمن قبضوا عليه، وإلا لما تأكدوا مراراً عن من يكون تحديداً، وهم كانوا يعرفون المسيح، وهو يعلم بينهم كل يوم، ولكن في هذه الحادثة اختفى عليهم أمره.

ويستند الأستاذ أحمد ديدات إلى نفي حادثة القيامة بعد الصلب إلى الشواهد المنسوبة إلى المسيح u ، ومنها ما ورد في إنجيل لوقا: «انظروا يدي ورجلي، إني أنا هو، جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي - ثم بعد ذلك ناولوه سمك وعسل - فأخذ وأكل قدامهم»[٦] ويعلق الشيخ ديدات على هذا فيقول: ماذا كان الرجل يحاول أن يثبت؟

---

(١) لوقا:٣٩-٤٦.

(٢) انظر: الإسلام والأديان، مصطفى حلمي، ص ٢٤٨.

(٣) انظر متى ٢٦: ٦٣-٦٤.

(٤) لوقا ٢٢: ٦٧-٦٨.

(٥) يوحنا ١٨: ٣-٨ . وانظر : كتاب الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٢٥-٢٢٦ و انظر: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، الكتب السماوية وشروط صحتها،(دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة سنة الطباعة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠).، فقد ذكرها بتوسع ص ٤٩٣وما بعدها.

(٦) لوقا ٢٤: ٣٩-٤٣.

لماذا يحتاج يسوع إلى توضيح الواضح؟ السبب في ذلك ببساطة أن الحواريين كانوا يعتقدون أن يسوع كان عاد من بين الموتى، وأنه كان قد بعث، ولو صح ذلك فقد كان من اللازم أن يكون صورة روحية، لأن الإنجيل يذكر أن الذي يبعث من الموت ليس له لحم ولا عظام [١].

الوجه الثالث: الاختلاف والتناقض فيما بين الأناجيل.

إن الناظر في نصوص العهد الجديد حول حادثة الصلب، يجد التناقض الظاهر مما يجعل الوثوق بها محال من خلال الأناجيل، وإليك بيان ذلك في حادثة الصلب وحدها بغض النظر عن الخلافات في التنبوءات والأسباب وغيرها[٢]:

الموضوع	متى	مرقس	لوقا	يوحنا
حامل الصليب	سمعان القيرواني	سمعان القيرواني	سمعان القيرواني	المسيح نفسه
شراب المصلوب	خلا ممزوجا بمر ولما ذاق لم يشرب	خمرا ممزوجا بمر فلم يقبل		
علة المصلوب	هذا هو يسوع ملك اليهود	ملك اليهود	هذا هو يسوع ملك اليهود /يونانية رومانية عبرانية	ملك اليهود /يونانية رومانية لاتينية
اللصان والمصلوب	كانا يعيرانه	كانا يعيرانه	كان أحدهما يعيره والآخر يدافع عنه	
صرخة المصلوب	مرتين		مرة	لم يصرخ
طعنة المسيح	لم تذكر أنه طعن			طعن بحربة فخرج دم وماء
آخر كلام المسيح	الهي الهي لماذا تركتني		يا أبتاه اغفر لهم	قد أكمل
وقت الصلب	من الساعة السادسة حتى التاسعة		من الثالثة حتى التاسعة	
شهود الصلب	نساء كن يتبعنه بينهن مريم المجدلانية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومى أم ابنى زبدى		نساء كن تبعنه من الجليل ينظرون من بعيد	أمة وزوجة اكلاوبا ومريم المجدلانية

وبهذا لا يمكن الجزم بترجيح قول على آخر بلا مرجح ولا الجمع بين القولين إلا إن هذا التناقض يضع حول الخبر علامة استفهام؟

---

(١) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات،١٢٢- ١٢٤. وانظر الإسلام والأديان، مصطفى حلمي،ص ٢٥٠.

(٢) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ٢٣٢-٢٣٣، وانظر: لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف،(مكتبة التراث الإسلامي (٨ شارع الجمهورية - عابدين).ص ٩٩-١٠٠.

وهذا غيض من فيض تناقضات الأناجيل، التي يدركها النصارى ويبررونها بقولهم أن الروايات المختلفة يكمل بعضها بعضاً،وبحجة وأن هذه الاختلافات لا تمس العقيدة.

بل مست صلب العقيدة، فالتناقض الموجود في قضية هل أخبر عيسى التلاميذ بقيامته، أو لم يخبرهم، كما عند يوحنا اختلاف في أمر هام من أمور العقيدة، بالإضافة إلى كونه أمر غيبي لا يمكن أن يطلع عليه بشر إلا عن طريق الوحي[1].

وهذه التناقضات أفقدت الثقة في أي نص في التوراة والإنجيل، أنه من عند الله ولو شهد عليه النصارى جميعهم، بغض النظر عن وجود النص الصريح عند المسلمين في القرآن بتحريفهم لكتبهم[2].

التناقض في نفس الروايات في الإنجيل الواحد:

لعل تناقض الأناجيل فيما بينها ربما يكون مبرراً كما تقدم، لكن التناقض في الإنجيل الواحد، بل في نفس الإصحاح ماذا عنه؟! ومثال ذلك ما ورد في إنجيل مرقس بعد القيامة عندما قال لهن الشاب الذي رأينه اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل: فخرجن سريعاً وهربن من القبر، و لم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات.

ثم بعدها مباشرة يعود السياق ويقول أنها ذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون...

والسؤال هل قلن لأحد شيئاً أم لم يقلن؟! لاندري!

ومع هذا قد يعتذر النصارى عن هذا الخبط وأن هذه الفقرات زيدت فيما بعد كما يقولون![3]

والسؤال الآخر لماذا يُبقي النصارى هذه الزيادة في الإنجيل وهو مكتوب بإلهام؟ أم هل كل زيادة عليه لا تسيء له ويعتبر الجميع كلام مقدس؟!

الوجه الرابع: التناقض مع العهد القديم:

يستدل النصارى على حادثة الصلب بنصوص من العهد القديم، ثم هم يتصرفون في النص ليدل على غرضهم سواء في الروايات أو التعاليم.

وهذا التناقض ورد في الروايات فتخالف رواية الإنجيل التوراة، وكأنهم يقصون من العبارات ما يناسبهم، أو في التعاليم فتخالف نصوص الإنجيل التعاليم التي وردت في التوراة.

---

(١) انظر: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، (دار الثقافة، قطر - الدوحة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ص ٨٢-٨٥ العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش ص ١٤٩.

(٢) انظر دراسات اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د/ محمد ضياء الرحمن الشريف، (مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٣٠٢-٣١٠ فقد سرد (١٧) تناقضاً في قصة الصلب فقط، وقد أورد حادثة الصلب عبد الوهاب النجار وناقشها وعد (٣٤) وجهاً من أوجه التضاد بين هذه النصوص، وانظر: المسيحية، أحمد شلبي ص ١٧٨، وانظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح u ، سارة العبادي ص٤٣٤-٤٤٣.

(٣) انظر: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، ص ١٨، وانظر إظهار الحق، رحمة الله الهندي فقد تناول هذه المسألة بالتفصيل .

فمن التناقض مع الروايات:

3 ما جاء عند متى: «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هو ذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرت به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر للأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء. حتى يخرج الحق إلى النصرة. وعلى اسمه يكون رجاء الأمم»[١].

وحينما نعود إلى سفر أشعياء الذي نسب إليه متى النص السابق نجد ما يأتي: «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي .وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. ولا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفىء. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنظر الجزائر شريعته»[٢] وحين نقارن بين النصين نجد اختلافا في العبارات ونلاحظ أن متى حذف عبارة (لايكل ولا ينكسر) لينسجم النص مع نهاية المسيح على الصليب»[٣].

ومثال آخر ماورد في إنجيل يوحنا على لسان المسيح: «وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي، لكن كي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سبب»[٤].

وحينما نعود للكلمة الموجودة في الناموس نجدها في مزامير داود كالآتي: ولا يتغامز بالعين الذين يبغضوني بلا سبب... اقض لي حسب عدلك يارب إلهي فلا يشمتوا بي،... ليهتف وليفرح المبتغون حقي، وليقولوا دائماً ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده»[٥].

ونلاحظ أن نص داود يحكم بنجاة وسلامة العبد وخزي أعدائه المبغضين له. لكن يوحنا يقتبس ما يدل على قضية البغض بلا سبب، ويتجاهل مسألة السلامة والنجاة، ولا ينقل بقية النص التي تدل على هذا المعنى لأنها لا تخدم غرضه»[٦].

---

(١) متى ١٢:١٧-٢١ .

(٢) أشعياء ٤٢: ١-٤.

(٣) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، ص ٤٠-٤١.

(٤) يوحنا ١٥: ٢٤-٢٥ .

(٥) المزامير ٣٥ : ١٩- ٢٧.

(٦) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، ص ٤٣-٤٤ .

التناقض مع التعاليم:

من ذلك:

- أن نص التوراة يلعن من علق على الصليب - كما سبق - وهم عندما قالوا أن عيسى u علق على الصليب لم يجعلوه كذلك بل قدسوه فوق حقه، إلى أن جعلوه إله وابن إله، وعندما نتزل اللعنة على المصلوب وفقاً للعهد القديم. لن نجعل المعلق عليه عيسى u بل الخائن أو غيره.
- ومنها إن في العهد القديم «لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل»(١).

وفي العهد القديم «النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون»(٢).

والنصارى خالفوا هذه النصوص وجعلوا بني آدم كلهم إلى آخر الزمان في إثم أبيهم آدم u .

الوجه الخامس: عدم تحقق التنبوءات:

لم تتحقق نبوءات أخبرهم بها المسيح مثل: ما (ورد في إنجيل متى أن قوماً من اليهود قالوا للمسيح: «يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي؛ لأنه كما كان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»(٣).

و لم تتحقق هذه النبوة إذ صلب المسيح على قولهم يوم الجمعة، ودفن ليلة السبت، وقام من قبره صباح الأحد.

ومعنى هذا أنه مكث في قبره يوماً واحداً هو يوم السبت، وليلتين هما ليلتي السبت والأحد، و لم يلبث ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما جاء في النبوة الآنفة الذكر.

وورد في إنجيل متى أن المسيح قال لليهود وهم يحاكمونه: «أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء»(٤).

و لم يحدث شيء من هذا وكل ما رآه اليهود هو إنسان مصلوب حسبوه المسيح»(٥).

وبهذا لم تتحقق النبوءات في أهم قضايا الصلب وهو القيامة من الأموات وغيرها.

---

(١) التثنية ٢٤: ١٦.

(٢) حزقيال ١٨: ٢٠

(٣) متى ١٢: ٣٨-٤٠ .

(٤) متى ٢٦: ٦٤.

(٥) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، ص ٤٧-٤٩.

الوجه السادس: تفرد بعض الأناجيل بروايات خاصة بها.

3 المواعظ الطويلة التي ما يقارب أربع إصحاحات ليلة القبض عليه[١].

3 غسل المسيح أرجل التلاميذ ليلة القبض عليه[٢] .

3 ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته [٣].

3 شهود أم المسيح وأحد التلاميذ حادثة الصلب[٤].

3 رؤيا زوجة الحاكم الروماني بيلاطس[٥].

3 بعث بيلاطس المسيح إلى حاكم الجليل هيردوس[٦].

3 غسل بيلاطس يديه أمام الجميع من دم هذا البار[٧].

الوجه السابع: مخالفة قصة الصلب لنصوص حفظ الله للمسيح في الإنجيل:

فقد ورد في الإنجيل عدد من النصوص تؤكد حفظ الله ومعيته لعيسى u من كيد أعدائه اليهود، فمن هذه النصوص:

«ستطلبوني ولا تجدوني وحيث أكون لاتقدرون أنتم أن تأتوا»[٨].

«هوذا تأتي ساعة –وقد أتت الآن- تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام إلى العالم، سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم»[٩]. «فقاموا وأخرجوه خارج المدينة – أي اليهود – وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى»[١٠].

«فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من بين أيديهم»[١١].

وهذه النصوص تدل على أن الله تعالى حفظ عيسى u ، ولم يمس بأذى من أعدائه، وفي هذا دليل على بطلان الصلب وما ترتب عليه من تكفير الخطيئة.

---

(١) يوحنا ١٤-١٧.

(٢) يوحنا ١٣: ٥.

(٣) يوحنا الإصحاح٢٠- ٢١ .

(٤) يوحنا ١٩: ٢٥- ٢٦.

(٥) متى٢٧: ١٩.

(٦) لوقا ٢٣: ٧- ١١.

(٧) متى ٢٧: ٢٤.

(٨) يوحنا ٧ :٣٤.

(٩) يوحنا ١٦: ٣٢.

(١٠) لوقا ٤: ٢٩.

(١١) يوحنا١٠: ٣٩ وانظر محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، (دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص ٢٢٥والإسلام والأديان الأخرى، أحمد عبد الوهاب، ص ٦٧.

الوجه الثامن: شهادة إنجيل برنابا على عدم الصلب:

إنجيل برنابا أحد الشواهد المهمة، على عدم صلب المسيح، رغم عدم إيمان الكنيسة بهذا الإنجيل، وعدم الاعتراف به ضمن كتب النصارى المعتمدة.

ومع هذا فينبغي أن لا يُغفل هذا الإنجيل في أخذ بعض نصوصه، والتي يستأنس بها لإبصار الحقيقة، وذلك لأنه يذكر أموراً ترد على النصارى.أضف إلى ذلك أنه كان مخفياً أثناء بعثة محمد r ، وذلك لأن البابا جلاسيوس الأول أصدر أمراً في حرمان مطالعته مع أناجيل أخرى (عام٤٩٢م) أي بعد مجمع نيقية، وقد كان مخفياً خلال هذه القرون الطويلة ويذكر المؤرخون أن أقدم نسخة عثر عليها هي النسخة الإيطالية (عام ١٧٠٩م) ثم عثر على نسخة أخرى باللغة الأسبانية (عام ١٧٨٤م) وقد عثر على هذا الإنجيل في جو نصراني، حيث لاتزال نسخته الإيطالية موجودة في مكتبة (فينا) كما سيأتي عند التعريف به.

«إذا فالإنجيل كان له وجود قبل بعثة محمد r وإذا كان هذا الإنجيل قد كتب قبل ظهور محمد r ، فلابد أن يكون فيه ما قاله عيسى u عن محمد r حقيقة؛ لأنه لا يمكن أن يخبر أحد به قبل وقوعه إلا عن طريق الوحي.

وقد رجح المحققون أنه ليس للمسلمين فيه يد. لأنه لم يرد له ذكر في كتابات مشاهير المسلمين والذين تصدوا لمناقشة اليهود والنصارى كابن حزم، والشهرستاني، وابن تيمية، وابن القيم –رحمهم الله – مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في تلك المناظرات التي كانت قائمة بينهم[1].

وهذا الإنجيل يوافق القرآن في أهم قضية في الصلب، وهي مسألة التشبيه التي ورد نصها في القرآن ﴿**وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[سورة النساء ١٥٧]، ومسألة أن المسيح ستكون عليه وصمة القتل حتى يأتي محمد r ويزيح عنه هذه الوصمة[2].

وإلى نص الإنجيل:

يقول برنابا في إنجيله بعد أن ذكر مكر اليهود، ودعائه ربه أن ينجيه من كيدهم، ثم ذكر دنو يهوذا والجنود من البيت الذي كان فيه: «فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة... فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد، ودخل يهوذا بعنف إلى

---

(١) انظر عبد القادر بن شيبة الحمد،الأديان والفرق،(مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هــ - ٢٠٠٢م)، ص ٤٤-٤٦. انظر الكتب السماوية وشروط صحتها، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص٣٤٧، ٣٥٣-٣٥٥.

(٢) للاستزادة انظر الكتب السماوية وشروط صحتها،عبد الوهاب عبد السلام طويلة، (دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة ستة الطباعة، ١٤١٠هــ -١٩٩٠)، ص٣٥١.

الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ نياماً فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق والوجه فصار شبهاً بيسوع، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد معلمنا أنسيتنا الآن؟ أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل جهة، أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين، ويوحنا الذي كان ملتفاً بملحفة من الكتان استيقظ وهرب... لأن الله سمع دعاء يسوع وخلص الأحد عشر من الشر»[١].

ثم أكمل قصة اليهود مع يهوذا في المحاكمة وكان ينفي أنه المسيح، وهم يصرون على أنه المسيح إلى أن تم الصلب فيقول: «ولكن الله الذي قدر العواقب أبقى يهوذا للصلب ليكابد ذلك الموت الهائل، الذي كان أسلم إليه آخر»[٢].

كان قد ذكر برنابا قبل ذلك أن الله سيغير منظر الخائن، ويموت شر ميتة، وأن الله سيرفعه، وأن الرسول ﷺ هو من يكشف للناس أنه لم يصلب، فيقول: «وعليه فإن من يبيعني يقتل باسمي؛ لأن الله سيصعدني من الأرض، وسيغير منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد إياي، ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة»[٣].

وقد اعترف بعض الكتاب النصارى بهذه الحقيقة وسطروه في كتبهم فمن هؤلاء:

المسيوإدواد سيوس في كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية يقول: إن القرآن ينفي قتل المسيح وصلبه، وأنه ألقي شبهه على غيره، فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه، وما قاله القرآن كان موجوداً عند طوائف من النصرانية[٤].

ويقول المستشرق الإنجليزي جورج سايل في ترجمته للقرآن الكريم «أن طوائف النصارى... [ذكر طائفتين] كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب، وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه كان يشبهه تماماً».

وورد في تاريخ موسهيم الشهير الذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية، أن كثيراً من فرق النصارى، كانت ترفض حصول الصلب رفضاً كاملاً، لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية. ثم عدَّ (١١) فرقة.

---

(١) برنابا ٢١٥: ٤-٦ و٢١٦: ١-١٣ .

(٢) برنابا ٢١٧: ٦٨.

(٣) برنابا ١١٢: ١٤-١٧ .

(٤) انظر دراسات معاصره في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار، ص ٤١٠.

وقد انقرضت تلك الطوائف جميعها، بعد أن تبنت الدولة الرومانية عقيدة التثليث ٣٢٥م إثر اعتناقها للنصرانية و لم يبق لها وجود بعد ذلك[١].

ويشهد بذلك كذلك بعض النصارى الذين أسلموا وعاشوا الحق والضلال فمنهم: عبد الأحد داود[٢] من النصارى الذي أسلم في القرن الماضي، وهو ينتقد فكرة الصلب والفداء بعد أن ساق بعض نصوص العهد الجديد ثم قال: أن هذا السر اللاهوتي [يقصد هو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها] كان مكتوماً على كل الأنبياء والصالحين السابقين، و لم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب[٣].

ويضيف هذا الكاتب أن من الأسباب التي حملته على ترك المسيحية هو هذه المسألة وظهور بطلانها.

وخلاصة القول إن إثبات عقيدة الصلب من الكتاب المقدس زعم باطل، بل هو بعهديه القديم والجديد ينفي الصلب، وينفي توارث بني آدم خطيئة أبيهم **u** ، وكل ما يترتب على ذلك فهو من باب التحريف والتبديل للنصوص.

ثانياً: رد الصلب عقلاً:

للعقل مكانة خاصة في الفكر الإنساني، وله حدود ومجالات يستطيع من خلالها إدراك الحق، وإنكار الباطل بما يتوافق مع الفطر السليمة، إذا استنار بنور الوحي، وقد ضل النصارى حينما فصلوا بين عقولهم وما في كتبهم، على أنها مسلمات لا يمكن نقضها، بما تُلبس عليهم بأنها جميعها كتبت بالإلهام، فأهملوا دور العقل في التفكر والتدبر، ورضوا بأن يقولوا نحن نعترف بأن ما نعتقده فوق تصور العقل لكن لا يمكن نقضه.

فجاء الإسلام وأرشد إلى التدبر، والتأمل، والوصول إلى الحق بما منح الله الناس من عقول، وما أنزل عليهم من النور المبين.

ولذلك فإن النتيجة العقلية المستفادة من نصوص الأناجيل جميعها، سواءً أكان معترفاً بها من قبل الكنيسة، أم لم يكن معترفاً بها، أن إنسانا قد صلب حقيقة، ولكن كما ظهر من الأناجيل أن المصلوب، غير عيسى **u** وأنه لا كفارة ولا خلاص للبشر عن طريق صلب المسيح.

---

(١) نقلاً من كتاب الميزان في مقارنة الأديان، الطهطاوي، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) عبد الأحد داود العراقي: كان اسمه دافيد بنجامين الكلداني: كان قسيساً وأسلم ولد بفارس (١٨٦٨م) وعمل مبعوثاً للنصارى في عدة دول من أسباب إسلامه بعد هداية الله إنكار القرآن للصلب وإثبات الإنجيل رغم أن مصدرهما واحد فبحث إلى أن وجد الحقيقة والتثليث والشفاعة.(من مقدمة الإنجيل والصلب لمقدمه محمد علي سلامه ص ١٣).

(٣) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود، ص٢٧.

وأن الصلب وما يتعلق به منفي من عدة أوجه:

الوجه الأول: اشتمال الأناجيل على أمور غير معقولة في الصلب:

الناظر في روايات الصلب يلحظ اشتمالها على أمور غير معقولة مثل: أن اليهود لم يعرفوه عند القبض عليه، إذ كيف يكون ذلك وهو بينهم دائماً كما ورد عند لوقا [١].

ومنها الحال الذي وصفته الأناجيل عن المسيح قبل صلبه من قوله (نفسي حزينة حتى الموت)، وقوله(يا أبتاه إن أمكن أن تعبر عني هذه الكأس) وقوله (الهي إلهي لماذا تركتني).

وفي إنجيل مرقس (وابتدأ يدهش ويكتئب) ولوقا يقول(وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض).

«وحينما نستعرض مواقف الأبطال والشهداء، الذين واجهوا الموت بكل إقدام ورباطة جأش، غير هيابين ولاوجلين، ونقارن تلك المواقف مع موقف المسيح الخائف المضطرب، العاتب على ربه، الذي تخلى عنه وتركه يموت على الصليب نقول: إنه ليس من المعقول أن يكون هذا هو حال ابن الله الأزلي، ولا حال نبي من الأنبياء، بل هو حال شخص عادي، وهو الشخص الذي صلب بدل المسيح كما يعتقد المسلمون»[٢] بالإضافة إلى أنه جاء في بعض النصوص، أن الله سمع له فالذي يتوافق مع العقل، ومع منزلة عيسى عند الله أن يسمع له هذه الصرخات والدعوات ويجيب سؤله.

الوجه الثاني: مخالفتهم للعقل في الصلب تكفيراً عن الخطيئة:

يستند مفهوم صلب المسيح أنه تكفيراً عن خطيئة آدم u ، والعقل يرد هذا المفهوم بعدة أمور

أولاً: أين كان عدل الله ورحمته منذ أن عصى آدم وأخرجه من الجنة إلى زمن الصلب، فهل كان الله حائراً بين عدله ورحمته حتى قبل المسيح منذ ألفي عام أن يصلب تكفيراً عن الخطيئة؟ ثم أي عدل وأي رحمة في تعذيب غير المذنب! وإذا قيل أنه رضي ذلك فإن من يعذب بدنه أو ينتحر مذنب، ولو كان يريد ذلك. وأين عاطفة الأبوة ورحمته إذ يضحي بابنه، وينال أنواع التعذيب والإهانات وفي وسع الله أن يخلص البشر من ربقة ذنبهم، بكلمة وإذا كان الله قادر على ذلك فهل هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها ذنب آدم؟!.

ويجيب على ذلك القس بولس سباط فيقول: «لم يكن تجسد الكلمة ضرورياً لإنقاذ البشر، ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة - ثم يعلل سبب اختيار الله للمسيح فداء - قد شاء سبحانه أن يكون الفداء بأعز مالديه، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً»[٣].

---

(١) لوقا ٢٢: ٥٢- ٥٣ .

(٢) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، ص ٥٥-٥٦ .

(٣) المشرع ص٤٢ نقلاً من المسيحية، شلبي، ص ١٧٤ ثم يقول شلبي (ونصرخ في وجه هذا الكاتب أنه ليس من الحكمة في شيء أن نفتدي بدينار مانستطيع أن نفتديه بفلس، تعالى الله عن ذلك) المسيحية، شلبي، ص١٧٤.

ثانياً: ثم كيف ضاقت الأمور على رب العالمين في نظر النصارى، حتى لم يجد الله وسيلة للتكفير إلا هذه الوسيلة القاسية وقتل ابنه الوحيد الذي به زادت خطايا البشر، فهل يعقل أن يعالج مرض بمرض آخر أشد منه؟ فخطيئة آدم أهون بكثير من خطيئة اليهود! الذين تطاولوا على ابن الله وصلبوه - كما يقولون - فهل يرى النصارى أن ثمت توازن بين الذنب والعقوبة يوصف بها عدل الله! .

ثالثاً: ثم ألا يكفي العقاب الذي عوقب به، وهو إخراجه من الجنة إلى الكدح والنصب في الأرض، وهذا عقاب كاف، وهو العقاب الذي اختاره الله بنفسه، وكان يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك، فكيف يستساغ أن يضل الله الرحيم الحليم مضمراً الشر آلاف السنين.

رابعاً: قد يقال بناء على قول النصارى أن هذا الأمر كان لتدبير من الله، ورضا منه، فيقال إذا كان الصلب عملية تمثيلية فقط على أيدي اليهود، وكل شيء تم وفقاً لإرادة الله وابنه- تعالى الله عن ذلك – فلماذا يبغض النصارى اليهود والأولى لهم أن يقبلوا أيديهم لأنهم السبب المباشر في تنفيذ إرادة الله وتخليصهم من إثم المعصية التي لحقت البشر وبلائها آلاف السنين!.

يقول ابن القيم «فإن قلتم منع من ذلك مانع العداوة، فعندكم أنه هو الذي رضي بذلك واختاره، ولو لم يرض به لم يصلوا إليه، فعلى هذا فينبغي لكم أن تشكروهم وتحمدوهم، إذ فعلوا مرضاته واختياره الذي كان سبب خلاص جميع الأنبياء والمؤمنين والقديسين من الجحيم، ومن سجن إبليس فما أعظم منة اليهود عليكم وعلى آبائكم وعلى سائر النبيين من لدن آدم u إلى زمن المسيح!!» [(١)].

خامساً: يقال لهم بما أن البشر في نظر الله عصاة مخطئون إلى زمن الصلب، فبماذا يفسر عذاب الله للعصاة من البشر من نوح وما بعده من الأنبياء، وبماذا يفسر طوفان نوح u مع انه ابتلع جميع العصاة ولم يبقى إلا من آمن، وبماذا يفسر صيحة عاد وغرق فرعون وغيرهم من الأمم ولم يبق إلا المؤمنون و رسلهم[(٢)].

سادساً: إن دعوى النصارى بأن الصلب وقع على الجسد البشري الذي حمل الخطيئة، وأن هذا الجسد مات، دعوى تنقضها قصة قيامة المسيح عندهم، فلو كان تجسد لأجل تحمل الخطيئة فالواجب أن يفنى ذلك الجسد بعد حلول العقوبة عليه، لأنه تجسد بالصورة البشرية لأجل الدور الذي قام به ثم إن الجسد البشري لا حاجة إليه[(٣)].

---

(١) شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، تحقيق:علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، (دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، رجب ١٤٢٤هـ) . ٢/ ١٠٣٩.

(٢) انظر : المسيحية،شلبي، ص ١٣٧- .وانظر الميزان في مقارنة الأديان،الطهطاوي،ص١٥٥- ١٥٨.

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص ٣٣١.

الوجه الثالث: مخالفتهم للعقل في مبدأ توارث الخطيئة:

المبدأ العام المعترف به في الديانات جميعاً، وفي القوانين الوضعية، وعرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء والأجداد سوى ثرواتهم، وأما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ بها ذرياتهم.

وبهذا تطبيقاً لبداهة العقول وأعراف الناس وقوانينهم، لا يمكن أن يعرض ابن الله نفسه ليقتله من يريد أن يغفر الله لهم فتزيد خطاياهم.

وإذا كان ابن الله قد صلب لمحو خطيئة آدم فما العمل في الخطايا التي تجد بعد ذلك؟ فلم كان التركيز على خطيئة واحدة وترك ما هو أعظم منها، من الإلحاد بالله وغيره، أم أن القس سباط يجيب عليها فيقول «إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم آنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم»(١).

وعليه فما العمل لمن غلبتهم الشياطين فأكلوا الحرام، كما أكل آدم من الشجرة ليتم عدل الله ورحمته.

الوجه الرابع: رد تعظيمهم للصليب لأنه وسيلة إهانة وتعذيب:

والنصارى تعظم الصليب وهو أداة تعذيب وإهانة يقول ابن القيم ما نصه:

«ومن العجيب أنهم يقرؤون في التوراة ملعون من تعلق بالصليب، وهم قد جعلوا شعار دينهم ما يلعنون عليه، ولو كان لهم أدنى عقل لكان الأولى بهم أن يحرقوا الصليب حيث وجدوه، ويكسروه ويضمخوه بالنجاسة، فإنه قد صلب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم، وأهين عليه وفضح وخزي ...لأنهم بحمقهم قصدوا تعظيم المسيح فاجتهدوا في ذمه وتنقصه، والإزراء به والطعن عليه، وكان مقصودهم بذلك التشنيع على اليهود، وتنفير الناس عنهم، وإغراءهم بهم فنفروا الأمم عن النصرانية، وعن المسيح ودينه أعظم تنفير... ولقد قال بعض عقلائهم إن تعظيمنا للصليب، جار مجرى تعظيم قبور الأنبياء، فإنه كان قبر المسيح وهو عليه ثم لما دفن صار قبره في الأرض.... فإن السجود لقبور الأنبياء وعبادتها شرك ثم يقال فأنتم تعظمون كل صليب، لا تخصون التعظيم بذلك الصليب بعينه فإن قلتم الصليب من حيث هو يذكر بالصليب الذي صلب عليه إلهنا.

قلنا وكذلك الحفر تذكر بحفرته فعظموا كل حفرة واسجدوا لها، لأنها كحفرته أيضا بل أولى لأن خشبة الصلب لم يستقر عليها استقراره في الحفرة.

ثم يقال اليد التي مسته أولى أن تعظم من الصليب، فعظموا أيدي اليهود لمسهم إياه وإمساكهم له ثم انقلوا ذلك التعظيم إلى سائر الأيدي»(٢).

---

(١) المشرع ص ٤٤ نقلاً من المسيحية، شلبي، ص ١٧٥ .

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم ٢/١٠٣٦- ١٠٣٨.

الوجه الخامس: أصل عقيدة الصلب والفداء الوثنيات:

هناك سؤال يطرح نفسه على كل نصراني:

لو وجدت لدينك صورة طبق الأصل في أديان أخرى سبقت دينك إلى المعتقدات التي تعتقدها في دينك، أيثير هذا تساؤلاً لديك: من أين أتى هؤلاء السابقون لديني بنفس الفكرة التي أدعي أنها الوحيدة في تاريخ البشرية، وأنها لم تحدث إلا مرة واحدة وذلك في ديني؟!

وللإجابة على السؤال، ستكون الوثائق التاريخية تثبت أن دين النصارى عبارة عن تجميع من الديانات الأخرى وأنه قابل للتجديد والتطوير!

من خلال هذه المقارنة بين آلهة سبقت النصارى بآلاف السنين، أو مئات السنين ومن ذلك:

كرشنـــة:

وكرشنه هو أحد آلهة الهند القدامى، وقد شابه النصارى الهنود في اعتقادهم في عيسى u وأنه ابن الله، والهنود يقولون إن كرشنة ابن الله، ومن أوجه التشابه في مسألة الصلب ما يلي:

- كرشنة صلب ومات على الصليب .
- ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات .
- وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً .
- وهو يدين الأموات في اليوم الأخير.

بـــوذا :

وهو أحد آلهة الهنود الذي يشابه معتقدهم فيه معتقد النصارى في المسيح في الأمور التالية:

- لما مات بوذا ودفن، انحلت الأكفان وفتح التابوت (بقوة إلاهية).
- وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.
- ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.
- وسيدين بوذا الأموات[(١)].

والأمر كذلك بالنسبة لمتراس إله الديانة الفارسية. وبعل إله البابليين وهي تصور محاكمته كما عند النصارى بتشابه تام[(٢)].

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير،١٤٧-١٤٨، ١٦١.

(٢) انظر: المسيحية،شلبي، ص ١٨٩-١٩٦. وانظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح، سارة العبادي، ص٤٢٥- ٤٣١. يونس توري، عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، (١٤٠٢هـــ - ١٤٠٣هـــ) ص٢٠٦- ٢١٩.

وبهذا فقد اتضحت المصادر الحقيقية للنصرانية الحالية، ونقرر هذا بيقين أنه ليس خافياً على الكهنة النصارى الذين يقودون ركب النصرانية يقول محمد فؤاد الهاشمي القسيس الذي أسلم:

"إن المسيحية في أصولها دين سماوي جاء به المسيح من عند الله، ولكن الكهنة في كل زمان ومكان كانوا يحتكرون الأسرار لأنفسهم، تلك الأسرار التي لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه[١].

وللعلماء سواءً المسلمين أو غيرهم مقولات كثيرة، تؤكد أن معتقدات الوثنيين كما هي عند النصارى، أو تؤكد أن النصارى أخذوا ماعندهم من الوثنيات القديمة[٢].

وقد أورد محمد طاهر التنير في كتابه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) أوجه الشبه بين أقوال الوثنيين وقول النصارى وعقد فصلاً لكل موضوع تشابه.

ويتبين من هذا أن اللاحق يأخذ من السابق ويقلده، وهذا مما يجعل النصارى يستبصرون من أين أتى أسلافهم بمعتقداتهم!

أما مناقشة عقيدة القيامة من الأموات فغير مهم مناقشتها؛ لأنها مبنية على أساس باطل ظهر بطلانه وهو الصلب، وعليه فلا صلب ولا موت، ولا قبر، ولا قيامة، ولا التقاء بالتلاميذ، لأن ما بني على باطل فهو باطل.

ثالثاً: رد الصلب من الكتاب والسنة:

إن بطلان عقيدة النصارى تبين بما لديهم من مصادر، وبما يقوله العقل الصريح.

والكتاب والسنة هما الحكمان عليها، وقد أثبتا أنه اعتقاد بلا برهان بل إتباع للأهواء وأهل الضلال قال تعالى﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [سورة المائدة ٧٧]

وسوف أتناول الرد من القرآن الكريم والسنة الصحيحة بشيء من الاختصار:

أولاً: الرد من القرآن الكريم.

القرآن لم يتطرق إليه تحريف أو تبديل، بل تكفل الله بحفظه كما قال تعالى:﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [سورة الحجر ٩]

والقرآن الكريم يثبت حادثة صلب وقعت زمن عيسى u ، وأن اليهود هم من قام بها وهي من مكرهم وتدبيرهم، ولكنه في نفس الوقت ينفي أن يكون المصلوب هو عيسى u ؛ لأن الله حفظه من

---

(١) نقلاً من المسيحية، شلبي، ص ١٩٦ .

(٢) انظر الكتب السماوية وشروط صحتها، عبد الوهاب طويلة، ص ٤٩٧- ٤٩٩.

كيدهم وهذا وفاءً لوعده تبارك وتعالى:﴿ **وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [سورة المائدة،١١٠]

وقد قال تعالى:﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[سورة يونس ١٠٣]

ويبطل القرآن مع هذا القول بالخطيئة المتوارثة، وبموت المسيح تكفيراً عن الخطيئة، بكلام في غاية الإعجاز بأسلوبه، وعدم تناقضه بما يبعث في النفس الراحة والانسجام.

ولذلك عندما نفى الله الصلب عن نبيه ذكره بلفظه الصريح، وبين بأن اليهود حاولوا قتله، لكنه نجاه منهم ورفعه إليه، في آيتين تبطل زعم كل من النصارى واليهود.

الآية الأولى قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [سورة آل عمران ٥٥]

والثانية قوله تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [سورة النساء ١٥٧- ١٥٨]

هذه الآية نزلت في معرض الحديث عن اليهود وجرائمهم، ومن جملة ذلك ادعاءهم أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله فقال الله حكاية عنهم.﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ** ﴾.

وذلك أنه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، وكذبوه وخالفوه، ومع هذا سعوا في النيل منه ومؤاذاته بكل ما أمكنهم إلى أن حاولوا قتله ثم صلبه.

وتؤكد هاتان الآيتان الكريمتان ستة معاني أوجزها في الآتي :

الأول: تنفي وقوع القتل على المسيح u سواءً بالصلب أو غيره الشاهد ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ**﴾ .

الثاني: تنفي وقوع الصلب على المسيح u سواءً أمات على الصليب، أو لم يمت الشاهد ﴿**وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ .

الثالث: تثبت وقوع التشبيه في القضية سواءً أدركه اليهود، أو لم يدركوه الشاهد ﴿**وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾.

الرابع : تثبت الآية أن الناس في زمانه اختلفوا في أمره وشكّوا هل قتلوا عيسى أم غيره؟ الشاهد ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ**﴾ [سورة النساء ١٥٧]

الخامس: تنفي الآية كون اليهود متيقنين أنهم قتلوا عيسى u بأية وسيلة الشاهد ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾.

السادس: تؤكد الآية أن الله نجاه منهم، وأن طريقة نجاته رفعه إلى السماء الشاهد ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ**﴾.

فهم مكروا به ولكن الله عاقبهم بالمثل فمكر بهم كما يقول: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران ٥٤]

فبين أن مكره بهم إلقاؤه الشبه على غير عيسى وإنجاؤه عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

و لم يبين القرآن الكريم ولا السنة المطهرة من هو الذي ألقي عليه شبه عيسى u ، ولكن جاءت روايات عن السلف أدرجت ضمن كتب التفسير والتاريخ، نقلت من الإسرائيليات تتناول هذه القضية باختلاف كبير بينها مما أدى إلى اختلاف العلماء في الترجيح بينها.

فمنهم من قال أن الشبه ألقي على اليهودي الذي دل عليه، وقيل خليفة قيصر الذي كان محبوساً عنده، وقيل يهوذا رأس اليهود، وقيل واحد من اليهود دخل ليقتله، وقيل رقيب وكلته به اليهود، وقيل ألقى الشبه على كل الحواريين لأخذ اليهود واحداً ممن ألقي عليه الشبه، وقيل أحد الحواريين كان ينافق عيسى و لم يعينوا من هو، وقيل أحد تلاميذ المسيح قبل أن يلقى شبه المسيح عليه عندما سألهم أيكم يلقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة، وقيل هو يهوذا الخائن.

والحقيقة التي أثبتها الله أنهم كانوا في شك من أمرهم.

فاليهود والنصارى في شك في أمر عيسى u .

أما اليهود فهم عندما قتلوا من قتلوا كانوا في شك من أمرهم، لأنهم بمجموع الروايات فقدوا شخصاً آخر، إما من عدة النصارى على قول من قال أن الذي شبه به من الحواريين، وإما الشخص الذي من اليهود الذي أراد قتله، و لم يجدوه بعد ذلك وكانوا يقولون إن كنا قتلنا عيسى فأين صاحبنا وإن كنا قتلنا صاحبنا فأين عيسى.

أما اختلاف النصارى فعندما ألقي شبهه على الجميع لم يميز النصارى المقتول هل عيسى أم غيره، وهم بذلك سلموا لليهود أنهم قتلوا عيسى من غير تأكيد، أو أن النصارى اختلفوا فيما بينهم فالذين شاهدوا الرفع علموا حقيقة الأمر، والذين لم يعاينوه قالوا بصلب عيسى u ، أو كان التفرق بين النصارى على ضوء الأثر المذكور إلى ابن عباس رضي الله عنه كما عند ابن كثير في تفسيره.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾[سورة النساء ١٥٧] (١).

والذي أميل إليه أن الذي ﴿**شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ هو يهوذا الخائن أحد تلاميذ المسيح وذلك لأسباب:

- أنه يتوافق مع بعض أقوال المفسرين وليس هناك نص صريح، من القرآن الكريم أوصحيح حديث الرسول **r** يبطله.
- أنه يتوافق مع ما جاء في إنجيل برنابا كما مر وهذا الإنجيل كان مخفياً زمن بعثة الرسول **r** وصدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء المحققين. وكذلك في الأناجيل الأخرى ولكنهم قالوا أن يهوذا الخائن قتل نفسه (٢).

أما الحقيقة التي ذكرت في القرآن وأثبتتها السنة أن الله رفع عيسى **u** بروحه وجسده كما قد صرحت الآية بذلك﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾كما ذُكر في ثنايا البحث .

وبهذا يتلخص لي ما جاء في شأن عيسى **u** بأن اليهود لم يقتلوه و لم يصلبوه ولكن شبه لهم قال ابن كثير مقرراً ذلك: «لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي، وإنه سيترل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة»(٣).

وعندما يبطل القرآن الكريم قضية الصلب، فإنه يبطل السبب الذي من أجله صلب المسيح - على حد قولهم - وهو خطيئة آدم **u** ، ثم توارثها في ذريته من بعده، إلى أن جاء عيسى **u** وصلب تكفيراً عن هذه الخطيئة، وفداءً للبشرية، بدم طاهر لم يدنس بذنب آدم الذي في ذريته.

وبهذا يمكن إبطال هذه العقيدة من عدة أوجه بنص القرآن الكريم:

a إبطال القول ببقاء خطيئة آدم **u** :

ذكر الله في كتابه العزيز ذنب آدم **u** وأكله من الشجرة هو وزوجه بوسوسة الشيطان لهما، وأن الله عاقبهما بإخراجهما من الجنة فقال تعالى:﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ [سورة البقرة ٣٥-٣٦]

---

(١) انظر: تفسير الألوسي ٦/١٠ تفسير ابن كثير ٥٧٤/١.

(٢) انظر: متى ٢٧: ١-١٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٧٨/١.

أما حال هذا الذنب فقد أعلن القرآن صراحة في غير ما آية بأن الله تاب على آدم u وغفر له ذنبه، وأن الله اجتباه بعده وقربه فقال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[سورة البقرة ٣٧] وقوله: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [سورة طه١٢٢]

- **إبطال القول بتوارث الخطيئة في بني آدم :**

وأما أن يرث الابن إثم الأب فكما جاء ذلك في الكتاب المقدس أن إثم كل شخص عليه ولا يحمل أحد إثم آخر، فقد جاء في القرآن أقوى دلالة وأوضح بياناً قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [سورة الأنعام١٦٤]

وقال تعالى: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [سورة الإسراء ١٥]

- **إبطال القول بالصلب كفارة عن الخطيئة وفداءاً للبشرية:**

وعند استعرض القرآن كله لا يمكن أن نرى آية واحده تقول بأن الله يكفر ذنب شخص بقتل شخص آخر، بل كفارة الله لذنوب عباده تكون للشخص المذنب بأنواع من الكفارات التي يكفر الله بها ذنوب عباده مثل: العتق، أو الصوم، أو الإطعام، أو تجاوز الله عن العبد بالتوبة، أو تقوى الله والإيمان به، والإستغفار، أو المصايب التي يصيب الله بها عباده، أو عمل الأعمال الصالحة، أو اجتناب السيئات الكبيرة فتكون سبباً في مغفرة الذنوب الصغيرة، وعلى كل نوع من هذه الأنواع آيات من القرآن الكريم تدل على تكفير الله الذنب بها، أما أن يكفر الله ذنب شخص بقتل آخر، فهذا غير وارد في القرآن الكريم، فلو أن هذا الأمر يمكن، لنص عليه القرآن لأهمية مثل هذه القضية والتي يرتبط بسببها مصير البشرية جمعاء، فدل ذلك على أنها من أضاليل النصارى.

وأما أن يفدي الله البشر من عذاب الله بيريء. فمحال على عدل الله ورحمته ﴿**وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾[سورة الأنعام، ١٦٤]

و لم يشر القرآن إلى إبطال القيامة وغيرها مما يعتقده النصارى، لأنه والله أعلم أبطل الأصل لها فكل ما يتعلق بها فهو باطل.

كما أنه من الأهمية رد المصدر الذي اعتمدوا عليه، وأنه طالته أيدي المحرفين والكذّابين بنص القرآن الكريم قال تعالى:﴿**إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا**

هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران ٧٨]

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[سورة المائدة ١٤]

أما من السنة النبوية:

فقد ورد في حديث الترول قوله u : «والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكما مُقْسِطا فيَكْسرَ الصَّلِيبَ ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ويَضَعَ الجِزْيَةَ ويَفِيضَ المالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أحدٌ»[١].

ولكن يُؤخذ منه هنا أن الحديث يرد عقيدة الصلب عند النصارى فيكون الحديث شاهداً على أن هذا المعتقد لا يرضاه عيسى u ، و لم يحثهم عليه، ولا أخبرهم به بدلالة كسره للصليب الذي وضعوه أمارة على معتقدهم في الصلب.

قال العيني عند شرحه لهذا الحديث: «ثم يكون كسر عيسى الصليب حين يترل إشارة إلى كذبهم في دعواهم أنه قتل وصلب، وإلى بطلان دينهم، وأن الدين الحق هو الدين الذي هو عليه،وهو دين الإسلام دين محمد r الذي هو نزل لإظهاره، وإبطال بقية الأديان بقتل النصارى واليهود»[٢].

وعند ابن حجر في الفتح «فيكسر الصليب ويقتل الخترير أي يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه»[٣].

وبهذا يتبين أن تعظيمهم للصليب وعبادته، وجعلهم صلب المسيح في عقيدة الإيمان عندهم، والتي تقررت بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من موت المسيح من البدع التي أحدثها النصارى واليهود في الدين الذي جاء به عيسى u .

وابن تيمية يؤكد هذا المعنى، وأن المسيح لم يأمرهم بعبادة الصليب وليس هو في دينه فيقول: «والمسيح لم يأمرهم بأن يصلوا إلى المشرق و لم يأمرهم أن يعظموا الصليب»[٤].

وبعد هذا العرض والرد لعقيدة الصلب وما يتبعه من معتقدات، وتقرر بطلانها بالدليل من الكتاب والسنة، والعقل الصريح، وكتابهم المقدس، لا يوجد حق يجلي هذه الأمور سوى الإسلام قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) عمدة القاري،العيني ١٢/٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٩١وانظر تحفة الأحوذي ٦/٤٠٥.

(٤) الجواب الصحيح،ابن تيمية ٥/٧٥.

شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾
[سورة آل عمران ٦٤]

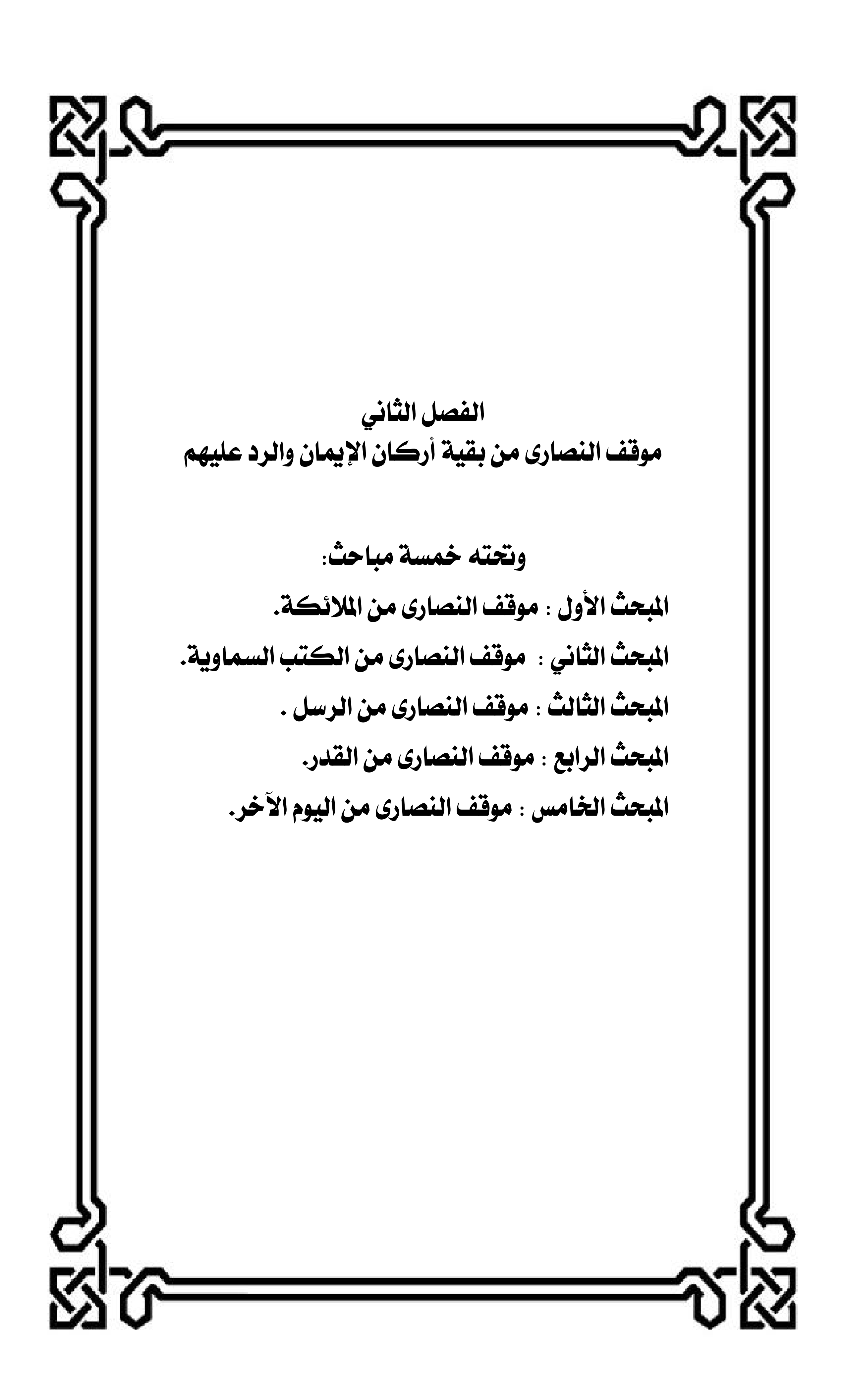
وفي ختام الكلام على هذه العقيدة الباطلة: لابد من الإشارة إلى أن الديانة النصرانية كلها تقوم على مسألة الصلب، إذ ليس في النصرانية عامل جذب يمكن أن يجذب الناس إليها، سوى هذه القضية التي يركزون عليها تركيزاً شديداً، وهي مسألة الصلب والفداء، وذلك بإيحائهم للناس أنهم هالكون مردودة عليهم أعمالهم مغضوب عليهم منذ ولادتهم وقبل أن يولدوا مما يجعل الإنسان الجاهل بحقيقة الأمر يحس بثقل عظيم على كاهله من تلك الرزية والخطيئة، ثم إنهم بعد أن يوقعوا الإنسان فريسة الشعور بالذنب والخطيئة، وتأنيب الضمير، والخوف من الهلكة، يفتحوا له باب الرجاء بالمسيح المصلوب، فيزينوا له ذلك العمل العظيم الذي قام به المسيح لأجل الناس ويدعونه إلى الإيمان به، فإذا كان ممن لم يتنور عقله بنور الهداية الربانية ونور الإسلام يجد أن هذه هي الفرصة العظيمة التي يتخلص بها [(١)].

ويقول عبد الأحد داود: «وإن كان أحد العيسويين لا يرسم الصليب على وجهه، أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن، لا تقبل عبادته ويعد رافضاً ومرتداً لدى كل الكنائس. وأما البروستانت فإنهم وإن لم يعبدوا الصليب، فإنهم وعلى كل حال معتقدون وقائلون: إنه بواسطته انكشف التثليث و إلوهية المسيح لنوع البشر» [(٢)].

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف،٣٣٢

(٢) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود،ص٢٧-٢٨.



الفصل الثاني

موقف النصارى من بقية أركان الإيمان والرد عليهم

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول : موقف النصارى من الملائكة.

المبحث الثاني : موقف النصارى من الكتب السماوية.

المبحث الثالث : موقف النصارى من الرسل .

المبحث الرابع : موقف النصارى من القدر.

المبحث الخامس : موقف النصارى من اليوم الآخر.

المبحث الأول
موقف النصارى من الملائكة

المطلب الأول: عرض موقف النصارى من الملائكة

يعتقد النصارى بوجود الملائكة، وأنهم مخلوقات لهم خصائص وقدرات تميزهم عن غيرهم من البشر وسائر المخلوقات. كما يعتقدون بأسماء بعضهم، وتفاضلهم فيما بينهم في الخصائص والأعمال، ويستندون في ذلك بما ورد لديهم من نصوص في كتابهم المقدس. ومع ذلك فهم يميزون روح القدس عن غيره من الملائكة ويختلفون في شأنه عن بقيتهم.

لذلك سأجعل هذا المطلب في قسمين أحدهما عن الملائكة على سبيل العموم، والآخر عن روح القدس u كما يعتقده النصارى.

القسم الأول: عقيدة النصارى في عموم الملائكة[١]:

أولاً : التعريف بالملائكة:

يعتقد النصارى أن الملائكة كائنات حقيقية مخلوقة مثل البشر، وهم يعتمدون في معرفة حقيقتهم على الكتاب المقدس. ولأن اعتقادهم في الإله المثلث الأقانيم أن يسوع هو الرب الخالق فإنه هو الذي خلق الملائكة.

وبهذا يُعرف لوثر الملاك بقوله: «أنه مخلوق روحي لا جسم له، وقد خلقه الله لخدمة المسيحيين والكنيسة»[٢].

ويقول بيلي غراهم: «يفيدنا الكتاب المقدس أن الملائكة كالبشر مخلوقات خلقها الله. فقد كان وقت في الأزل لم يكن فيه الملائكة، إذ لم يكن منذ الأزل إلا الله المثلث الأقانيم وحده: الآب، والابن، والروح القدس. يقول بولس في كولوسي: «فإنه فيه خُلق الكل، ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى»[٣] هذا الخالق، ربنا يسوع «هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل»[٤]. فحتى الملائكة ينقطع وجودها لو أن الرب يسوع، وهو نفسه الله القدير، لا يدعمها بقوته»[٥].

---

(١) المقصود بعموم الملائكة ما سوى جبريل u بسبب اعتقاد النصارى التثليث في روح القدس .

(٢) الملائكة ، بيلي غراهم ، ص ١٠ .

(٣) كولوسي ١:١٦.

(٤) كولوسي ١:١٧.

(٥) الملائكة ، بيلي غراهم ، ص٣٥.

وهم مخلوقات ليست جواهر مادية بل هم (أرواح) لا يستطيع البشر عادة أن يروا الملائكة، ولا يتناسلون، ولهم القدرة على تغيير أشكالهم، والنزول من السماء إلى الأرض.

وفي هذا يمضي الكاتب في التعريف بهم فيقول: يؤكد الكتاب المقدس في مواضع متعددة أن الملائكة ليست كائنات مادية. فالآية تدعوهم «أرواحاً خادمة»[١]. إذاً: ليس للملائكة جوهرياً أجسام طبيعية، لكنهم يتخذون أجساداً طبيعية عندما يرسلهم الله في مهمة خاصة. ثم إن الله لم يعط الملائكة القدرة على التناسل، «وهم لا يزوجون ولا يتزوجون»[٢].

يبدو أن للملائكة قدرة على أن يغيروا شكلهم ويخرجوا من (المجد الاسنى) في السماء، ويجيئوا إلى الأرض ويعودوا إلى السماء. وفيما رأى بعض المفسرين أن التعبير (أبناء الله) [٣] يشير إلى الملائكة[٤].

ثانياً: أعمال الملائكة عند النصارى:

الملائكة مخلوقات مكلفة من قبل الله بأعمال يقومون بها، ولهم قدرات تميزهم عن غيرهم.

فهي«تختلف عن القوانين والمحدوديات التي يحكم بها عالمنا الطبيعي. أعطى الله الملائكة معرفة أسمى مما أعطانا ومنحهم قوة وقدرة على التحرك أكثر منا»[٥].

وسوف أذكر أهم أعمالهم على وجه الإجمال مع ذكر أدلتهم عليها:

3 خدمة يسوع والسجود له:

يعتقد النصارى أن الملائكة ملازمة للمسيح في السماء قبل مجيئه لخلاص البشرية حيث كانت تقوم بتنفيذ أوامره ثم السجود له أمام العرش، باعتباره الرب بعد رفعه إلى السماء. يقول غراهم:

«فقبل مجيء يسوع إلى العالم كان الملائكة يحفون به وينفذون أوامره. ومنذ صعد إلى السماء، وهم يسجدون له أمام عرش الله بوصفه الخروف الذي ذبح ليحرز لنا الخلاص»[٦].

3 إتمام أعمال الله في العالم:

يعتقدون «أنهم رسل الله الذين عملهم الرئيسي تنفيذ أوامر الله في العالم، وقد عهد إليهم بمهمات ليقوموا بها كما لو كانوا سفراء. فهم مكلفون تنفيذ أعمال بره، ومزودون بالقوة والصلاحية بوصفهم وكلاءه المقدسين. بهذا الوجه هم أعوان خالقهم، يستخدمهم إذ يهيمن بسلطانه على الكون كله. ولذا وهبهم القدرة على إتمام اعماله المقدسة إلى النهاية بكل نجاح»[٧].

---

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٤:١.

(٢) متى ٣٠:٢٢ .

(٣) الوارد في تكوين ٢:٦.

(٤) الملائكة ، بيلي غراهم ، ص٣٦، ٤٥.

(٥) الملائكة ، بيلي غراهم ، ص٣٤.

(٦) الملائكة ، بيلي غراهم ، ص١٤٩.

(٧) الملائكة ، بيلي غراهم ، ص ٣٥.

3 **التبشير بالأخبار السارة:**

كتبشير زكريا بيحيى، والنشيد عند ولادة المسيح، كما جاء ذلك في الكتاب المقدس. ففي الأول يقول لوقا: «لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك الياصبات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا»(١).

وفي الثاني يقول: «وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين « المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة»(٢).

3 **الحفظ لبني آدم:**

تعتقد النصارى أن الملائكة تقوم بحفظ بني آدم وحراستهم، في جميع أحوالهم منذ الطفولة وحتى الممات جاء في مزامير داود قوله: «يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك»(٣).

ويقول «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك»(٤).

«ويعتقد بعضهم اعتقاداً راسخاً أن لكل مؤمن ملاكاً حارساً يسهر عل سلامته، وأن هذه الحراسة تبدأ منذ الطفولة. إذ قال يسوع: «انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم أن ملائكتهم في السماوات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السماوات»(٥).

3 **إهلاك الأمم العاصية:**

يعتقد النصارى بأن الملائكة هي المنفذة لأمر الله بإهلاك العاصين في الدنيا مثل: إهلاكهم قوم لوط بأمر الله كما يقول الكتاب المقدس: «فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالساً في باب سدوم - إلى أن يقول – أخرج من المكان لأننا مهلكان هذا المكان. إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه»(٦).

3 **مراقبة أعمال البشر:**

وقد جاء في رسائل بولس ما يؤكد مراقبة الملائكة للبشر في أكثر من موضع وبعبارات مختلفة.

«كيف كنت تحيا لو علمت أنك في كل عمل تقوم به تظل مراقباً ليس من قبل الوالدين أو الزوجة بل من قبل ملائكة السماء؟ جاء في الكتاب المقدس أن الملائكة تراقبنا.

---

(١) لوقا ١: ١٣.
(٢) لوقا ٢ : ١٣-١٤.
(٣) مزمور ٩١:١١
(٤) انظر : الملائكة ، بيلي غراهم ، ص ١١١،٣٣.
(٥) متى ١٠:١٨. انظر : الملائكة ، بيلي غراهم ، ص١١٠.
(٦) تكوين ١٩: ١، ١٣.

«الله يراقبنا وملائكته أيضاً يتابعون حركاتنا باهتمام. وقد جعلنا الله في مسرح هذا العالم معرضاً للبشر والملائكة جميعاً»[(١)].

3 **مساعدة المؤمنين الذين يبشرون:**

«لذلك عهد الله إلى الكنيسة بأمر القيام بالتبشير، واضعاً أعباء هذه المهمة الثقيلة على كواهل المؤمنين. ليس لدى الله طريقة أخرى، إذ إن الإنسان هو المؤهل للشهادة عن اختيار الخلاص لأخيه الإنسان.

أما الملائكة فيجيء دورهم عندما يكلفهم الله مساعدة المؤمنين الذين يبشرون. ومساعدتهم تتضمن استخدام الآيات المعجزية التي تثبت الإيمان»[(٢)].

3 **مراقبة أحوال الكنيسة:**

والملائكة لا يمكنها أن تبشر بدعوة الناس وإنما تراقب أحوال الكنيسة ويسهرون عليها. يقول صاحب كتاب الملائكة: «لا يستطيع أي ملاك أن يكون مبشراً أو راعياً في كنيسة مع أن الملائكة قد يكلفون مهمة السهر على كنائس معينة» [(٣)].

ثم يقول في موضع آخر: «بينما يراقب ملائكة الله أحداث هذا الزمن وهي تجري شيئاً فشيئاً، يرون أيضاً كيف تتوطد الكنيسة النصرانية وكيف تنتشر حول العالم. يراقبون تحرك الزمن ولا تخفى عليهم خافية «لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة»[(٤)].

3 **الملائكة وموت البشر:**

تكون الملائكة مع المؤمن في نزاعه عند الموت ثم تنقل روحه إلى السماء «كي يتمكن الملائكة من نقل المؤمنين إلى أرض ميراثهم السماوي، فالموت هنا هو المركبة النارية، وصوت الملك اللطيف، والدعوة بلا توقف إلى بيت الوليمة في عالم المجد»[(٥)].

3 **أعمال الملائكة في الحياة الآخرة:**

مصاحبة أرواح المؤمنين إلى السماء لتنال النعيم: وقد أعطي الملائكة دوراً في تنفيذ هذا الحكم أيضاً. إذ يرسل الله ملائكته فيصحبون إلى السماء كل مسيحي حقيقي يرقد، حيث يلقى ترحيباً ملكياً وهو يدخل إلى حضرة الله، ليكون هناك إلى الأبد.

---

(١) رسالة بولس إلى كورنثوس ٤:٩. الملائكة، بيلي غراهم، ص ١٨١، ١٨٤ والنص الموجود في النسخة التي بيدي في الكتاب المقدس «لأننا صرنا منظراً للعالم، للملائكة والناس» .

(٢) الملائكة، بيلي غراهم، ص١٣٥.

(٣) الملائكة، بيلي غراهم، ص١٣٦.

(٤) رسالة بولس إلى أهل أفسس ٣:١٠. الملائكة، بيلي غراهم، ص١٨٣.

(٥) الملائكة، بيلي غراهم، ص١٧٢.

3 **يترلون مع المسيح لمحاسبة الناس:**

«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده»(١).

3 **يفرزون الأخيار من الأشرار يوم القيامة:**

«هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحوهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»(٢).

3 **يكونون وكلاء عن الله في تنفيذ دينونته:**

«سيكونون وكلاء عن الله في تنفيذ دينونته في أولئك الذين يرفضون يسوع المسيح والخلاص الذي بواسطته يقدمه الله للناس. وفي حين أن جميع الناس خطاة، بطبيعتهم واختيارهم وأعمالهم على السواء، فإن رفضهم تلقائياً ليسوع المسيح مخلصاً ورباً هو الذي يجلب عليهم الدينونة والانفصال عن الله إلى الأبد» (٣).

القسم الثاني: عقيدة النصارى في روح القدس.

روح القدس هو أحد الأقانيم الثلاثة التي تؤلهها النصارى -كما سبق بيانه في مبحث التثليث- إلا أنه لم يوضح ما إن كان روح القدس هو الملك جبريل u أم هو غيره ، ولما أنه قد يحصل الخلط بينهما فقد بين النصارى أن روح القدس هو غير الملاك جبرائيل ولا ينبغي الخلط بينهما لما بينهما من الفروق كما ذكروا: «علينا أن ننتبه فلا نخلط بين الملائكة – منظورين كانوا أم غير منظورين – والروح القدس، الذي هو أيضاً أحد أقانيم اللاهوت الثلاثة، أي أنه هو الله أيضاً.

فالملائكة لا تحل في البشر، لكن الروح القدس يختمهم، ويسكن فيهم عندما يقوم بتجديدهم والروح القدس كلي العلم، ودائم الحضور، وكلي القدرة. أما الملائكة فهم أقوى من البشر ولكنهم، مع ذلك، ليسوا آلهة وليست لهم السجايا التي تعزى إلى اللاهوت.

الروح القدس «يبكت العالم على خطية وعلى بر وعل دينونة»(٤)، أما الملائكة فلا يستطيعون ذلك.

الروح القدس يعلن يسوع المسيح ويوضح حقيقته للناس، أما الملائكة فما هم إلا رسل الله، وهم عبارة عن أرواح خادمة تأتمر بأمره لخدمة الناس(٥) ويستطيع الروح القدس المجيد أن يكون في أي مكان في وقت واحد، أما الملاك فلا يقدر أن يكون في مكانين في آن معاً.

---

(١) متى ٣١:٢٥.

(٢) متى ١٣ : ٤٩-٥٠.

(٣) الملائكة، بيلي غراهم ، ص١٣١ .وانظر:١٣٢،١٦١، ١٩٤- ١٩٩ .

(٤) يوحنا ٨:١٦

(٥) رسالة بولس إلى عبرانيين ١٤:١.

وفي حين أن الروح القدس، كما نعلم هو روح لا جسد له، فالملائكة تظهر أحياناً في شكل منظور، فضلاً عن كونها أرواحاً.

والملاك جبرائيل قد ظهر لزكريا الكاهن وأعلن له أنه سيولد له ابن يسميه يوحنا. وأن ابنه ذاك سيهيئ الطريق أمام المسيح الموعود. ذلك الملاك الذي بشر زكريا كان جبرائيل، رسول الوعد الإلهي.

ومما يدل على أن جبرائيل غير روح القدس عند النصارى خبر البشرى فجبرائيل بشر مريم أن روح القدس سيحل عليها وذلك عندما ظهر جبرائيل لمريم العذراء. فأعلن لها الخطة الإلهية القاضية بالتجسد، إذ ستحبل بمعجزة إلهية فيتصور ابن الله يسوع المسيح، في أحشائها بقوة الروح القدس.

سألت مريم الملاك أسئلة عديدة، وكان جواب الملاك: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله»[١] فجبرائيل، الملاك الخاص بالخدمة والاعلان، بلغ مريم هذه الرسالة[٢].

وبهذا يتبين الفرق عند النصارى في المبشر لزكريا ومريم هو جبريل، ولكن الذي نفخ في مريم هو الإله روح القدس.

كما أن روح القدس هو المعزى الذي قال المسيح لقومه أنه سيتركه فيهم بعد مفارقته لهم. ففي تعليم يسوع، في العلية في الليلة السابقة لموته، تكلم باستفاضة عن الروح القدس. وقال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد»[٣]. وكلمة (معزي) تترجم أحياناً (معاونا) أو (مشيراً)، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (بارقليط).

وأول ما يسترعى انتباهنا في هذه الفقرة أن يسوع يعد بمعز آخر، أو (معين). وأن يقول يسوع إن الروح القدس سيكون معزيا آخر، فهذا معناه أنه كان هناك معز قبل روح القدس. والعهد الجديد يبين بوضوح أن المعزي الأول، أو (البارقليط) هو يسوع نفسه. وقد كتب يوحنا يقول: «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع البار»[٤].

ولقب (الشفيع) الذي أعطي ليسوع هنا ، هو ترجمة أخرى للكلمة اليونانية (بارقليط) ومن هذا نرى أن يسوع كان المعزي الأول، وعند رحيله من هذا العالم صلى يسوع لكي يعطي الآب معزيا آخر أثناء غيابه بالجسد. وقد أرسل الروح القدس ليكون بديلا للمسيح. فهو ممثل المسيح الأسمى على الأرض.

---

(١) لوقا ١:٣٥.

(٢) الملائكة ، بيلي غراهم، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) يوحنا ١٤:١٦.

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٢:١.

وفي العالم القديم، كان المعين (بارقليط). هو شخص يستدعى لتقديم العون في المحكمة. والروح القدس، في قيامه بدوره، يقوم بأكثر من مهمة. ومن بين هذه المهام قيام الروح القدس. بمساعدة المؤمن في مخاطبته الآب.كما كتب بولس ذلك لكنيسة رومية[١].

هل يُجوّز النصارى عبادة الملائكة؟ والجواب لا؛ لوجود الفرق بين روح القدس والملائكة وأن جبريل ليس روح القدس في معتقد النصارى الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة الواجبة لها العبادة.

يقول بيلي غراهم: ولكن كلمة الله تحذرنا من أن نعبد المخلوق دون الخالق[٢] كذلك نعتبر ضالين ومخالفين لأولى الوصايا العشر إذا نحن قدمنا العبادة لأي مظهر من الحضور الملائكي، سواء أكان ذلك ملاكنا الحارس أم غيره ممن يمدوننا بالعون عند الحاجة. ويفيدنا الرسول بولس بوضوح أن عبادة الملائكة ضلال مهما كانت مكانتهم، وأن ربنا يسوع المسيح، لكونه الله بالتجسد، وأحد أقانيم اللاهوت الثلاثة، ذلك الذي فيه (خلق الكل)، (والكل به وله قد خلق)، يستحق عبادتنا[٣].

وينبغي ألا نصغي إلى الملائكة، كما أنه من الخطأ اتخاذ موقف (التواضع وعبادة الملائكة). فالله المثلث الأقانيم، هو موضوع عبادتنا، وإليه وحده تتوجه صلواتنا[٤].

هذه عقيدة النصارى في الملائكة على وجه العموم وهي لا تختلف كثيراً عما عليه المسلمون في ما يعتقدونه في الملائكة معتمدين في ذلك على ما عندهم من نصوص الكتاب المقدس.

---

(١) الرسالة إلى أهل رومية ٨: ٢٦-٢٧. وانظر الإيمان المسيحي ،سبرول ص١٣٣.

(٢) الرسالة إلى أهل رومية١:٢٤و ٢٥.

(٣) رسالة بولس إلى كولوسي ١:١٦ و ٢:١٨.

(٤) الملائكة ، بيلي غراهم، ص ٤٥-٤٦.

المطلب الثاني
الرد على النصارى في موقفهم من الملائكة

يؤمن النصارى بالملائكة، وأنها كائنات مخلوقة، ولها أعمال تقوم بها في الكون، أو الخلق. في الدنيا، أو الآخرة. إلا أن إيمانهم دخله التحريف مثله مثل بقية أركان الإيمان، ولهذا فإن تصحيح عقيدتهم في الملائكة كما جاءهم بها عيسى u ؛ إنما يكون من الكتاب والسنة.

وسوف أجمل الرد عليهم في الأمور التالية:

أولاً: في شأن الملائكة عموماً:

١) أصل خلقهم: فهم يؤمنون بأن عيسى u ، هو الخالق لهم باعتباره الإله الخالق، وهذا باطل إذ الخالق لهم الله الواحد رب العالمين وليس عيسى u ، بل هو عبد مخلوق كسائر الخلق قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[سورة الأعراف ٥٤]

٢) تعبيرهم بأن المقصود بأبناء الله الواردة في العهد القديم أنهم (الملائكة) مردود بنص القرآن كما قال تعالى:﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء٢٦]

٣) ما يعتقدونه فيهم بشأن المسيح عيسى u من السجود له وأنهم كانوا قبل مجيء يسوع إلى العالم يحفون به وينفذون أوامره. ومنذ صعد إلى السماء وهم يسجدون له أمام عرش الله بوصفه الخروف الذي ذبح ليحرز لهم الخلاص.

فهذا كله باطل إذ ينتفي الأصل الذي بنوا عليه هذا الاعتقاد من نفي وجوده قبل الخلق. وانتفاء كونه فادي البشرية فكل ما يتعلق بهم مما له علاقة بهذا المعتقد الفاسد فهو باطل لكون ما بني على باطل فهو باطل ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [سورة النحل ٤٩]

٤) إن اعتقادهم أن الملائكة تساعد المؤمنين (الذين يبشرون) وتراقب أحوال الكنيسة إعتقاد باطل إذ كيف تساعد ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله طرفة عين دعاة أمة الدعوة إلى الضلال والخلاص المزعوم.

نعم قد يقال إن الملائكة كانت في عون الدعاة الذين كانوا على الحق بعد دعوة عيسى عليه u ، وقبل دعوة محمد r ، أما بعد دعوة الرسول فلا يمكن أن تقوم الملائكة بمساعدتهم لبطلان عملهم ودعوتهم.

ثانياً: ما يكون بشأن روح القدس:

يتفق المسلمون بشأن اعتقادهم في روح القدس مع النصارى في التسمية ويختلفون معهم في الحقيقة والعمل.

فيكون الرد عليهم من جهتين:

الأولى من ناحية التسمية: إذ المسلمون يعتقدون أن روح القدس هو الملك جبريل u لما يدل عليه القرآن الكريم وصحيح السنة. ففي قوله تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[سورة النحل ١٠٢]

﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾[سورة النبأ ٣٨]

﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾ [سورة القدر ٤]

كما دلت السنة الكريمة على أن روح القدس هو جبريل u وذلك في حديث هجاء حسان بن ثابت لقريش فقد وردت عند البخاري روايتان في ذلك حيث جاء في الأولى قوله r لحسان: «اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»[١].

والثانية: قال فيها r «اهْجُهُمْ أو هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»[٢].

وهذا خلاف معتقد النصارى إذ يفرقون بين روح القدس وجبريل u فجبريل عندهم هو ملاك له مهام يقوم بها مثلما يقولون هو (الملاك الخاص بالخدمة والإعلان)[٣].

أما روح القدس فهو إله أحد الأقانيم الثلاثة عند النصارى وهو(البارقليط) الذي تركه المسيح فيهم بعد مفارقته للنصارى.

الثانية من ناحية العمل: عندما يقول النصارى باختلاف روح القدس عن جبريل u فجعلهم جبريل u ، هو الملك المكلف بالخدمة والإعلان وأنه هو الذي بشر مريم وزكريا عليهما السلام فهذا يتوافق جملة مع ما عليه المسلمين، وأن جبريل u هو المكلف بالوحي وهو الواسطة بين الله وأنبيائه كما يدل عليه حديث بدء الوحي وقول ورقة هذا الناموس الذي يترل على موسى[٤] ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[سورة البقرة ٨٧]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة ١١٢/٤ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة ١١٢/٤ .

(٣) الملائكة ،بيلي غراهم، ص-١٠٨.

(٤) سبق تخريجه.

يقول ابن كثير في معنى تأييد عيسى u بروح القدس: «ولهذا أعطاه الله من البينات وهي المعجزات... وتأييده بروح القدس وهو جبريل u ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به»[1] ولهذا قال تعالى:﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [سورة الحج ٧٥]

وبهذا يتبين أن اعتقاد النصارى المغايرة بين جبريل u وروح القدس اعتقاد باطل ليصلوا به إلى التثليث بلي النصوص عن وجهها الصحيح فبطلانه لبطلان الأصل الذي يقول به النصارى من (ادعاء التثليث) واختصاص روح القدس بمهام يقوم بها في أركان التثليث إذ هو القائم على الحياة[2].

وأنه لا يوجد إله يقال له روح القدس بل الله هو الواحد الأحد رب العالمين.

وأما فصلهم كذلك بينهما ليكون روح القدس هو(البارقليط) المعزى الذي بشر به المسيح u وذكره يوحنا في إنجيله وذلك في قولهم: «ففي تعليم يسوع، في العلية في الليلة السابقة لموته، تكلم باستفاضة عن الروح القدس. وقال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد»[3]. وكلمة (معزي) تترجم أحياناً (معاونا) أو (مشيراً)، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (باراقليط)»[4] فليس المقصود به روح القدس بل المقصود به هو الرسول محمد r كما سيأتي في مبحث الرسل.

إن اعتقاد النصارى في أعمال الملائكة في الآخرة، منها ما يتوافق مع النصوص من الكتاب والسنة في المعنى جملة وإن اختلفت في التفاصيل من حيث تنقل روحه إلى السماء وغيرها، ومنها مالا يتوافق مع عقيدة المسلمين كمثل: نزول الملائكة مع المسيح لمحاسبة الناس على أعمالهم ومصاحبته، ويكونون وكلاء عن الله في تنفيذ دينونته. وهذا الاعتقاد باطل لبطلان أصله كما سيأتي في مبحث اليوم الآخر.

أما ما يتفق فيه النصارى على وجه الإجمال في الملائكة مع ما يعتقده المسلمون، ودلت عليه النصوص من الكتاب والسنة من:

- أن الملائكة (أرواح).
- لا يستطيع البشر عادة رؤية الملائكة.
- لا يزوجون ولا يتزوجون، ولا يتناسلون.
- لهم القدرة على تغيير أشكالهم.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٢٣.

(٢) كما ورد ذلك في مطلب الرد على النصارى في التثليث.

(٣) يوحنا ١٤:١٦.

(٤) الإيمان المسيحي، سبرول، ص١٣٣.

- والترول من السماء إلى الأرض.
- مراقبة أعمال البشر.
- الحفظ لبني آدم.
- إهلاك الأمم العاصية.
- التبشير بالأخبار السارة كتبشير زكريا بيحي ومريم بعيسى عليهم السلام.

وغيرها مما يتفق فيه النصارى مع المسلمين، مما أبقاه الله في كتبهم والتي يدل على أن أصل مصدريتها من الله وحده وأنه دخلها التحريف والتبديل حتى عدلت عن الوجهة الصحيحة التي جاء بها عيسى عل يه السلام أمته.

وأما ما يعتقده المسلمين فيهم.

أولاً: حكم الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة والتي يكفر منكرها وجاحدها كما جاء ذلك في حديث جبريل عليه السلام حيث قال للرسول r «فَأَخْبِرْنِي عن الْإِيمَانِ قال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قال صَدَقْتَ»(١).

والإيمان بهم يكون إجمالاً فيمن أجمل منهم، وتفصيلاً لمن فصل منهم فذكرت أعمالهم وصفاقم .

وثانياً: أنهم مخلوقات حقيقية موجوده يجب الإيمان بهم، وبوجودهم وبقدرتهم التي أقدرهم الله عليها قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [سورة فاطر ١]

وأنهم مخلوقات من نور عن عائشة(٢) قالت قال رسول الله r: «خلقت الملائكة من نور»(٣) وأنهم عباد مكرمون منفذين أوامر الله لا يعصونه ما أمرهم **قال تعالى**:﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[سورةالأنبياء ، ٢٦-٢٧] وقال تعالى:﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [سورة التحريم، ٦]

لهم هيئات لا يراهم عليها البشر عموماً، وقد رأى الرسول r جبريل u على هيئته التي خلقه الله عليها ساداً الأفق له ستمائة جناح في الحديث عند البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت «رأى

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٢٨/١.

(٢) عائشة أم المؤمنين بنت الإمام أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة القرشية التيمية المكية النبوية خليفة رسول الله r وزوج رسول الله، افقه نساء الأمة على الإطلاق، توفيت سنة (٥٧هـ) .(تهذيب سير النبلاء ٥٤/١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق - باب في أحاديث متفرقة ٢٢٦/٨.

جبريل في صورته وخلقه ساد ما بين الأفق»[1] وفي الحديث الآخر عن ابن مسعود « أنه رأى جبريل له ستمائة جناح» [2].

وهم مكلفون بأعمال ومهام يقومون بها:

فمنهم الموكل بالوحي وهو جبريل u (الروح الأمين) وقال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥].

ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل وهو ميكائيل u وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه r قال لجبريل على أي شئ ميكائيل قال على النبات والقطر[3] ومنهم الموكل بالصور وهو اسرافيل u . وفي الحديث «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الحديث....» [4] ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة السجدة ١١]

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته وهم المعقبات. قال الله تعالى: ﴿**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [سورة الرعد ١٠-١١]

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً**﴾ [سورة الأنعام ٦١]

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون وقال تعالى فيهم: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [سورة الزخرف ٨٠] وقال تعالى: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [سورة ق ١٧-١٨] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٤/١١٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٤/١١٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/٧٣.

(٤) صحيح مسلم : صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامة ٢/١٨٥، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي وإشراف شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م) سنن النسائي الكبرى: كتاب الصلاة - كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢/ ١٢٥ سنن أبي داود: كتاب الصلاة - أبواب تفريع استفتاح الصلاة ١/٣٤٢.

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفاتهم وفي يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [سورة فصلت ٣٠-٣١]

ومنهم خزنة جهنم عياذا بالله منها. وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[سورة الزمر ٧١ الآيات]

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[١]، ومنهم حملة العرش وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [سورة غافر ٧ الآيات]

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. الحديث بطوله في الصحيح عن أبي هريرة[٢]

ومنهم الموكل بالجبال كما في حديث خروج النبي r إلى بني عبد ياليل وعودته وفيه قول ملك الجبال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٣] فقال r: «بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[٤].

إلى غير ذلك من الخصائص والأعمال التي يقومون بها والتي ذكرت نصوصا في الكتاب والسنة.

هذا مجمل عقيدة المسلمين في الملائكة والتي مضانها والتفصيل فيهاكتب العقائد التي صنفها علماء المسلمين.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الحيض - باب مخلقة وغير مخلقة ١/٧٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الدعوات - باب فضل ذكر الله عز وجل٨/٨٦.

(٣) الأخشبين : جبلين في مكة هما أبو قبيس والأحمر. انظر: الفائق ١/ ٣١٩.

(٤) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الآخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٤/١١٥.

المبحث الثاني
موقف النصارى من الكتب السماوية

المطلب الأول : عرض موقف النصارى من الكتب.

عقيدة النصارى في الكتب تنقسم إلى قسمين :

أولاً: الكتب التي يؤمنون بها:

يؤمن النصارى بإنزال الكتب كالتوراة، والزبور، والإنجيل، وغيرها على وجه العموم كما ذكرت في مصادرهم.

أما الكتاب الذي يعتقد النصارى أنهم مكلفون به، فهو الكتاب المقدس والذي يحوي بين دفتيه العهد القديم والعهد الجديد المكتوب بإلهام روح القدس.

يقول الخوري يوحنا: «والكتاب أو الكتاب المقدس أو الكتب المقدسة هي مجموعة الأسفار الحاوية كلام الله بالهام الروح القدس»(١).

وبذلك يمكن تقسيم الكتاب المقدس إلى قسمين: «يقسم الكتاب المقدس إلى جزأين يدعيان العهد العتيق والعهد الجديد، فالعهد العتيق يشتمل على الناموس الذي سبق فهيأ الإنسان لاقتباس المخلص، وعلى النبوءات والرسومات التي تشير إلى النعمة الإنجيلية .

وأما العهد الجديد فيبين تماماً تلك النبوءات والرسوم، ويركز بعظيم تحنن الله الذي قد أهلنا له بالموت مخلصنا يسوع المسيح» (٢).

يشتمل العهد القديم على ما يلي:

النصارى يطلقون على جميع العهد القديم مجازاً التوراة وفرقهم تختلف في إثبات بعض الأسفار دون بعض فالفرق البروتستانتية تتفق مع اليهود في إثبات الأسفار التالية:

أولاً: الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى u وهي:

١- سفر التكوين ويتحدث عن خلق السماء والأرض وآدم والأنبياء بعده إلى موت يوسف u .

٢- سفر الخروج ويتحدث عن بني إسرائيل إلى خروجهم من مصر مع موسى u .

٣- سفر اللويين نسبة إلى سبط لاوي بن يعقوب ومن نسله موسى وهارون والذين بقيت فيهم الأمور الدينية فهذا السفر عنهم وعن بعض الشعائر الدينية الأخرى.

---

(١) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ، ص ٧.

(٢) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا،ص ٧ .

٤- سفر العدد وهو معني بعد بني إسرائيل.

٥- سفر التثنية ويعني بتكرار الشريعة وإعادة الأمر والنهي وينتهي بموت موسى u و قبره .

ثانياً: الأسفار التاريخية وهي ثلاثة عشر سفراً:

١- يشوع ٢- القضاة ٣- راعوث ٤- صموئيل الأول

٥- صموئيل الثاني ٦- الملوك الأول ٧- الملوك الثاني ٨- أخبار الأيام الأول

٩- أخبار الأيام الثاني ١٠- عزرا ١١- نحميا ١٢- إستير

١٣- يونان.

ثالثاً: أسفار الأنبياء وهي خمسة عشر سفراً:

١- أشعيا ٢- إرميا ٣- حزقيال ٤- دانيال

٥- هوشع ٦- يوئيل ٧- عاموس ٨- عوبديا

٩- ميخا ١٠- ناحوم ١١- حبقوق ١٢- صفنيا

١٣- حجي ١٤- زكريا ١٥- ملاخي.

رابعاً: أسفار الحكمة والشعر وهي خمسة أسفار:

١- أيوب ٢- الأمثال ٣- الجامعة ٤- نشيد الأنشاد ٥- مراثي إرميا.

خامساً: سفر الأدعية وهو سفر واحد سفر المزامير المنسوب إلى داود u [١].

وبهذا يكون عدد الأسفار التي يؤمن بها البروتستانت من النصارى تسعة وثلاثين سفراً.

أما الكاثوليك والأرثوذكس فيعتمدون النسخة اليونانية وهي تزيد على العبرانية بسبعة أسفار هي:

١- طوبيا ٢- يهوديت ٣- الحكمة ٤- يشوع ابن سيراخ

٥ - باروخ. ٦- المكابين الأول ٧- والمكابين الثاني[٢].

أما العهد الجديد فيتكون مما يلي:

أولاً: الأناجيل التاريخية الأربعة:

١- إنجيل متى ٢- إنجيل مرقس ٣- إنجيل لوقا ٤- إنجيل يوحنا

ثانياً: رسالة تاريخية وهي سفر الأعمال للوقا.

---

(١) وهذا الترتيب حسب موضوعاتها أما النصارى مع اليهود فيرتبونها غير هذا الترتيب انظر طبعةدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ط٦/٢٠٠٦.

(٢) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف ص ٧٤-٧٧ وانظر الكتب السماوية وشروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ،ص ١٧٣- ١٧٩.

ثالثاً: إحدى وعشرين رسالة هي:

١- رسالة بولس إلى أهل رومية
٢- رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس
٣- رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس
٤- رسالة بولس إلى غلاطية
٥- رسالة بولس إلى أفسس
٦- رسالة بولس إلى أهل فيلبي
٧- رسالة بولس إلى أهل كولوسي
٨- رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي
٩- رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي
١٠- رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس
١١- رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس
١٢- رسالة بولس على تيطس
١٣- رسالة بولس إل فليمون رسالة بولس
١٤- الرسالة إلى العبرانيين
١٥- رسالة يعقوب
١٦- رسالة بطرس
١٧- رسالة بطرس الثانية
١٨- رسالة يوحنا الأولى
١٩- رسالة يوحنا الثانية
٢٠- رسالة يوحنا الثالثة
٢١- رسالة يهوذا .

رابعاً: رؤيا يوحنا اللاهوتي:

كيف كتبت نصوص الكتاب المقدس؟

يرى الباحثون النصارى أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد قد كتب بإلهام روح القدس رغم كثرة من كتبوه وطول الزمن الذي كتب فيه.

«ولأن الكتاب لما جمعت أسفاره بإرشاد الروح القدس، أتت كتاباً واحداً، له وحدة عجيبة، لا يفسرها شيء سوى أن يد الله الهادية كانت تعمل فيه»[١].

وتبعاً لأنها كتبت في أزمنة مختلفة فالنصارى يختلفون كذلك في الترتيب الزمني لكتابتها وما أول ما كتب.

فالعهد القديم يرون أن موسى كتب بيده الخمسة الأسفار الأولى، ثم تتابعت كتابة الأسفار خلال خمسة قرون.

والعهد الجديد يختلفون كذلك في الترتيب الزمني لكتابته فمنهم من يروى أن: «أقدم وثيقة في رأي بعض الشراح هي رسالة بولس إلى تسالونيكي على أرجح الأقوال،كتبها من كورنثوس حوالي (سنة٥٠م) أي بعد الصلب بعشرين سنة. ويقول آخرون أن الرسالة إلى غلاطية هي أقدم هذه الوثائق»...

(١) هذه عقائدنا ص١١ نقلاً من الكتب السماوية وشروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ١٥٧.

«أما أقدم بشائر الإنجيل فهي بشارة مرقس، كتبت في رومية حوالي (سنة ٧٥ م). أي بعد أكثر من ثلاثين سنة من تاريخ الحوادث التي دونها»[١].

وأهمية الكتاب المقدس عند النصارى ترجع إلى أنه «إحدى الوسائل التي يستخدمها الله في محاولة الاتصال بنا وإعلان ذاته لنا، كما أنه وسيلة هامة للغاية ومتميزة عن غيرها لأنها سجل فريد وحجة أكيدة عن الله، ووصف أحدهم الكتاب المقدس (بأنه رسالة الله الخاصة للإنسان). وهذا تعبير بسيط لأنه يعكس الحقيقة العميقة، وهي أن الكتاب المقدس كلمة الله ووسيلته للاتصال بنا، نحن أولاده»[٢].

فالكتاب المقدس هو وسيلة الله للاتصال بالناس وبالتالي ماذا يقصد النصارى بنسبة هذه الأناجيل إلى أصحابها؟!

لا يعني ذلك أنها منسوبة إلى أصحابها وإنما «أطلق على كل سيرة مكتوبة (الإنجيل) أو (بشارة)، لأن كل سيرة تضمنت البشرى عينها. لذلك نسمع الناس اليوم يتحدثون عن أربعة أناجيل أو أربعة بشائر. ومعنى هذا أن هناك إنجيلا واحداً في أربعة بشائر مختلفة لأربعة من الكتاب. وحين نقول (إنجيل لوقا) نعني البشرى أو البشارة كما شرحها الكاتب لوقا»[٣].

ولم يأت يسوع في نظر النصارى بكتاب مجهز إلى أتباعه بل أعطى الناس الإنجيل وتناقله الناس شفاهاً ثم دونوه بعد ذلك.

ولذلك يقول القس حبيب سعد: «إذاً فالفكرة القائلة أن يسوع المسيح جاء إلى العالم في شكل كتاب مجهز، أو خلاصة للحق الذي سلمه للناس، خاطئة لا تطابق الواقع. ولا يصح أن يقال أن الإنجيل نزل عليه، بل الأولى أنه يقال أنه عندما أنزل الله يسوع إلى العالم، أعطى للناس الإنجيل، الذي معناه كما قلنا (البشرى)»[٤].

ثم يبين وثاقته العلمية بتناقل الناس له والتبشير به فيقول: «ومن هنا أخذت الكنائس تتأثر في كل مكان، لأن الرسل والمعلمين جابوا أصقاع العالم المعروف يومئذ، حاملين هذه الرسالة الجديدة. وأذاع الرسل والدعاة من كنوز ذكرياتهم أقوال يسوع وأفعاله، وقصة حياته وموته وقيامته. وقد كتبت البشائر إنجيلاً من نظرات مجردة، ولم تؤلف في أبراج من العاج للتأمل والنجوى، ولم تكتب بطريقة فنية مصطنعة وتزويق لفظي، إنما كتبت من وقائع حفظها الناس عن ظهر قلب، وتناقلوها شفاهاً في كثير من البلدان»[٥].

---

(١) أديان العالم، حبيب سعد، ٢٧٥.

(٢) عقائد أساسية، دونالد ديماري، ص ٤٥-٤٦.

(٣) أديان العالم، حبيب سعد، ص ٢٧٥.

(٤) أديان العالم، حبيب سعد، ص٢٧٥.

(٥) أديان العالم، حبيب سعد، ص٢٧٤.

غير أنه مع ذلك لا يثق به أتم الوثوق، وإنما يعتريه بحجة البشرية بعض التناقضات التافهة فيقول كذلك: «ولم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الإنجيل. فقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل. ولا نجني شيئاً إذا نحن تظاهرنا أو ادعينا أن ليس بين البشائر بعض الفوارق التافهة، ويمكن في غير عناء تعليل بعض هذه الفوارق والمناقضات. وقد ألقى العلماء في العصور المتأخرة كثيراً من اللوم على هذه البشائر»(١).

ثم يعود فيؤكد أنه مصدر موثق ومطابق للواقع مع الاعتراف بوجود المشاكل الكثيرة التي تعتريه وأنه رغم ذلك وثيقة يستندون إليها فيقول: «وإن كنا لا ندعي العصمة اللفظية لكتبنا، فإنه من حقنا أن نشير بصدقه ووحيه ومطابقته للواقع تماماً. وكما أنه من السخف والبعد عن النظرة العلمية الفاحصة، أن نتجاهل المشاكل الكثيرة التي تواجهنا في روايات الإنجيل، فإنه من الجهل المطبق أن يدعي المكابرون أنه ليس لدى المسيحيين مصادر وثيقة يستندون إليها، بسبب وجود هذه الفوارق والمناقصات التافهة في الروايات»(٢).

ولذلك فإن غاية ما بينه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو بيان فداء المسيح للبشرية. وبهذا يتساءل دونالد عن الكتاب المقدس:

«ماذا أعلن؟

إن فداء الإنسان وخلاصه هما جوهرة الكتاب المقدس...

فالعهد القديم يقود إلى مسيح العهد الجديد، كما أن الكتاب المقدس بأسره هو قصة كيف أن الله أعد طريقاً ليقرب الإنسان إليه وذلك بواسطة يسوع المسيح»(٣).

وبعد هذا النقل العام حول الأناجيل إجمالاً. نصل إلى التعريف بالأناجيل الأربعة المعترف بها عند النصارى كل إنجيل على حدة:

الأناجيل الأربعة:

تحتل الأناجيل الأربعة المكانة الأولى عند النصارى من بين أناجيل كثيرة، كتبت على فترات متقطعة زمن النصرانية الأولى، وهذه الأناجيل هي التي اعتمدها المجمع الأول مجمع نيقية (عام ٣٢٥م) وأمر بإحراق وتحريم قراءة ما سواها.

«وقد استغرق تكوين العهد الجديد قرابة قرنين من الزمان، بدأت بتناقله شفاهة كروايات لأحاديث عيسى وأقواله من مصادر مباشرة أو غير مباشرة، أو كتبشير من الرسل الذين تحدث القائم من الموتى بلسانهم.

---

(١) أديان العالم، حبيب سعد، ص٢٧٧.

(٢) أديان العالم، حبيب سعد، ص ٢٧٨.

(٣) عقائد أساسية، دونالد ديمارى، ص ٥٠-٥١.

واستحوذ العهد الجديد منذ نشأته على سلطة ومرتبة تفوق سلطة العهد القديم، ويرجع ذلك الاختلاف بين أسلوب الإعلان في العهدين، ذلك الذي كان بوساطة الأنبياء في القديم، وبوساطة الابن في الجديد» [1].

وأكتفي بالتعريف البسيط لهذه الأناجيل ولمؤلفيها، في نظر النصارى الناقدين للنصرانية مع تمسكهم بها لأن المتعصبين حولها وحول قدسيتها والدفاع عنها قد أوردت بعض كلامهم المجمل حول الكتب كما سبق عند التعريف بالإنجيل في أول المبحث.

يقول موريس بوكاي في كتابه دراسة الكتب السماوية عند حديثه عن الأناجيل الأربعة ما يلي:

١) إنجيل متى:

يحتل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد. وهي مكانة لها ما يبررها فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما. فقد كتب ليثبت أن المسيح (يكمل تاريخ إسرائيل) يقول هذا المعلقون على الترجمة المسكونية. ولكي يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم، تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود.

ثم يتساءل فيقول: ما هي شخصية متى...؟ لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولا اليوم القول إنه أحد حواريي المسيح. وبرغم ذلك يقدمه... تريكو على أنه كذلك في تعليقه على ترجمة العهد الجديد (المنشورة عام ١٩٦٠م» يقول: «اسمه متى، واسمه قبل ذلك ليفى، وكان عشاراً أو جابيا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته». وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإبيغان . ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا. وهناك نقطة لا جدال فيها وهي أن هذا الكاتب يهودي فمفردات كتابه فلسطينية، أما التحرير فيوناني. ويقول أ . كولمان: إن الكاتب، أي متى، يخاطب «أناساً، وإن كانوا يتحدثون اليونانية، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية».

أما حول إنجيله فيضيف الكاتب ويقتبس من كلام علماء النصرانية بأن متى أقتبس كثيراً من إنجيل مرقس، أومن مصدر مشترك بينهما فيقول: ويتفق الجميع على الاعتقاد بأن متى قد كتب إنجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا. ولكن روايته تختلف وفي نقاط جوهرية ومع ذلك فقد استخدم متى بشكل واسع إنجيل مرقس الذي لم يكن أحد حواري المسيح (ا. كولمان).

ومن حيث الوثاقة العلمية عند متى يرى الباحثون أنه: يتصرف متى بحرية كبيرة مع النصوص. ويلاحظ ذلك بالنسبة للعهد القديم فيما يتعلق بنسب المسيح التي يضعها في بداية إنجيله. وقد ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها. واستحالة التصديق تلك هي الصفة التي يستخدمها الأب

---

(١) نقلا المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٢٤٩.

كانينجسر في كتابه المشار إليه عندما يتحدث عن رواية قيامة المسيح، والمقصود بالتحديد هو الجزء الخاص بالحراس. فالكاتب يبرز عدم معقولية حكاية حراس القبر العسكريين «هؤلاء الجنود الوثنيون الذين يذهبون بتقريرهم ليس إلى رؤسائهم الوظيفيين وإنما يذهبون إلى كبار الكهنة الذين يرشوهم ليقولوا أكاذيب». ومع ذلك فهو يضيف: «علينا أن نحاذر من السخرية، ذلك أن نية متى نية جديرة بالإجلال حيث يدخل بطريقه الخاصة إلى مؤلفه المكتوب معطية قيمة من التراث الشفهي».

ولنذكر بأن هذا الحكم على متى صادر عن عالم لاهوتى مبرز، وهو أستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس.

ويعطى متى مثالاً آخر على خياله الواسع في سرده للأحداث التي تواكب موت المسيح يقول: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت والصخور تشققت. والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين وظهروا لكثيرين»[١].

٢) إنجيل مرقس:

أقصر الأناجيل الأربعة. وهو أيضاً أقدمها. ولكنه ليس كتاب أحد الحواريين: هو على أكثر تقدير كتاب حرره تلميذ لأحد الحواريين.

إن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيلي متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث.

وإذا كان إنجيل مرقس معترفاً به كلية كإنجيل كنسي. فإن هذا لا يقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمته (الإصحاح١٦: من ٩ إلى٢٠) كمؤلف مضاف: وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح.

وهذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين اللذين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع[٢].

٣) انجيل لوقا:

هو (كاتب حوليات) في رأي ا . كولمان و(روائي حقيقي) في نظر الأب كانينجسر. ينبهنا لوقا نفسه في ديباجته الموجهة لثاوفيلس إلى أنه، بعد الآخرين الذين أنشأوا قصصاً عن المسيح، سينشئ بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدماً هذه القصص ومعلومات الشهود المعاينين – وذلك يعنى أنه ليس واحداً منهم – وبالإضافة إلى المعلومات الآتية من مواعظ الحواريين.

المقصود إذن كتاب منهجي ويقدم لوقا له بما يلي: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأحداث التي وقعت، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهوداً معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي (دار المعارف، لبنان، الطبعة الربعة، سبتمبر، ١٩٧٧م). ص٧٩-٨٣.

(٢) انظر: الكتب المقدسة، موريس بوكاى، ص ٨٣- ٨٤.

أيضاً، إذ تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك، أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» [١].

من السطور الأولى يستطيع القارئ أن يميز ما يفصل لوقا عن مرقس، (هذا الكاتب الغث) الذي تحدثنا عن إنجيله. إن إنجيل لوقا عمل أدبي، لا يجادل، كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية، تخلو من حواشي الكلام.

لوقا أديب وثني آمن بالنصرانية. واتجاهه بالنسبة إلى اليهود يتضح مباشرة. وكما يشير. (كولمان) فإن لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس، ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود، وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود، هذا على حين يقول متى في إنجيله إن المسيح طلب إلى حوارييه أن يتجنبوا السامريين. وذلك مثال جلي بين أمثلة كثيرة على أن المبشرين، يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية، وهم يفعلون ذلك ولا شك باقتناع مخلص، فإنهم يعطوننا عن أقوال المسيح الرواية التي تتكيف مع وجهات نظر الطوائف التي ينتمون إليها[٢].

٤) إنجيل يوحنا:

يختلف إنجيل يوحنا تماما عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، إلى درجة أن الأب روجى في كتابة (مقدمة إلى الإنجيل)، وبعد أن علق على الأناجيل الأخرى، يعطي صورة معبرة عن هذا الإنجيل الرابع: (إنه عالم آخر).

ودون ذكر الافتراضات الأخرى التي قدمها المفسرون، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين والتي أوردناها هنا عن المشكلة مؤلف الإنجيل الرابع، تشير هي وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب.

لقد كانت القيمة التاريخية لروايات يوحنا موضع نزاع كثير. فالأمور التي تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة. ولكن (كولمان) يعللها: فهو يعترف بأن ليوحنا مرامي لاهوتية تختلف عن مرامي المبشرين الآخرين. وهذه الأغراض هي التي «تقود اختيارات روايات أقوال المسيح كما تقود الطريقة التي نقلت بها هذه الأقوال. وهكذا كثيراً ما يمط الكاتب السطور ويضع على لسان المسيح ما أنزله عليه الروح القدس نفسه».

ذلك هو سبب عدم الاتفاق مع الأناجيل الأخرى في رأي هذا المفسر[٣] .

---

(١) لوقا : ١: ١-٤.

(٢) انظر الكتب المقدسة ،موريس بوكاي، ص٨٧- ٨٩ .

(٣) انظر الكتب المقدسة موريس بوكاي ص ٩١-٩٣.

مصادر الأناجيل:

بالنسبة لمصادر الأناجيل هل يعتقد النصارى أن المصدر الأول لها المسيح **u** ؟

بالطبع لا فإن النصارى موقنون بالتدخل الإنساني في صياغتها، ولا يمنع ذلك من اعتبارها كتباً مقدسة. فإن التحريف يعتريها من جهة الكيفية التي كتبت بها فقط يقول موريس:

إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث، لا يتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلاً. وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالحرج عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره، لم تكن مثلما نقرأ اليوم وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا إلينا قد أجروا عليه لمسات وتعديلات.

وفي العصر الحديث فقط وأمام هذه المعطيات أدرك البعض أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة، وحسب وجهات نظره الشخصية، مع الاعتماد على المعلومات التي وجدها عند الآخرين.

ثم بعد أن ذكر روايات الأدب والخيال الموجود في الأناجيل يقول: ونفس الأمر بالنسبة للأناجيل: فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل، والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريفات المتوالية للنصوص، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده. لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك وجود رسالة المسيح: فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التي جرت بها(١).

ثانياً: القرآن الكريم:

لم يؤمن النصارى بالقرآن الكريم رغم خطابه لهم، ووجوب إتباعه والعمل به تبعاً لعدم إيمانهم بنبي الإسلام محمد **r** ، فمن لم يؤمن به لم يؤمن بكتابه كما سيأتي ذلك في الرد.

---

(١) انظر الكتب المقدسة ، موريس بوكاى ،ص٩٥-٩٩.

المطلب الثاني
الرد على النصارى في موقفهم من الكتب.

الرد على إيمان النصارى في الكتب في النقاط التالية:

أولاً: الإيمان بالكتب السماوية:

يجب الإيمان بالكتب السماوية جميعها، الإجمال لما أجمل والتفصيل لما فصل. فنؤمن أن الله أنزل كتباً إلى من شاء من رسله هداية للبشرية ومبينة للأحكام العقدية والعملية.

فقد أنزل الله الكتب على النبيين وجعلها هداية لكل قوم قال تعالى:﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ [سورة الرعد ٧]

وبين الله في كتابه بعض كتب النبيين على وجه الإجمال مثل الزبور على داود u :﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [سورة الإسراء ٥٥]

وصحف إبراهيم على إبراهيم u :﴿**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ [سورة الأعلى ١٩]

ومن الكتب ما ذكره الله في القرآن وبين بعض ما ورد فيه.كالتوراة والإنجيل كما سبق في الباب الأول.

وهذا الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به قال تعالى:﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [سورة البقرة ٢٨٥]

وقد ورد في حديث الإيمان الذي عند مسلم وفيه «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأنها كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها على الحقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد.

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [سورة الشورى ٥١]

---

(١) سبق تخريجه.

وقال تعالى: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [سورة النساء ١٦٤]

وأن منها ماكتبه الله بيده كما قال تعالى:﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [سورة الأعراف ١٤٥]

والإيمان بما فيها من الشرائع، وأنه واجب على الأمم الانقياد لها والحكم بها، قال تعالى في التوراة: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[سورة المائدة ٤٤]

وقال في الإنجيل: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[سورة المائدة ٤٦-٤٧]

وقال في القرآن: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [سورة المائدة ٤٨-٤٩]

وأن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه كما قال في الإنجيل﴿ **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [سورة المائدة٤٦]

وقال في القرآن ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [سورة المائدة ٤٨]

والإيمان بأن بعضها ينسخ بعض فقد نسخت بعض أحكام التوراة بالإنجيل، ونسخت التوراة والإنجيل بالقرآن قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة الأعراف ١٥٧][(١)].

والكتاب المقدس تسمية أحدثها النصارى لكتبهم ولم يؤمروا به، فيجب عليهم الإيمان بالتوراة والإنجيل، وما أمرهم الله بالإيمان به مما أنزله على بني إسرائيل من الصحف والكتب، وما لم نعرفه من مصادر الإسلام الأصيلة مما لم يذكر فيها إيماناً مجملاً.

أما ما عند النصارى من كتب وأسفار سواء اتفقوا فيها أم اختلفوا، فإنه لا يمكن الركون إليها ولا الوثوق بها كما سيأتي[(٢)].

ثانياً: نزول الإنجيل من عند الله:

كما سبق في الباب الأول ثبوت الإنجيل المنزل على عيسى u ومنعاً للتكرار أكتفي بذكر ما يمكن أن يُعرف به الإنجيل مستدلة على ذلك بما ورد في القرآن الكريم.

«إنه كتاب الله المنزل على عيسى، المشتمل على التوحيد والتنزيه والأحكام الشرعية، وكان مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ومبشراً برسول الله محمد u ».

فالقول بأنه كتاب الله المنزل على عيسى، فمن قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ**﴾ [سورة الحديد ٢٧]

وأما قول المشتمل على التوحيد والتنزيه فمن قوله تعالى:﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [سورة التوبة ٣١] ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ [سورة البقرة ١١٦]وقول والأحكام الشرعية، فمن قوله تعالى: ﴿**وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [سورة آل عمران٥٠]

---

(١) انظر: معارج القبول ،حافظ الحكمي ٢/ ٨٢٦-٨٣٠.

(٢) النصرانية والإسلام ، الطهطاوي، ص ٣١٥.

وقول كان مصدقاً لما بين يديه من التوراة، فمن قوله تعالى:﴿**وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ** ﴾ [سورة آل عمران ٥٠]

وقول مبشراً برسول الله محمد، فمن قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [سورة الصف٦]

فهذا هو الإنجيل الذي عناه القرآن الكريم، ولمعرفة ما إذا كان الإنجيل الحالي هو هذا المذكور في القرآن فلا بد من البحث عن هذه الصفات ومدى وجود كل منها في هذا الإنجيل الذي تعترف به النصارى أو أتباع عيسى u [١]. وأنى لهم ذلك كما سيأتي.

وحيث يثبت القرآن الكريم كتاباً أنزل على عيسى u فإن النصارى ينفون ذلك ويقولون أنه أتى بتعاليم شفوية وتناقلها الناس شفاهاً إلى أن دونها بعد ذلك كتاب الإنجيل.

يقول الدكتور سعود الخلف بعد أن ذكر نصوصاً من الكتاب المقدس تشير إلى كلمة الإنجيل منها قول بولس: «...فإنكم أيها الأخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله..»[٢].

فيقول فإذاً الإنجيل كان كتاباً موجوداً ومعروفاً لدى النصارى الأوائل بأنه إنجيل الله أو إنجيل المسيح. إلا أن هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى اليوم فأين هو؟

ومع هذا يزعم النصارى أن المسيح لم يترل عليه شيء ولم يترك كتاباً مكتوباً، وذكروا أن الأناجيل كان مبدؤها من الأجيال اللاحقة للمسيح، وذكروا أن المراد بالإنجيل في كتبهم هو إعلان مجد الله الذي هو في زعمهم تجسد المسيح[٣].

ثم يؤكد إثبات إنجيل عيسى u غير أن النصارى ضيعوه أو فقدوه فيقول: وهذا منهم ذر للرماد في العيون من أن تبصر الحقيقة، وهي أن النصارى ضيعوا الإنجيل الأصلي واستبدلوه بأناجيل فيها شيء من الحق وكثير من الباطل، فهل من المعقول أن يترك المسيح أتباعه بدون أن يسلمهم تعاليم يهتدون بها، وهم في وسط ذلك الوضع الذي كانوا فيه بين اليهود الحاقدين المعاندين وبين الرومان وغيرهم من الوثنين الجاهلين.

على النصارى أن يجيبوا على هذا السؤال: أو يعترفوا بأنهم فقدوه في زمن مبكر من تاريخهم، ولعلّ هذا هو الأرجح.

---

(١) انظر : د/ داوود علي الفاضلي ، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم (مكتبة المعارف - الرباط) ص ١٤٤.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي ٢:٢ .

(٣) نقلاً: من دراسات في الأديان،سعود الخلف ، ص ١٩٨.

إذ يقول الله عز وجل: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [سورة المائدة ١٤]

ولهذا فإنه.. قد صار عند النصارى بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولا ينسبون أياً منها إلى المسيح u وإنما هي منسوبة إلى (متى ومرقس ولوقا ويوحنا).

والقارئ لهذه الأناجيل الأربعة، يستطيع بسهولة أن يُدرك أن ما ورد فيها من دعوة وخطب ومواعظ ومجادلات، تعود إلى مطلبين أساسيين، هما:

١- الدعوة إلى التوبة والعمل بما جاء في الشريعة التي أنزلت على موسى u .

٢- التبشير بقرب قيام مملكة الله التي يتحقق فيها العدل والمساواة.

وبضياع الإنجيل وفقدانه يعترف علماء النصارى بذلك(١) كما سيأتي.

وقد لخص الخلف ما يمكن قوله في إنجيل عيسى u بعد أن ذكر نقولا عن النصارى أنفسهم من كتبهم في عدة نقاط منها:

١- أن الله أنزل كتابا على المسيح سماه الإنجيل، ودعا المسيح u الناس إلى الإيمان به وذكره أوائل النصارى، كما ذكره بولس في رسائله.

٢- أن النصارى لا يعرفون شيئاً عن مصير ذلك الإنجيل، ولا أين ذهب!!

٣- أنه كانت هناك روايات شفوية ووثيقة مشتركة متداولة كان يتناقلها الحواريون ودعاة النصارى الأوائل ويعتقد أنها المصدر الأساسي لأوجه الاتفاق بين الأناجيل. وهذا تصديق

---

(١) ومع بيان فقدان النصارى للإنجيل المنزل على عيسى إلا أنه تم العثور على مخطوطات عند البحر الميت تخالف ماعليه النصارى.بل بدأت الشكوك بسببها وغيرها كما سيأتي منثوراً ضمن هذا الرد حول إنجيلهم من النصارى أنفسهم في هذا العصر الحديث والذي فسروه. بعدم مصداقية ما بأيديهم من أناجيل يقول الدكتور داود علي القاضي: اكتشفت حديثاً مخطوطات قديمة كانت محفوظة في إحدى الحفر ، وجد أنها تحتوي على معلومات تصحح الفكرة السائدة عن عيسى ابن مريم u .

ولما أرسل الدكتور «تريفور» نسخة من هذه المخطوطات إلى الدكتور (و.ف. البرايت) وهو عمدة في علم آثار الإنجيل رد عليه بقوله «تهاني على اكتشاف أعظم مخطوط في العصر الحديث فوق هضبة بجوار البحر الميت» وحدد كتابته بمائة عام بعد الميلاد وقال: «إنه لا يوجد أدنى شك في العالم حول صحة هذا المخطوط»، وأشار إلى أنها ستعمل ثورة في فكره عن النصرانية. وإذا نظر الباحث إلى هذه المخطوطات فستتغير نظرته إلى العقائد الصناعية، زمن قسطنطين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ حيث انتهى دين عيسى u وبدأ دين آخر، مبنياً على التثليث.

والحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن بالنا هي ما قررته هذه المخطوطات أن عيسى كان مسيا المسيحيين، وأن هناك مسياً آخر وقد يكون المقصود بالمسيا الثاني هو نفسه عند عودته كما يقول إبراهيم خليل، أو يكون المقصود به ظهور النبي محمد u لأنه كان يتكلم بالحق منصفاً روح عيسى ومدافعاً عن العقيدة الأصلية التي جاء بها. وهذا هو الذي في إنجيل يوحنا. انظر: أصول المسيحية، د/داود علي القاضي، ١٤٩- ١٥٠.

قول الله عز وجل:﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [سورة المائدة ١٤].

٤- أن المتقدمين من النصارى لم يشيروا إلى الأناجيل الأربعة و لم يذكروها البتة، فبولس – على كثرة رسائله – لم يذكرها في رسائله أبداً، وكذلك لم يذكرها سِفْر أعمال الرسل، وهذا يدل على أنها لم تكن موجودة في ذلك الزمن.

٥- أن أول من ذكر مجموعة من الكتب المدونة ذكراً صريحاً هو جاستن الذي قتل عام ١٦٥م. وهو لا يدل صراحة على الأناجيل الأربعة نفسها، وأما أول محاولة للتعريف بها ونشرها فكانت عن طريق «تاتيان» الذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد سماه (الدياطسرن) في الفترة من (١٦٦- ١٧٠م) وهذا هو التاريخ الذي يمكن أن يعزى إليه وجود هذه الكتب، وهو تاريخ متأخر جداً ،مما يدل على أنهم براء منها.

٦- أنه حتى بعد هذا التاريخ وهو (١٧٠م) إلى القرن الرابع الميلادي لم تكن الأناجيل الأربعة وحدها هي الموجودة، بل كان هناك أناجيل كثيرة منتشرة و لم يكن لأي منها صفة الإلزام والقداسة.

٧- أننا نعجب من زعم النصارى: أن هذه الكتب حقيقة وصادقة وتنقل بأمانة وإخلاص كلام المسيح وتروي أخباره وهم لا يملكون الدليل على ذلك[١].

قال الله عز وجل: ﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ** ﴾ [سورة الأنعام، ١٤٨][٢].

ثالثاً: من حيث السند:

إنما يستمد الكتاب المقدس قيمته الشرعية في الوثوق بالمصادر الناقلة له ومع امتداد الزمن في تناقله يشتد الأمر أهمية في العناية بالرواة له وهو ما يسمى بالسند.

وعليه يبقى السؤال عن سند الكتاب المقدس؟ وما مدى الوثوق به؟.

ويجيب التاريخ الذي بين يدي النصارى عن سند العهد القديم والعهد الجديد.

أما العهد القديم (التوراة).

---

(١) انظر دراسات في الأديان، سعود الخلف، ص ٢١٠ – ٢١٣ .

(٢) وقد ذكرت في الباب الأول عقيدة المسلمين في الإنجيل وأنه الكتاب الذي أعطيه عيسى u مع التوراة التي أنزلت على موسى u لكي يعمل بهما فلا أرى حاجة في التكرار.

يعترف اليهود بطول الزمن الذي كتبت فيه أسفار التوراة ففيها أن موسى u دون جميع الأحكام وكتبها وهي الأحكام التي أعطيها شفاهاً.

جاء في سفر الخروج «فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام...- إلى أن يقول- فكتب موسى جميع أقوال الرب»[1] وذكروا أن موسى أعطي شريعة مكتوبة بيد الله تعالى في لوحي حجارة[2].

وذكروا أن موسى كتب التوراة قبيل وفاته وأعطاها لحاملي التابوت[3].

وذكر اليهود أن يوشع كتب التوراة مرة أخرى حسب وصية موسى u [4].

ثم انقطع خبر التوراة حتى عهد النبي صموئيل عندما استولى عليه أعداؤهم ثم عاد إليهم بعد سبعة أشهر[5].

حتى جاء عهد داود u فوضعه في (أورشليم) ثم نقله سليمان u إلى الهيكل الذي بناه.

وذكروا أن سليمان u حينما فتحه لم يجد فيه سوى لوحي الحجارة اللذين وضعهما موسى u .[6] فأين ذهبت نسخة التوراة التي نسخها موسى u ووضعها في التابوت؟ هذا مالا يجد اليهود ولا النصارى جواباً له.

ثم حدثت بعد سليمان u إنقسامات وحروب بين بني إسرائيل وانحرفوا عن التوراة[7] وغزاهم المصريون ثم انقطع بعد ذلك ذكر التوراة إلى زمن الملك يوشيا.

حيث جاء النص في التوراة على أن حلقيا الكاهن على بيت الرب في ذلك الزمان وجد سفر الشريعة في بيت الرب وفي ذلك قولهم أن الملك قال: «لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب»[8]. والمؤرخون يقولون أن بين سليمان عليه السلام والملك يوشيا (٣٤٠ عاما).

---

(١) الخروج ٢٤: ٣.

(٢) انظر: الخروج ٢٤: ١٢.

(٣) انظر : سفر التثنية ٣١: ٩ ، ٣١: ٢٤.

(٤) سفر يوشع٨: ٣٠.

(٥) سفر صموئيل الأول ٤: ٣ ومابعدها.

(٦) انظر: سفر صموئيل الثاني ٦: ١ومابعدها .

(٧) كما يقولون «وعمل يهوذا الشر في عيني الرب ... وبنوا لأنفسهم مرتفعات وأنصاب... فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب» سفر الملوك الأول ١٤: ٢٢...

(٨) سفر الملوك الثاني ٢٢ : ٨-١٣، ٢٣: ١٠٢.

ثم بعد الملك يوشيا سنة (٥٨٦ق.م) هجم بختنصر على دولة يهوذا ودمرها ودمر الهيكل وأخذ جميع خزائن بيت الرب وأحرق بيت الله[١]. ثم بعد ذلك يزعم اليهود أن عزرا الكاتب هيأ الله قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وتعليم بني إسرائيل[٢].

وعزرا كان زمن السبي البابلي ثم لما عاد بنوا إسرائيل إلى أورشليم جمعهم لقراءة ما كتب من شريعة موسى وفي هذا قالوا: «اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة... وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى... فأتى عزرا الكاتب بالشريعة وقرأ منها من الصباح إلى نصف النهار»[٣] ثم ذكر المؤرخون أن الحاكم اليوناني (بطليموس الثاني) الذي كان في (٢٨٢-٢٤٧ق.م) طلب من اليعازار رئيس الكهان أن يرسل إليه اثنين وسبعين عالما بالتوراة لترجمة أسفار موسى الخمسة فنفذ الطلب وكانت الترجمة المعروفة بـــ (السبعينية) وعن اليونانية ترجمت إلى اللاتينية [٤].

ذكر الكتاب المقدس أن اليهود فقدوا المقدرة على اللغة العبرية والتي بدون نقط أو حركات بإدخالها عليها واستمر عملهم من (القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر) وأخرجو النسخة الماسورية وعليها نسخت جميع النسخ العبرية والمترجمة عنها[٥].

بعد هذا العرض الموثق لما عند النصارى من مصادرهم يتبين أنه لا سند للتوراة التي بأيدي النصارى فأنى لهم القول أن هذه التوراة التي أنزلت على موسى u .

وعلى هذا العرض التاريخي لما عند النصارى حول تدوين التوراة يلاحظ ما يلي:

١- أن التوراة لا سند لها متصل إلى عصر التدوين الذي منه ترجمت بعد ذلك نسخ التوراة[٦] فاليهود الأوائل ربما حفظوا التوراة ردحاً من الزمن ثم بعد ذلك فقدوها لعدة عوامل.

٢- أن ذكر التوراة ينقطع بين الحين والآخر فقد انقطع خبرها بعد كتابة يوشع لها وذلك في وقت مبكر فهم لا يذكرون سوى التابوت التي وضعها موسى u فيه وأنه استولى عليه الأعداء زمن النبي صموئيل.

٣- أنهم عندما ذكروا أن داود u وجده ثم أصعده إلى أورشليم ثم نقله سليمان u إلى الهيكل فهم يقولون أن سليمان لم يجد فيه سوى لوحي الحجارة الذين وضعهما موسى u . ويبقى السؤال أين ذهبت نسخة التوراة التي وضعها موسى u في التابوت؟ وهذا مالا يجد له النصارى جوابا.

---

(١) انظر : أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٧-٢٠ .

(٢) انظر : سفر عزرا ٧: ١٠.

(٣) انظر : سفر نحيميا ٨: ١-٣.

(٤) انظر دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود الخلف ص ٧٨- ٩٠ وقد ذكره الخلف بجميع نصوصه من العهد القديم وكتب المؤرخين.

(٥) نقلاً من دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٩٠.

(٦) ولا توجد نسخة أخيرة للتوراة لأن التحريف مستمر حتى بعد عصر الطباعة والتدويين.

٤- أنهم ذكروا في الكتاب المقدس زمن رحبعام بعد انقسام بني إسرائيل انحرافهم عن الدين، واستولى عليهم فرعون مصر ثم لم يعد بعد ذلك ذكر للتوراة إلى زمن الملك يوشيا، حيث انتهى خبر التابوت. وبدأ ذكر سفر الشريعة التي لا تدل من قريب أو بعيد على أنها عين التوراة التي أنزلت على موسى u وما وجدوه لا يتحقق أنها التوراة، إذ من المستبعد بعد هذه الفترة الطويلة أكثر من ثلاثة قرون من الضياع أنهم لم يعلموا أنها في الهيكل رغم الاهتمام بالهيكل والتعاقب على رئاسته!.

٥- ولا يبعد أن يكون الكاتب حلقيا جمعها من محفوظاته ومعلوماته وزعم أنها سفر الشريعة.

٦- إن تدمير بختنصر على جميع معالم الدين مع تدمير الهيكل، فقدت على إثره التوراة بإجماع المؤرخين.

٧- إن كتابة عزرا للتوراة لم يذكر النصارى لها سنداً متصلاً بل قالوا أنه هيأ قلبه لطلب الشريعة(١). فمن أين له سند متصل بعد هذا الضياع لقرون فلا بد أنه كتبها من محفوظاته أو من مصادر أخرى غير موثقة بالسند المتصل، فأنى لهم الثقة بأنها عين توراة موسى u .فلا تعدو أن تكون عملاً بشرياً فإن نسبها إلى الله فليأتنا بالدليل وهم لا يقولون بذلك. و لم يذكر أحد من اليهود ولا النصارى أنها أنزلت مرتين مرة على موسى عليه السلام ومرة على عزرا!.

٨- أن الترجمة السبعينية كانت بعد وفاة عزرا بقرابة قرنين من الزمان و لم يذكروا سنداً متصلاً إليه والأبعد منه عشرة قرون من وفاة موسى u . فأين السند!.

٩- أن إثبات قاموس الكتاب المقدس إدخال النقط والحركات. كان بعد زمن طويل واستغرق عدة قرون مما يضع استفهامات مضاعفة؟؟!! حول النص المكتوب سواء قبل الضياع أو بعده.

١٠- أن الاختلاف في عدد الأسفار حيث أن اليونانية ستة وأربعون سفراً، والعبرية الماسورية تسعة وثلاثون سفراً، مع وجود الاختلافات الكثيرة يدل على أنهما أخذا من مصدرين مختلفين.

١١- أن المخطوطات التي وجدت عند البحر الميت مؤخراً استولى عليها كل من أمريكا وبريطانيا واليهود، مما يدل على إخفاء حقائق يخشونها على خلاف عادتهم في العثور على الآثار التاريخية.

١٢- أن كل ادعاء يدعيه النصارى حول العثور على التوراة بعد كل ضياع عار من إثبات الدليل، مما يبرهن عدم الوثوق فيما يقولون كما سأثبته اختصارا من القرآن الكريم وأنه لا وثاقة تاريخيه ولا علمية لما بين يدي النصارى من نصوص العهد القديم، مما يدل قطعاً على جود التحريف والتبديل داخل النص وأن الله عهد إليهم بحفظ كتابهم فضيعوه قال تعالى:﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**

(١) انظر سفر عزرا ٧: ١٠.

وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة ١٣].

كما سيأتي بيانه في إثبات التحريف داخل النص من واقع كتبهم وأقوال علمائهم وعلماء المسلمين وشهادة أحكم الحاكمين.

وقد ذكر الإمام رحمة الله الهندي عدم وجود السند للعهد القديم ثم ذكر بعض أسفارهم ونقول علمائهم حولها وأنها لا تثبت بسند إلى الأنبياء الذين نسبت إليهم فيقول: «ولما كان التكلم على سند كل كتاب مفضياً إلى التطويل الممل، فلا نتكلم إلا على سند بعض من تلك الكتب فأقول وبالله التوفيق: إنه لا سند لكون هذا التوراة المنسوب إلى موسى u من تصنيفاته ويدل عليه أمور ثم ذكر عشرة أمور أقتصر عل ذكر الأمر السادس.

فيقول : قال داكتر سكندر كيدس من فضلاء النصرانية المعتمدين في ديباجة البيل الجديد: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً: الأول أن التوراة الموجودة ليس من تصنيف موسى، والثاني أنه كتب في كنعان أو أورشليم، يعني ما كتب في عهد موسى الذي كان بنو إسرائيل في هذا العهد في الصحاري، والثالث لا يثبت تأليفه قبل سلطنة داود ولا بعد زمن حزقيال، بل أنسب تأليفه إلى زمان سليمان u يعني قبل ألف سنة من ميلاد المسيح، أو إلى زمان قريب منه في الزمان الذي كان فيه هومر الشاعر فالحاصل أن تأليفه بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى u »[١].

ثم قال «وإذا عرفت حال التوراة الذي هو رأس الملة الإسرائيلية، فاسمع حال كتاب يوشع الذي هو في المترلة الثانية من التوراة فأقول: لم يظهر لهم إلى الآن بالجزم اسم مصنفه ولا زمن تصنيفه، وافترقوا إلى خمسة أقوال....»[٢].

ثم ذكرها والحال كذلك ينطبق على سفر القضاة وراعوث ونحميا وزبور داود وذكر فيه أموراً عجيبة منها أنها جمعت في أزمنة مختلفة. إلى غير ذلك من تخبطهم والذي ستجده مبثوثاً في كتابه[٣].

أما العهد الجديد فالحديث حول عدم الوثوق بسنده يبدأ من حديث النصارى أنفسهم سواءً ما كان في مصادرهم أو ما كتب عنهم.

فإن الأناجيل نشأت رويداً رويداً عقب رفع عيسى u ، وتدور حول حياته ورسالته وتعاليم أتباعه.

---

(١) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤٣-٤٦ .

(٢) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤٨.

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤٣-٥٤.

وتستند هذه التسمية (بالعهد الجديد) التي لم تستعمل إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي إلى قول بولس: «فهو الذي مكننا أن نكون خدم عهد جديد، عهد الروح، لا عهد الحرف؛ لأن الحرف يميت والروح يحيي».[١] قال فاستن من أعظم علماء فرقة ماني كير من علماء القرن الرابع: «إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون. بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسب إلى الحواريين ورفاق الحواريين»[٢].

وقال: هورن في تفسيره: «الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين، والمشائخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبل الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم. وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذر تنفيذها بعد انقضاء المدة»[٣] ثم ذكر روايات كثيرة عن السنة التي كتب فيها كل إنجيل مما يفيد تخبطهم وأنهم لا يتبعون إلا الظن.

ثم حاول الإمام رحمة الله في كتابه أن يورد نصوص علماءهم القدامى حول ثقتهم في سند كل إنجيل.

فيقول عن إنجيل متى: إن مؤلف ميزان الحق مع تعصبه لم يقدر على بيان السند في حق هذا الإنجيل بل قال ظناً «إن الغالب أن متى كتبه باللسان اليوناني» وظنه بلا دليل مردود[٤].

ثم يقول عن أحد علمائهم قوله «كتب هذ الإنجيل باللسان العبراني... لكن الموجود منه الترجمة اليونانية والتي توجد الآن باللسان العبراني فهي ترجمة الترجمة اليونانية»[٥].

وحول إنجيل مرقس ولوقا يقول: «صرح (جيروم) من أفاضل علمائهم القدامى في مكتوبه أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الباب الأخير من إنجيل مرقس، وبعض القدماء يشكون في بعض الآيات من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا وبعض القدماء كانوا يشكون في البابين الأولين من هذا الإنجيل»[٦].

أما إنجيل يوحنا فيقول: «كتب (استادلن) في كتابه إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية بلا ريب»[٧].

---

(١) أصول المسيحية ، د/ داوود علي الفاضلي ٢٤٦.

(٢) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٥٦.

(٣) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٥٦ .

(٤) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٥٤ .

(٥) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٥٤ .

(٦) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٥٤

(٧) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٥٦ .

يقول ابن تيمية: إن الأناجيل التي بين يدي النصارى اليوم ليس لها سند كامل يتصل بكاتبيها التي تنسب إليهم، ولا سيما وأن النصارى لا يعرفون علم الرواية والأخبار، ومعرفة أحوال الرجال وجرحهم وتعديلهم وطريقة تلقيهم وغير ذلك كما هو الحال عند المسلمين[١].

وأن العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل النصرانية في دائرة المعارف الفرنسية فإهم يذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤيد: أن هذه الأناجيل كتبها أشخاص غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب إليهم. بل إن مظاهر الشك والريبة التي أحاطت بأسفار النصارى ومؤلفيها حملت بعض الباحثين من الأوربيين على الشك في شخصية المسيح نفسه[٢] [٣].

ولذلك فإن علماءهم المعاصرين لا يستطيعون الإتيان بسند متصل إلى نبي أو حواري، وفي هذا يقول رحمة الله الهندي «ولذلك طلبنا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال: إن فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة. وتفحصنا في كتب الإسناد لهم، فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين» [٤].

بل إن الطعن في المصادر النصرانية قد بدأ في وقت مبكر من تكوين تلك المصادر يقول عبد الراضي محمد: «وقد بدأ الطعن في صحة هذا الإسناد مبكراً جداً، ربما من قبل أن تجف أخبار هذه المكتوبات:

فمرقيون تلميذ بولس وأول ناقد للعهد الجديد، انتهى من فحصه إلى أن:

١- تلاميذ عيسى لم يكتبوا شيئاً على الإطلاق.

٢- أسماء الرسل التي تحملها الأناجيل مزورة وغير حقيقية.

٣- الأناجيل بصورها المعروضة فيها هي من تزييف اليهود ووضعهم.

٤- النصرانية قد فرضت عليها أربعة أناجيل مزيفة، تحت أربعة أسماء مزورة، وكذلك مجموعة من الكتابات المنسوبة إلى تلاميذ المسيح وإلى بولس لا تمت لهم بصلة.

---

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٣/ ٢٦.

(٢) الأسفار المقدسة ،علي وافي ،ص٩١-٩٢. نقلاً من الكتب السماوية وشروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ص ٤١٤

(٣) بل قد توصلت إلى الجهالة المركبة بالعهد الجديد في نظر النصارى أنفسهم إذ يقولون في دائرة المعارف الفرنسية: لقد بحث بعض الباحثين المحققين من علماء أوربا في الأناجيل الأربعة فتبين لهم أنه لا يعرف متى كتبت ، ولا بأي لغة ألفت ، وقال بعضهم إن مؤلفيها غير معروفين .واقم بعضهم بولس الذي كان يهودياً بوضعها . بل إن بعضهم من جعل تعاليمها مأخوذة من الوثنية . دائرة المعارف الفرنسية وغيرها تفسير المنار ٦/ ٢٩٣.

(٤) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤٢-٤٣.

٥- هذه الكتابات تتضمن بعضا من كلمات الوحي الصحيحة، ومن ثم فمن الواجب جمع هذه الكلمات لتأليف الإنجيل الصحيح منها [١].

وخلاصة القول حول الوثوق في السند فإنه يجب الاعتماد على أمرين حتى تتحقق الوثاقة العلمية لأي كتاب منسوب إلى نبي من الأنبياء.

الأمر الأول: رواية الرواة المنقولة إلينا بالسند المتصل.

والأمر الثاني: وهو الآثار التاريخية التي تثبت ذلك التراث.

«والأناجيل لم تثبت بواحد من الأمرين فليست ثمة رواية لها ولا رواة وهم يترهونها عن ذلك، ولا آثار تنطق بها وتعلن خبرها فهي إذن يرفضها التاريخ»[٢].

وهذا الكلام إنما نريد إقرارهم به من أنفسهم، وإلا فما عند المسلمين يطمئن إليه القلب وأن الله عهد إليهم بحفظها فضيعوها ونسوها قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [سورة المائدة ١٤]

وهذه الآية تكفي عن طول شرح وإسهاب بيان والحمد لله.

وبهذا نخلص إلى أن جميع الكتاب المقدس لا يوثق به من ناحية سنده، ويبدأ دور النصارى في الحفاظ على مصادرهم من العهد الجديد وهم مع ذلك مضيعون للإنجيل معتمدون على مصادر نسبت إلى كلام الله ظلماً وعدوانا.

رابعاً: من حيث المتن:

وبما أنه لا سند للكتاب المقدس يقوي مكانته والوثوق به فإن المتن يسقط تبعاً لعدم الوثوق في السند ولا تبقى له قيمة علمية يثبت من خلالها الوثوق بأخباره وأحكامه.

ومع ذلك فإنني سأقف مع المتن ثلاث وقفات أوضح من خلالها انحراف النصارى في تمسكهم به مع إثبات تحريفهم له.

الوقفة الأولى: إثبات التحريف.

وعندما أتحدث عن وجود التحريف في الكتاب المقدس سوف أشير إلى نماذج فقط للتحريف الذي اعترفوا به وأن هذا النص غير ما كان عليه في زمن ما. وأترك التعليق أخيراً.

فالتحريف في الكتاب المقدس وقع بالزيادة والنقصان والتبديل.

---

(١) نقلاً المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص٢٧٢.

(٢) محاضرات في النصرانية ،محمد أبو زهرة ص ٨٧.

إثبات التحريف بالزيادة:

ففي العهد القديم:

ورد في سفر العدد: «فسمع الله دعاء آل إسرائيل وسلم في أيديهم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم صوافي وسمي ذلك الموضع حراماً»[1] قال (آدم كلارك) في المجلد الأول من تفسيره في الصفحة ٦٩٧: وإني أعلم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يوشع u ، لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا إلى عهد موسى بل بعد موته[2].

وقد ذكر رحمة الله الهندي ستة وعشرين مثالاً على التحريف بالزيادة في العهد القديم، وذكر تسعة عشر مثالاً من العهد الجديد.

وفي العهد الجديد:

ورد في إنجيل لوقا «ثم قال الرب فيما إذا أشبه أهل هذا الجيل أو مالذي يشابهونه»[3].

وهذه الجملة (ثم قال الرب) زيدت تحريفاً قال المفسر (آدم كلارك) في ذيل هذه الآية «هذه الألفاظ ما كانت أجزاء لمتن لوقا قط، ولهذا الأمر شهادة تامة ورد كل محقق هذه الألفاظ وأخرجها (ينجل وكريسباخ) من المتن» أليس إدخال الألفاظ الذي ثبت زيادتها بالشهادة التامة وردها كل محقق في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم من أقسام التحريف؟[4].

وفي إنجيل متى «وأبوك الناظر في السر يجازيك علانية»[5] ولفظ علانية إلحاقي قال (آدم كلارك) في ذيل شرح هذه الآية بعدما أثبت إلحاقيته «لما لم يكن لهذا اللفظ سند كامل أسقطه (كريسباخ ووتستين وبنجل) من المتن»[6].

وكذلك الرسائل وأعمال الرسل.

ففي سفر أعمال الرسل «فقال له من أنت يارب؟ فقال الرب: أنا عيسى الذي أنت تؤذيه، إنه يصعب عليك أن ترفس إلا ستة، فقال وهو مرتعد ومتحير: ماالذي تريد أن أفعل يارب؟ قال له الرب:

---

(١) العدد: ٢١: ٣ . وفي النسخة التي في يدي «فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم ودعي اسم المكان حرمة».

(٢) انظر :إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٦٦.

(٣) لوقا : ٧: ٣١.

(٤) انظر :إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٧٢.

(٥) متى : ٦: ١٨.

(٦) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٧٩.

قم وادخل البلد وسيقال لك ما يجب عليك أن تفعله» [1] قال (كريسباخ وشولز) «إنه يصعب عليك أن ترفس إلا ستة ، فقال وهو مرتعد ومتحير: ماالذي تريد أن أفعل يارب؟»، إلحاقية[2] ».

إثبات التحريف بالنقصان:

في العهد القديم:

في سفر التكوين في النسخة العبرانية هكذا: «وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض»[3] وهذه الجملة في كثير من نسخ اللاتينية وفي الترجمة اليونانية هكذا: «وصار الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض» قال هورن في المجلد الأول من تفسيره « فليزد لفظ ليلة في المتن العبري»[4].

وفي العهد الجديد:

قال هورن[5]: «سقطت آية تامة مابين الآية الثالثة والثلاثين والآية الرابعة والثلاثين من إنجيل لوقا فلتزد بها بعد أخذها من الآية ٣٦ من الباب ٢٤ من إنجيل متى ومن الآية ٣٢ من الباب ١٣من إنجيل مرقس ليكون لوقا موافقاً للإنجيليين الآخرين «ثم قال في الحاشية: أغمض المحققون والمفسرون كلهم عن هذا النقصان العظيم الواقع في متن لوقا حتى توجه عليه (هلر)» فعلى اعترافه سقطت آية تامة من إنجيل لوقا ويجب زيادتها فيه وهذه الآية في إنجيل متى هكذا: «وأما ذلك اليوم والساعة فلا أحد يعلم بهما حتى ملائكة السماء إلا أبي وحده»[6].

وفي أعمال الرسل «فلم يأذن لهم روح» قال (كريسباخ وشولز): «فلم يأذن لهم روح يسوع» ثم أضيفت إلى الطبعة العربية سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١[7].

إثبات التحريف بالتبديل:

في العهد القديم:

وقع في سفر صموئيل الثاني «بنو إسرائيل كانوا ثمانمائة ألف رجل شجاع وبنو يهودا خمسمائة رجل شجاع»[8] وفي سفر الملوك «فبنو إسرائيل كانوا ألف ألف ومائة رجل شجاع ويهودا كانوا أربعمائة ألف وسبعون ألف رجل شجاع» فإحدى العبارتين هنا محرفة. قال (آدم كلارك) في المجلد الثاني من تفسيره ذيل عبارة صموئيل: «لا يمكن صحة العبارتين، وتعيين الصحة عسير. والأغلب أنها

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٥-٦.

(٢) انظر :إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٧٨.

(٣) التكوين :٩: ١٧.

(٤) انظر :إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٨٤ .

(٥) في الصفحة ٤٧٧ من المجلد الرابع من تفسيره.

(٦) انظر :إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٨٨.

(٧) انظر :إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٨٨.

(٨) صموئيل الثاني ٢٤: ٩.

الأولى. ووقعت في كتب التواريخ من العهد القديم تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الأُخر. والاجتهاد في التطبيق عبث، والأحسن أن يسلم من أول الوهلة. الأمر الذي لا يمكن إنكاره بالظفر. ومصنفوا العهد العتيق وإن كانوا ذوي إلهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك» انتهى كلامه.

فهذا المفسر اعترف بالتحريف، لكنه لم يقدر على التعيين. واعترف أن التحريفات في كتب التواريخ كثيرة . وأنصف فقال: إن الطريق الأسلم تسليم التحريف من أول الوهلة[١].

كما ذكر رحمة الله عددا من التحريفات الموجودة بين النسخ اليونانية والعبرانية والتي ذكرها علماؤهم و لم يجدوا لهذا التبديل إلا الاعتراف بالتحريف والغلط في الكتاب المقدس[٢].

أما في العهد الجديد:

في رسالة بولس إلى أهل إفسيس: «وليخضع بعض لبعض لخوف الله»[٣] قال (كريباخ وشولز): «إن لفظ الله غلط والصحيح لفظ المسيح»[٤].

الوقفة الثانية: التناقض في الكتاب المقدس:

والكتاب المقدس بما يحتوي عليه من أخبار وأحكام، ولأنه ليس من عند الله بل كتبوه بأنفسهم ثم نسبوه إلى الله، وأنه كتب بوحي وإلهام فإنه يحتوي على كثير من الأمور المتناقضة، سواء فيما بين العهد القديم والعهد الجديد، أو فيما بين العهد القديم بعضه في بعض أو العهد الجديد بعضه في بعض سواء فيما بين الأناجيل أوفي الإنجيل الواحد .

فمن الأمثلة على تناقض العهد القديم فيما بينه مع ملاحظة أنه في نفس السفر!!

ما ذكر في سفر التكوين من خبر سفينة نوح u ، ومن أمره الله أن يحمل فيها حيث جاء النص في الإصحاح السادس «ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك، تكون ذكراً وأنثى، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها» [٥].

ثم بعد هذا النص مباشرة ذكروا أن الله أمره أن يأخذ من كل جنس سبعة ذكراً وأنثى ماعدا البهائم غير الطاهرة فيأخذ اثنين.

فقالوا «من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى، لاستبقاء نسل على وجه الأرض»[٦].

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٥٤.

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ١٤٨- ١٦٠.

(٣) رسالة بولس إلى أهل إفسيس ٥: ٢١

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ١٦٠.

(٥) التكوين ٦: ١٩

(٦) التكوين ٧: ٢.

وأما فيما بين العهد القديم والعهد الجديد.

جاء في رسالة بولس إلى أهل قورنثيوس من العهد الجديد هكذا: «ولا تزن كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً»(١).

وهي المقصودة في سفر العدد في العهد القديم بقولهم: «وكان من مات أربعة وعشرون ألفاً من الشر »(٢) ففيهما اختلاف مما يدل على وجود التناقض في العدد.

وأما فيما بين الأناجيل بعضها من بعض فمن ذلك:

جاء في إنجيل مرقس «أن يحيى كان يأكل جراداً وعسلاً برياً»(٣).

عند متى «أنه كان لا يأكل ولا يشرب»(٤).

التناقض في الإنجيل الواحد:

جاء في إنجيل متى في الإصحاح الخامس قول عيسى u عن نفسه «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً»(٥).

ثم ناقض ذلك في الإصحاح الثامن فقال «وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق»(٦).

وهذا الذي ذكر من التناقضات غيض من فيض والكتاب المقدس مليء من ذلك، بخلاف ما وقع فيه من اختلافات وغيرها من الأخطاء!! كما يعبر عنها النصارى وهي عندنا تحريف وتبديل، كما نصت عليه الآيات الكريمات وفي هذا الصدد يقول رحمة الله الهندي :« واختلاف العبارة المصطلح فيما بينهم هو التحريف المصطلح عندنا. فمن أقر باختلاف العبارة بالمعنى المذكور يلزم عليه الاعتراف بالتحريف ووجد مثل هذه الاختلافات في الإنجيل (ثلاثين ألفاً) على ماحقق ميل، (ومائة ألف وخمسين ألفاً) على ماحقق كريسباخ»(٧) إلى أن ذكر قول أحدهم أن الاختلافات تزيد على (ألف ألف).

الوقفة الثالثة: احتواء الكتاب المقدس على معلومات غير صحيحة:

والكتاب المقدس ضم بين دفتيه آلاف المعلومات غير صحيحة منها على سبيل المثال في العهد القديم:

في سفر التكوين في خبر أكل آدم من الشجرة جاء فيها «فأما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، فإنك تموت موتاً في أي يوم تأكل منها»(٨).

---

(١) رسالة بولس إلى أهل قورنثيوس ١٠: ٨.

(٢) سفر العدد ٢٥: ٩

(٣) مرقس ١: ٦

(٤) متى ١١: ١٨

(٥) إنجيل متى ٥: ٣١.

(٦) إنجيل متى ٨: ١٤.

(٧) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ١٩٣.

(٨) سفر التكوين ١٢: ١٧

وهذا غلط لأن آدم u أكل من الشجرة وما مات في ذلك اليوم بل عمر بعدها كثيراً في الأرض[١].

وفي العهد الجديد:

في إنجيل متى «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله، الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لايذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكه»[٢] وفي موضع آخر «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإني الحق أقول لكم: لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان»[٣].

وهذا النصان مغلوطان فلم يأتيهم ابن الإنسان.

ففي الأولى كل القائمين هناك ماتوا وصاروا عظاماً بالية، وما رآه أحد آتياً في مجد أبيه ومجاز أحد على عمله.

وفي الثانية كلموا مدن إسرائيل وأكملوها وماتوا، و لم يروا ابن الإنسان آت في مجده ومضى على ذلك أكثر من ألفي عام و لم يأتهم بعد.

ولن يأتي ولن يحاسب الناس وهذا نتيجة التحريف، وإتباع أهل الباطل والضلال وإلا قد جاءهم بها عيسى u بيضاء نقية.

وبهذا فإن عدم الثقة في متن الكتاب المقدس مما يسلم به النصارى ممثلاً في مراجعهم العلمية الكبيرة فعن العهد القديم تقول دائرة المعارف البريطانية: «إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة، وأيدي كتاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة متباينة، ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار. ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد»[٤].

أما عن العهد الجديد تتحدث دائرة المعارف البريطانية عن الفترة الشفوية لكل من العهد القديم والعهد الجديد وتقول: «إن مرور فترة طويلة من الزمن، تم فيها انتقال التعاليم والكتب شفوياً أدى إلى حذف واختصار وإضافة لتلك التعاليم والكتب عندما جاءت فترة الكتابة والتدوين، و لم تصل إلى فترة التدوين إلا بعد تحويرها وتغييرها تغييراً كبيراً جداً، ثم إن المعضلة ازدادت حتى بعد فترة التدوين التي امتدت إلى عدة قرون، وكان كل كاتب يضيف ما يراه مناسباً. ثم إن عمليات النسخ من هذه الكتب أيضاً واجهت عمليات متعددة من التغيير المتعمد وغير المتعمد. وذلك لأن الناسخ قد يرى أن المادة

---

(١) انظر إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ٩٠.

(٢) متى ١٦: ٢٧-٢٨

(٣) متى ١٠ : ٢٣.

(٤) دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية،محمد علي البار ص ٣٨.

المكتوبة تؤدي إلى تغيير في العقائد أو تهديد لها، فيقوم هو بكتابة ما يظنه الحق والصواب مقتنعاً تماماً بأن روح القدس يوجهه إلى الصواب»[١].

غير أن فكرة التأييد بروح القدس للنصارى لم تعد مقبولة عند المتأخرين منهم بسبب التقدم العلمي والاكتشافات الحديثة وزيادة الوعي، وغيرها من الأسباب.

ويؤكد هذا الكلام مؤلفوا كتاب (أسطورة تجسد الإله) وهم مجموعة من أساتذة علم اللاهوت في أربع جامعات بريطانية إذ يقولون: «لقد اتضح لمؤلفي هذا الكتاب، كما اتضح لعدد كبير من مسيحي اليوم أن النصرانية على امتداد تاريخها كانت حركة نامية ومتغيرة باستمرار... وفي القرن التاسع عشر قامت النصرانية في الغرب بتعديلين رئيسين... - الثاني - وقبلت أن الأناجيل كتبت بأقلام عدة أشخاص في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يضفي على كلماتها عصمة الأمر الإلهي»[٢].

وقد انتهت حلقة بحث أمريكية مكونة من (٢٠٠) شخص من الحكم بعدم صحة (٨٠ %) من الإنجيل تحدثت عن ذلك جريدة لوس أنجلوس الأمريكية في يوم ٤مارس ١٩٩١م .قالت الجريدة: «انتهى اجتماع العلماء الإنجيليين بعد ست سنوات من دراسة السيد المسيح والتصويت على ما قاله. وحكمت هذه الحلقة الدراسية بعدم صحة (٨٠%) من الكلمات المنسوبة إليه في الإنجيل وانتهوا على أنه نبي حكيم ويتكلم بالأمثال»[٣].

وتبعاً للصناعة البشرية في الكتاب المقدس فإن التراجم سبب لزيادة التحريفات عبر السنين وهذا هو السبب فيما نجده منقولا في كتب العلماء السابقين وما لا نجده فيما هو بين أيدينا اليوم.

يقول مترجموا (الإنجيل كتاب الحياة): «إننا قد أخذنا بعين الاعتبار التراجم العديدة في اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية، فضلاً عن التراجم المعروفة في القرون السابقة والتي تزيد عن المائة». وكل ترجمة تختلف عن الأخرى اختلافات كثيرة، فما نجده في كتب القرافي وابن تيمية وابن القيم، وابن حزم، والقاضي أبي البقاء الجعفري من النصوص التي ينقلونها عن التوراة والإنجيل، تختلف فيما بينها، كما أن بعضها غير موجود على الإطلاق في التوراة والإنجيل التي بأيدينا اليوم، أي أنها قد تم حذفها في التراجم الأحدث، لأنها – كما تقول دائرة المعارف البريطانية – يراها المترجم مخالفة لعقيدة من عقائده [٤].

---

(١) دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية،محمد علي البار : ص ٤٨.

(٢) نقلاً من : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار ، ص ١٤

(٣) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، التنير ١٣.

(٤) دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية،محمد علي البار، ص١٦

هذا الحديث عن الأناجيل المعتبرة عند النصارى وما تحقق القول فيه عن تخبط النصارى في مصدر عقيدهم وتشريعهم وضلالهم، في اعتبار المحرف والأهواء وحي الله إلا أنه يبقى السؤال من أين استقت هذه الأناجيل قدسيتها مضمومة إلى التوراة؟

وتكمن الإجابة في التسلط الكنسي في مجمع نيقية حيث اعتبرت هذه الأناجيل وحرمت قراءة كل ماسواها رغم الكثرة الساحقة لما كان عند النصارى من أناجيل فأمرت بحرق كل ما سواها ومن هنا اعتبر هذا الاختيار لهذه الكتب والتي كتبت بنفس منحرف هي عمدة النصارى في دينهم.

خامساً: إنجيل برنابا:

ينطلق الحديث عن إنجيل برنابا من القيمة العلمية والتاريخية لهذا الإنجيل، ولرفضه كثيراً مما عليه النصارى في الاعتقاد والتشريع، مع عدم إمكانية إثبات أنه إنجيل عيسى **u** ، إلا أنه يستأنس بما فيه من حقائق تؤيد ما جاء به القرآن الكريم.

فمن هو برنابا وماهو إنجيله وما أهميته؟.

وردت إشارات في الرسائل المعتبرة عند النصارى أن «برنابا» أحد حواريي عيسى **u** .

و (برنابا) أحد تلاميذ المسيح **u** ويعتبره النصارى رسولاً قديساً، ورد ذكره في رسالة أعمال الرسل في أكثر من موضع، بل إن هذه الرسالة قد تحدثت عن شيء من حياته وطريقة تبشيره ومرافقته لبولس في رحلاته التبشيرية، ثم افتراقه عنه كما ذكره برنابا في مقدمة إنجيله بسبب تعاليمه شديدة الكفر إذ يقول: «أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً، مجوزين كل لحم نجس، والذين ضل في عدادهم أيضاً (بولس) الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر هذا الحق الذي رأيته، وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله»(١).

وتشهد رسالة الأعمال لبرنابا بالصلاح والإيمان «لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس بالإيمان»(٢).

أما إنجيله فقد نشر محمد رشيد رضا في سنة (١٩٠٨م) نسخة مترجمة عن أصل إيطالي وجدت في المكتبة الإمبراطورية «بفينا» تنسب إلى برنابا فيها حقائق مغايرة لما في الأناجيل الأربعة الحالية.

---

(١) انجيل برنابا١: ١-٨.

(٢) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ،محمد الحاج،ص٢٨١ - ٢٨٢ أصول المسيحية،د/ داوود علي الفاضلي ص ١٥١.

وقد عرض المترجم خليل سعادة[1] مناقشة هادئة حول هذا الإنجيل في مقدمة ترجمته له، وبين أن علماء أوروبا بحثوا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة. وتضاربت آراؤهم حول مؤلفها وتاريخ تأليفها وقد لخص هذه الآراء في مقدمته التي وضعها لترجمة هذا الإنجيل إلا أنه توصل إلى أن كاتبه ربما يكون يهودياً ثم تنصر ثم أسلم بعد ذلك ثم وضع هذا الإنجيل.

وقد ناقش هذا القول جماعة من الباحثين أقتصر على مناقشة الدكتور محمد الحاج لإنجيل برنابا إذ يقول: «وفي نهاية هذا الموضوع أود أن أذكر الأدلة التي تؤيد نسبة هذا الإنجيل إلى (برنابا) واستحالة أن يكون واضعه مسلماً أو أنه وضع بعد بعثة نبينا محمد r . ومن هذه الأدلة:

١- قضية الخلاف التي ذكرناها بين (بولس) و (برنابا)، والتي كانت حول البدع والانحرافات التي أدخلها بولس للمسيحية، هذه القضية جعلت (برنابا) يقوم بهذا العمل، وهو كتابة إنجيل يضم حياة المسيح وأعماله وعقيدته، وتعاليمه، حتى يحذروا من المبتدعين والمنحرفين.

٢- لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين في القديم أو الحديث، ولا في فهارس الكتب العربية القديمة عند العرب أو الأعاجم أو المستشرقين، الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة.

٣- وجود هذا الإنجيل في بيئة نصرانية خالصة، والتتبع التاريخي له يؤكد ذلك فقد عثر عليه (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا، حيث أخذه من أحد مشاهير مدينة (أمستردام)، ثم انتقلت هذه النسخة إلى البرنس (أيوجين سافوري) الذي انتقلت مكتبته إلى مكتبة البلاط الملكي في (فينا)، ومن قبل (كريمر) عثر عليه الراهب[2] (فرامرينو) حيث وجدها في مكتبة البابا (سكتس الخامس)، وهذا كله يؤكد أن النسخة قد بقيت في بيئة مسيحية بعيدة عن العالم الإسلامي.

٤- مرسوم (جلاسيوس) سنة (٤٩٢م) الذي يذكره المؤرخون، والمتضمن قائمة الكتب الممنوعة ومنها (إنجيل برنابا) و لم نجد أدلة على نفي هذا المرسوم.

٥- موافقة بعض موضوعات هذا الإنجيل للقرآن الكريم لا تدل على أنه من وضع مسلم، فـ (برنابا) عاش مع السيد المسيح u ، وسمع منه هذه الموافقة، ولا غرابة أن تكون هذه معروفة عند نبي الله عيسى u [3].

---

(١) نصراني لبناني عاش في مصر قام بترجمة هذا الإنجيل إلى العربية عن النسخة الإيطالية ، وترجمتها الإنجليزية وقام بنشره الشيخ (محمد رشيد رضا) في دار المنار.

(٢) الراهب: من النصارى ساكن الدير، لغرض ديني، أساسها « الطاعة والفقر والتبتل» الموسوعةالميسرة٢/١٠٦٩.

(٣) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ،محمد الحاج،ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

٦- وينقل إبراهيم خليل عن د. تشارلز فرنسيس بوتر «أن إنجيلا يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول، والمخطوطات التي اكتشفت حديثاً في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل».

ويباين هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في أمور جوهرية هي:

١- ينكر إلوهية المسيح وكونه ابن الله، وذلك على مرأى من ستمائة ألف جندي، وسكان اليهودية من رجال ونساء وأطفال.

٢- الابن الذي عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله هو إسماعيل لا إسحاق.

٣- أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع، بل محمد، وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول، وقال إنه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

٤- أن يسوع لم يصلب بل حمل إلى السماء، وأن الذي صلب إنما كان يهوذا الخائن الذي شبه به، وجاء مطابقاً للقرآن (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) [(١)].

وهذا الإنجيل لا يقدم عند المسلمين شيئاً ولا يؤخر، وبين أيديهم النور المبين والصراط المستقيم القرآن الكريم، وهو آخر الكتب نزولاً، وأوسعها حجة وبرهانا، ولا يسع أحداً الإيمان بعد نزوله والسماع به، دون أن يؤمن به ويصدق نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

مسألة إثبات أن القرآن الكريم كلام الله آخر الكتب السماوية نزولاً:

في معرض الجدل مع أهل الكتاب ومقارعة الشبهة بالحجة، لعدم إيمانهم بالقرآن الكريم تبرز أهمية بيان أنه آخر الكتب السماوية نزولاً، وأنه ناسخ لما قبله من الكتب ومهيمناً عليها قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [سورة المائدة ، ٤٨]

وهو برهان نبوة محمد r الساطع، وأظهر علامات النبوة على الإطلاق، وهو كلام رب العالمين، نزل به جبريل u ، وحفظه الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا في الصدور وفي السطور.

---

(١) انظر: أصول المسيحية، د/ داوود علي الفاضلي. ص ١٥١. وانظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، ص ٢٨١ - ٢٨٨.

ومما يدل على صدق كونه كلام الله أموراً منها:

١) كونه على درجة عالية في البلاغة والفصاحة، وأن العرب عجزت أن تأتي بمثله أو بسورة من مثله، وتحداهم الله بهذا رغم أنهم غاية في البلاغة والفصاحة قال تعالى في آخر معجزات التحدي: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [سورة البقرة، ٢٣] وقال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [سورة الإسراء ٨٨]

٢) أنه اشتمل على الإخبار بالأخبار الماضية والمستقبلة وقد كانت كما أخبر. فأخبر عن الأمم الماضية كقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأخبر عن آدم وخلقه وسكناه الجنة ثم إخراجه منها، والملائكة وإبليس وإهلاك بعض الأمم المكذبة وغيرها، مما هو موجود عند أهل الكتاب، وبقي على ما هو عليه بلا تبديل أو زيادة أو نقصان. والرسول ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يأخذها من كتاب بأصدق بيان.

وأخبر عن الأمور المستقبلة فكانت كما أخبر مثل إخباره عن فتح مكة ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [سورة الفتح، ٢٧] وانتصار فارس على الروم﴿**الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾ [سورة الروم ١-٣]

٣) أنه لا يحتوي على أمور كاذبة ولا متناقضة مع أنه كتاب كبير، ومشتمل على شتى العلوم قال تعالى:﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [سورة النساء ٨٢]

٤) الخشية التي تلحق القلوب عند سماعه، وقد تعتري من لا يفهم معانيه ولا تفسيره، ولربما أخذت القلب ويسلم لأول وهلة عند سماعه . مثل أن جعفراً بن أبي طالب لما قرأ القرآن على النجاشي وأصحابه بكى وبكوا جميعاً من خشيته قال تعالى:﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [سورة المائدة ٨٣]

٥) كونه معجزة باقية إلى قيام الساعة، تكفل الله بحفظه، ويسره للصغير والكبير والعربي والأعجمي قال تعالى :﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [سورة القمر ١٧]

٦) واشتمل على وجوه عديدة من الإعجاز مع اجتماع الوحي المدعى، والدليل المعجز على النبوة معاً.

فمن وجوه الإعجاز فيه ما يلي:

أ- **الإعجاز البياني:** ويشمل الإعجاز البياني إعجاز القرآن من حيث: اللفظ، المعنى، النظم، التصوير الفني.

ب- **الإعجاز الإخباري:** ويتجلى الإعجاز الإخباري في المجالات التالية: قصص السابقين وأخبارهم، الغيبيات: كالجنة والنار والمعاد وخلق العالم والإنسان، التنبؤات بالأمور المستقبلية.

ج- **الإعجاز التشريعي:** ويقوم الإعجاز التشريعي في القرآن على الاعتدال والوسطية، وإلى جانب ذلك تبرز وجوه أخرى؛ منها: المرونة، الشمول، اليسر.

د- **الإعجاز العقلي:** ويتجلى وجه الإعجاز العقلي في القرآن في خطابه العقل على نحو يستصرخ الفهم والفكر، ويشركه مع العواطف والإحساس في إرشاد الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية. وذلك باشتماله عناصر ثلاثة شكلت جوهر خطابه العقلي، وهي: خلوه من التناقض والاختلاف، طريقته في الاستدلال بالبراهين والموازين والدلائل العقلية، ما اشتمل عليه من أصول المعارف والنظريات والمباحث.

هـــ- **الإعجاز العلمي:** وتتعدد نواحيه لتشمل معظم مجالات العلم: كالفلك والطب والجيولوجيا والزراعة وعلم النبات والحيوان والتناسل والاقتصاد والتجارة والتاريخ والحضارة والبحار...إلخ، حتى بات من المؤكد أن: «القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث»(١).

وهو مادعى العالم النصراني بوكاي بعد أن عرض لدراسة مفصلة عن الكتب السماوية عند الحديث عن نصوص القرآن، تاريخيتها ومدى تطابقها مع معطيات العلم الحديث، وأثبت أصالتها وانسجامها مع الحقائق العلمية فيقول «إن لأصالة نص القرآن مكانة منفردة بين كتب الوحي لا ينازعه فيها العهد القديم ولا الجديد» (٢).

فهذا هو القرآن الكريم ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [سورة فصلت ، ٤٢]

---

(١) انظر : المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٢٤٠، ص ٤٥٧ وانظر إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ص ٢٩٣-٣١١.

(٢) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ،محمد الحاج ص٨٠.

وهو دعوة الرسول r إلى جميع الناس الإيمان به والعمل بأحكامه وعقائده: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [سورة المائدة ٤٨]

وأن من يقول بخلافه إنما يتبع الباطل والظن ﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [سورة الأنعام ١٤٨]

وأخيراً: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾ [سورة المائدة ١٥]

﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [سورة المائدة ١٩]

﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [سورة المائدة ٧٧]

المبحث الثالث
موقف النصارى من الرسل

المطلب الأول : عرض موقف النصارى من الرسل

يؤمن النصارى برسالة الرسل إيمانا منحرفاً كما هو إيمانهم بجميع أركان الإيمان.

وفي هذا المطلب أتحدث عن إيمان النصارى بالرسل فيما يلي:

أولاً: الإيمان بالرسل إجمالاً:

يؤمن النصارى بالرسل على وجه الإجمال، بأن الله يبعث من يشاء من خلقه رسولاً إلى أمة من الأمم، كإيمانهم برسالة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء المذكورين في الكتاب المقدس.

وعندما يعرفون الأنبياء يقولون: أنبياء العهد القديم أشخاص دعاهم الله بطريقة فريدة، وأعطاهم رسالاته بطريقة خارقة للطبيعة والنبوة تتضمن نبوات مستقبلية، وإعلاناً حاضراً وتوصيات لكلمة الله. ولقد أعطي الأنبياء موهبة من الروح القدس[١].

فالعهد القديم ذكر الأنبياء فيه وهو مستند النصارى في التعريف بهم وبأخبارهم. أما الإنجيل فذكر عددا من الأنبياء ومر عليهم بلا تفصيل، وعدداً آخر من الأنبياء ركز على سيرتهم ونبوءاتهم تركيزاً واضحاً، وذلك اعتقاداً من المفسرين المسيحيين، أن هؤلاء الأنبياء بشروا بقدوم الله الإنسان، بل إن الإنجيل جعل بعضهم في خدمة دعوة المسيح، وتمهيداً لقدومه كالنبي يوحنا.

وهؤلاء الأنبياء يجمعهم العهد القديم التوراة باستثناء زكريا ويحيى باعتبار أن تدوين التوراة اكتمل قبل عصرهما[٢].

مكانة الأنبياء في الكتاب المقدس:

للأنبياء مكانة عند النصارى من التقديس والإجلال، بشكل مجمل أما في حين تفصيل أخبارهم فهم ينتقصون بعضا منهم.

في العهد القديم قصص وأخبار ترمز إلى نقائص وقعت من بعض الرسل والأنبياء مثل: شرب لوط للخمر عندما سقته ابنتاه ليكون لهما ولد منه[٣]. وشرب نوح الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه حتى أبصره ابنه حام[٤].

---

(١) الإيمان المسيحي، سبرول، ص٢١ .

(٢) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش ٨٣/٢.

(٣) انظر : التكوين ١٩: ٣٠-٣٨.

(٤) انظر : التكوين ٦: ٩ ، ٩: ٢٠-٢٢.

كما ينسب الكتاب المقدس عدة أخبار زنا وقتل وخداع وقعت من الأنبياء مثل خبر داود عليه السلام[١]، وسليمان[٢]. وغيرها كثير مما اشتمل عليه الكتاب المقدس فيما ينسبه إلى الأنبياء عليهم السلام مما لا يمكن ذكره.

وحتى ما جاء به موسى u وما أنزل عليه من ربه يعتبره المسيحيون ناقصاً وتمهيدياً فيقولون: «كان العديد من الأنبياء الحقيقيين قد سبقوا مجيء المسيح وجميعهم تكلموا بكلام الله للشعب، لكن ما أوحى الله لهم به كان ذا طبيعة تمهيدية وغير مكتملة. لقد كانوا جميعاً يرمزون للمسيح النبي الأعظم الذي كانوا قد أتوا من أجل التمهيد لمجيئه»[٣].

ثانياً: الإيمان بعيسى u :

النصارى الأوائل آمنوا برسالة عيسى u إلى بني إسرائيل إيماناً صحيحاً كما قال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾ [سورة الصف ١٤]

ثم انحرف إيمان النصارى بعيسى إلى القول بإلوهيته.

وسوف أقتصر على إيمان النصارى بعيسى بعد دخول التحريف وخصوصا ما بقي من معتقداهم إلى الوقت الحاضر في النقاط التالية.

١) عقيدة حياة المسيح الأزلية قبل ميلاده:

يعتقد النصارى حياة المسيح الأزلية، وهو قولهم يجب أن ندرك حقيقة وجوده قبل أن يولد، كان موجوداً منذ الأزل كابن الله، وأنه لا بداية له ولا نهاية، كما يقول بولس في كولسي «الذي هو قبل كل شيء»[٤].

ولذلك فإن خدمته ممتدة إلى الأبد ولم تنته عند الموت، ولا توجد بداية أيام للمسيح لأنه كائن منذ الأزل ويقول الرب في أشعياء « إنه ساكن الأبد»[٥].

---

(١) انظر الملوك الأول ١: ١١.

(٢) انظر الملوك الأول ١: ١-٤.

(٣) القس مينس عبد النور هل تجسد الله ص ٨٥ نقلاً من العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش ٢ص ٨٦.

(٤) رسالة بولس إلى أهل كولسي ١: ١٧.١: ١٧.

(٥) أشعيا ٥٧: ١٥.

وفي يوحنا «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[١] وهو لم يتغير منذ الأزل ولن يتغير أبداً« يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد»[٢].

وتشير كلمة (أمس) إلى الأيام التي سبقت تجسده ومجيئه إلى الأرض و (اليوم) تشير إلى هذه الأيام التي نعيشها وتعيشها الكنيسة و (إلى الأبد) تشير إلى ملكه الألفي على الأرض والأبدية في السماء الجديدة والأرض الجديدة. وثمة برهان آخر يثبت وجود المسيح منذ الأزل هو كونه شريكاً في خلق الأرض فقيل في كولوسي «فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى... الكل به وله قد خلق...»[٣].

والمسيح هو يهوه العهد القديم وقد أعلن ذلك لليهود بقوله «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»[٤].

وهو الذي ظهر لموسى والأنبياء الآخرين في العهد القديم يقول بولس «وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم ، والصخرة كانت المسيح »[٥].

٢) حياة المسيح على الأرض:

بدأت حياة المسيح على الأرض بأمر معجزي وهو ولادته من عذراء من غير أب.

وعقيدة ميلاد يسوع العذراوي، تقول بأن ميلاد يسوع كان نتيجة حبل معجزي من خلاله حملت العذراء مريم بطفل في بطنها بقوة الروح القدس، بدون أب بشري. وميلاد المسيح المعجزي يقول لنا الكثير عن طبيعته.

أما وأنه ولد من امرأة فيبين أنه حقاً إنسان وأصبح واحداً منا. ومع ذلك فإن بشرية المسيح لم تكن كبشريتنا تماماً. فقد ولدنا نحن بالخطية الأصلية، ولكن هذا لا ينطبق على المسيح. والميلاد العذراوي له أيضاً علاقة بإلوهية المسيح. وفي حين أنه من المؤكد أن باستطاعة الله أن يدخل العالم بطريقة أخرى غير الميلاد العذراوي، ولكن معجزة ميلاد المسيح تشير إلى إلوهيته. وإعلان الملاك جبرائيل لمريم يبرز هذه النقطة. فحين أخبر مريم أنها ستلد ابناً، اضطربت مريم وقالت: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً»[٦]. وكان رد جبرائيل الملاك على مريم حاسماً وله دلالته لفهمنا الميلاد العذراوي: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله»[٧]، وبعد ذلك بلحظات أضاف الملاك قوله: «لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله»[٨].

---

(١) يوحنا ١: ١.

(٢) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٣: ٨.

(٣) رسالة بولس إلى أهل كولسي ١: ١٦-١٨.

(٤) يوحنا ٨: ٥٨.

(٥) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ١٠: ٤ . انظر بتصرف : حياة المسيح دراسة تفصيلية ، د برايان ص ٨-٩ .

(٦) لوقا ١ : ٣٤.

(٧) لوقا ١ :٣٥.

(٨) لوقا ١ : ٣٧.

وأولئك الذين لا يؤمنون بالميلاد العذراوي لا يؤمنون عادة أن يسوع هو ابن الله بالحقيقة. وهكذا فإن الميلاد العذراوي هو عقيدة تعد حداً فاصلاً، يفصل بين المسيحيين من ذوي الرأي المستقيم عن أولئك الذين لا يؤمنون بالقيامة والكفارة[١].

وقد صاحب هذا الميلاد قبله وبعده أمور كانت دليلاً على إلوهيته ومنها:

- إعلان جبرائيل لزكريا عن ميلاد يوحنا على كبر سن وزوجة كانت عاقر [٢].
- إعلان جبرائيل لمريم عن ميلاد يسوع[٣].
- التجسد وهو أن يأخذ ابن الله طبيعة الإنسان بعمل الروح القدس[٤].
- إعلان جبرائيل ليوسف النجار عن ميلاد يسوع[٥].
- تسبيح الملائكة لولادته[٦].

وبعد مقدمات الميلاد كانت الولادة في بيت لحم في مذود[٧]. ويرى النصارى أن الولادة كانت في مذود دليل على تواضعه.

يقول (د.برايان): «ياله من مكان متواضع يولد فيه يسوع، وبالسعادة وفرحة السماء بملك الملوك المولود في مذود بين الحيوانات»[٨].

ثم أتت أمور بعد ذلك متلاحقة مما لها دلالة على ولادة طفل عظيم يكون له شأن في بني إسرائيل ومن ذلك:

- ظهور نجم في المشرق عند ولادته. مما يدل على أن ملك اليهود قد ولد[٩].
- سجود مجوس[١٠] المشرق له[١١].
- أمر ملك الرومان بقتل كل صبي ولد في تلك السنة ثم الهرب به إلى مصر بظهور ملاك ليوسف النجار يأمره بذلك[١٢].

---

(١) الإيمان المسيحي ،سبرول ، ص٩٣-٩.

(٢) لوقا ١: ١١-٢٠.

(٣) لوقا ١: ٢٦-٣٣.

(٤) لوقا١: ٣٤-٣٨. وانظر : حياة المسيح دراسة تفصيلية ، د . برايان ص ١٤ .

(٥) متى ١: ٢٠-٢٣.

(٦) لوقا ٢: ١٣-١٤.

(٧) انظر: لوقا ٢: ٦٠٧

(٨) د/ برايان ج بايلي ، حياة المسيح ، ص ١٧.

(٩) متى ٢: ١-١٠.

(١٠) المجوس: تطلق على ديانة وثنية ثنوية تقول بإلهين، أحدهما للخير والآخر للشر. الموسوعة الميسرة٢/١١٤٩.

(١١) متى ٢: ١١-١٢.

(١٢) متى ٢: ١٣-١٨.

٣) خدمة المسيح على الأرض:

خدمة المسيح تعتبر المرحلة الثانية من حياته على الأرض وتبدأ بتعميد يوحنا المعمدان له[١].

يقول قاموس الكتاب المقدس: «عندما بلغ يسوع الثلاثين من العمر حوالي (عام ٢٧ الميلادي) ترك الناصرة واعتمد من يوحنا المعمدان، وبعمله هذا أعلن جهاراً أنه قد تقبل عمله المجيد كالمسيا وكابن الله الوحيد والمخلص الذي مع أنه بلا خطيئة تماماً إلا أنه حمل خطيئة البشر»[٢].

ثم تجربة يسوع في البرية أربعين يوماً[٣].

يقول قاموس الكتاب المقدس عنها: «وبهذا اليقين في قلبه اقتيد يسوع إلى برية اليهودية لكي يجربه إبليس حتى يثبت كفايته كمخلص البشر وأهليته لهذا العمل العظيم، فكان عليه أن يبرهن أولاً على طاعته المطلقة من غير قيد ولا شرط للآب السماوي ويدلل على قدرته في الانتصار على المجرب،... إلى أن يقولون وخرج من التجربة ظافراً غالباً معلناً للعالم بأنه حقيق لأن يكون ابن الله الوحيد ومخلص العالم بغير منازع» [٤].

وملخص التجربة أنه انتصر على إبليس (المجرب) ثلاث مرات ففي الأولى: بعد صيام أربعين يوما وأربعين ليلة جاع أخيرا فقال له إبليس: إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً، فرفض.

وفي الثانية: أخذه إلى الهيكل وقال إن كنت ابن الله فاطرح نفسك لأنه يوصي الملائكة بك أن يحفظوك، فرفض.

وفي الثالثة: أخذه إلى جبل عال وأراه جميع ممالك العالم وقال له أعطيك إياها إن سجدت لي سجدة، فرفض وقال اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

وبهذا تركه إبليس وأتت الملائكة فصارت تخدمه[٥].

وبعد أن انتصر فيها على الشيطان بدأت دعوته والتي أهم ما فيها هو تخليص بني إسرائيل من خطيئة آدم المتوارثة في البشر كما مر بنا في الفصل السابق.

ومما جاء في الإنجيل يبين نبوته قول متى: «ولما دخل أورشليم ضجت المدينة كلها وسألت عن هذا: فأجابت الجموع هذا النبي يسوع من ناصرة الجليل»[٦].

---

(١) متى ٣ : ١٣-١٧، يوحنا ١: ٣٢-٣٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٦.

(٣) متى ٤: ١-١٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٦.

(٥) انظر متى ٤: ١- ١٤ .

(٦) ٢١: ١٠-١١.

وقد كان معه أمران يؤيد بهما دعوته:

الأول الإنجيل:

وقد ذكر في الكتاب المقدس عدة مرات أن المسيح كان يبشر بالإنجيل في بني إسرائيل، ومن تلك النصوص ما ورد في إنجيل مرقس: «وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»[١].

والثاني المعجزات:

في الكتاب المقدس من بدء خدمة يسوع ظهرت على يديه معجزات بقدرته وإرادته، كانت دليلاً على اعتبار قوله أنه إله وابن الله، وأنه مخلص البشرية، ومن تلك المعجزات المبثوثة في الأناجيل ما يلي:

- تحويل الماء إلى خمر وهي أول معجزاته[٢].
- تكثير الطعام القليل فقد أشبع خمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين[٣].
- و أربعة آلاف رجل من سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك[٤].
- شفاء المرضى فقد شفى عميان ومشلولين ومجذومين وعرج وغيرهم من أحوال خاصة كشفاء المرأة الكنعانية وأحوال كثيرة مبثوثة في الكتاب المقدس[٥].
- إحياء الموتى وقد أحيا أشخاصاً منهم ابن الأرملة[٦]. ولعازر[٧].
- مشي يسوع على الماء[٨].
- صيد السمك الكثير(١٥٣سمكة) مع عجز التلاميذ عن صيد سمكة واحدة[٩].
- تهدئة العاصفة.عندما هبت عليه هو وتلاميذه في البحر[١٠].

وبهذا فإن المعجزات التي عملها يسوع هي أمور خارقة للطبيعة. وتؤكد حقيقة أن المسيح ابن الله يقول كاتب حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: «تشير المعجزات إلى أعمال يعملها الله وتكون خارقة

---

(١) ١:١٤.

(٢) يوحنا ٢: ١-١١ وانظر: حياة المسيح دراسة تفصيلية، د. برايان ص ٣٧.وانظر: موقف اليهود والنصارى سارة ص ١٧٩.

(٣) يوحنا ٦: ١-١٥.

(٤) مرقس ٨: ١-١٠.

(٥) وانظر: حياة المسيح دراسة تفصيلية ، د . برايان .

(٦) لوقا ٧: ١١-١٧.

(٧) يوحنا ١١: ١- ٤٤.

(٨) متى ١٤: ٢٢-٣٦.

(٩) يوحنا ٢١: ٣-١٤.

(١٠) انظر:لوقا ٨: ٢٢-٢٥.

للطبيعة... فتحويل يسوع الماء إلى خمر أو إقامة لعازر من الأموات، من أمثلة عمل الله الخارق للنواميس التي وضعها للطبيعة. ولا يمكن أن توجد تفسيرات طبيعية لهذه الأحداث وكانت تؤيد حقيقة أن المسيح هو ابن الله القدوس»(١).

وقد اشتملت حياته على الأرض قيامه بالدعوة والتبشير بملكوت الله، والذي كانت معظم مواعظه ووصاياه تدور حول دعوة الناس إليه، وهذا ما خيب ظن اليهود فيه إذ كانوا ينتظرون المخلص لهم وأن يكون ملكاً يملكون به الأرض، وليس نبياً يزهد الناس في الدنيا وانتظار ملكوت آخر وليس الحياة الدنيا المادية العاجلة، وهذا مما جعل أعداءه من اليهود يقومون بتدبير المكيدة له للتخلص منه والتي هي موضوع الحياة الثالثة للمسيح على الأرض، والتي بنهايتها تم موضوع خلاص البشرية من تبعات الخطيئة المتوارثة في البشرية.

٤) حياة المسيح الأخيرة على الأرض:

والتي هي باختصار: (٢)

دارت حول كيد اليهود به إلى الحاكم الروماني (بيلاطس) ثم محاكمته وانتهت بصلبه كما يقولون: تعين على يسوع أن يجتاز ست محاكمات... **أولاً:** محاكمات اليهود١-أمام حنان.٢- أمام قيافا. ٣- أمام السنهدريم.

ثانياً: محاكمات الرومان ١-أمام بيلاطس.٢- أمام هيرودس. ٣- مرة أخرى أمام بيلاطس. (٣) وبمحاكمة يسوع انتهى الأمر إلى صلبه ومكابدة الآلام ثم موته على الصليب وبعد ذلك دفنه في الأرض.

غير أن المسيح ابن الله ما كان ليأتي من جوار أبيه من السماء ليبقى في الأرض، ولكن لا بد أن يعود إلى جوار أبيه، وفي هذا المعنى يتجلى آخر فصول حياته على الأرض ألا وهو قيامته، ثم صعوده إلى السماء ليعود مرةً أخرى إلى السماوات العلا بعد أن أكمل المسيح خدمته على الأرض(٤).

يقول (د. برايان): «ياله من حق رائع ! لقد أكمل المسيح رأس الكنيسة خدمته. والآن على جسد المسيح أي الكنيسة أن تكمل دعوتها والغرض من وجودها على الأرض»(٥).

---

(١) الإيمان المسيحي ،سبرول ،ص٧٤.

(٢) كما ذكرت بتوسع في الفصل الأول عند الحديث عن عقيدة النصارى في صلبه u .

(٣) انظر : حياة المسيح دراسة تفصيلية ، د . برايان ص ١٣٢.

(٤) وقد تم مناقشة عقيدة النصارى في قيامة المسيح بشيء من التفصيل في الفصل السابق.

(٥) حياة المسيح دراسة تفصيلية ، د . برايان ص ١٤٦.

وبقيت أمور جديرة بالذكر حول عقيدة النصارى في عيسى **u** والتي أوجزها في المحاور الآتية:

١- حول طبيعة المسيح:

يختلف النصارى في طبيعة المسيح فمنهم من يرى أن له طبيعتين مختلفتين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ومنهم من يرى أنه طبيعة واحدة .

ومنشأ الخلاف هو القول بإلوهيته، إذ لما قالت النصارى أنه إله ورأوا أنه كغيره من البشر يأكل ويشرب ويمشي بين الناس أشكل عليهم ذلك وبدأ الخلاف حول طبيعته.

فقال الكاثوليك أنه ذو طبيعتين ومشيئتين فالمسيح أقنوم إلهي بحت ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان وهو قول كنيسة (روما) والذي أقره مجمع خلقيدونية (سنة٤٥١م) وأما الأرثوذكس فيقولون بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ففي المسيح أقنوم واحد تم بعد الإتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج وكان قول الأرثوذكس رد فعل لقول الكاثوليك وبهذا انفصلت الكنائس الشرقية عن الكنائس الغربية[١].

وقد جاء كلا القولين في الإيمان المسيحي غير أنه اعتبر القول بالطبيعة والمشيئة الواحدة هرطقة.

فيقول: «أما وأن الله الابن أخذ طبيعة بشرية حقيقية فهذا تعليم أساسي للمسيحية التاريخية. والمجمع المسكوني الكبير الذي عُقد في خلقيدونية (سنة٤٥١م) أكد أن يسوع إنسان حق وإله حق، وأن الطبيعتين في المسيح متحدتين دون اختلاط أو امتزاج أو فصل أو انقسام، وكل طبيعة منها احتفظت بصفاتها الخاصة.. ثم يقول: هرطقة القائلين بالطبيعة الواحدة تتضمن إضفاء الصفات الإلهية على الطبيعة البشرية، وهكذا تخفي إلوهيته بشريته... ويبين أن طبيعة يسوع البشرية كانت تقيدها حدود البشر العاديين مثلنا، ماعدا أنه كان بلا خطية»[٢].

٢- إلوهية المسيح:

الإيمان بإلوهية المسيح أمر ضروري لكون الإنسان مسيحياً. وهو جزء أساسي من إنجيل العهد الجديد للمسيح. ومع ذلك كانت الكنيسة تُجبر في كل قرن على التعامل مع أُناس يدعون أنهم مسيحيون في الوقت الذي ينكرون فيه إلوهية المسيح أو يشوهونها. وثمة أربعة قرون في تاريخ الكنيسة كانت إلوهية المسيح فيها موضوعاً حاسماً وعاصفاً (داخل) الكنيسة. وهذه القرون هي: الرابع، الخامس، التاسع عشر، والقرن العشرين. وحيث أننا نعيش في أحد القرون التي هاجمت فيها الهرطقة الكنيسة، فكان أمراً ملحاً أن نحمي اعتراف الكنيسة بإلوهية المسيح[٣].

---

(١) انظر المسيحية، شلبي ،ص ١٩٢-١٩٥ . وأبو زهرة١٢٦-١٣٠.

(٢) الإيمان المسيحي ،سبرول ،ص٨٩-٩٠.

(٣) الإيمان المسيحي ،سبرول ،ص٨٥.

٣- خضوع المسيح:

إن ثقافتنا تساوي الخضوع بعدم المساواة. غير أن الأقانيم الثلاثة في الثالوث القدوس متساوية في الطبيعة والكرامة والمجد. فالأقانيم الثلاثة أبدية، ذاتية الوجود، ومشتركة في كل نواحي الإلوهية وصفاتها. ومع ذلك فإنه في خطة الله للفداء، تطوع الابن بأن يقوم بدور الخاضع للآب. فالآب هو الذي أرسل الابن إلى العالم. ونزل الابن في طاعة إلى الأرض ليعمل مشيئة الآب(١).

٤- دينونة المسيح:

وفيما جلس يسوع عن يمين الله، فإنه لم يمارس دوره كملك للملوك فقط، بل وأتم أيضاً دوره كديان العالم. فهو ديان كل الشعوب والأمم. وسوف يعود مرة أخرى ليدين الناس يوم القيامة أمام الخلائق كما سيأتي(٢).

هذه أبرز معتقدات النصارى في المسيح u باعتبار رسالته إضافة إلى ما ذكر في الفصل السابق حول أهم الأمور المتعلقة به في عقيدة التثليث والصلب والرفع.

ثالثا: عقيدة النصارى في الرسل:

«التعريف الذي أظنه يناسب المفهوم المسيحي لظاهرة النبوة... هو: (أن النبوة هي التحدث باسم الروح) كتعريف شامل للظاهرة تنضوي تحت ظلاله جميع عناصرها»(٣).

فيعتقد النصارى بالرسل وهم من أرسلهم المسيح u رسلاً يبشرون بعده الأمم بالخلاص وملكوت السماء.

وهؤلاء الرسل من خلال كتب النصارى يمكن تقسيمهم إلى قسمين:

الأول: الرسل الاثني عشر:

وهم من كانوا في حياة المسيح ويجب أن تتوفر فيهم متطلبات الرسولية التي حددت في سفر الأعمال. «حيث تضمن معيار الرسولية ما يأتي:

- أن يكون تلميذاً ليسوع إبان خدمته بالجسد على الأرض.
- يكون شاهد عيان للقيامة.
- يكون قد دعي وكلف بواسطة المسيح مباشرة»(٤).

والرسل الاثني عشر هم الذين تنطبق عليهم هذه المعايير وهم رسل المسيح الذين أرسلهم إلى الأمم كما في الكتاب المقدس: «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر... هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع

---

(١) انظر: الإيمان المسيحي ،سبرول ،ص٨٧-٨٨.

(٢) انظر: الإيمان المسيحي ،سبرول ، ص١٠٥ وسوف يكون الحديث عن مجيئه ودينونته الخلائق في مبحث اليوم الآخر .

(٣) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٢١٥.

(٤) الإيمان المسيحي ،سبرول ص ٢٤١. وانظر: المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٢١٥-٢٢٣.

وأوصاهم قائلا: (إلى طريق أمم لا تمضوا ،وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)» [١].

ويعتقد النصارى وجوب طاعتهم لأن«رفض السلطان الرسولي معناه رفض سلطان المسيح الذي أرسلهم»[٢].

والرسل الاثني عشر كان من بينهم يهوذا الخائن وبعد خيانته وموته انتخب الرسل متياس بالقرعة بدلاً منه[٣].

وترى المصادر النصرانية أن الرسل قاموا بالمعجزات، وهذا دليل إضافي على ألوهية المسيح، فالمعجزة التي شفى بها بطرس الرجل الأعرج الواقف على باب الهيكل فعلها بطرس باسم المسيح، إذ قال للرجل باسم يسوع الناصري قم وامش[٤].

الثاني: الرسول بولس:

وقد اعتبره النصارى رسولاً بعد رفع المسيح **u** رغم عدم انطباق الشروط عليه.

وسبب قبول الكنيسة له هو أنه «دعي رسولاً بواسطة المسيح مباشرة. والرسل الآخرون أكدوا دعوته، كما أن رسوليته لم تكن موضع شك؛ بل تم التصديق عليها بواسطة المعجزات التي أجراها الله بواسطته، مصادقاً على سلطانه كرسول للإعلان الإلهي»[٥].

فمن هو الرسول بولس؟ وكيف قبل في الكنيسة؟

ورد في الكتاب المقدس تفصيل لحياة بولس ويتضح منه أن مولده كان في طرسوس وتربى في أورشليم، وأن اسمه الأصلي شاول. وأنه كان يهودياً شديد العداوة للنصارى، ثم تحول إلى النصرانية بصورة عجيبة ومفاجئة، يحدثنا عنها سفر أعمال الرسل فيقول: أما (شاول) فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول!! لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، ثم يذكر الإصحاح أنه نهض عن الأرض وهو مفتوح العينين لا يبصر، ومكث كذلك ثلاثة أيام، فلم يأكل

---

(١) متى ١،٥:١٠-٦، وانظر متى:١٠: ١- ٤٢، وانظر: مرقس٣: ١٣-، وانظر:١٩ لوقا ٦: ١٢- ١٦ .

(٢) الإيمان المسيحي ،سبرول ص ٢٤١.

(٣) انظر: أعمال الرسل ١: ١٥- ٢٦.

(٤) أعمال الرسل ٦:٣.

(٥) الإيمان المسيحي ،سبرول، ص ٢٤٢.

ولم يشرب. وكان في دمشق تلميذ اسمه (حنانيا) فأوحى إليه الرب أن يلتقي مع (شاول)،ليضع يديه عليه ليبصر، فجاء إليه، فوضع يديه عليه فأبصر، ووقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى، وكان شاول مع التلاميذ في دمشق أياما، وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون. ولما جاء إلى أورشليم خافه التلاميذ إلى أن أخذه برنابا، وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب؟ وكيف كلمه؟ وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع؟.

وبعد ذلك قبله التلاميذ، فكان معهم يدخل ويخرج ويجاهر باسم يسوع[(١)].

ثم بدأت رحلاته للتبشير بملكوت الله، ودعوة الأمم أن المسيح ابن الله، و كتب الرسائل وبعث بها إلى أقطار شتى، كما ظهر ذلك من كتاباته في العهد الجديد.

ويبقى السؤال على من تلقى بولس تعاليمه؟

لم يبين سفر الأعمال على من تلقى بولس مبادئ النصرانية التي أخذ يبشر بها، والتي دونها في رسائله الأربع عشرة.

ومع أن رسائل بولس هي الرسائل التعليمية، بما اشتملت عليه من مبادئ في العقيدة وفي الشعائر، فإن الكتب النصرانية لم تبين أيضاً على من تلقى بولس تلك المبادئ النصرانية التي تضمنتها رسائله. ويبدو من واقع الحال لدى المسيحيين أنهم يعتقدون أنه لم يكن في حاجة إلى تلقي تلك المبادئ، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ للمسيحية إلى مرتبة الرسل المبشرين بها، فصار ملهماً ينطق بالوحي في اعتقادهم، لذلك لم يكن في حاجة إلى التعليم والدراسة، لأن الوحي كفاه مؤونة الدرس والتحصيل. وقد ذكر بولس عن نفسه ذلك في الإصحاح الأول: «وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح»[(٢)].

وبهذا فأن بولس يكون أهم الرسل المعتبرين عند النصارى، كما يظهر من اعتمادهم أقواله والاستدلال بها على عقائدهم.

موقف النصارى من رسالة سيدنا محمد r :

للنصارى في الجملة موقف الرفض لرسالة سيدنا محمد r. وكما هو واقع الحال في العالم منذ بعثته r وإلى يومنا الحاضر وهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمين، في كل حين بما يستطيعونه من وسائل وسبل. سواء بالسيف والسنان، أم بالقلم واللسان. وبما يلقونه من شبهات حول الرسول r، ومنهجه ودينه، وتضليل الآخرين حوله. وكما أشار الكتاب والسنة. ومن ذلك ماحكاه القرآن الكريم من

---

(١) أعمال الرسل ٩: ١-٢٩.

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١: ١١-١٢، انظر: النصرانية والإسلام، الطهطاوي ص٢٤٦ - ٢٤٧.

حروب وقعت بين المسلمين والنصارى، في عهد الرسول r كغزوة (تبوك) [١]. وكذلك قصة المباهلة بين الرسول r ونصارى وفد نجران[٢]. وغيرها.

وكل البشارات التي وردت في الكتاب المقدس أهملها النصارى، إلا ما جاء في إنجيل برنابا ومن ذلك قوله: «ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص، وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان، ولكن إيمانك لا يهن أبدا إن اسمه المبارك محمد حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله ارسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم»[٣].

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم ٣/ ٥٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي - باب قصة أهل نجران ٥/١٧١.

(٣) إنجيل برنابا ٩٧: ١٧- ١٩.

المطلب الثاني
الرد على النصارى في موقفهم من الرسل

إن إيمان النصارى بالرسل إيمان مجمل لم يشفع لهم من كونهم أهل ضلال، و انحراف عن الطريق الحق، مع اعتبار كفرهم لعدم استكمال الإيمان بأركان الإيمان جميعها. فيجب الإيمان بالرسل في الأمور التالية:

أولاً: الإيمان بجميع الرسل:

الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، إجمالاً فيمن أجمل، وتفصيلاً فيمن فصل، من لدن آدم u إلى محمد r، فقد اصطفاهم الله لرسالته هداية لمن أرسلوا إليهم، دون تفريق بين أحد منهم أو الإيمان بالبعض دون البعض الآخر، وبذلك تكتمل وحدة الرسالات الإلهية . قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [سورة النساء ١٥٠-١٥١] وأنه بالرسول محمد r ختمت الرسالات السماوية قال تعالى:﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [سورة الاحزاب ٤٠]

وقوله r :« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»[١]. وكانت رسالته إلى الناس جميعا قال تعالى﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [سورة الاعراف ١٥٨] وفي الحديث «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٢].

ثانياً: اعتقاد عصمة الرسل:

يجب اعتقاد عصمة الرسل وبراءتهم من كل نقص وعيب، وبهذا يعاب على النصارى اعتقاد النقائص التي يعج بها الكتاب المقدس، إذ ينسبون إلى أنبياء الله بما لا يمكن أن يصدر من ذوي المروءة من البشر، فكيف بالصالحين منهم فضلاً عن الأنبياء، كوصفهم بالزنا وأحياناً من المحارم، والخداع، والقتل، وشرب الخمر وغيرها، من الأوصاف التي قد نزه الله عنها رسله، وفضلهم بما يمتازون به من الفضل والصلاح على العالمين.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام ٤/٢٠٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التيمم ، ١/٧٤.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الحج ٧٥]

ثالثاً: انحراف النصارى في عيسى u .

عندما قالوا بإلوهيته وأزليته ومساواته بالرب الرحيم وإنما دعاهم إلى ذلك أموراً منها:

3 القول بأزليتة ليتماشى ذلك مع قولهم بإلوهيته، وهو تخريص وقول على الله بلا علم، وإنما يعتمدون على أدلة أوهى من بيت العنكبوت، لهشاشة القائل وهشاشة المصدر، و لم يأهم عيسى بهذا القول بدليل خلاف أتباعه الشديد نحو اعتقاد إلوهيته وطبيعته، وجميع المعتقدات المتعلقة بهذا الأساس.

فلو أنه جاءهم وهو يقول (إني ابن الله وكنت أزلياً عنده وإنما جئت لأفدي الخليقة) بهذا التصور والبساطة لم يختلف اثنان في هذا الأساس، وبقيت الخلافات الطبيعية في الفروع، أما وأن يقتل في سبيل الاختلاف أشخاص، ويحرم آخرون، فما هذا إلا لفرض اعتقاد على الناس تأباه عقولهم الصريحة، ويأباه دينهم الصحيح. وكل مايتبع القول بالتحريف من جعله سبباً في مجاوزة الحد فيه فهو ادعاء باطل لبطلان الأساس ومن ذلك:

اعتقاد الإلوهية بسبب الميلاد العذراوي وقد جلى الله حقيقة هذا الميلاد بأنه بأمر الله وقدرته الذي إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [سورة آل عمران ٥٩].

واعتقاد أنه الإله الخالق والله تعالى يقول:﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [سورة غافر ، ٦٢]

واعتقاد ظهوره للأنبياء السابقين وما هو إلا بشر من البشر، وكان آخر الأنبياء قبل الرسول محمد r .

3 انحراف أتباع النصارى في تعميم رسالته في العالم، وإنما هي خاصة ببني إسرائيل دون من سواهم، وقد ورد ذلك في الإنجيل فعند متى «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»[(١)].

وورد في إنجيل (متى) عن توجيهه لتلاميذه بنشر الدعوة «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى

(١) متى ١: ٢٠.

خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين قد اقترب ملكوت السموات»[١] وقال تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [سورة آل عمران ٤٩]

وهذا دأب جميع الأنبياء و لم تعمم رسالة نبي إلا نبينا محمد r كما سبق.

3 أما ما صاحب المولد من أمور فهي جميعها اقتباسات من الأمم الوثنية قبلهم كما سيأتي عند المقارنة.

3 قول النصارى أن بداية خدمة يسوع على الأرض ابتدأت بالتعميد ثم بالتجربة أربعين يوماً وبعد الاجتياز استطاع أن يقول للناس إنه ابن الله .

وفي هذا من الضلال مالا يمكن أن يجوز على أولي الألباب، فكيف يتعب ويتعرض للمهالك حتى يقنع الناس أنه ابن الله ولماذا لم يقل مباشرة إني ابن الله ؟! ألم تشفع له تلك المقدمات والخوارق بل لا زال محتاجاً إلى اختبار إبليس له. حتى يثبت كفايته كمخلص البشر وأهليته لهذا العمل العظيم. وهم يقولون« فكان عليه أن يبرهن أولاً على طاعته المطلقة من غير قيد ولا شرط للآب السماوي».

ألم يكن نزوله إلى رحم مريم دليلاً على انقياده!

«خرج من التجربة ظافراً غالباً معلناً للعالم بأنه حقيق لأن يكون ابن الله الوحيد ومخلص العالم بغير منازع».

لماذا لم يقهره وهو الإله القادر؟؟! .

كل هذا مما يدعونا إلى الصدح بما أخبر القرآن عن حقيقته، وما هو إلا رسول من عند الله اختاره كما اختار غيره من الرسل قال تعالى﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**﴾ [سورة الصف ٦]

3 معجزات عيسى u دليل عند النصارى على إلوهيته وهي عند المسلمين دليل على رسالته قال تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [سورة آل عمران ٤٩-٥١]

---

(١) متى ١٠: ٥- ٨.

هذا وقد ورد عند المسلمين من المعجزات، ما لم يرد في مصادر النصارى، كصنعه من الطين على هيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكخبر المائدة .مما يدل على أن مصادرهم دخلها التحريف والتبديل.

وكذلك وجود معجزات عندهم لا يمكن أن تصدق كتحويل الماء خمراً، مع أن الخمر محرم عليهم فكيف يعجزهم بما لا يجوز في شريعتهم. ثم إن معجزات عيسى u ليست بدعاً من الرسل، فقد كان للأنبياء والرسل من المعجزات ماهو أعظم من معجزة عيسى u ، فقد كان من معجزات موسى عليه السلام تحويل العصا إلى حية عظيمة وتأكل مابقي من عصي السحرة قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ**﴾ [سورة الأعراف ١٠٧]

وقال في الأخرى ﴿**أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾ [سورة الأعراف ١١٧]

غير أن تلك المعجزات ما كانت لتكون إلا بإذن الله، ولذلك فإن ورودها في الكتاب المقدس كان يقترن بها الدلالة على عظمة الله، وليس عظمة المسيح .يروي الحواري لوقا قصة شفاء عيسى لصبي كان به روح نجس، كان يتقمصه شيطان فيصرخ الصبي فزعا، وينتابه الصرع والهوس، يقول لوقا «فانتهر يسوع الروح النجس وشفى الصبي وسلمه إلى أبيه، فبهت الجميع من عظمة الله»(١) .

ويحدثنا متى عن مفلوج أتوا به إلى عيسى محمولاً على فراشه لا يستطيع السير أو الحركة «حينئذٍ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك، فقام ومضى إلى بيته، فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا»(٢).

ويقوم عيسى بإحياء ابنة أرملة نايين، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه(٣).

ويعلق مرجان على هذه النصوص وغيرها بقوله: «معجزات مختلفة جرت على يدي عيسى وشاهدها الناس فسعدوا بها وفرحوا لها، ولكن أبصارهم لم تقف عند الأداة التي صنعت المعجزة بل امتدت إلى خالق الأداة ومحركها، امتدت إلى مصدر المعجزات وصاحبها، عرفوا الأصل والمنبع، وردوا الحق إلى نصابه، شفى عيسى الصبي الذي كان يتقمصه الشيطان فبهت الجموع من عظمة الله،لم يندهش الناس من عظمة عيسى و لم يقدسوه أو يؤلهوه، بل بهتوا من عظمة الله مصدر الآيات ومجريها على أيدي عيسى، واستقام ظهر المرأة المنحنية فسارت مستقيمة فمجدت الله، مجدت صاحب السلطان،

---

(١) لوقا ٩: ٣٧-٤٣.

(٢) متى ١٣: ١٠-١٣.

(٣) لوقا ٧: ١١-١٧.

وخالق عيسى الإنسان، وشفى المفلوج ورأت الجموع ذلك فمجدوا الله الذي أعطى عيسى وغيره من المرسلين هذا السلطان على صنع المعجزات.

وعيسى نفسه النبي الصادق الأمين، لم يخدع الناس ولم يوهمهم أنه صاحب المعجزة أو مصدر الآية، بل كاشف الجموع بالحقيقة كاملة، ما هو إلا رسول سخره الله لخدمة الحق ومنحه المعجزات لتأييد رسالته»(١).

وقد أورد القس حبيب سعيد شبهة حول آية معجزات عيسى فيقول: «قد نسب القرآن الخلق للمسيح (إني أنا - المسيح عيسى- أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) [سورة آل عمران، ٤٩] ومن يخلق حياً يكون إلهاً. أما القول (بإذن الله) فيصدق على المسيح من جهة الجسد. وقد قال هو عن نفسه في الإنجيل (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً)(٢)، أي بحسب الناسوت، أما بحسب اللاهوت، أو الكلمة الذي صار جسداً، فإن (به كان كل شيء، وبغيره لم يكن شيء مما كان)» (٣).

وهي حجة واهية لبطلان الأصل المعتمد عليه فيها فلا تحتاج إلى نقاش .

ومع ذلك فإن معظم ما أسقطه النصارى على عيسى إنما هو تقليد للأمم الوثنية قبلهم، ولعلي أوجز هذا في ذكر ما اقتبسه النصارى من إله الهنود بوذا فهم يقولون:

- عند مولد بوذا ظهر نجم في السماء يبشر به.
- وتبعه من رآه ليسجدوا له.
- احتفلت الملائكة بولادته وسبحت بحمده .
- كان مولد بوذا خطراً على الملك والسلطان وهدد بقتله .
- عند بدء دعوته ظهر له الشيطان ليحاول تضليله.
- وأنه وعده بأن يكون امبراطور العالم فلم يهتم بوذا به وصاح ابتعد عني.
- وصام بوذا فترة طويلة.
- وتعمد بوذا بالماء المقدس وفي أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدس... إلى آخر ماورد مما يطابق ماعليه النصارى (٤).

---

(١) المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص٥٥ــ٥٦.

(٢) يوحنا ٥ : ١٩ و٣٠.

(٣) أديان العالم ، حبيب سعد ، ص ٣٠٦.

(٤) انظر : المسيحية، أحمد شلبي ص١٨٤- ١٨٧.

رابعاً: أما عن الوثاقة العلمية بالرسل عند النصارى:

رغم الاختلاف في تحديدهم مع أني آثرت عدم التوسع في ذلك واقتصرت على المتفق عليه عند النصارى بأنهم الاثنا عشر فما مدى الاعتماد على حجيتهم والاستدلال بأقوالهم؟

أترك الجواب للقمص شنودة السرياني إذ يقول: «موضوع حياة الرسل، وكرازتهم، وأعمالهم أمر يكتنفه كثير من الغموض، وما أكثر القصص الذي كتب عنهم، وعن جهودهم الكرازية وأعمالهم المعجزية، وفي بعض هذه القصص نلمس بوضوح شطحات بعض الكتاب والنساخ في الخيال، الأمر الذي يصطدم بالحقيقة والواقع، ومن هنا كانت مهمة المؤرخ شاقة، إذ عليه أن يستخلص الحقائق خالصة بعد تنقيتها مما علق بها من الشوائب الدخيلة التي استحدثتها يد الزمان وبعض المعجبين برواد النصرانية الأوائل»[١].

خامساً: الرسول بولس:

والذي تعتقد النصارى رسالته ما هو إلا دخيل في النصرانية، وقد شهد بذلك النصارى أنفسهم وباختصار شديد عن هذا الرجل الخبيث فقد انتقده كثير من النصارى المنصفين:

ومن ذلك ماذكره ويلز عن بولس وفكرة إلوهية المسيح:

« يقول ويلز من كبار علماء النصرانية في أوروبا عن هذا الاعتقاد:

كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا النصرانية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس، وكان اسم بولس في الأصل شاول وكان في بادئ الأمر أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد. (وهم أصحاب وتلاميذ عيسى) ثم اعتنق النصرانية فجأة وغير اسمه فجعله بولس ،وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية، وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية. فنقل إلى النصرانية كثيراً من أفكارهم ومصطلح تعبيراتهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها وهي فكرة (ملكوت السموات) ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط بل ذكر الآتي عنه:

١- إن المسيح هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب عن خطيئة البشر.

٢- موته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية»[٢].

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد. ص ٢٢٣.

(٢) النصرانية والإسلام، الطهطاوي ص ٢٦١- ٢٦٢ .

ويقول المؤرخ (ول ديورانت): «ولقد أنشأ(بولس)لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح»[1] .

«والعجيب أن الفاتكان يعترف إلى حد كبير بموقف بولس من النصرانية وعدم حرصه عليها. فقد جاء في كتاب نشره الفاتكان سنة (١٩٦٨م) بعنوان (المسيحية عقيدة وعمل) ما يلي:

كان القديس بولس منذ بدء النصرانية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع»[2].

فيظهر من كلامهم أنه لم يكن هدفه السعي في الدعوة إلى دين المسيح u ، فظاهر أمره يدل على ذلك من شدة عداوته للنصارى، ثم تحوله المفاجئ إلى دينهم وبصورة تحمل العامة والدهماء على تقبل مثل هذا الإدعاء.

يقول الطهطاوي عن بولس: لم يكن من تلاميذ المسيح أو حوارييه، بل كان عدواً للمسيحيين واضطهاده مستمر لهم، لقد انتقل من حاله التي كان عليها في عدوانه للمسيحية فجأة إلى النصرانية من غير مقدمات ولا تمهيدات مهدت إلى ذلك، اللهم ما حكاه عن نفسه في سفر الأعمال في الإصحاح التاسع بأن ذلك جاء نتيجة ما شاهده من نور خلال رحلته إلى دمشق، وبعد هذه المشاهدة أخذ على عاتقه أن يبشر أن يسوع المسيح ابن الله الحي الذي بعثه الله ليكون فداء للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم أبو البشر. وهذه التعاليم تعاليم غريبة عن النصرانية الأصيلة تبناها بولس في دعواه للمسيحية.

وقد ورد هذا النص بعد مشاهدته للبرق وفعل ما قيل له «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله»[3].

ولقد نعى القديس برنابا في مقدمة إنجيله التي عثر عليها في أواخر القرن (الثامن عشر) في بيئة مسيحية خالصة. على عديمي التقوى والإيمان الذين قاموا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس.

ونعى بطرس رئيس الحواريين في آخر رسالته الثانية على بولس بأنه حرر برسالته أشياء عسرة الفهم، وتحرفت بواسطة أناس غير ثابتين، كما حرفوا باقي الكتب طبقاً لما هو مذكور في رسالة بطرس الثانية [4].

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت :٢٦٤/١١ نقلاً من النصرانية من التوحيدإلى التثليث ،محمد الحاج. ١٤٥.

(٢) المسيحية عقيدة وعمل نسخة الفتكان ص (٥٠) نقلاً من المسيحية، شلبي ١٣٠.

(٣) أعمال الرسل ٩: ٢٠.

(٤) رسالة بطرس الثانية .٣: ١٤-١٦ انظر: النصرانية والإسلام، الطهطاوي ص٢٤٥- ٢٥١.

ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة إن لبولس شأناً كبيراً في النصرانية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه، فرسائله هي التي شرحتها، وترحاله وتطوافه في الأقاليم التي كانت خاضعة للدولة الرومانية شرقاً وغرباً للدعوة إليها.

وقد تأثر المسيحيون خطاه، وتعرفوا أخباره وأقواله التي دونها في رسائله، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه وإن لم يدونوه، وقد احتذوه في أعمالهم وسلكوا مسلكه[1].

بعد هذه النقول يتبين بجلاء أن بولس له الدور الأول في النصرانية الحالية. ويجب أن تنسب إليه فالمسيح u منها براء ولا تمت إلى دينه بأدنى صلة.

سادساً: إثبات صدق نبوة محمد r بأمور منها:

أولاً: أخذ الميثاق على كل الأنبياء الإيمان به:

ما من نبي يبعثه الله إلا ويؤمر باتباع محمد r إن بعث في حياته ، ويأمر قومه بالإيمان به وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى :﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [سورة آل عمران ٨١-٨٢]

ثانياً: البشارات عند أهل الكتاب:

«وهي إخبار الأنبياء والرسل المتقدمين – في كتبهم – عن النبي تبشيراً ببعثه»[2].

وعيسى u بشر أمته كثيراً بمحمد r وأمته. وقد احتفظ الزمن بنصوص كثيرة تدل على هذا رغم ما اعترى الكتاب المقدس من تحريف وتبديل. فعندما يدعي النصارى عدم التصديق بنبوة محمد r فإنهم إنما يكذبون نصوص كتابهم المقدس، أو يتحايلون على فهم تلك النصوص التي تبشر بمحمد r ، مع معرفتهم له كما يعرفون أبناءهم. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة ١٤٦]

وتأتي البشارة صريحة في سورة الصف بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [سورة الصف ٦]

---

(١) راجع محمد أبو زهرة.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤٦٤.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[سورة الأعراف ١٧٥]

وقد وردت البشارات في الكتاب المقدس بما لا يمكن أن يأخذه المنصف إلا بصدق وقوعها للنبي محمد r يقول عبد الراضي محمد: وقد تظافرت جهود علماء الإسلام ومسلمة أهل الكتاب في استخلاص البشارات من نصوص الكتاب المقدس، فإلى جانب المؤلفات المستقلة في هذا الحقل، فإن كتاباً من كتب دلائل النبوة لا يكاد يخلو بحال من البشائر والتعليق عليها، كذلك المصنفات في مجال مقارنة الأديان باعتبار نبوة محمد r من موارد النزاع بين الإسلام والنصرانية(١).

وتأتي أهمية الحديث عن البشارات للأسباب التالية:

١- الحاجة إليها في الرد على دعوى أهل الكتاب بأن الكتاب المقدس لم يبشر بمحمد r .

٢- أن النبي r قد استدل بهذه الأخبار التي نص القرآن على ورودها في الكتاب المقدس، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[سورة الصف ٦]

٣- تعلق هذه البشارات بعلم الغيب الذي لا يطلع الله عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول، لذا فهي برهان نبوة.

٤- دخولها في باب الإلزام لليهود والنصارى (الذين أرسل محمد r إليهم كذلك)؛ لكون الأنبياء الخبيرين بعلامات النبوة قد بشروا به قبل مجيئه r .

ثم ذكر المطاعن التي وجهت إلى المسلمين بتعسفهم في استخلاص البشارات من الكتب السابقة رغم كونها رموز وإيحاءات فيقول:

و لم يقم مثل هذا الطعن على تتبع دقيق بالفحص والدراسة للبشارات، بل لا يعدو كونه اتهاماً عاماً، إذ يجب الأخذ في الحسبان أمور،منها:

١- ليس كل ما أخبر به الأنبياء السابقون عن محمد r قد وصلنا، وأن نسخ الكتاب المقدس ليست واحدة أو متفقة لا اليوم ولا في الماضي القريب أو البعيد، ومن ثم فليس بمستغرب أن يقف قدامى علماء المسلمين أومحدثوهم على نصوص كتابية فيها التصريح باسم النبي.

٢- إن علماء الإسلام قد اختلفوا بسبب اختلاف نسخ الكتاب المقدس: هل ورود ذكر النبي في الكتاب المقدس بالرمز والإشارة أم بالنص والتصريح بالاسم؟

(١) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤٦٢.

٣- الطابع العام للبشارات أن تكون على الأكثر بالرمز، مما يقتضي التأويل والتفسير، وهذا يكون في العادة محلاً للخلاف بين الفرقاء.

٤- كان اليهود والنصارى ينتظرون بالفعل نبياً بشرت به كتبهم، وليس هناك ما يمنع كون محمد r هو المبشر به إن تصريحاً أوتلميحاً.

٥- حجز اسم (محمد) للنبي العربي على ذلك النحو المعجز يجوز أن يكون لحكمة تبشير الكتب السابقة به، فلم يتسم به أحد من قبل حتى لا يحدث لبس أو اختلاط[١].

ومن تلك البشارات:

ما ورد في إنجيل يوحنا عن المعزى فيقول:«لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم[٢]، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة.

ثم يقول: وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني ، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»[٣].

وفي الإصحاح الرابع عشر: «وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم.

وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون»[٤].

وقد استخدم النصارى هذه النصوص على الاستدلال ببقاء روح القدس بينهم يؤيدهم ويرشدهم إلى الحق بعد رفع عيسى u .

والحق أنه نص يبشر بمحمد r كما قال بذلك العلماء وأنه ينطبق عليه.

«وهذا النص لا يدل على روح القدس وإنما هو بشارة بنبي الإسلام محمد r ، فلفظ (المعزي) ورد في طبعات أخرى بلفظ (فارقليط)، وهذا اللفظ تعريب لكلمة (بيريكليتوس) اليونانية، ومعناها: الذي له الحمد الكثير، ويحدثنا الشيخ عبد الوهاب النجار أنه كان طالباً بدار العلوم، وكان يجلس بجانبه في درس اللغة العربية العلامة الدكتور (كارلو نيلينو) المستشرق الإيطالي، وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية، فانعقدت أواصر الصحبة المتينة بينهما وفي ليلة السابع والعشرين من رجب دار بينهما نقاش عن المعراج وصعود المسيح، ويقول الشيخ (النجار): «ثم سألته وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود القديمة ، مامعنى (بيريكليتوس) فأجابني بقوله: إن القسس

---

(١) انظر : المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤٥٤ - ٤٥٩.

(٢) وفي الإصحاح الرابع عشر١٦وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ، ليمكث معكم إلى الأبد.

(٣) انجيل يوحنا ١٦: ٧-٨، ١٣-١٤.

(٤) انجيل يوحنا ١٤: ٢٦، ٢٩ .

يقولون: إن هذه الكلمة معناها (المعزي) فقلت إني أسأل الدكتور (كارلو نيلينو) الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة، ولست أسأل قسيساً، فقال: إن معناها الذي له حمد كثير، فقلت: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من (حمد) فقال: نعم، فقلت: إن رسول الله r من أسمائه (أحمد) ثم ازددت بعد ذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[سورة الصف ، ٦] [(١)].

فهذا هو معنى لفظ (الفارقليط) الذي ورد خمس مرات في إنجيل يوحنا ، يحاول النصارى ترجمته بمعنى (المعزي) وفسروه بالروح القدس، صرفاً لهذا اللفظ عن معناه الحقيقي وهو اسم نبينا محمد r »[(٢)].

ويقول رحمة الله الهندي: بعد أن ذكر رحمه الله النصوص من إنجيل يوحنا بين أموراً مهمة فقال: ذكرت النصوص السابقة بلفظ (فارقليط) في تراجم الأناجيل العربية سنة ١٨٢١و ١٨٣١و ١٨٤٤ بلندن. ثم بين الآتي:

- أن أهل الكتاب على عادتهم يترجمون الأسماء في كتبهم، وعيسى تكلم بالعبراني لا باليوناني فترجم إلى اليوناني، ثم ترجم في العربية بلفظ (فارقليط) ثم بين عن عثوره على رسالة لقسيس ١٢٦٨من الهجرة في تحقيق لفظ فارقليط، وكان ملخص كلامه «إن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليوناني. فإن قلنا أن هذا اللفظ اليوناني الأصل (باراكلي طوس) فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل . وإن قلنا أن اللفظ الأصل(بيركلوطوس) يكون قريباً من معنى محمد أو أحمد - ثم قال - لكن الصحيح أنه باراكلي طوس) ثم ذكر أن التفاوت يسير وأن أهل الكتاب قد يبدلون ويرجحون أحدهما على الآخر من التحريف المتعمد.
- أن منتنس المسيحي ادعى قبل (سنة ١٧٧من الميلاد) أنه الفارقليط قبل ظهور محمد r . وذكر وليم ميور في تاريخه حاله وحال متبعيه. فقال «إن البعض قالوا أنه ادعى أنه فارقليط يعني المعزي روح القدس، وهو كان أتقى ومرتاضاً شديداً ، ولأجل ذلك قبله الناس قبولاً زائداً».
- أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي محمد r فالنجاشي ملك الحبشة لما وصل إليه كتابه r قال: «أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب»[(٣)] وهذا النجاشي كان نصرانياً.

---

(١) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار ص ٣٩٧-٣٩٨. نقلاً من النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج٢٣٧.

(٢) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ،محمد الحاج، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) زاد المعاد، ابن القيم ٣/٦٨٩.

- والمقوقس ملك القبط[١] كتب في جوابه للنبي محمد r «لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك. أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك»[٢].

وجاء الجارود[٣] فقال: «أيها الناس إني اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله واكفر من لم يشهد والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا، لقد وجدت وصفك في الإنجيل وبشر بك ابن البتول – ثم أسلم - »[٤].

- إن كان اللفظ اليوناني الأصل (بيركلوطوس) فتكون البشارة بمحمد r بلفظ هو قريب من محمد أو أحمد، لكني أترك هذا اللفظ لأنه لا يتم عليهم إلزاماً. وأقول إن اللفظ (باراكلي طوس) فذا لا ينافي الاستدلال؛ لأن معناه المعزي والمعين والوكيل.كما يوجد في الترجمة العربية المطبوعة ١٨١٦م وهذه المعاني كلها تصدق على محمد r النبي المبشر به لا على الروح القدس لأمور:

أولاً: فقال (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاتي) فمقصوده أن يعتقد السامعون بأن ما يلقي عليهم ضروري لأنه لو كان المقصود الروح لا مجال للاستبعاد؛ لأن النازل عليه يظهر أثره بيناً فهو عبارة عن النبي المبشر به لما علم بالتجربة وبنور النبوة، أن الكثيرين من أمته ينكرونه عند ظهوره فأكده بذالك اللفظ.

ثانياً: أن الروح متحد بالأب والابن فلا يصدق في حقه فارقليط آخر.

ثالثاً: أنه قال: (هو يذكركم كل ما قلته لكم) ولم يثبت من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى u وهذا الروح ذكرهم إياه.

رابعاً: (إن لم أنطلق لايأتكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم) أنه علق مجيئه بذهابه وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره عندما أرسلهم إلى البلاد الإسرائيلية، ومحمد r كان مجيئه بعد ذهاب عيسى u وموقوفاً عليه.

خامساً: أن عيسى u قال (لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) وهذا يدل على أنه نبي يكذبه بني إسرائيل، ولا مظنة لتكذيب الروح النازل عليهم، فاحتاج أن يقرر لهم حال صدقه

---

(١) الأقباط: كان خاصاً بالأرثوذكس، ثم لما تأثر بعضهم بالكاثوليك أطلق عليهم، ولما دخلها البروستانت أصبحت لفظة عامة لنصارى مصر، وفي مطلع القرن العشرين هناك الدعوة (للأمة القبطية) بهدف إضفاء الطابع النصراني على أرض مصر المسلمة. الموسوعة الميسرة٢/١١٢٣.

(٢) زاد المعاد، ابن القيم ٣/٦٩٢.

(٣) الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس قال ابن هشام وهو الجارود بن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس وكان نصرانيا فأسلم وكان حسن الإسلام صلبا على دينه حتى هلك وقد أدرك الردة بن العلاء وقد كان من علماء النصارى إلى النبي r وأسلم ثم ذهب إلى قومه .(البداية والنهاية ٥/٤٨).

(٤) البداية والنهاية ٥/٤٨.

وأنه كان يتكلم بما يوحي إليه الله قال تعالى:﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [سورة النجم ٣-٤] وقوله تعالى:﴿ **قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة الأنعام، ٥٠] (١) .

ثم ذكر رحمة الله شبهات أهل الكتاب حول هذه النصوص وأورد الجواب عنها بما يشفي الغليل ويضع الحق في نصابه المبين(٢).

فهذا منتهى أن (الفارقليط) أو (المعزي) على أي اعتبار الذي وعد به عيسى **u** أمته من بعده، يصدق في حق النبي محمد **r** من جميع الاعتبارات، سواء على اعتبار النصارى أن روح القدس أحد الأقانيم الثلاثة أو بغيره، فإن النصوص وتسلسلها يفيد معناها على نبي مبشر به، يأتي بعد ذهاب عيسى **u** . وهذه أولى البشارات وقد ذكرها بشيء من التفصيل لأهميتها.

وقد أورد الشيخ الهندي في كتابه إظهار الحق (١٨) بشارة من الكتاب المقدس تبشر بالنبي **r** وسأشير إلى بشارتين منها اكتفاءً بصريح النصوص من الكتاب والسنة.

ومن ذلك ما جاء في التوراة قوله «جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران »(٣) فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى **u** . وإشراقه من ساعير إعطاءه الإنجيل لعيسى **u** و استعلانه من جبل فاران إنزاله القرآن لأن فاران جبل من جبال مكة(٤).

ومنها : وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوهم، وأجعل كلامي في فمه، ويكلمهم بكل شيء ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي . فأنا أكون المنتقم من ذلك فأما النبي الذي يجتريء بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيري فليقتل(٥).

ثم ذكر سبعة وجوه لفهم هذه البشارة ثم قال: وهذه الوجوه السبعة تصدق في حق محمد **r** أكمل صدق لأنه غير المسيح **u** ويماثل موسى **u** في أمور كثيرة: ١- كونه عبد الله ورسوله. ٢- كونه ذا والدين. ٣- كونه ذا نكاح. ٤- كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية. ٥- كونه مأموراً بالجهاد. ٦- أمره بحد الزنا ٧ — تعيين الحدود والتعزيرات والقصاص. ٨- كونه قادراً على إجرائها ٩- أمره بالتوحيد الخالص. ١٠- أمره الأمة بأن يقولوا له عبد الله ورسوله لا ابن الله والعياذ

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٤٧-٤٥٣.

(٢) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٥٣- ٤٥٩. وانظر : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية،محمد علي البار : ص ١٥٦ — ١٥٨.

(٣) الاستثناء ٣٣. نقلاً من إظهار الحق، رحمة الله الهندي ص ٤٢٩.

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٢٩-٤٣٠.

(٥) الاستثناء: ١٨: ١٧-١٩ نقلاً من إظهار الحق، رحمة الله الهندي ص٤٢٢.

بالله. ١١- موته على الفراش. ١٢- كونه مدفوناً كموسى u . ١٣- عدم كونه ملعوناً لأجل أمته. ولذلك قال الله تعالى:﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا** ﴾ [سورة المزمل ١٥] وكان من إخوة بني إسرائيل لأنه من بني إسماعيل، وكان أمياً جعل الله كلامه في فمه. قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [سورة النجم ٣-٤] وكان مأموراً بالجهاد ،وقد انتقم الله لأجله من صناديد قريش والأكاسرة والقياصرة.

وأنه قال عن هذا النبي الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره به يقتل ، فلو لم يكن محمد نبياً حقاً لقتل وقد قال الله في القرآن المجيد ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ [سورة الحاقة٤٠-٤٦] وما قتل بل قال الله في حقه ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [سورة المائدة ٦٧] وأوفى وعده فلم يقدر أحد على قتله حتى لحق بالرفيق الأعلى وأما عيسى على قولهم فقد قتل وصلب فلو كانت هذه البشارة في حقه، لكان نبياً كاذباً كما يزعمه اليهود والعياذ بالله[١].

وهذا مستخلص البشارات به في الأناجيل المعترف بها عند النصارى، أما إنجيل برنابا فقد نص صراحة على إسم النبي محمد r كما سبق فقال: «ان اسمه المبارك محمد حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله أرسل لنا رسولك يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم»[٢].

وغيره من النصوص الكثيرة في هذا الإنجيل.

ومع هذا فقد حرف النصارى البشارات الدالة على نبوة نبينا محمد r في أسفار العهد القديم، وجعلوها لعيسى u ومن ذلك ما جاء في متى:« فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، وانصرف من هناك، وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً وأوصاهم ألا يظهروا. لكي يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل: هو ذا فتاي الذي اخترته. حبيبي الذي سرت به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر بين الأمم بالحق، لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة وفتيلة مدخّنة لا يطفئ، حتى يخرج الحق على النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم»[٣].

فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص وإنه لموصوف في التوراة بمثل ما هو موصوف به في القرآن. فقد أخرج البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمرو بن العاص عندما سئل عن وصف النبي u في التوراة فقال: «قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص٤٢٢- ٤٢٨ .

(٢) إنجيل برنابا ٩٧: ١٧- ١٩.

(٣) متى ١٢: ١٤ – ٢٢.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[سورة الأحزاب ، ٤٥] وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا[١].

ثالثاً: القرآن الكريم:

وهو أهم دلائل نبوة محمد r وآية ثابتة إلى قيام الساعة قال r : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[٢].

وهو من أعظم المعجزات غير أني لن أدرجه تحتها لأهميته وخلوده إلى قيام الساعة وقد تكلم عنه السابقون واللاحقون بما يشفي الغليل، مابين إيجاز وإسهاب من المسلمين وغيرهم، ولهذا سوف أقتصر في ذكره بما أورده الدكتور عبد الراضي محمد لشمول ماذكره مع الإيجاز إذ يقول: (وهو برهان نبوة محمد r الساطع، وأظهر علامات النبوة على الإطلاق، لأسباب أربعة لم تجتمع لمعجزة أو دليل نبوة في تاريخ الدين والإنسانية، وهي:

١- فيه اجتماع الوحي المدعي والدليل المعجز على النبوة معاً.

٢- أعجزت معجزات الأنبياء السابقين فئات بعينها، كالسحرة زمن موسى والمطببين زمن عيسى عليهما السلام، أما القرآن فقد أعجز أمة من الفصحاء بأكملها، ناهيك عن الجن وغير الفصحاء من الأمم سوى أمة العرب.

٣- توجهت معجزات السابقين إلى الحواس فقط، أما القرآن فيخاطب العقل البشري بعد أن بلغ مرحلة رقيه وتمدنه.

٤- خلود المعجزة القرآنية على مدار الأعصار وانتشارها في جميع الأقطار.

ويدل القرآن على نبوة محمد r بطريق الاضطرار من وجهين:

الوجه الأول: من حيث الجملة، وطريقة العلم بأن محمد r ظهر بمكة، وادعى النبوة، ونزل عليه القرآن، وأنه جعله دليلاً على نبوته، وتحدى به العرب الذين هم غاية الفصاحة والبلاغة، وهذه الأمور معلومة بالاضطرار، لا وجه فيها للاستدلال. ولما كان العرب وغيرهم قد

---

(١) صحيح البخاري: كتاب البيوع - باب كراهية السخب في السوق ٣/٦٦، وانظر: دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية،محمد علي البار: ص ١٥٦ – ١٥٨، وانظر: إثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد إبراهيم الصنعاني ص٢٤٣.

(٢) سبق تخريجه.

عجزوا عن إجابة التحدي الذي دعاهم إليه النبي بمعارضة القرآن، فإنه يقطع بدلالة القرآن على النبوة.

الوجه الثاني: من حيث التفصيل، وطريقه النظر والمعرفة والتحصيل والمدارسة، التي تكشف على نواحي متعددة من نواحي الإعجاز القرآني تغطي جميع مجالات عمل وسائل المعرفة الإنسانية[1]. كما سبق بيانه.

رابعاً : المعجزات[2]:

وقد أوتي محمد r من المعجزات وجمع له من الآيات ما لم يجمع لأحد من الأنبياء قبله، إذ لم يعط نبي معجزة إلا أعطي محمد r مثلها أو ما يقابلها أو أوضح منها.

تنقسم معجزات النبي r إلى قسمين:

القسم الأول: ما هو إلا صدى مضخم لمعجزات منسوبة إلى الأنبياء السابقين، وذلك مثل تخلل الماء بين أصابع النبي، ذلك الذي يذكر بتفجير موسى الماء من الصخر، فإن ذلك من عادة الحجر في الجملة وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره ومثل رده الشمس لما فات وقت الصلاة، على غرار إيقاف يشوع الشمس مدة يوم كامل. ومنها إخباره عن حال بعض الأمم في القرآن الكريم ووقعت كما قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [سورة البقرة، ٢١٤] فوعد الله المسلمين في هذا القول بأنهم يزلزلون حتى يستغيثوه ويستغفروه . فجاء الأحزاب كما وعد الله ورسوله وحاصروا المسلمين وحاربوهم، وكان المسلمون في غاية الضيق والشدة والرعب، وقالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وأيقنوا بالجنة والنصر كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [سورة الأحزاب ٢٢]

أما القسم الثاني: وهو سائر المعجزات التي لا شبه بينها وبين معجزات الأنبياء السابقين، وقد ذكرت معجزاته r في القرآن والسنة:

فما ذكر في القرآن مثلا فهي تشمل:

- **الوقائع:** مثل انشقاق القمر، الإسراء والمعراج، تحدي اليهود بتمني الموت، كفاية المستهزئين.
- **التنبؤات المستقبلية:** مثل التنبؤ بانتصار الروم على الفرس، التنبؤ بموت الوليد بن المغيرة وأبي لهب كافرين، تنبؤ النبي r بالعودة إلى مكة بعد الخروج منها، التنبؤ بدخول المسلمين المسجد الحرام آمنين، التنبؤ بتمكين المسلمين واستخلافهم في الأرض.

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد ص ٤٥٧- ٤٥٩.

(٢) سبق التعريف بها في الباب الأول .

وما ذكر في كتب السنة، فتشمل جنسين:

الجنس الأول: المعجزات الفعلية، وهي المتعلقة بالتأثير في الكائنات، إما من جهة النبي أومن فعل الله الذي لا يكون فيه تأثير للنبي بحال؛ كإهلاك الأعداء، وتذليل النفوس لمحبة الأنبياء.

ويضم هذا القسم أنواعاً كثيرة، كالتأثير للأحياء، والتأثير في الجماد،كانقياد شجرتين له بشاطيء الوادي لما أراد أن يستتر كما ينقاد البعير ثم التئما عليه بإذن الله. وتكثير الطعام، ونبع الماء من بين أصابع النبي r .

الجنس الثاني: المعجزات القولية: وهي صنفان:

إما إخبار بغيب ماض أو حاضر أومستقبل، كقصص الأنبياء عليهم السلام وقصص الأمم الخالية من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب وقد أشار الله إليها بقوله :﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[سورة هود ٤٩]

وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لاتخاف إلا الله، وأن خيبر تفتح على علي في غد يومه، وأنهم يقتسمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وهذه الأمور حصلت زمن الصحابة رضي الله عنهم، وأن عماراً تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية، وأن فاطمة أول أهله لحوقاً به فماتت رضي الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته r ، وأن إبني هذا أي الحسن بن علي سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين و(وقع كما أخبر) فأصلح الله به بين أتباعه وأهل الشام، وقال لسراقة بن جعشم كيف بك إذا لبست سواري كسرى فلما أتى بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه(١).

إلى غيرها من المعجزات القولية والفعلية والتي أوردها أهل الإسلام في مصنفاتهم وقد أورد الشيخ الهندي منها سبعين معجزة وذكر أنها تزيد على ألف معجزة وقعت من النبي r ظهرت منه على خلاف العادة .

وبهذا يتم الحديث في هذا المبحث **بأمرين أولاهما:** ثبوت رسالة عيسى u دون إلوهيته أوبنوته لله وماهو إلا بشر من البشر.

والأمر الثاني: ثبوت رسالة محمد r وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول إلى الناس كافة وقد ظهر معه من دلائل نبوته مالا يمكن إنكارها أو التشكيك فيها وتبين ذلك من خلال:

دعوته وشريعته، قال تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [سورة المائدة ٣] وقال r : «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم. ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»(٢) .

---

(١) انظر إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٣٨٣- ٤٠٣.وانظر : المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد، ص ٤٥٩-٤٦٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٢/٦٤.

المبحث الرابع
موقف النصارى من القدر

المطلب الأول
عرض موقف النصارى من القضاء والقدر

يعتقد النصارى بالقضاء والقدر وأن الله هو الذي يجري الأمور وفق إرادته على أن عقيدة التثليث عند النصارى[1] بأن الإله الرب هو الذي بيده القضاء والقدر. وفي نفس الوقت يقرون بأن الإنسان مسئول عن تصرفاته قادر عليها.

يقول القس حبيب سعيد: وحسبنا في هذا البحث أن نذكر القاعدتين التاليتين:

١- من ناحية ينبغي أن نؤمن بأن الإنسان مسئول عن أعماله وتصرفاته، فهو نفسه الذي يقوم بهذه الأعمال وكل تصرفاته صادرة عنه فمن العدل أن يثاب متى كانت أعماله صالحة، ومن العدل أن يعاقب متى كانت شريرة.

٢- ومن ناحية أخرى تسلم عقولنا وأفكارنا بالله قادرعلى كل شيء، وهو يسيطر على كل ما يحدث في السماوات والأرض. وهو الذي يدبر سير الحوادث، ومن بينها تصرفات الإنسان [2].
وفي موضع أخر يؤكد هذا المعنى ويوضحه وأنه قول الكثرة وبهذا يفهم منه أن هناك مخالف لهذا القول.

«ويتخذ كثرة المسيحيين طريقاً وسطا. فهم يعترفون بقدرة الله على كل شيء. وإن كانوا ينسونها أحياناً . ويعتقدون أن الإنسان مسئول عن أعماله، ولكنهم يعترفون أن الإنسان ضعيف ولا يقدر أن يبلغ ما يجاهد في سبيله، وفي الوقت عينه يؤمن أن الله بفضل نعمته وإرشاده، يهيئ للإنسان السبيل ليفعل ما يعجز عن فعله بمجرد قواه الطبيعية. واختبارهم العملي يدعم هذا الإيمان.

ثم يعلق عل هذا المفهوم مع معتقد دين الإسلام بقوله: ومن ثم نرى النصرانية والإسلام يتفقان في هذه العقيدة حسبما تمليه عليهم أسفارهم المقدسة، وتعاليم كبار مفكريهم، وأصحاب العقول الراجحة بينهم، فالله قادر على كل شيء، ومع ذلك فالإنسان مسئول عن أعماله. ومن خطل الرأي أن نغالي في إحدى هاتين الفكرتين على حساب الأخرى. هذا هو موقف نخبة كبار المفكرين وصفوة العقلاء في الديانتين على أن موقف العامة – وبعض المفكرين أيضاً – يختلف بعض الشيء. ففي الإسلام يميل تفكير عامة الشعب إلى المغالاة في قوة الله، وإغفال فكرة استطاعة الإنسان وفي النصرانية من الجهة

---

(١) يقولون بأن الله الرب هو الذي بيده مقاليد الأمور والتدبير .

(٢) أديان العالم ، حبيب سعد ، ص٢٣٢-٢٣٣.

الأخرى يميل تفكير العامة إلى المغالاة في تقدير قوة الإنسان ونسيان قدرة الله على كل شيء، وهذا الميل الذي يبدو في عامة الشعب في الديانتين هو الذي يبرر الفكرة السائدة عند أهل الغرب، بأن الإسلام هو دين القضاء، وأن النصرانية هي دين حرية الإرادة»[1]وهم يرون أنه قد يصبح الإنسان على غير مايريده، وليس معنى هذا في تصورهم إجبار من الله للإنسان بل إنما يحدث هذا لحكمة، وعلى الإنسان الدعاء ومحاولة التغيير وعلى هذا التصور يذهب القس حيث يقول: «وأحياناً يكون الله الباري، ويتم التغيير في الشخص ضد إرادته. ولكن المألوف أن الله لا يعين الإنسان بنعمته و عونه ما لم يرغب الإنسان بملء قلبه في تغيير أخلاقة وطريقة حياته، ويلتمس من الله في دعائه أن يغير حياته ويصلحها، وعندئذ يجد الإنسان نفسه مزوداً بالقوة والفهم لكي يهجر حياته الشريرة الآثمة» [٢].

كما أن القس أفلاطون مطران يشير إلى الاعتقاد بقدرة الله في رده على من ينكر قيامة الأجساد فيقول: «أما نحن المؤمنين بصدق الكتاب الإلهي فنعتقد جزماً بقيامة الأموات دون تساؤل عن الوسائط التي ستستعملها قوة الله القادرة على كل شيء، لأن ذلك ليس من خصائصنا . لقد استطاع الله أن يخرج جميع الكائنات من العدم إلى الوجود، فهل يعسر عليه إعادتها ثانية إلى شكلها الأول بعد تحولها»[٣].

وانظر إلى ماكتبه كاتب حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي إذ أكد على قدرة الله وإرادته المطلقة وهو ينكر من يقول بالجبر في أول مقولته، ويبين أن الكتاب المقدس مهتم بدرجة بالغة بموضوع إرادة الله.

ثم يوضح أنه على الرغم من أن إرادة الله تكون دائماً مخفية إلى أن تحدث، إلا أن هناك جانباً من إرادته واضحا، وهي إرادته من ناحية تعليمنا . فإن إرادة الله ألا نسرق، وأن نحب أعداءنا، وأن نتوب، وأن نكون قديسين .

ثم اختصر ما أسهب في بيانه بقوله:

١) المعاني الثلاثة لإرادة الله هي:

أ- إرادته السيادية المقدرة، وهي الإرادة التي بواسطتها يجري الله كل ما رسمه. وهذه تظل مخفية عنا حتى تحدث.

ب- إرادته من ناحية تعليمنا، وهي ناموس الله ووصاياه المعلنة، والتي لدينا القدرة وليس الحق في انتهاكها.

ج- مشيئته المتعلقة بتصرفاته. وهي تكشف عما هو مسر له.

---

(١) أديان العالم ، حبيب سعد ص ٢٣٩ .

(٢) أديان العالم ، حبيب سعد ص ٢٤٠ – ٢٤١.

(٣) انظر:رسالة بولس الأولى أهل كورنثوس١٥:٣٥ -٣٨، وانظر: الخلاصة الشهية، الخوري يوحنا١٤٤-١٤٥.

٢) (سماح) الله بأن يخطئ الإنسان لا يعني موافقته الأدبية على ذلك.

ويستدل على معتقده بما أشار إليه في الكتاب المقدس حيث قال[١]: فقرات كتابية للتأمل:يوحنا ١٩ : ١١، رومية ٩: ١٤ — ١٨ ، أفسس ١ : ١١، كولوسي ١ : ٩ -١٤ ، عبرانيين ٦ : ١٣ — ١٨ ، ٢ بطرس ٣ : ٩

وعند رجوعي إلى هذه النصوص وجدتها تشير إلى نفس ما أشار إليه من معنى وأن النصارى يؤمنون بقدرة الله ومشيئته وإرادته، وأن الله قد منح الإنسان القدرة على اختيار الطريق الذي يريده ولا يجبره الله على شيء، ومع ذلك فسوف يجازى حسب أعماله التي عملها في الدنيا.

وبهذا فإن التصور الذي ركنت إليه من خلال ما اطلعت عليه في مصادرهم هو إيمان النصارى بالجملة بقدر الله وإرادته ومشيئته وسأوضح الحق في ما يجب اعتقاده جملة في ركن الإيمان بالقضاء والقدر من خلال المطلب التالي.

على أن القول الآخر لم أجده عند النصارى ولكن ورد فيه أحاديث عن الرسول r يبين إنحرافهم في القدر في حديث أبي ذر قال قال t : « قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله r ..

فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا..

فنزلت هذه الآيات إلى قوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾. (القمر: ٤٩).

فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟!

فقال r : «أنتم خصماء الله يوم القيامة»[٢].

---

(١) انظر الإيمان المسيحي،سبرول ،ص٧٥-٧٧.

(٢) لم أعثر على تخريج له. انظر: المسيح دراسة سلفيه، ص ٣١٩.

المطلب الثاني
الرد على النصارى في موقفهم من القدر

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان وهو من ربوبيته سبحانه وتعالى وهو سر الله المكتوم الذي كتبه في اللوح المحفوظ و لم يطلع عليه أحد من مخلوقاته(١).

والنصارى يؤمنون في الجملة بالقضاء والقدر، وقد أشارالقس (حبيب سعد) في كتابه (أديان العالم) إلى انحراف بعض النصارى في إيمانهم بالقدر.

ولتصحيح أي انحراف في الإيمان بالقدر سوف أبين من خلال هذا الرد ما يجب على المكلف الإيمان به باختصار من خلال النقاط التالية:

التعريف: بالقضاء والقدر:

تعريف القدر : أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته(٢).

فيجب الإيمان بالقضاء والقدر لحديث جبريل u عندما سأل الرسول r عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٣).

أركان الإيمان بالقدرعند أهل السنة والجماعة:

١- **العلم:** وهي أن يؤمن العبد إيماناً جازماً بأن الله تعالى بكل شيء عليم، يعلم مافي السموات والأرض جملة وتفصيلاً سواء كان ذلك من فعله أو من فعل مخلوقاته.

٢- **الكتابة:** وهي أن الله تبارك وتعالى كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، وقد جمع الله بين هذين الركنين في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [سورة الحج ٧٠]

وفي الحديث « كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قبل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قال وَعَرْشُهُ على الْمَاءِ »(٤).

وفي المستدرك «عن بن عباس رضي الله عنهما قال إن أول شيء خلقه الله القلم فقال له اكتب فقال وما أكتب؟ فقال: القدر. فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»(٥).

---

(١) انظر: فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢١٦

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١/ ١١٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح مسلم: كتاب القدر - باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٨/ ٥١.

(٥) المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة ن والقلم ٢/ ٥٤٠. ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

٣- **المشيئة:** وهي أن الله تبارك وتعالى شاء لكل موجود أو معدوم في السموات والأرض، فما وجد موجود وما عدم معدوم إلا بمشيئته في فعله وفعل عباده قال تعالى: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة التكوير ٢٨-٢٩] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [سورة البقرة ٢٥٣]

٤- **الخلق** : وهي أن الله تعالى خالق كل شيء فما من موجود في السماوات والأرض إلا الله خالقه حتى الموت وهو عدم الحياة قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [سورة الملك ٢]

وجميع ما يحدث لهذه المخلوقات من صفات، وتقلبات وأحوال كلها أيضاً مخلوقة لله عز وجل .

تساؤل: كيف يصح أن نقول في فعل العبد وقوله الاختياري أنه مخلوق لله عز وجل ؟

والجواب يصح ذلك لأن فعله وقوله ناتج عن أمرين:

أحدهما: القدرة.

والثاني: الإرادة.

فإذا كان فعل العبد ناتجاً عن إرادته وقدرته فإن الذي خلق هذه الإرادة وجعل قلب الإنسان قابلاً للإرادة هو الله عز وجل، وكذلك الذي خلق فيه القدرة هو الله عز وجل.

وبهذا فإن الله خالق لفعل العبد وقوله، لأنه لولا الإرادة والقدرة لم يفعل، فلو كان يريد وهو عاجز، أو قادر لم يرد، لن يكون الفعل، والله هو الذي خلق الإرادة الجازمة، والقدرة الكاملة، والعبد هو الفاعل في الحقيقة، فهو العاصي وهو المطيع، وكانت هذه الأفعال ووجدت بإرادة وقدرة مخلوقتين. ولا فرق بين الأعمال المخلوقة التي يعملها، وبين الأرزاق المقسومة التي يسعى إليها وبين الآجال المضروبة التي يدافعها.

الكل في بابه سواء والكل مكتوب ومقدر وكل إنسان ميسر لما خلق له[١].

---

(١) انظر : فتاوى ابن عثيمين ٥/٢٢٣-٢٢٧.

المبحث الخامس
موقف النصارى من اليوم الآخر

المطلب الأول
عرض موقف النصارى من اليوم الآخر

يعتقد النصارى باليوم الآخر وبالقيامة، بل إن جل مفهوم دعوة عيسى u تدور حول التبشير بملكوت الله والمقصود به اليوم الآخر.

ومعنى اليوم الآخر عند النصارى: «هو الإعلام عن الأشياء الأخيرة فتتضمن العقيدة المختصة بنهاية العالم، أو مجيء المسيح والعقائد المختصة بمصير الأفراد الذين يموتون قبل نهاية العالم، كالعقائد المختصة بالسماء والجحيم والمطهر»(١).

واليوم الآخر إنما يكون بعد هذه الحياة الفانية، لتكون الحياة الأخرى والتي يجب الإيمان بها. «وفي العهد الجديد الإيمان بالحياة الآتية صريح بيّن. فبولس الرسول يدعو الموت إنحلالاً»(٢).

فإن «بعد الحياة الحاضرة يجب أن تكون حياة أخرى غير فانية وأبدية، فيها ينتظر الأبرار جزاء أكيداً والأشرار عذاباً لا مهرب منه»(٣).

والدليل على ذلك: «ستحدث القيامة العامة عندما يأتي المسيح ثانية فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت « فيصرخون قوموا أيها الأموات وتعالوا إلى الدينونة»(٤)(٥).

وبشي من البيان والبسط لما يعتقده النصارى في هذه الأمور المجملة يمكن الحديث عن اليوم الآخر عند النصارى سواءً فيما يقصدونه من أحداث عامة كالمجيء والدينونة، أو ما يخص الأفراد من الموت والبعث والجزاء وغيرها في النقاط التالية:

مجيء المسيح ودينونته:

وهو الأمر الأهم الذي ينتظره النصارى، وهذا المجيء هو المجيء الثاني للمسيح ليحاسب الناس ويجازيهم على أعمالهم.

---

(١) الفكر اللاهوتي في كتابات بولس د،القس فهيم عزيز ص ٣٩٧ نقلا من يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية د،فرج الله عبد الباري ص٥٣.

(٢) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ،ص ٤٨ والنص انظر: رسالة بولس الثانية إلى تيمو ثاوس ٤ : ٦ فيلبي : ١٣ .

(٣) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا، ص٤٧.

(٤) متى ٢٤ : ٣١ . انظر: رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ٤ : ١٧.

(٥) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ص ٤٧، ١٤٥ .

وفيما يلي ملخص لما يعتقده النصارى في ذلك:

«قال الكتاب المقدس: (إن يسوع الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء) [١] وإليك كلام كيرللس الورشيمي بهذا الشأن: نركز بأن المسيح ليس له حضور واحد فقط بل له حضور ثان أيضا أفضل من الأول كثيراً، لأن الأول كان شعاره الصبر و أما في الثاني فيلبس تاج الملك الإلهي»[٢].

و «حضور الرب الأول على الأرض كان بتواضع. و أما حضوره الثاني فسيكون بمجد وشرف. حضوره الأول كان ناشئاً عن حنو ورأفة، وأما الثاني فسيكون رهيباً هائلاً. ابن الإنسان في حضوره الأول أتى ليخلص العالم. وفي حضوره الثاني سيدينه كما أوضح ذلك كتاب الله حيث قال (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب) [٣]».[٤].

وهذا النص مع غيره هو الدليل من الكتاب المقدس على دينونة المسيح u للبشر. وهو معين من الله لإدانة الناس جاء في إنجيل يوحنا : «لأن الآب لا يدين أحداً ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن»[٥]

«لأنه قد أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات» [٦].

والسبب في هذا المجيء الثاني ودينونة الناس إنما ليظهر جانب العدل الإلهي وفي هذا يقولون: أما غاية حضور المسيح ثانية هي إقامة ملكوت الله الأبدية التي تضم المؤمنين جميعاً، وتنفيذ أحكام العدل وسوف يكون المسيح قاضياً[٧] ليصدر حكمه على كل من وجد على قيد الحياة. مسيحاً قاضياً عادلاً، يدين كل شخص حسب ما توفر له من نور. وسوف ينال الأبرار مجازاتهم والأشرار جزاءهم[٨]. أي مجازاة كل واحد حسب أعماله وانجاز عمل افتدائنا. لأن السعادة التي حصلت بموت المسيح والتي هي موضوع آمال المسيحيين الحقيقيين، ليست على الأرض بل في السماوات، كما قال الرسول: «عادل

---

(١) أعمال الرسل ١ : ١١.

(٢) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ١٠٢ _ ١٠٣.

(٣) متى ٢٥ : ٣١ و ٣٢.

(٤) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ١٠٣.

(٥) يوحنا ٥: ٢٢.

(٦) أعمال الرسل ١٧: ٣١.

(٧) متى ٢٥ : ٣١-٣٢.

(٨) انظر: متى ١١: ٢٤ ، وانظر: لوقا ١٢: ٤٧-٤٨، ٢: ٤٧.

عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم الله ضيقاً ، وإياكم الذين تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته»[١].

أما متى سيكون هذا اليوم المنتظر فلا أحد يعلمه وإنما يكون بغتة وسيصاحبه علامات تدل على وقوعه وفي هذا يقولون: «وستحدث هذه الدينوية الرهيبة بغتة. فبغتة تتزلزل الأرض وتظلم الشمس والقمر تتساقط النجوم من السماء. وتتزعزع قوات السماوات. وتدوي أصوات أبواق رؤساء الملائكة. وخرج جميع الأموات في طرفة عين من القبور وينتظرون الإلهية. أما الطبيعة فستتغير وفي تغييرها هذا الهائل تنوح جميع قبائل الأرض. وسيحدث ضيق لم يحدث مثله منذ بدء العالم ولن يحدث وسيموت البشر خوفاً وتوقعاً لما يأتي على المسكونة. ولا يجدون خلاصاً إلا في (الإيمان بالمحبة) [٢]»[٣].

أما العلامات التي تدل على قرب وقوع القيامة فمنها:

مجيء (ضد المسيح) كما صرح ذلك يوحنا في إنجيله «أيها الأولاد، هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أضداد كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة»[٤].

وهم يقصدون بذلك المسيح الدجال[٥].

ويتحدث عنه بولس بعد أن تكلم عن مجيء المسيح الثاني ثم قال: «لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأتي الارتداد أولاً، ويستعلن ابن الهلاك القادم والمرتفع على كل مايدعى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه ليجلس في هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله».[٦]

وقد ورد في رؤيا يوحنا تفصيل لما يعتقده النصارى مما أعطي من أمور عظيمة وقدرة فائقة[٧] فقال: «وأعطي فيما يتكلم بعظائم وتجاديف، وأعطي سلطاناً أن يفعل في اثنين وأربعين شهراً»[٨].

ثم تكون نهاية المسيح الدجال كما في التصور النصراني على يد المسيح عيسى بن مريم u ، وقد جاء ذلك في رؤيا يوحنا وهو يصور تلك النهاية القاسية لما سيلاقيه (ضد المسيح) ومن معه حتى تكون نهايتهم الجحيم ومما قاله: «فقبض على الوحش، والنبي الكذاب معه، الصانع قدامه الآيات التي بها أضل

---

(١) رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ١: ٦-٧، وانظر: الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ص١٠٣-١٠٤، وانظر: عقائد أساسية ، دونالد ديماري١٧٠- ١٧١.

(٢) دانيال ٧ : ٨ – ١٠.

(٣) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا ، ص١٠٤.

(٤) يوحنا ٢: ١٨ .

(٥) انظر: الإيمان المسيحي ،سبرول ص ٣٠٥.

(٦) رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي ٢ ١: ٥.

(٧) انظر رؤيا يوحنا ١٣: ٢-١٠، ١١: ٦-١١، ٣: ٣-٥، ١٣: ١٣-١٧،

(٨) رؤيا يوحنا ١٣: ٥-٦.

الذين قبلوا اسمه الوحش، والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت»[١].

«وهدف (ضد المسيح) أن يشعل حرباً ضد شعب الله وتدمير المسيح وملكوته. ومع ذلك يؤكد لنا الكتاب المقدس أنه على الرغم من قوة ضد المسيح ونفوذه الهائلين، إلا أن هزيمته ودينونته وهلاكه هي من الأمور المؤكدة»[٢].

وبعد القضاء على (ضد المسيح) سيكون الملك الألفي للمسيح على الأرض، والذي فيه ينشر دعوته في كل المسكونة، وينتشر الأمن والأمان، ويربض الذئب مع الخروف، و يعيش القديسيون في عهده في حالة عظيمة من المجد والسعادة[٣].

ومن العلامات السابقة للقيامة.

الازدراء بالدين جهاراً وفساد الأخلاق فساداً كلياً. (وقبل حضور المسيح ببرهة ووجيزة سيزداد الإثم وتبرد محبة الكثيرين) [٤].

احتقار النصرانية والازدراء بمخلص العالم يقول بولس: (إن لم يأت أولاً لا يأت يوم المسيح) [٥].
والارتداد عن الإيمان (لكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان) [٦][٧].

ويرى النصارى السبب في عدم تحديد الكتاب المقدس هذا اليوم الرهيب ليكونوا في استعداد دائم له. وسيكون لهذا اليوم شأن عظيم وهيبة بالغة، إذ فيه ينتهي مصير كل البشر وسيميزون بعضهم من بعض.

البعـــث:

يعتقد النصارى بالبعث وقد ورد ذكره في الكتاب المقدس سواء الإشارة إليه في العهد القديم أو النص عليه في العهد الجديد.

جاء في العهد القديم في سفر أشعياء: «تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا ، ترنموا ياسكان التراب»[٨] وفي دانيال «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدي» [٩][١٠].

---

(١) انظر :رؤيا يوحنا ١٩: ١٧-٢١.

(٢) الإيمان المسيحي ، ،سبرول ص ٣٠٦.

(٣) انظر: الإيمان المسيحي ،سبرول ، ٣٠٥-٣٠٦.وانظر: يوم القيامة ، فرج الله ،ص ١٢٣-١٢٥.

(٤) متى ٢٤ : ١٢.

(٥) رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ٢: ٣.

(٦) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٤: ١.

(٧) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا، ص١٠٥ .

(٨) أشعيا ٢٦: ١٩.

(٩) دانيال ١٢: ٦.

(١٠) مع أن اليهود يفسرون هذه النصوص بالتجمع بعد الشتات والبعث القومي والسياسي لليهود وهو نوع من تحريف النصوص الأصلية .انظر فرج الله عبد الباري ،ص ١٢٤-١٤٣.

أما في العهد الجديد فقد وردت النصوص صريحة بالبعث من الموت، وبالبوق الذي يعلن به القيامة من الأموات.

جاء في إنجيل متى: «فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصى السماوات إلى أقصاها»[١]. وقد ورد مفهوم هذا النص عند كل من مرقس وغيره[٢].

بل إن القيامة من الموت من أركان الإيمان في النصرانية لأنها هي التي تعلن الخلاص المسيحي وفي هذا يقول: «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، فباطل كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم»[٣]

وهذا البعث للراقدين سيكون بعد أن يأتي المسيح u في مجده للحساب والدينونة، والذي ستسبقه أهوال كثيرة كما يقول متى ومرقس وغيرهما :« وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، فحينئذ تفوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء، بقوة ومجد كثيرة، فيرسل ملائكته ببوق.... الخ»[٤] وفي أعمال الرسل «وأجعل فوقاً أعاجيب في السماء. وسفلات في الأرض، دماً وناراً وعمود دخان، فتنقلب الشمس ظلاماً والقمر دماً»[٥].

وهذا البعث يكون ليمتاز المؤمنون من الأشرار، وللدينونة والحساب، يقول القس الخوري يوحنا: «وبعد هذه العلامات التي تدل على مجيء ابن الله، سيوضع عرش وتفتح كتب، بها ينتبه ضمير كل واحد. وحينئذ يرون ابن البشر آتياً على السحب كبرق بقوة ومجد عظيمين.

وبعد ذلك يصير تمييز الأخيار من الأشرار كما (يميز الراعي الخراف من الجداء). وسيقف الأبرار عن اليمين والأشرار عن اليسار. ولا يكون في هذه المداينة مدع ولا شاهد، ولا يصير فيها تحقيق طويل، لأن الديان نفسه عارف بسرائر القلوب ولا يخفى عليه شيء. وسينظر إلى أبنائه المحتارين أبناء يوم القيامة بلحاظ أبوية ودية، وسيدعوهم عبيداً أمناء، وأحباء وخرافه الخاصة، ومباركين، ويثني على صبرهم وثباتهم في الإيمان، وعلى إتمامهم إرادته وعلى الإحسانات التي أبدوها له نفسه في شخص الفقراء والمحتاجين»[٦].

---

(١) متى ٣٤ : ٣٣.

(٢) مرقس انظر:١٣: ١٤-٢٨ ويوحنا بنص جمع من في القبور٥: ٢٨.وبولس بقوله: «فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي الفساد، ونحن نتغير، لأن هذا الفساد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت » رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ٥٢-٥٣.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٥: ١٥.

(٤) متى ٣٤ :٢٩- ٣٣. وانظر مرقس ١٣: ١٤-٢٨.

(٥) أعمال الرسل ٢: ١٩ – ٢٠.

(٦) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا، ص١٠٤ . انظر عقائد أساسية، دونالد ديماري ص١٦٩ وما بعدها.

والحساب سيكون على الأعمال التي عملها المرء في حياته، وفي معتقد النصارى أنها مدونة في أسفار تعرض عليهم يوم الدينونة جاء في رؤيا يوحنا «ورأيت الأموات صغارا وكبارا واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر وهو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم»[١].

وبهذا فإن النصارى يؤمنون بالقيامة، وبعودة الروح إلى الجسد، ويستدلون عليه من الكتاب المقدس فيقولون: «غير أن الجسد سيقوم في وقت الدينوية ويتحد بالنفس ثانية لينال كل شخص كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً أو شراً فأما أن يسعد بكليته ويحظى بالسماء نفساً وجسداَ، وأما أن يشقى بكليتيه فيحل به العذاب»[٢].

«وفي الكتاب (أقول لكم تأتي ساعة وهي الآن حاضرة حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون.... فيخرج الذين فعلوا السيئات إلى قيامة دينونة) [٣]. وكما أن يسوع المسيح هو رئيس قيامتنا هكذا سيكون متممها أيضاً (فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوت ابن الله) [٤]. غير أنه لا يقوم الأبرار أي المؤمنون فقط بل الأشرار أيضاً، أي غير المؤمنين (فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة حياة. والذين فعلوا السيئات إلى قيامة دينونة) [٥]».

النعيم والعذاب:

والهدف من القيامة والدينونة إنما هو لإقامة العدل وإعطاء كل فرد ما يستحقه من الثواب أو العقاب.

فالنعيم إنما يكون للصديقين والمؤمنين في السماء وسيكون مجمل نعيمهم في النقاط التالية:

أولاً: تكون أجساد الصديقين عديمة الفساد وعديمة الموت، ولا تعود تنفصل عن النفس أبداً ولا يطرأ عليها تغير.

ثانياً: ممجدة مزينة بجميع المواهب والنعم، وسيكون بهاء جمالها ساطعاً على الدوام كما في إبان العمر «وحينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم»[٦].

ثالثاً: قوية غير معرضة للأمراض والآلام، ولا تقاسي لا سقام الشيبة و لا عجز الشيخوخة، وتكون على الدوام قوية البنية ومعافاة وفي حال واحدة بعينها.

---

(١) رؤيا يوحنا ٢٠ :١٢-١٣ .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ٥:١٠ .

(٣) يوحنا ٥ : ٢٥ و ٢٩.

(٤) يوحنا ٥ : ٢٨.

(٥) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا،ص ١٤٤.

(٦) متى ١٣ : ٤٣.

رابعاً: روحية لا تحتاج إلى طعام أو ملابس أو إلى النوم للراحة أو إلى هواء للاستنشاق والتنفس أو إلى نور لتمييز الأشياء لأن الرب نفسه سيكون لها نوراً أبدياً.[١] وفي القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء[٢].

ثم يقول: «وسيكون هذا الفرح الأبدي عظيماً لأننا سنعايش الملائكة، والأنبياء، و مصاف الرسل والشهداء، وجميع القديسين والأبرار، فمعهم نجد لذة عظيمة وسروراً، ومعهم نهلل مبتهجين أبدياً.

(ما لم تر عين و لم تسمع أذن و لم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه) [٣]. هذا بشأن الصديقين» [٤].

أما ما يعتقده النصارى فيما أعده الله للأشرار الذين لم يؤمنوا من العذاب الأليم، ما سيكون فيه من دخولهم النار وشقاءهم الأبدي كما ورد عليه الدليل من الكتاب المقدس فيقولون: «أما الأشرار الذين ازدروا بالحق والإيمان وصرفوا حياتهم في الخطيئة و لم يتوبوا، هؤلاء سينبذهم الله الخير الأعظم خالقهم ويعدمون كل رجاء بتحنناته. ويكونون في حالة مخيفة في مكان البكاء وصرير الأسنان، في مسكن الأرواح الشريرة وموضع العذابات الأبدية (حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ)[٥]. (يمضي هؤلاء (أي الأشرار) إلى عذاب أبدي و الأبرار إلى حياة أبدية) [٦]».[٧].

ويبين هذا الجزاء من السماء أو الجحيم وكيف يكون دونالد فيقول: «وبعد الدينونة ينال كل شخص من المسيح جزاء ما فعل إما في السماء أو في الجحيم[٨]. إذن فالسماء والجحيم مكانان حقيقيان يختلف كل منهما عن الآخر تمام الاختلاف. ففي الواحد شركة مع الله وفي الآخر انفصال تام عنه. ذلك الانفصال الذي يعتبر أساس الجحيم كما أن الشركة مع الله هي أساس السماء. في السماء كمال وفي الجحيم خيبة أمل تامة، فطبيعة الأولى بناء وتكامل وكل ماهو خير وصالح، على حين أن طبيعة الأخرى دمار وكل ما هو رديء»[٩].

---

(١) أشعيا ٦٠ : ١٩.

(٢) متى ٢٢ : ٣ الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا،ص ١٤٦.

(٣) وقد عزاه إلى رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٩:٢١. وبحثت عنه في النسخة التي عندي في الرسالتين فلم أجده.

(٤) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا، ص ١٤٨ .

(٥) مرقس ٩ :٤٤.

(٦) متى ٢٥ : ٤٦.

(٧) الخلاصة الشهية ، الخوري يوحنا، ١٤٨ص-١٤٩.

(٨) متى ٢٥ : ٤٦.

(٩) عقائد أساسية، دونالد ديماري، ص١٧١ .

والنصارى إنما يرجعون الدينونة إلى المسيح **u** لاعتقادهم فيه الإلوهية وأنه من يفصل بين الخلائق يقول كاتب حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: وحين صعد يسوع إلى السموات لتتويجه باعتباره ملك الملوك، وأجلسه الله عن يمينه، ويمين الله هو كرسي السلطة. ومن هذا الوضع، يحكم يسوع ويدير ملكوته، ويترأس باعتباره ديان السموات والأرض... فكل حكام الأرض مسئولون أمامه، ولسوف يكون هو الديان الذي يقفون أمامه بحسب سلطانه كملك الملوك ورب الأرباب. وكل واحد في السماء والأرض، دعاه الله كي يوقر عظمة يسوع، وأن يخضع لسلطانه، وأن يقدم له الولاء والإجلال، ويخضع لسلطانه. وكل إنسان سيقف أمامه في النهاية حين يتولى الدينونة الأخيرة(١).

هذا مجمل ما يعتقده النصارى في اليوم الآخر حيث يتمركز جل اهتمامهم في ذلك على أن عيسى هو الديان فيه والثواب للأخيار والعقاب للأشرار.

---

(١) الإيمان المسيحي ، ،سبرول ،ص ١٠٣-١٠٤.

المطلب الثاني
الرد على النصارى موقفهم من اليوم الآخر

إيمان النصارى باليوم الآخر إيمان منحرف كغيره من أركان الإيمان، وأصل هذا الانحراف مبني على أساس اعتقادهم الفاسد في إلوهية المسيح u وأنه هو الديان وما يتبع ذلك من ضلال في المجيء والثواب والعقاب، وعلامات القيامة وغيرها مما جاءهم به عيسى u من الحق . قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة آل عمران ٥٥]

فالنصارى يدعون أن عيسى صعد إلى السماء لتكون له الدينونة أو الحكم بين الناس، ولذلك تثبت الآية بعد رفع عيسى أن الحكم لله. لا لأحد غيره، كما أن قضية عيسى ابن مريم أخطر القضايا التي اختلف حولها البشر، مما يقتضي حسمها بحكم الله فيها. قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء ٨٧]

على هذا فإن صورة اليوم الآخر قد تشوهت عند النصارى بسبب المصادر التي بين أيديهم[١]مع أن ما يذكر في العهد القديم لا يعدوا إلا أن يكون إشارات فقط، يقول فرج الله عبد الباري:« فإن الإشارات عن اليوم الآخر تعد قليلة في العهد القديم، هذا فضلاً عن التفصيلات في الآخرة والحشر والحساب والجنة والنار»[٢].

وليس ثمة خيار آخر أمام النصارى لمعرفة عالم الغيب عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من أحداث وأمور، وما قبله من علامات وأهوال، وما سيؤول إليه أمر الخلائق غير الدين الإسلامي في مصدريه الكتاب والسنة، الذي هو آخر الأديان السماوية وكتابه أصدق الكتب محفوظ من عند الله، لا يمكن أن يصل إليه التحريف ولا التبديل، وقد جاء فيه من التفصيل والبيان ما لم يأت به دين قبله ولهذا فإن بيان أمور اليوم الآخر تتوقف جملة وتفصيلاً على الكتاب والسنة، وباتباعهما تقوم الحجة.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

---

(١) فالتوراة قد خلت من الحديث عن اليوم الآخر كما جاء به موسى u ، وليست الأناجيل بأسعد حظاً من التوراة في ذلك، فهي قدمت اليوم الآخر على أن المسيح u هو الذي سيحاسب الخلائق يوم القيامة، انطلاقاً من جعله إلهاً ، ومن ثم لم تعد تتبين الصورة الحقيقية لليوم الآخر. انظر الدلالة العقلية ص٤١٨.

(٢) يوم القيامة، فرج الله عبد الباري ص ١٩٢.

أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران ٧-٩]

ولذلك فإن الرد على النصارى بشكل موجز يكون في النقاط التالية:

أولاً: حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد ما لم يؤمن به وبما يسبقه من علامات، وما سيكون فيه من أهوال، ثم مصير العباد من الجنة أو النار. ويجب الإيمان باليوم الآخر جملة فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فصل كما في حديث الإيمان الذي فيه «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

ثانياً: أن الله الواحد القهار هو وحده الذي يتولى حساب الخلائق يوم القيامة. لا يكل أمره لا إلى المسيح ولا غيره من المخلوقات قال تعالى:﴿ **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [سورة المطففين ٤-٦]

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ(٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[سورة إبراهيم٤٢-٤٣]

وفي الصحيحين عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:«يوم يَقُومُ الناس لِرَبِّ الْعَالَمِينَ «حتى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إلى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»(٢).

ثالثاً: إن أحداث يوم القيامة وما قبلها من علامات وأهوال عند النصارى، تنبئ عن أصل صحيح جاءهم به عيسى u ثم فقدوه، ودخله التحريف والتبديل كما دخل بقية معتقداهم، ولتصحيح هذا الانحراف سوف أتحدث عنه في النقاط التالية:

الساعة وأشراطها:

تذكر المصادر التي بين يدي النصارى وقوع الساعة وأنها سوف تكون بغتة لا يعلمها إلا الله حتى المسيح مع كونه إله وابن إله لايعلمها كما سبق ذكره من النصوص ثم علقوا على كونها بغتة للاستعداد الدائم لها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير - باب يوم يقوم الناس لرب العالمين ٦/ ١٦٧، وانظر: معارج القبول ،حافظ الحكمي ٣/٩٨٦.

وهذا التصور ليس ببعيد عن المعتقد الإسلامي لها والذي ذكر في الكتاب والسنة قال تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [سورة الأعراف ١٨٧]

فلا يعلم وقوعها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ففي حديث جبريل **u** عندما سأله عن الساعة قال: «قال فَأَخْبِرْنِي عن السَّاعَةِ قال ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ قال فَأَخْبِرْنِي عن إمارتها قال أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ»(١).

ولكنها لا تقوم حتى تسبق بعلامات قبلها تدل على قرب وقوعها، والذي ذكره النصارى من مجيء ضد المسيح (المسيح الدجال) والازدراء بالدين وبمخلص العالم، وفساد الأخلاق. والارتداد عن الإيمان وغيرها من العلامات.

وهذه العلامات في الجملة صحيحة ثم دخلها التحريف ليتوافق مع باقي معتقداتهم. ولذلك سأختصر تصحيح العلامات التي ستكون قبل قيام الساعة في النقاط التالية:

أشراط الساعة:

أشراط الساعة عندهم جاءت متوافقة في الجملة مع ما عند المسلمين دون الجزئيات والتفاصيل، من ظهور المسيح الدجال والفتن التي قبلها وفساد الدين وغيرها (٢).

أما الاختلاف ففي اعتقاد إلوهية المسيح، وحكم المسيح بعد الدجال، ونشره للإنجيل في كل المعمورة(٣). وعندما يقولون بفساد الدين فإنه من البقية الباقية التي أبقاها التاريخ حجة عليهم، ولكنه لا يدل على فساد الدين النصراني فهو فاسد، وإنما المقصود فساد الدين الإسلامي الذي سوف يبعث به محمد **r**. كما أن علامة مجيء ضد المسيح «المسيح الدجال» كما صرح ذلك يوحنا في إنجيله ثم كون نهايته كما في التصور النصراني على يد المسيح عيسى ابن مريم **u**. تتوافق إلى حد ما مع ما جاء في دين الإسلام كما سبق بيانه في الباب الأول.

البعـــث:

يتفق النصارى مع المسلمين في قضية البعث من حيث المبدأ العام، وبعض التصورات، ولبيان البعث على الوجه الصحيح الذي سيكون عليه، فإن الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه في هذه الأمر المهم، والذي عرض في القرآن الكريم بأكمله، وبينه بأساليب وطرق مختلفه، والتي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٢٨/١.

(٢) انظر: يوم القيامة. فرج الله ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) انظر يوم القيامة. فرج الله ص.١٢٧.

جاء كذلك القرآن ليثبته لمنكري البعث ويرد شبهاتهم، وهو أول مواقف الآخرة ومابعده موقوف على إثباته قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [سورة الحج ، ٧] ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة النحل ٣٨]

ومن مقدمات البعث النفخ في الصور قال تعالى :﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ** ﴾ [سورة يـــس٥١]

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله أعرابي عن الصور قال «قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه»[١].

وقد ورد في حديث الصور في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال وفيه «ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا قال وَأَوَّلُ من يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قال فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ الناس ثُمَّ يُرْسِلُ الله أو قال يُنْزِلُ الله مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ نُعْمَانُ الشَّاكُّ فَتَنْبُتُ منه أَجْسَادُ الناس ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى فإذا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ يا أَيُّهَا الناس هَلُمَّ إلى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مسؤولون»[٢].

وهذا النفخ سيكون مرتين[٣] كما في الحديث الصحيح عند مسلم السابق أن الأولى للصعق والثانية للبعث قال تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾ [سورة الزمر ٦٨]

وفي مسلم كذلك «ما بين النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قال أَرْبَعُونَ يَوْمًا قال أَبَيْتُ قال أَرْبَعُونَ شَهْرًا قال أَبَيْتُ قال أَرْبَعُونَ سَنَةً قال أَبَيْتُ قال ثُمَّ يُنْزِلُ الله من السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ الْبَقْلُ ليس من الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إلا يَبْلَى إلا عَظْمًا وَاحِدًا وهو عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يوم الْقِيَامَةِ»[٤].

وقد سمى الله هذه النفختين في القرآن بعدة تسميات منها الأولى الراجفة والثانية الرادفة قال تعـــإلى:﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ [سورة النازعات ٦-٧]

---

(١) جامع الترمذي: أبواب صفة القيامة والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في شأن الصور ٤/٢٢٦ قال الترمذي هذا حديث حسن، وقد روى غير واحد عن سليمان التيمي ولا نعرفه إلا من حديثه.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب في خروج الدجال ٨/ ٢٠١.

(٣) وهناك قول يقول أن النفخ سيكون ثلاث مرات وهو مبني على حديث أخرجه الطبري إلا أن سنده ضعيف ومضطرب كما صرح بذلك ابن حجر العسقلاني انظر فتح الباري، ابن حجر ١١/ ٣٦٩ .وانظر د/ عمر سليمان الأشقر، القيامة الكبرى ، (دار النفائس، الطبعة السادسة ، ١٤١٥هـــ ـــ ١٩٩٥م). ص٤١. وانظر فرج الله عبد الباري ص ١٣١.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ما بين النفختين ٨/٢١٠.

وفي موضع سمى الأولى بالصيحة والثانية بالنفخ في الصور قال تعالى:﴿ **مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**﴾ [سورة يــس ٤٩-٥١]

وبعد النفخ في الصور يكون البعث.

و«المراد بالبعث المعاد الجسماني وإحياء العباد في يوم المعاد»[١].

والقرآن الكريم يصور البعث من القبور تصويراً دقيقاً فقال تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**﴾ [سورة يس٥١- ٥٣]

وقال تعالى :﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**﴾ [سورة القمر٦- ٨]

وقد سبق بيان الحديث الذي في مسلم أنه يسبق النفخة الثانية ماء يترل من السماء ومنه تنبت أجسام العباد[٢].

وأول من يبعث يوم القيامة هو النبي محمد r كما في حديث مسلم « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ من يَنْشَقُّ عنه الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[٣] ثم يكون بعد هذا البعث الحشر إلى الله.

الحشـــر:

وهو أن الله تعالى سوف يحشر الخلائق إلى أرض المحشر بعد مبعثهم من قبورهم للوقوف بين يدي رب العالمين، لإقامة العدل بينهم كما جاء ذلك في الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [سورة الملك ٢٤]، وقال:﴿**وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [سورة آل عمران ١٥٨]

والحشر ليس مقصوراً على بني آدم بل البهائم كذلك للقضاء بينهم قال تعالى : ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ [سورة الأنعام ٣٨]

---

(١) القيامة الكبرى ،عمر الأشقر ص٥١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفضائل - باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ، ٥٩/٧.

وقال:﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ [سورة التكوير ٥]

قال أبو هريرة: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إلى أَهْلِهَا يوم الْقِيَامَةِ حتى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ من الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[١].

وقد وصف الكتاب والسنة صفة هذا الحشر وحال المحشورين بعدة أوصاف منها ﴿**خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾ [سورة القمر٧- ٨] . ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ** ﴾ [سورة المعارج ٤٣]

وذكرت أحوال كثيرة في هذا الحشر فحشر الكافر ليس كما يحشر المؤمن في الكيفية كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ [سورة مريم ٨٥-٨٦] .وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا** ﴾[سورة طه ١٠٢- ١٠٣]. وقال: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾ [سورة النمل ٨٩].

ويحشر العباد حفاة عراة غرلا ثم يكسون بعد ذلك فالصالحون يكسون الثياب الكريمة. كما صحت في ذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ» كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كنا فَاعِلِينَ « وَأَوَّلُ من يُكْسَى يوم الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ»[٢].

وأما إلى أين يحشرون؟

نص الكتاب والسنة على أن حشر العباد سيكون إلى أرض المحشر في بلاد الشام ولكنها تبدل إلى غير هذه الأرض ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [سورة إبراهيم ٤٨]

وقد جاء وصف هذه الأرض المبدلة في الصحيحين وفيه « يُحْشَرُ الناس يوم الْقِيَامَةِ على أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قال سَهْلٌ أو غَيْرُهُ ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»[٣].

وقد دل القرآن على أن التوراة التي جاء بها موسى u أنها نصت على البعث واليوم الآخر في قوله تعالى:﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ**

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم ١٨/٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ ١٣٩/٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ١٠٩/٨.

هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [سورة طه ١٤-١٦].وقال: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ [سورة طه، ٥٥]. وقال تعالى :﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)** ﴾ [الأعلى ١٦-١٩] . فأين ذهبت تلك النصوص!!

أهوال يوم القيامة:

وقد جاء عند النصارى ذكر لطرف من أهوال يوم القيامة (عند المجيء الثاني للمسيح) من تغيير لنظام الكون وزلزلة الأرض وتكوير الشمس وتساقط النجوم ونسف الجبال وتفجير البحار مما ورد تصحيح ذلك الانحراف في مصادر المسلمين. ممايدل على عظمة ذلك اليوم قال تعالى: ﴿ **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة المطففين٤-٦]

ومن تلك الأهوال مايلي:

الزلزلة العظيمة قال الله تعالى عنها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ [سورة الحج ١-٢]

ومن تلك الأهوال ما قال الله تعالى عنها: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا** ﴾ [سورة الواقعة ١-٦] . ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[سورة الزلزلة ١-٨]

وقد جاء في الحديث عند الحاكم والإمام أحمد وغيرهم من حديث ابن عمر قال قال رسول **r** : «من سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رأي عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وأحسبه أَنَّهُ قال سُورَةَ هُودٍ» [1].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٧ رقم ٤٨٠٦، ٢/٣٦ رقم ٤٩٣٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين و لم يذكر هود، كتاب الأهوال، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.٤/٦٢٠. قال الذهبي :صحيح.

قال تعالى:﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ** ﴾[سورة التكوير ١-١٤]

وهذا الذي تحدثت عنه في الحشر وما يصاحبه مما يتفق معه النصارى في أصل البعث وهو حياة الأموات، والنفخ في الصور وهو ما يسمونه بالبوق، وذكروا كثيراً من الأهوال غير أنهم يجعلونها مصاحبة لمجيء المسيح على أنه إله سيأتي لمحاسبة الناس، وهذا باطل كما سبق بيانه في علامات الساعة وأن مجيء المسيح لا يعدو كونه علامة من علامات الساعة. ولكنهم لم ينصوا بوضوح إلى الحشر وكيف يكون وغير ذلك من التفاصيل التي وردت عند المسلمين.

وبالإجمال فإن ما جاء في الأناجيل المعترف بها من قبل المسيحيين، وما جاء في أعمال الرسل وبقية ما جمعه العهد الجديد، لا يخرج عن هذا التصور. فهناك يوم يسمى يوم مجيء ابن الإنسان المعني به يسوع. ففي هذا اليوم تبرز علامات غير عادية. كظلام الشمس والقمر وتزلزل النجوم. وسوى هذه الإشارات لا نعثر على شيء آخر.

ويتضح من ذلك أن مفهوم يوم القيامة والأحداث السريعة المتلاحقة لم يكن واضحاً في العقيدة النصرانية وهو كذلك إلى الآن.ويبقى إنجيل برنابا الوحيد بين الأناجيل الذي أسهب في وصف تلك الأحداث في عدة مواقع منه، ولعل أهمها ما جاء في الفصل الثالث والخمسين والرابع والخمسين والذي يتطابق إلى حد كبير مع ما جاء في القرآن الكريم[١].

صحف الأعمال:

من مشاهد يوم القيامة عرض صحف الأعمال وتطايرها على العباد بالدليل من الكتاب والسنة وقد تسمى في القرآن (بالكتاب) ما قال تعالى :﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ [سورة الإسراء ١٣-١٤] .وهو لا يغادر شيئاً من عمل العبد ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[سورة الكهف ٤٩] .

---

(١) انظر إنجيل برنابا ١٨٢-١٨٤.وانظر:العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش ٢ / ١٣٨.

والملائكة الكرام هم من يتولون كتابتها بل قد كلف بها ملكان منهم من يكتب الحسنات ومنهم من يكتب السيئات قال تعالى : ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [سورة ق ١٨] ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [سورة الإنفطار١٠-١٢]

وعلى ضوء ما في الصحف سيكون الأخذ والحساب، فمن رجحت حسناته سيأخذها بيمينه ومن رجحت سيئاته يأخذها بيساره قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ [سورة الإنشقاق ٧-٨] وقال تعالى﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**﴾ [سورة الحاقة ٢٥] .وهي تنشر في عرصات يوم القيامة على رؤوس الأشهاد قال تعالى: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ [سورة التكوير ١٠]

الحســـاب:

إن التصور النصراني بعيد كل البعد عن المنهج الإلهي الذي يقوم عليه إرسال الرسل، ومن ضمنهم عيسى u إذ جعل النصارى المسيح هو من يتولى الحساب للخلق. وهذا ماجاء الإسلام برده وبيان القول الحق فيه بالكتاب والسنة بما فيهما من تفاصيل لا توجد في غيرهما.

فبعد تناول الصحف، يقرر الله العباد على ما فيها وما كتبته الملائكة ثم يحاسب الخلق مع الإشهاد على ذلك.

والمراد بالحساب أن الله يوقف عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها ، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، ويشمل الحساب مايقوله الله لعباده، وما يقولونه له ، وشهادة الشهود ووزن الأعمال[١].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ [سورة الغاشية ٢٥-٢٦] وقال تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [سورة إبراهيم ٥١]. أما عن كيفية الحساب فقد ورد في الكتاب والسنة كيفيات له فحساب المؤمن غير حساب الكافر قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا**﴾ [سورة الانشقاق ٧-١٢]

وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله عنها كما في البخاري ومسلم قالت: «قال رسول اللَّهِ r ليس أَحَدٌ يُحَاسَبُ إلا هَلَكَ قالت قلت يا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ أَلَيْسَ

---

(١) القيامة الكبرى،عمر الأشقر ،ص ١٩٣.

يقول الله عز وجل» ﴿**فَأَمَّا من أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ «قال ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»[1].

فحساب المؤمن على الأقوال أو الأفعال أما حديث النفس والهم على السيئات – إلا أن يكون الهم للإلحاد في الحرم – قال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [سورة الحج ، ٢٥]

فإن الله لا يؤاخذ الناس عليها إلا ما سيكون من الجزاء على الهم بالحسنة والجزاء عليها، جاء في البخاري: «عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرْوِي عن رَبِّهِ عز وجل قال إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هو هَمَّ بها وعملها كَتَبَهَا الله له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلى سبعمائة ضِعْفٍ إلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله له سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[2].

وقد يغفر الله لمن شاء من عباده المؤمنين لحديث النجوى عن ابن عمر:« سمعت رَسُولَ اللَّهِ r يقول إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فيقول أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فيقول نعم أَيْ رَبِّ حتى إذا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى في نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قال سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا وأنا أَغْفِرُهَا لك الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ والمنافق فيقول الْأَشْهَادُ ﴿**هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود: ١٨] [3].

وآيات المغفرة والعفو كثيرة وهي خاصة لمن يموت موحداً لله تعالى.

أما الكافر والمشرك فيقرره الله على كفره وشركة كما في الحديث السابق وقوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ [سورة آل عمران٧٠] وبين الله حسابه الشديد لمن مات على كفره قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا** ﴾ [سورة الطلاق ٨]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير - باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا ١٦٧/٦، وانظر: صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب إثبات الحساب ١٦٤/٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب من هم بحسنة أو بسيئة ١٠٣/٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المظالم - باب قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ ١٢٨/٣.

أما عدم مغفرة ذنبه فلأن الله لا يتعاظمه ذنب أن يغفره؛ سوى الكفر والشرك بالله فإنه لا يغفره قال تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [سورة النساء ٤٨].وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [سورة النساء ١٦٨] .

ومن الخلق من سيدخلون الجنة بغير حساب كما ورد في حق الصابرين وغيرهم قال تعالى:﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[سورة الزمر ١٠] .

وقد ورد في ذلك عدد من الأحاديث كما عند البخاري في حديث السبعون ألف الذين سيدخلون الجنة بغير حساب عن ابن عَبَّاسٍ قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فأجد النبي يَمُرُّ معه الْأُمَّةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه النَّفَرُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه الْعَشَرَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه الْخَمْسَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كَثِيرٌ قلت يا جِبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي قال لَا وَلَكِنْ انظر إلى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كَثِيرٌ قال هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عليهم ولا عَذَابَ قلت وَلِمَ قال كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ إليه عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقال ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم قال اللهم اجْعَلْهُ منهم ثُمَّ قام إليه رَجُلٌ آخَرُ قال ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم قال سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ»[1].

وعليه فإن معتقد النصارى أن عيسى هو من يتولى حساب الخلائق معتقد باطل لبطلان أساسه، فهم يرون أن المسيح هو من يحاسب الناس لأن الإله الأب أعطى سلطان الحساب للإله الابن، لكون المسيح ابن للإنسان أيضاً فهو أولى بمحاسبة الإنسان. فأين هذا من دعواهم أنه قدم دمه ليخلص البشر من آثامهم.

فما هو أساس اعتقاد النصارى لهذا؟

بما أن لبولس الدور الكبير في انحراف النصارى فهو كذلك الذي قادهم إليه يقول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أو شراً».[2] وقال أيضاً: في رسالته إلى أهل أفسس: «أقام الله المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وأخضع كل شيء تحت

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ١١٢/٨.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥: ١٠.

قدميه»[1]. وفي رسالة يوحنا والتي يقول النصارى أنها كتبت بنفس بولسي يقول : « الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن»[2].

ويبين الطهطاوي بطلان هذا المعتقد فيقول : «إن هذه الفكرة عند المسيحيين مبنية على أن المسيح إله، وهو أساس باطل، قرره مجمع مسكوني هو مؤتمر نيقية بسيف القهر والسلطان والجبروت، وتهدم هذه الفكرة من أساسها إذا تبين لدى المسيحيين زيف قرار مجمع نيقية الذي جعل من المسيح وهو بشر آدمي إلهاً، وإذا ما تكشف لهم ذلك واستبان لهم أنه لم يكن له الحق أن يحاسب أو يدين، لأن هذا من شأن الله سبحانه وتعالى فقط دون أحد من الخلق»[3].

ومع ذلك فإن النصارى يتفقون مع الإسلام إذا ألغينا كون من يحاسب الناس هو المسيح في أمور جوهرية منها أن جميع البشر سوف يقفون للحساب وأن من الناس من ينجوا بعد الحساب ومنهم من يهلك وأنه لا ينفع أحد أحد بل الجميع موقوفون لتنفيذ عدل الله.

وهذا يدعوهم إلى العودة لفهم رسالة عيسى u الصحيحة ولن يجدوها إلا في الكتاب والسنة فما بأيديهم محرف مبدل.

الشفـــاعة:

الشفاعة عند المسلمين من مشاهد يوم القيامة وقد دل على أصلها الكتاب، وفصلت في أمرها السنة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [سورة البقرة ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [سورة الأنبياء ٢٨] وقال: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ [سورة طه ١٠٩]

أما السنة ففصلت الشفاعة في اليوم الآخر فمنها ماهي خاصة بالنبي محمد r ومنها ماهي للنبيين والملائكة والصالحين يوم القيامة. ومن ذلك ما ورد عند مسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه بعد أن يذهب أهل الموقف إلى آدم ثم نوح وإبراهيم وموسى عيسى عليهم السلام ثم يقول:« فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ يا محمد أنت رسول اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ ألا تَرَى ما نَحْنُ فيه ألا تَرَى ما قد بَلَغَنَا فانطلق فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ

(١) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١: ٢٢.

(٢) إنجيل يوحنا ٥: ٢٢. انظر النصرانية والإسلام، الطهطاوي٥٦- ٥٧.

(٣) النصرانية والإسلام، الطهطاوي ص٥٨.

وَيُلْهِمُنِي من مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئا لم يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يا محمد ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ يا محمد أَدْخِلْ الْجَنَّةَ من أُمَّتِكَ من لَا حِسَابَ عليه من الْبَابِ الْأَيْمَنِ من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ الناس فِيمَا سِوَى ذلك من الْأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إِنَّ ما بين الْمِصْرَاعَيْنِ[١]من مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بين مَكَّةَ وَهَجَرٍ أو كما بين مَكَّةَ وَبُصْرَى» [٢].

أما شفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين فكذلك في حديث الشفاعة وفيه « فيقول الله عز وجل شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ولم يَبْقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النَّارِ فَيُخْرِجُ منها قَوْمًا لم يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قد عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ في نَهَرٍ في أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ له نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الْحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ»[٣].

والشفاعة في الإسلام لها شأن عظيم، وهناك من الأعمال ما توجب الشفاعة سواء من الرسول r للناس أو للمؤمنين بعضهم من بعض كما في حديث «من قال حين يَسْمَعُ النِّدَاءَ... الحديث»[٤].

أما النصارى فإنهم يجعلون الشفاعة في الدنيا، وهي التي بسببها جاء عيسى u لخلاص البشرية كما أنهم يستشفعون بمريم عليها السلام عند عيسى u ويدعون بذلك في صلواتهم ومن ذلك قولهم: «أيتها العذراء القديسة والدة الله أمي وشفيعتي، إني أضع ذاتي تحت ذيل حمايتك، وأنطرح بكل اتكال في حضن رحمتك، فكوني يا أم الجود ملجئي في احتياجي، وتعزيتي أتعابي، وشفيعتي عند ابنك المجد اليوم، وفي كل أيام حياتي ، ولا سيما عند ساعة موتي آمين»[٥].

ويشير الدكتور فرج الله إلى إثبات ذلك في المقابلة التي أجراها مع الأنبا غريقريوس[٦] أن هذه الشفاعة تكون في الدنيا لا في الآخرة. ثم يقول «والشفاعة التي يعتقدها النصارى تكون بالمسيح، وبأمه، وبالملائكة ، والقديسيين»[٧].

ثم ذكر على كل نوع أدلته عند النصارى وأكتفي بما أورده عن بولس قوله «فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذي يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين يشفع فيهم»[٨] واعتقادهم أن

---

(١) المصراعان: من الأبواب بابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط منهما. القاموس المحيط ٢/٩٨٩.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٢٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية ١/١١٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الآذان - باب الدعاء عند النداء ١/١٢٦.

(٥) علم اللاهوت النظامي ص٧٩٧.نقلامن يوم القيامة، فرج الله عبد الباري ص ٢٤٥، وانظر: هداية الحيارى، ابن القيم ٢٧٠-٢٧١.

(٦) أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية انظر: د/ فرج الله عبد الباري، موسوعة العقيدة والأديان (يوم القيامة بين الإسلام المسيحية واليهودية، (دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤). ص ٢٤٤.

(٧) يوم القيامة، فرج الله عبد الباري ص ٢٢٤.

(٨) رسالة بولس إلى العبرانيين ٧: ٢٥.

الشفاعة في الدنيا مما يخالف الحق بأن الشفاعة سوف تكون في الآخرة للأدلة السابقة وإنما بنوا قولهم هذا على اعتقادهم ألواهية المسيح والتقديس الذي أضفوه على من يسموهم أنبياء ورؤساء وقديسيين.

وبنوا هذا التصور على أساس أن المغفرة والكفارة تكون في الدنيا، أما في الآخرة فلا يكون شيئاً من ذلك وإنما الثواب والعقاب الأبديين وفي هذا يقول متى « فيمضي هولاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية»(١).

الجنة والنار:

آخر ما يؤول إليه أمر الخلق بحسب أعمالهم التي عملوها في الدنيا إما إلى الجنة أو النار وهما آخر مشاهد يوم القيامة. ومصير العباد إليهما، والترغيب والترهيب بهما مما كثر ذكره عند المسلمين والنصارى. غير أن الإسلام كما في شأن عالم اليوم الآخر أعطى تصوراً واضحاً لهما بخلاف ما عند النصاري.

وهما مخلوقتان وموجودتان الآن وهذا القول الذي عليه أهل السنة والجماعة كما قال الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه»(٢).

والدليل على ذلك من الكتاب والسنة . فمن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [سورة آل عمران ، ١٣٣] وقال في سورة الحديد ﴿ **أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾[سورةالحديد ، ٢١] وعن النار أعدت للكافرين قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران، ١٣١] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا** ﴾ [سورة النبأ،٢١-٢٢] وقال تعالى في الإسراء والمعراج ﴿**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ [النجم ، ١٤-١٥].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال إِنَّ أَحَدَكُمْ إذا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إن كان من أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كان من أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هذا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ الله يوم الْقِيَامَةِ»(٣).

---

(١) متى ٢٥: ٤٦. وانظر فرج الله عبد الباري ص ٢٤٦-٢٤٩.

(٢) شرح العقيده الطحاويه ،ابن ابي العز ٢/ ٦٤١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز - باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٢/ ٩٩ ، وانظر: صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٨/١٦٠ انظر:شرح العقيده الطحاويه ،ابن ابي العز ٢/ ٦٤١-٦٤٢.

ومن أدلة كونهما موجودتان قصة آدم وحواء في الجنة وأكلهما من الشجرة ثم إنزالهما إلى الأرض كما قال تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [سورة البقرة ٣٥]. ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ [سورة الأعراف ١٩-٢٠] وسوف أجمل الحديث عنهما في النقاط التالية :

الجنـــة:

هي دار النعيم التي وعد بها من آمن بالله ورسله، وبعد بعثة محمد r من آمن بالله ورسوله خاتم النبيين محمد r ولا يدخلها أحد بعد بعثته علم به و لم يؤمن لا يهوديا ولا نصرانيا ولا غيرهما.

صفـــات الجنة:

الجنة لا مثل لها ولا يمكن للعبد تصورها ولا تصور ما ورد فيها من النعيم جاء في الحديث الصحيح: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله r قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة، ١٧]»[١].

بنائها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران [٢].

وفيها أربعة أنهار قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾ [سورة محمد، ١٥]

أبوبها ثمانية [٣] مابين المصراعيين كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى[١]. وفي الحديث الأخر مابين المصراعين مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام[٢].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة ٤/١١٨.

(٢) انظر: جامع الترمذي: أبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها ٤/٢٩٣ قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي ، وليس هو عندي بمتصل ، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدلة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مسند أحمد بن حنبل ٢ /٤٤٥رقم ٩٧٤٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب صفة أبواب الجنة ٤/١١٩.

أما درجاتها فهي متفاوته وأهلها فيها متفاوتون في البخاري: «عن النبي r قال إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(٣).

وهي أربع جنان ورد في الصحيح: «أن رسول الله r قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن»(٤).

وهي التي ورد وصفها في سورة الرحمن من قوله تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [سورة الرحمن، ٤٦] إلى آخر السورة.

وأعلى المنازل لرسولنا محمد r وهي الوسيلة ففي الحديث: «عن جابر بن عبد الله أن رسول الله r قال: من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»(٥).

وفيها أشجار وفواكه كثيرة لا يعلمها إلا الله مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين كما ورد وصفها في سورة الرحمن من قوله تعالى: ﴿**فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ** ﴾ [الرحمن: ٥٢] إلى آخر السورة .

وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [سورةالزخرف ٧٢]

ومن شجرها ماذكر في الكتاب والسنة مثل شجرة طوبى وغيرها في الحديث عن الرسول r : قال له رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» (٦) وفيها من الدواب والطيور مالا يعلمه إلا الله قال تعالى: ﴿**وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ** ﴾ [سورة الواقعة ٢١-٢٢]

صفات أهلها:

خلود أهلها فيها قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾ [سورة الكهف، ١٠٧-١٠٨]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقاق - كتاب الزهد والرقائق ٢١٥/٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة ١١٩/٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير - باب قوله:﴿ومن دونهما جنتان ﴾ ١٤٥/٦.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٧١/٣ رقم ١١٦٩١.

وقال تعـــالى:﴿ **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [سورة الدخان ٥٦]

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عن النبي r قال:« يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل ﴿ **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة الأعراف ٤٣] (١).

من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت، لاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه(٢).

وهم مع كل هذا النعيم مخدومون بولدان ينشئهم الله لخدمتهم قال تعالى:﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا**﴾ [سورة الإنسان ١٩]

والله تبارك وتعالى يجمعهم بزوجاتهم المؤمنات في الدنيا كما قال تعالى:﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ** ﴾[سورة الرعد ٢٣].و ﴿**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ** ﴾[سورة يس ٥٦]

وكذلك يزوجهم بالحور العين كما قال تعالى:﴿**كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ** ﴾[سورة الدخان، ٥٤] . وقد جاءت الآيات والأحاديث بوصفهن وماهن عليه من الجمال والكمال . ويولد لهم في الجنة ففي الحديث أن النبيr قال: «إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وشبابه كما يشتهي في ساعة»(٣) .

وقد وردت الآيات بوصف طعامهم وشرابهم وآنيتهم ولباسهم وحليهم وفرشهم إلى غير ذلك من النعيم المقيم كرؤية أرحم الراحمين والرضوان والحور العين والتزاور والاتكاء وسوق الجنة والحلي والشراب وغيرها مما مظانه آيات الكتاب والصحيح من أحاديث الرسول r ، وفي الختام يبقى التساؤل من هم المستحقون لدخول الجنة ؟؟

والجواب على وجه الإجمال «هم المؤمنون الموحدون فكل من أشرك بالله أو كفر بالله أو كذب بأصل من أصول الإيمان فإنه يحرم من الجنة ويكون في النيران»(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب في دوام نعيم أهل الجنة ، الجزء ٨ الصفحة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح ابن حبان، ذكر الإخبار بأن المرء من أهل الجنة إذا اشتهى الولد كان له ذلك، وصححه ١٦/٤١٧،و قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) الجنة والنار، عمرالأشقر ١٨٥.

ففي الحديث «أن أعرابيا أتى النبي r فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا فلما ولى قال النبي r من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[١].

ويجب مع هذا الاعتقاد العمل الصالح والإخلاص وإلا لن يكون من أهل الجنة كما قال تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [سورة البقرة ٢٥]، وقال تعالى: **﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** [سورة الصافات ٤٠-٤٣]

وأختم بجملة من الأعمال ذكرها الله في سورة الرعد قال تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾** [سورة الرعد ١٩- ٢٦]

وطريق الجنة محفوف بالمكاره في الحديث«أن رسول الله r قال حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره»[٢].

وفي حديث فكاك المسلم باليهودي أو النصراني « قال رسول الله r إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار»[٣].

عن أبي مُوسَى الأشعري قال قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ يَمُوتُ مُسْلِمٌ الا أَدْخَلَ الله عز وجل مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أو نَصْرَانِيًّا»[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة ٢/١٠٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب حجبت النار بالشهوات ٨/١٠٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٨/١٠٤.

(٤) صحيح مسلم: كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٨/١٠٤.

هذا مصيرهم مع عدم الإيمان، وقد ضلوا واغتروا وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى كما قالت اليهود بذلك، فعاب الله عليهم قولهم، وطالبهم بالبرهان، وأنى لهم ذلك قال تعالى :﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [سورة البقرة، ١١١-١١٢]

هذا ماعليه أهل السنة والجماعة وإجماع الأمة ،وما سوى ذلك من أقوال بعض أهل العلم أو غيرهم من الفرق كالمعتزلة والخوارج وغيرهم فقد أعرضت عنه.

ويوافق التصور النصراني من حيث النعيم العقيدة الإسلامية في كمال الأجساد وعدم فناءها بالموت أو غيره، مع الجمال والقوة وعدم الهرم، والاجتماع بالأنبياء والرسل والشهداء. ويثبت هذا النص التوافق بين الرسل أجمعين وهو مما أبقاه الله بيد النصارى شاهداً عليهم إذ يقول بولس: «مالم تر عين و لم تسمع أذن و لم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه»(١).

وهم يقولون أنها ستكون روحية لا تحتاج إلى طعام أو لبس أو نوم و لا يزوجون ولا يتزوجون. وهم ليسوا في حاجة إلى الطعام كغيره ولكنهم ينعمون بالطيبات من الطعام واللباس والزواج وغيره كما سبق بيانه بالأدلة.

ولا نرى ذكراً عند النصارى للصراط ولا للميزان ولا الحوض وغيرها من مشاهد يوم القيامة فلم أذكره وهي مما ثبتت بنصوص الكتاب والسنة.

النـــــار:

هي دار العذاب أعدها الله لمن كذب بالله وبرسله، أو أشرك معه في عبادته غيره، وهي دار خزي وذلة وهوان قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [سورة آل عمران ،١٩٢] وقد سبق بيان أنها مخلوقة لا تفنى ولا تبيد وأن الله جعلها مقر أعدائه

صفة النار:

النار كبيرة واسعة يدل على ذلك أمور منها:

أن أعداد الذين يدخلونها لايحصي عددهم إلا الله مع تغيير خلقهم كما سيأتي.

وفي الحديث «أن النبي r قال أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته فيقال هذا أبوكم آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول يا رب كم أخرج فيقول أخرج من

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ١٤.كورنثوس ٩: ٢١.

كل مائة تسعة وتسعين فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا قال إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[1].

وفي الحديث الآخر «عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد قال أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا ثم قال والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»[2].

ومع كثر من يدخلها إلا أنها لا تمتلي حتى يضع الحق تبارك وتعالى قدمة عليها فتقول قط قط كما في الحديث «عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك»[3].

وقال تعالى:﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** ﴾[سورة ق، ٣٠]

«عن أبي هريرة قال كنا مع رسول الله **r** إذ سمع وجبة فقال النبي **r** تدرون ما هذا قال قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»[4].

أن الشمس والقمر رغم كبرهما وعظم خلقهما يلقيان فيها كأنهما ثوران.

وهي دركات كثيرة متفاوتة في العذاب قال تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾ [سورة النساء ، ١٤٥]

وأبوابها سبعة أبواب قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ** ﴾ [سورة الحجر ، ٤٣-٤٤]

وهي مغلقة على المجرمين لايستطيعون الخروج منها قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ**﴾ [سورة البلد ، ١٩-٢٠]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب كيف الحشر ٨/١١٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم - باب قول الله تعالى:﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ ٤/١٣٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب في شدة حر نار جهنم ٨/١٤٩.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون ٨/١٥٢.

أما وقودها فهي الأحجار والفجار والكفار قال تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [سورة البقرة ، ٢٤]

ومما توقد به النار المعبودات التي عبدت من دون الله في الدنيا قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [سورة الأنبياء ، ٩٨- ٩٩]

أما شدة حرها فقد وصفه القرآن الكريم كثيراً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ**﴾ [سورة الواقعة، ٤١-٤٤] وفي الحديث « أن النبي r قال ناركم هذه التي يوقد بن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها»(١).

والنار تبصر وتتكلم غيضاً وحنقاً على أهلها قال تعالى: ﴿**إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**﴾ [سورة الفرقان، آية ١٢]

وفي الحديث قال رسول الله r :« تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين»(٢).

أهل النار:

ينقسم أهل النار إلى قسمين:

أهلها المخلدون فيها:

وهم الذين لا يرحلون عنها ولا يبيدون وهم أهل الكفر بالله قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ [سورة البقرة ١٦١-١٦٢] وأهل الشرك الذين عبدوا غير الله معه وقال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [سورة التوبة ١٧] وكذلك المكذبين

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب في شدة حر نار جهنم ١٥٠/٨.

(٢) جامع الترمذي: أبواب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في صفة النار ٣٣٠/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.قال الشيخ الألباني: صحيح.

بيوم الدين التاركين للتكاليف الشرعية قال تعالى: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾ [سورة المدثر، ٤٢ ٤٣-٤٧] وكذلك المنافقين قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ [سورة التوبة ٦٨]

الذين يدخلونها ولايخلدون:

وهم أهل التوحيد الذين لهم ذنوب كثيرة فاقت حسناتهم، ولم يغفر لهم فهم يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بعد جزاء ذنوبهم.

وهم أصحاب الذنوب الذين توعد أصحابها بالنار مثل:

الفرق المخالفة للسنة قال النبي ﷺ :«إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[١].

الكذب على الرسول ﷺ. لحديث «أن النبي ﷺ قال من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار»[٢] الكبر، قتل النفس بغير حق، أكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، المصورون الركون إلى الظالمين، الكاسيات العاريات، والذين يجلدون ظهور الناس، والمنتحر، والجائرون في الحكم، ومن يعذب الحيوان، وعدم الإخلاص في طلب العلم، والذين يشربون في آنية الذهب والفضة، وغيرها مما عليه الدليل من الكتاب والسنة وقد أعرضت عن ذكر الدليل عن كل ما سبق لعدم الإطالة ومضانها الكتاب والسنة الصحيحة.

وصف أهل النار:

يدخل أهل النار النار وهم على صورة ضخمة لا يعلم قدرها إلا الله[٣].

أما طعامهم وشرابهم فقد قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ**﴾ [سورة الغاشية، ٦-٧] وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ** ﴾ [سورة الواقعة ٥١-٥٦]

---

(١) المستدرك على ا لصحيحين، فصل في توقير العالم ١/٢١٨ ثم قال الحاكم هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث . قال الذهبي :هذه أسانيد تقوم بها الحجة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي ١/٣٣.

(٣) جامع الترمذي : أبواب صفة جهنم، ٤/٣٣١ ، ٤/٣٣٢.

وقال: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[سورة الكهف٢٩]

كما أن عقاب بعض الذنوب هو أكل النار كما قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [سورة النساء ١٠]

أما لباسهم فهو من نار كما قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [سورة الحج، ١٩] وقال: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [سورة إبراهيم ٤٩-٥٠]

ولما كانت دركات فأهلها متفاوتون في العذاب في الحديث الصحيح أن النبي r قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته» وفي رواية (إلى عنقه) [(١)].

وفي كل شدة وعذاب مع الهوان والذلة والخسران قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٩١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة ٣٦]

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة يونس ٢٧].

وأهون أهل النار عذاباً من تغلي دماغة من جمرة توضع تحت قدمية جاء في البخاري عن النبي r :« إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه»[(٢)].

ولما كان سبب دخول النار هو الكفر والشرك وترك الأعمال الواجبة فإنه بضدها ينجوا العبد من عذاب الله مع الدعاء والاستعاذة بالله منها والاستغفار قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، آية ١٦] ، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب في شدة حر نار جهنم ٨/١٥٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار ٨/١١٥.

اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [سورة آل عمران ، ١٩١-١٩٤]

أما أهل الفترة: وهم من لم تبلغهم رسالة النبي **r** سواء قبل بعثته أو بعدها، فقد ورد فيهم أنهم يمتحنون يوم القيامة عند ابن حبان من حديث الأسود بن سريع عن رسول الله **r** قال:« أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة فأما الأصم فيقول يا رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار قال فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم بردا وسلاما»[١].

ويدخل في أهل الفترة اليهود والنصارى الذين لم يبلغهم الحق فيما جاءهم به عيسى **u** أما بعد بعثة نبينا محمد **r** وبلوغهم رسالته ثم لم يؤمنوا به فإنهم من أصحاب النار نص الحديث الصحيح عند مسلم عليهم عن أبي هريرة عن رسول الله **r** أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[٢].

فما يعتقده النصارى مما أعده الله للأشرار الذين لم يؤمنوا من العذاب الأليم ما سيكون فيه من دخولهم النار، وشقاؤهم الأبدي، فهذا يتفق مع مافي الإسلام من حيث العذاب ويختلف من حيث سببه؛ إذ هم يقصدون أن العذاب على عدم الإيمان بإلوهية المسيح وكونه صلب من أجل الخطيئة، وهذا غير صحيح بل العذاب والنار توعد الله بها من يقول بهذا المعتقد مع غيرها من الذنوب.

فالنصارى إذا ماتوا على هذه العقيدة و لم يتوبوا منها ويؤمنوا برسالة محمد **r** سيصيبهم العذاب كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾ [سورة البينة ٦]

---

(١) صحيح ابن حبان، ذكر الأخبار عن وصف الأقوام الذين يحتجون على الله يوم القيامة ٣٥٦/١٦، مسند أحمد بن حنبل ٢٤/٤ رقم ١٦٣٤٤.

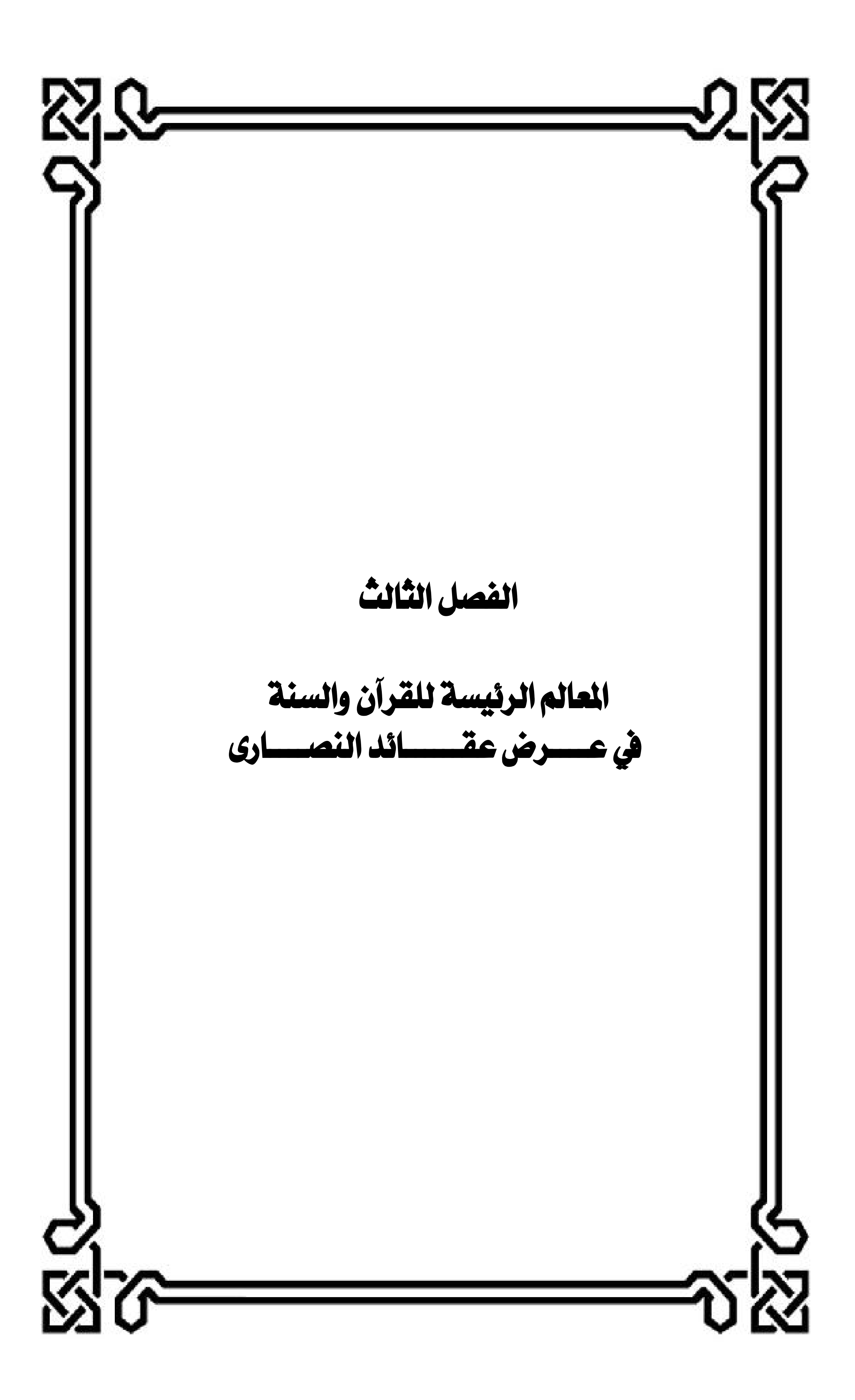
(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة النبي ٩٣/١.

وقد كفروا به وعندهم من الله بينة فيه كما قال: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة الأنعام٢٠]

وقال ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾ [سورة البينة ٢-٤].

هذا مجمل ما يعتقده النصارى في اليوم الآخر حيث يتمركز جل اهتمامهم في ذلك على أن عيسى هو الديان فيه والثواب للأخيار والعقاب للأشرار.

غافلين أشد الغفلة عن قصد أو غير قصد، عن المصير الذي ينتظرهم؛ إن لم يكونوا في ركب الموحدين، ويومنوا برسالة الهادي البشير كما جاء به من الكتاب والنهج القويم.



الفصل الثالث

المعالم الرئيسة للقرآن والسنة
في عـــرض عقـــائد النصـــارى

الفصل الثالث

المعالم الرئيسة للقرآن والسنة في عرض عقائد النصارى

عندما عرض القرآن والسنة مسائل الاعتقاد في قصة عيسى u ، تنوعت الأساليب لسرد القصة، وبيان مسائلها سواءً عند عرض عقائدهم الباطلة، أو الرد عليها وتصحيحها، مما جعلني أستخرج منها بعضاً من المعالم الرئيسة المستنبطة من نصوصها.

وحيث أنني لم أضع معظم النصوص في ثنايا الرسالة إلا أنني آثرت أن أذكر معالمها ما أمكنني من جميع النصوص المعروضة في الرسالة وغير المعروضة واستبعدت كتابة النصوص رغبة في الاختصار.

فمن هذه المعالم:

١) تقرير العقيدة الصحيحة في جميع مسائلها، ومجادلتهم بحجج واضحة ظاهرة قوية.

٢) التركيز على أصول المسائل دون ذكر ما تفرع منها من معتقدات: سواءً حين عرض عقائدهم الباطلة، أو عند الرد عليهم. مثل: مسألة الشرك في الإلوهية، ونفي الصلب، وتحريف الكتب، وكتمان البشارة بالنبي محمد r ، وتحريف الدين باتباع الأهواء والرهبان. دون سرد لفروع المسائل بل ذكرت المسألة وتصحيح الله لها، وحكمها، وما يترتب عليها من عقوبة في الدنيا والآخرة وعليها تقاس الفروع، فبنفي الأصل وبطلانه يجري ذلك على الفرع.

٣) الإيجاز في أصول المسائل دون ذكر التفاصيل: فعندما ذكرت أصول المسائل لم تذكر تفاصيلها، بل ذكرت بأوجز عبارة، وأبلغ أسلوب،فعند عرض الشرك في الإلوهية لم يبين كيفية تأليه المسيح وتعظيمه، ولا متى كان القول بذلك، ومن قال به، ولا بيان الفرق واختلافها فيه، ولا من أين اقتبسوا أقوالهم. إلى غير ذلك من التفاصيل التي عرفت من تاريخ النصرانية سواء من المسلمين، أو من النصارى أنفسهم، والتي بقيت في كتبهم ومصادرهم، وتناولها علماء المسلمين بالتحليل والبيان.

وقس ذلك على باقي المسائل كتحريف الكتب فلم يذكر إلا التحريف والتبديل، وأمور يسيره وكذلك كتم البشارة بالنبي محمد r وما ذكرأساليب كتمها إلى غير تلك الأمور.

وعندما جاء الرد عليها فالأمر كذلك بالإجمال، بما يترتب عليها من أحكام، مع بيان الأخبار اللازمة في إظهار الحق الذي جاءهم به عيسى u فغيروه أو حرفوه أو كتموه.

٤) إثبات قدرة الله، وحكمته، وعلمه بالغيب، وإحاطته بكل شيء. في كثير من أحداث القصة مناظرة للنصارى في اعتقادهم إلوهية المسيح، وما يتعلق بذلك فيما هو من خصائص الله تعالى.

٥) اهتمام القصة بجانب الإخبار بالغيب مثل: الإخبار بالأحداث قبل وقوعها من طلب امرأة آل عمران الولد ، ثم بشارة مريم بعيسى u ، ثم حديثه في المهد بما سيكون منه، وذكر البشارة بمحمد r ، وذكر المساءلة التي ستكون يوم القيامة بينه وبين الله تعالى، وذكر استثناءه من مصير

المعبودات من دون الله يوم القيامة، وكذلك وصول أنباء الغيب عن قصته إلى نبينا محمد r عن طريق الوحي.

٦) وضع الأساس العام والقانون الإلهي في الاصطفاء، واهتمام القصة بالصلاح والعبادة في كل من له علاقة بالقصة، وهذا ينبه إلى حياة الطهر والعفاف، والهدى والنور التي نشأت فيها مريم عليها السلام، مما يدفع أي ريبة قد تحوم حولها. وما اكتنف ذلك من مبشرات لكفيلها زكريا u ثم تلاها بعيسى المسيح u ،مع الدقة والروعة في تصوير صفات ومؤهلات وخصائص عيسى u ، وما منح من آيات و معجزات.

٧) ظهور الالتجاء والدعاء إلى الله وحدة في القصة مما يدل على عقيدة التوحيد في الأطراف المهمة فيها، وهذا يظهر كثيراً مع تسلسل أحداثها منذ دعاء امرأة عمران، ثم مريم عليها السلام، ثم زكريا لكونها توطئة لوجود عيسى u ، ثم عيسى u ، وبعده الحواريين، إلى أن يصل الأمر بمن آمن بمحمد r ممن كانوا نصارى.

٨) التحدي للمعاند والمستكبر في جحد التوحيد وإثبات رسالة عيسى u وبشريته في كثير من مواطن القصة، سواء في عصر المسيح u ، أو الجاحدين للحق فيه بعد نبوة سيدنا محمد r ، كمثل خبر نصارى نجران في المباهلة، وغيرهم كثير ممن وردت أخبارهم الصريحة الصحيحة في السنة النبوية، وهذا بعد استيفاء كافة الطرق والوسائل للإيضاح والإقناع. وبعد ذلك يأتي دور الجهاد.

٩) تنبيه أهل الكتاب في محاجتهم الحق بالباطل، وعدم إنصافهم الحق الذي بين أيديهم في مواطن متعددة كمثل: مجادلتهم في دين إبراهيم ونفي التوحيد الذي هو عليه ونسبته إلى باطلهم مع التصحيح لحقيقته بحجة مسكته.

١٠) فتح الدعوة بين أهل الإسلام والنصارى إلى الأمرين الرئيسيين في الكتاب والسنة، وهما تبديل دين المسيح u ، وجحود نبوة محمد r ، وجعل الحوار معهم على ثلاثة أساليب: العلم والحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالى:﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [سورة النحل ، ١٢٥] ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة العنكبوت، ٤٦].

١١) دعوة أهل الكتاب ومنهم النصارى إلى التوحيد الذي جاءهم به عيسى u كمثل قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، ٦٤]

١٢) أن الإيمان الراسخ والعلم الصحيح، هما أمضى سلاح في مواجهة الباطل أياً كان نوعه، وهذا الجانب مبثوث في جميع القصة كمثل: إيمان مريم في مواجهة قومها، وإيمان عيسى في مواجهة قومه، وإيمان الحواريين، وإيمان أتباع النبي محمد r في مواجهة أهل الكتاب. كما قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة المائدة ، ٥٩]

١٣) النداء للنصارى بقوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) أو الحديث عنهم (بِأَهْلِ الْكِتَابِ) تذكيرا للأصل الصحيح الذي كان معهم، ولما فيه من أخبار وأحكام، وأن القرآن كتاب من عند الله أهدى منه وناسخ له ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة المائدة ، ٤٨]

١٤) تذكير أهل الكتاب بكثير من جرائمهم ومحاولتهم الصد عن سبيل الله، وأن هذا سيكون سبباً في زيادة عذابهم يوم القيامة لعلمهم الحق والانحياز أو الحياد عنه. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، ٧١] . ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران ، ٩٨-٩٩]

١٥) استبعاد أن يكون خيار الناس- وهم الأنبياء بما معهم من الكتاب والحكمة ولما بعثوا له من الهداية والرحمة- سبباً لانحراف البشر أو فسادهم عقدياً أوغيره. ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، ٧٩]

١٦) حماية الدين والمعتقد الصحيح، بالفطرة والرسل، وأخذ المواثيق على الأنبياء والأمم عليه.

١٧) الرسل والكتب هما المرجعية الثابتة للبشر، مع كون الرسل هم القدوة الصالحة عبر تاريخ البشر.

١٨) أن أمر الدين والعقيدة ثابت لا يتغير، مع التغيير في الشرائع حسب الأحوال والأزمان .

١٩) الوعد والوعيد في الدنيا والآخرة، والمصير إلى أحدهما مبني على أساس سلامة العقيدة بإتباع الرسل والعمل بالكتب وبقدر الخلل فيهما يكون الجزاء.

٢٠) أن الأمر في التحليل والتحريم، والنسخ والإقرار لله والرسل مبلغون عنه، وأن كل من تدخل فيها يعتبر منحرفاً ضالاً.

٢١) تغليب النصوص المتعلقة بالنصارى في بيان جرائمهم وانحرافهم وزجر ماهم عليه والتحذير منهم ظاهر على الجانب الإيجابي عندهم، مما يدل على الانحراف المتفشي فيهم، رغم وجود فئة قليلة مؤمنة ذكرها الله وأثنى عليها سواء من عاصرت زمن عيسى **u** ، أو نبي الإسلام محمد **r** .

٢٢) النهي عن الغلو معلم ظاهر من معالم النصوص المتعلقة بالنصارى.

٢٣) الولاء والبراء في جميع الملل والعقائد مبني على سلامة العقيدة.

٢٤) غياب العلماء حماة العقيدة في تاريخ النصرانية، وما وجد من محاولات منهم لم تفلح لرهبة الناس وتعلقهم بالرهبان والعباد أكثر فضلوا وأضلوا.

٢٥) مناقشتهم في دعوى الحظوة عند الله ونفيها، بل هي من الأمور التي استعلوا بها على غيرهم، وكانت من أسباب مقتهم وعقوبتهم.

٢٦) المنتظر من النصارى أن يؤيدوا الدين الجديد، لأنه يؤيد دينهم هم ويؤمن برسلهم وأنبيائهم، ويحترم كتبهم ويصفها بالهداية والنور.

٢٧) أن الحسد وسوء النية، من أهم الدوافع التي يكمن وراء موقفهم من المسلمين، وتمنيهم أن يرتدوا وأن يكفروا كما كفروا من قبل، ولن يرضوا إلا بإتباع ملتهم.

٢٨) التأكيد على مبدأ وحدة الرسالات والنبوات، وتأكيد ذلك عمليا بأمر الرسول **r** بإعلان إيمانه بما انزل إليه، وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وسائر الأنبياء.

٢٩) من اللافت للنظر حين عرض عقيدة النصارى استخدام أسلوب الحوار والمناقشة فهو يحاورهم ويناقشهم بكلام من عند الله (كما يدعون أن ما بين أيديهم كلام الله) وهذا الأسلوب من أكبر الأساليب الدافعة لنا إلى خطاب النصارى ودعوتهم بنصوص الوحي، فكثير ممن يؤمن منهم يقول إنما دفعه إلى الإسلام القرآن الكريم، أو كلام سيد المرسلين نبينا محمد **r** وسيرته. وهو عقلاً حقاً لأن القرآن إنما نزل إلى أمة مشركة أو أهل كتاب، وكان عرض نصوص القرآن أو رؤية وسماع كلام نبينا محمد **r** هو الدافع لكثير منهم إلى التصديق بالقرآن ونبي الإسلام . وقد أرشد الله أهل الإسلام إليه في دعوتهم لعموم أهل الكتاب . وحث على أن تكون بموضوعية وإنصاف،

ويطالب بالتمسك بهذه الأسس حتى لو أعرض المخالف عن الاحتكام إليها قال تعالى :﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران ، ٦٤]

٣٠) استخدام الحجج العقلية في بيان باطلهم ونقضه . كمثل أصل خلق عيسى **u** ، وتوجيههم كذلك إلى التفكر والتأمل، واستخدام عقولهم ليخلصوا بها إلى الحق.كما يظهر كثيراً في تذييل النصوص.

٣١) المقارنات بين الحق والباطل ظاهر فمنها الصريح ومنها المفهوم.

٣٢) تكرار استعمال أساليب الاستفهام بأنواعه في القصة.

٣٣) هتك أسرار أهل الكتاب في إخفاء الحق في أكثر من أمر، ومنها على سبيل المثال: معرفتهم للنبي **r** وإخفاء ذلك قال تعالى :﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة ، ١٦٤]

هذه بعض المعالم من نصوص الكتاب والسنة رغم أن معينهما لا ينضب، وفيهما من الدرر والعجائب ما تعجز عن إدراكه الهمم.

وفقنا الله للاستبصار والعمل بهما، ونهج أثرهما، والدعوة إليهما.

الخاتمة

وبعد:

فإن الحمد كله لله. والشكر كله لله. على ما أتم به من النعمة وأسدى به من المنة. وأسأل الله أن يجعل حروفها ومدادها حجة لي يوم ألقاه. وأن يحقق بها ما إليه سعيت. وما منه رجوت ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مع أني لم أتناول جميع نصوص مسائل الاعتقاد الواردة في قصة عيسى u في ذاتها، أو المتعلقة بمن هم نصارى في الكتاب والسنة، إلا أنني في ختام هذه الجولات والصولات مع النصارى وما هم فيه من ضلال وانحراف. أستخلص منها أنهم ليسوا على شيء، وأن عودهم لا صلابة فيه، وأنهم فقراء في العلم جهال في الحقيقة، ما وجدوا ضالتهم وهم كما سماهم ربهم ضلال، إلا من أدرك منهم الحق وأجراه الله على لسانه، وهم أحد رجلين: من ثبت على كفره و لم أعلم إسلامه، أو من هدى الله فاستنار بنور الإسلام.

وعليه فإن أهم ما توصلت إليه من نتائج البحث ما يلي:

أولاً: أن رسالة عيسى u ليست هي الموروث الثقافي والفكري الذي عليه النصارى من القرن الأول لميلاد المسيح وإلى العصر الحاضر.

وهي تخالفهم في الأمور التالية:

١- رسالة عيسى u تدعو إلى التوحيد لا التثليث، وتقول بأنه بشر رسول لا إله كما يدعيه أهل الإنجيل، وكما برأه الله من كل قول ادعوه فيه وتجاوزوا به حده.

٢- رسالة عيسى u ، خاصة لبني إسرائيل لا تتعداهم، و أيده الله في تبليغها بما شاء من الكتاب والمعجزات.

٣- عيسى u خلق من أم بلا أب دليلاً على قدرة الله تعالى. وإكمالاً للتنوع في خلق البشر.

٤- رسالة عيسى u تبشر ببعثة محمد u خاتم النبيين، وشريعته خاتمة الشرائع.

ثانياً: تضييع النصارى لرسالة المسيح u يظهر من الآتي:

١- أن الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) الذي بيد النصارى، في مجمله ليس كلام الله ولا وحيه إلى عيسى ولا أحد ممن يزعمون، بل هو تأليف مجموع مبدل ومحرف .

٢- رغم تحريف الإنجيل إلا أنه بقيت فيه بقية حجة عليهم تطابق الواقع غير صالحة للجزم بأنها من عند الله.

٣- أن كثيراً من عقائد النصارى في الملائكة، والقدر، واليوم الآخر وغيرها، في أصولها تتوافق إلى حد كبير مع ما عليه المسلمون، مما يدل على وحدة المصدر ودخول التحريف عليهم.

٤- أن عمل المنصرين جهد ضائع فبالإضافة إلى بطلانه، فلو صح فإنه منسوخ بشريعة أحمد وهو محمد r .

٥- خطر اليهود على دين الإسلام من بعثة عيسى u وإلى يومنا هذا فهم وراء الآتي:

- التشويش على النصارى في أمر المسيح u حتى آمن النصارى بأنهم صلبوه ثم قام.
- تحريف دين النصارى بالمكر والاحتيال كما فعل بولس وغيره، أو بالاضطهاد والتعذيب كما فعلوا بالوشاية إلى الرومان في عصر الدعوة الأولى.
- طمس معالم دين النصارى بتحريف الكتب ولا يزال هذا الأمر قائماً إلى اليوم.

ثالثاً: عموم رسالة محمد r إلى الإسلام وحدها وما سواها فكل نبي يبعث إلى قومه خاصة وقد جلى الله فيها مايلي:

١- أن رسالته وكتابه وشريعته ناسخة لجميع الرسائل والكتب والشرائع.

٢- أن عيسى u ما صلب ولا قتل بالدليل من الكتاب والسنة وما عند النصارى من الكتاب المقدس وأقوال منصفيهم.

٣- أن عيسى u رفع إلى السماء حياً بجسده، وسوف يترل منها في آخر الزمان علامة على الساعة وبما يقوم به من أعمال، كقتل المسيح الدجال غلبة لليهود وإبطالاً للنصرانية بكسر الصليب وقتل الختري وتأييدا لصدق نبوة محمد r بالحكم بشريعته والصلاة خلف إمام يصلي كصلاته r .

٤- دحض كل شبهة أو سخرية تتعلق بعيسى u كما رد الله على اليهود زعمهم فيه وكما برأه من دخول النار كما زعم المشركون فيه.

أما أهم التوصيات فهي:

١) التصدي لدعوة وحدة الأديان[١]، أو دين إبراهيم، أو الأديان السماوية، أو التقارب مع الآخر بكل وسائل التصدي.

٢) بذل مزيد من الجهد في نشر الدين الإسلامي بين أتباع الملل الأخرى، سواءً في جاليات الدول الإسلامية أو أقليات الدول الكافرة.

٣) نشر سماحة الإسلام بالعمل الحقيقي بالكلمة والتوجيه وبالمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة في جميع أوساط الأمم.

٤) لفت النظر في جميع الأوساط العلمية والأسرية والدوائر الحكومية إلى بذل جهود المنصرين، وتقصير جهد المسلمين في الدعوة إلى الإسلام كما قال أحدهم: إن النصرانية رجال بلا دين والإسلام دين بلا رجال.

٥) فتح آفاق الشارع المسلم إلى ما يقوم به أعداء المسلمين من جهود فكرية وسياسية وإعلامية لصد الناس عن دينهم، وجعلهم في برزخ لا إلى دينهم ينتمون ولا إلى الكفر ينتسبون فهوية إسلامية بلا شريعة مطبقة.

٦) الاهتمام بمكاتب دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية ودعمها فكرياً واقتصادياً وإعلامياً فكم هي تشكوا من الفقر في أغلب مكاتبها.

٧) إنشاء مزيد من القنوات والإذاعات الإسلامية والصحف والمجلات على منهج أهل السنة والجماعة بلغات العالم الرسمية والمحلية.

٨) توجيه الناس في الخطب والمحاضرات ووسائل الإعلام، للدعوة إلى الإسلام كل حسب وسعه.

٩) العناية بالرسائل الجامعية طباعة وترجمة فكم من رسائل تحمل عناوين هامة لم نعثر على نسخة منها، لا في الفهارس والمكتبات العامة ولا في جامعاتها فمن المستفيد من جهدها؟!

١٠) وحدة الصف الإسلامي السياسي والفكري والثقافي وتفعيل المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية، بما يتناسب مع جهود اليهود والنصارى لبث الفرقة والاختلاف وهذا أضعف الإيمان.

١١) بذل مزيد من مواجهة الأفكار والمعتقدات والأعمال الكفرية والشركية المبثوثة في العالم لإضعاف عقائد المسلمين والتشكيك فيها.

١٢) وضع المؤسسات الدينية للدعوة إلى الإسلام ووضع الخطط الإستراتيجية لحمايتها والمحافظة عليها.

١٣) دفع الزكوات للمؤلفة قلوبهم ممن هم بحاجة ويرجى إسلامهم.

وأخيراً قد تتنوع وسائل الحرب على الإسلام بكل أنواعها، وينبغي لبني قومي أن يهب حماسهم، وأن يتركوا الركون إلى الدعة والخمول؛ لمواجهة الزحف الظالم ومتعدد الأساليب، والوسائل ضد الإسلام والمسلمين.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) وحدة الأديان:دعوة ماسونية تستغل النصارى في القضاء على الإسلام وإخضاع شعوبه، وتتخذ أسماء جذابه مثل:الدعوة للعالمية، أو التوفيق بين الإسلام والنصرانية، أو الدعوة الإبراهيمية، وأحياناً تحت مسمى حوار الأديان، وتقوم فلسفتها على القواسم المشتركة في الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وغيرها بين النصرانية والإسلام. الموسوعة الميسرة٢/١١٧٥.



الفهـــــارس

1ـ فهرس الآيات القرآنية.

2ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.

3ـ فهرس الأعلام.

4ـ فهرس الفرق والطوائف.

5ـ فهرس الأماكن والبلدان

6ـ فهرس المصطلحات والألفاظ.

7ـ فهرس المصادر والمراجع.

8ـ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الأية	اسم السورة
		سورة البقرة
١١	٢١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ....﴾
٣٥٦	٢٥	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾
٢٤٥	٣٥-٣٦	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
٨٠	٨٧	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾
١١٤	١٠٢	﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾
٢٧٤	١١٦	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾
١٨٦	١٣٣	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾
٩٩	١٣٦	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾
٣١٦	١٤٦	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾
٣٥٩	١٦١-١٦٢	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
٣٢٤	٢١٤	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الأَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ جَنَّةَ ﴾
٢٧	٢٥٣	﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾
٣٥٠	٢٥٥	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾
٢٧٢	٢٨٥	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾
		سورة آل عمران:
٩٤	٣	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾
٣٣٩	٧-٩	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾
١	١٩	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
١٧	٣٣	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا ﴾
٢٠	٣٥	﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾
٢٠-٢٢	٣٦	﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾
٢٣	٣٧	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾
٤٣	٣٩	﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾
٢٦	٤٢	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾
٢٤	٤٤	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾
٨٨	٥٢-٥٣	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾
	٤٩-٥٠	﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾
٤٥	٥٩	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾

اسم السورة	الأية	الصفحة
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾	٦٤	٢٤٧
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾	٦٧	٨٩
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾	٧٠	٣٦٧
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾	٨١-٨٢	٧٩-٨٠- ٢٠٥
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾	٨٥	٨٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾	٩١	٣٦١
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾	٩٨-٩٩	٣٦٧
﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾	١٥٨	٣٤٣
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾	١٩٢	٣٥٧
﴿) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾	١٩١-١٩٤	٣٥٧
سورة النساء:		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾	١٠	٣٦١
﴿﴾إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	٤٨	٣٤٩
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ﴾	٨٢	٢٩٤
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾	٨٧	٣٣٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾	١٣٦	٩٨
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ ﴾	١٤٥	٣٥٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾	١٥١	٣٠٩
﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ﴾	١٥٦-١٥٩	١١٥
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾	١٦٤	
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾	١٦٨	٣٤٩
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾	١٧١-١٧٢	٤٩
سورة المائدة:		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	٣	
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾	١٣	٢٨١
﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾	١٤	٢٤٧
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾	١٥	٢٦٩
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾	١٧	٢٠٣
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾	١٩	١٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾	٣٦	٣٦١

الصفحة	الآية	اسم السورة
٧٦	٤٤	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾
٢٧٣	٤٦	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾
٣٦٧	٥٩	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ ﴾
٣٢٢	٦٧	﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾
٢٥	٧٥	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾
٢٠٥	٧٨-٧٠	﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
٢٩٤	٨٣	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾
٧٩	١١٠	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾
١٤٦	١١٩-١١٦	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾
		سورة الأنعام:
٣٦٣	٢٠	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾
٣٤٣	٣٨	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾
٣٣٤	٥٠	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾
٢٦١	٦١	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾
٢٧٧	١٤٨	﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾
٢٤٦	١٦٤	﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾
		سورة الأعراف:
٣٥٣	٢٠-١٩	﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾
٩٩	٤٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾
٤٥٥	٤٣	﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾
١١	٥٤	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ﴾
٩١	٥٩	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾
٩١	٦٥	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾
٩١	٧٣	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾
٩١	٨٥	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾
٣١٢	١٠٧	﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾
٣١٢	١١٧	﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾
٢٧٣	١٤٥	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾
-٨١ ٣٠٩	١٥٨-١٥٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾
٨	١٧٣-١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾

فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

الحديث	الصفحة
«إن عيسى لم يمت ، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة »	١٢٥
«أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون »	١٤٥
«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك »	٣٤٨
«إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ »	٣٤٨
«أن اللَّهَ يقول لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لو أَنَّ لك ما في الأرض مـــن شَـــيْءٍ كُنْـــتَ	٨
«إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وشبابه كما يشتهي »	٣٥٥
«إن لله تسعة وتسعين اسما »	١٩٥
«اهْجُهُمْ أو هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ »	٢٥٨
« أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته فيقال هذا أبوكم آدم »	٣٥٧
« بينا أنا نائم أَطوفُ بالكعبة فإذا رجلٌ آدمُ سَبْطُ الشعر ينطفُ »	٧٢
« تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران »	٣٥٩
«تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عليهم حتى يَقُولَ الْحَجَرُ يا مُسْلِمُ هذا يَهُودِيٌّ وَرَائِـــي	١٣٨
«ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجـــزوا فـــأعطوا قيراطـــا	٩٣
« ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لهم من كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ»	٢٠٩
«ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ من الرُّمَّانَةِ »	١٤٣
« ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا»	٣٤٢
«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما »	٣٥٤
«حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره »	٣٥٦
«خلقت الملائكة من نور»	٢٦٠
« خيرُ نسائها مريم ابنةُ عِمرانَ ، وخيرُ نسائها خديجةُ »	٣٣
«دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا »	٣٥٦
« ذَكرَ النبيُّ r يوماً بينَ ظَهرَي الناسِ المسيحَ الدجّالَ »	٧٢
«رأى جبريل في صورته وخلقه ساد ما بين الأفق»	٢٦٠
« رَأَىٰ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ. فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلاَّ. »	٦٨
«رفع عيسى بن مريم وهو بن ثلاث وثلاثين سنة »	١١٥
« عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ. فَإِذَا مُوسَىٰ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ».	٧٣
«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فأجد النبي يَمُرُّ معه الْأُمَّةُ »	٣٤٩
«فَأَخْبِرْنِي عن الْإِيمَانِ قال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ »	٢٦٠
«فإذا انْصَرَفَ قال عِيسَى عليه السَّلَام افْتَحُوا الْبَابَ فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ »	١٣٧

فهرس الأعلام المترجم لها

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصطلحات والألفاظ

المصطلح أو اللفظ	الصفحة
العمش	١٠٦
الغلو	٣٥
الفئام	١٤٣
فخذ	١٤٣
فرسي	١٣٩
الفلسفة	١٠
الفلك	١٦١
القرعة	٢٣
قسيس	
القلاص	١٤٣
الكاردينال	١٧٤
الكنيسة	٦٠
الكهنة	
اللاهوت والناسوت	١٦٢
اللقحة	١٤٣
المادة	١١١
مدر	
المسانيد	١٣٧
المصراعان	
المطران	١٧٤
المكاشفات	١٠
الملة	١٣٠
مهرودتين	٧٠
الميتافيزيقا	
النغف	١٣٩
الوثنية	٦٣
يتهارجون	١٤٣

فهرس المصادروالمراجع

١) ابن ابي العز: الامام القاضي علي بن علي بن محمد بن ابي العز الدمشقي،شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: د.عبدالله بن عبد المحسن التركي و شعيب الارناؤوط،(مؤسسة الرسالة،الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـــ-٢٠٠٣م).مكرر

٢) ابن القيم: الإمام ابن قيم الجوزية، هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى، د. أحمد حجازي السقا،(دار الريان للتراث).

٣) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) محمد بن أبي بكر الزرعي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤) ابن القيم: شمس الدين ابن قيم الجوزية، اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، تحقيق:علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الاثري، (دار ابن الجوزي، الطبعة الاولى، رجب ١٤٢٤هـــ).

٥) ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـــ - ١٩٨٦ م).

٦) ابن تيمية: الأمام ابن تيمية،الإسلام والنصرانية، د. محمد زينهم محمد غرب،(الروضة).

٧) ابن تيمية: الشيخ تقي الدين ابن تيمية، كتاب النبوات، تحقيق: أبو صهيب الرومي، وعصام فارس الحرستاني، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م).

٨) ابن تيمية: تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن تيمية، العبودية، تحقيق علي حسن عبد الحميد، (دار المغني، الطبعة الرابعة١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م).

٩) ابن تيمية: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، د. علي بن حسن بن ناصر الألمعي، وآخرون (دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٤م).وطبعة(دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـــ - ١٩٩٩م).

١٠) ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام،(مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـــ،).

١١) ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،(مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الثانية،١٤١٤هـــ- ١٩٩٣م).

١٢) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ،تهذيب التهذيب، (دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤ م).

١٣) ابن حجر: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، (دار المعرفة، بيروت). (دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م).

١٤) ابن حزم: أبي محمد علي أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملك والأهواء والنحل، أحمد شمس الدين،(دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٥) ابن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مؤسسة قرطبة، مصر).

١٦) ابن كثير: الحافظ: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية (مؤسسة المعارف للطباعه والنشر، دار ابن حزم، لبنان – بيروت، الطبعه: الاولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٧) ابن كثير: الأمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، النهاية في الفتن والملاحم، أيمن صالح شعبان، (المكتب الثقافي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

١٨) ابن كثير:الأمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،(دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، وكذلك طبعة (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).

١٩) ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: د. بشار عواد معروف (دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) وكذلك بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار الريان للتراث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى).

٢٠) ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (دار صابر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

٢١) أبو الوفا:الباحث محمد عبد الرحيم أبو الوفا، حوار من أهل الكتاب،(دار هاني الخزار للنشر،الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠٠١م).

٢٢) أبو داود: الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود تحقيق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد دار ابن حزم، بيروت – لبنان،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) تحقيق: محمد عوامة (دار القبلة، جدة، ومؤسسة الريان - بيروت، والمكتبة المكية - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٢٣) أبو زهره: الإمام محمد أبو زهره، محاضرات في النصرانية، (دار الفكر العربي).

٢٤) أحمد ديدات، ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد عليه السلام، علي حسن علي عبد الحميد، ترجمة وليد عثمان،(دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م).

٢٥) الأستاذ اللاهوت بأثينا، كتر النفائس في اتحاد الكنائس.

٢٦) الأشقر د. عمر سليمان الأشقر، القضاء والقدر، (دار النفائس للنشر، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م).

٢٧) الأشقر: الشوكاني، زبدة التفسير من فتح القدير، إختصار: محمد سليمان عبد الله الأشقر (دار المؤيد - الرياض، ط . ٥/١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩م) .

٢٨) الأشقر: د. عمر سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، (دار النفائس، الطبعة السابعة، ١٤١٨هت - ٩٩٧م).

٢٩) الأشقر: د. عمر سليمان الأشقر، القيامة الكبرى، (دار النفائس، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م).

٣٠) الأشقر: د. عمر سليمان الأشقر، عالم الملائكة الأبرار،(دار النفائس، الطبعة العاشرة، ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م).

٣١) الأشقر: د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، الرسل والرسالات،(دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٤م).

٣٢) الأشوري: عبد الأحد داود العراقي، الإنجيل والصليب،(مكتبة النافذة، الطبعة الأولى،٢٠٠٤).

٣٣) الأعظمي: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات اليهودية والمسيحية وأديان الهند،(مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م).

٣٤) الآلوسي: أبي الفضل شهاب الدين السيد الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد حسين العرب،(دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م)وكذلك طبعة (دار إحياء التراث العربي- بيروت)

٣٥) إنجيل برنابا، د. أحمد حجازي السقا، ترجمة د. خليل سعادة،(كنوز للنشر والتوزيع).

٣٦) البار: د. محمد علي البار، العهد الجديد والعقائد النصرانية، (دار التعليم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـــ - ٢٠٠٦م).

٣٧) البار:د. محمد علي البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، (الطبعة الأولى ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م).

٣٨) الباش: حسن الباش، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، (دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـــ - ٢٠٠١/).

٣٩) بايلي: د. برايان ج بايلي، حياة المسيح،(قرية الأطفال).

٤٠) البخاري:الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله r وسننه وأيامه (صحيح البخاري) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر(دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ وكذلك طبعة دار الجيل)

٤١) بوكاى: موريس بوكاى، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (دار المعارف، لبنان، الطبعة الربعة، سبتمبر، ١٩٧٧م).

٤٢) بوهندي: د. مصطفي بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤).

٤٣) الترمذي: الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية(سنن الترمذي)، تحقيق: ماهر ياسين فحل، وإشراف: د. بشار عواد (دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م) وكذلك بتحقيق: سيد بن عباس الجليمي (دار الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

٤٤) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من العلماء، (لتعريب والجمع شركة ماستر ميديا، القاهرة- مصر).

٤٥) التنير: محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،(مكتبة النافذة، مصر - الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥).

٤٦) تورى: يونس تورى، عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منها، (١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ).

٤٧) جاد: ممدوح جاد، هل المسيح هو الله (المسيح في الإنجيل بشر)، (مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م) .

٤٨) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري (دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ).

٤٩) الجزري:أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٥٠) جعفر: د. محمد كمال جعفر، الإنسان والأديان، (دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).

٥١) الجهني: د. مانع بن حماد الجهني اشراف وتخطيط ومراجعة ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،(دار الندوة العالمية، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ).

٥٢) الحاج: د. محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،(دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٥٣) الحاكم: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،(دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

٥٤) حبنكة:عبد الرحمن حبنكة الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ،(دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).

٥٥) الحبيب:د. منيرة بنت عبد الله بن صالح الحبيب، عيسى بن مريم في ضوء الكتاب والسنة، (١٩٨٦م- ١٩٨٧م).

٥٦) حزبون: العلامة السعيد الذكر أفلاطون مطران موسكو، الخوري يوحنا حزبون، الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذوكسية، (منشورات النور).

٥٧) الحكمي: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول، محمد صبحي بن حسن حلاق، (دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٥٨) حلمي : د. مصطفى حلمي، الإسلام والأديان - دراسة المقارنة،(دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، قسم: عقيدة).

٥٩) الحمد: عبدالقادربن شيبة الحمد، الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة،(دار الزمان، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .

٦٠) الحمد: محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب،(دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

٦١) الحمد: محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في العقيدة،(دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٦٢) الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان ، (دار الفكر – بيروت).

٦٣) الحميري:أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (دار الجيل، بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

٦٤) الخالدي: د. صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (دار دمشق - الدار الشامية بيروت، ط . ١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٦٥) الخلاص المسيحي، أحمد عجيبة،

٦٦) الخلف: د.سعود عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (مكتبة الأضواء السلف، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٦٧) خليل: د. محمد عبد القادر خليل، المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر،(مطابع الصفا، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٦٨) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان المسيحية، (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة ١٩٨٤).

٦٩) الدرويش: أ. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،(دار الإرشاد، سورية - حمص ودار ابن كثير ودار اليمامة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٧٠) دويدار: د. بركات دويدار، الوحدانية،(دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م).

٧١) ديدات: أحمد ديدات / ترجمة علي الجوهري، (دار الفضيلة، مصر - القاهرة).

٧٢) ديدات: أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء، ترجمة علي الجوهري (دار الفضيلة، القاهرة).

٧٣) ديماري: د. دونالد ديماري، عقائد أساسية، ترجمة شاكر ابراهيم سعيد، (مكتبة النيل المسيحية، القاهرة).

٧٤) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م).

٧٥) الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

٧٦) رستم: سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام، (الأوائل، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م).

٧٧) زامل: د. مريم عبد الرحمن عبد الله زامل، موقف ابن تيمية من النصرانية،(مطابع جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ - ٩٩٧م).

٧٨) الزجاج: أبو اسحاق ابراهيم الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي (عالم الكتب، بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

٧٩) الزرقاني:محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٨٠) الزركشي:محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة، بيروت ١٣٩١م).

٨١) الزمخشري: محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم(دار المعرفة - لبنان ، الطبعة الثانية) وكذلك بتحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلميه،بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

٨٢) سبرول: ر. ك. سبرول / ترجمة : نكلس سلامه، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، (مكتبة المنار، مصر - القاهرة).

٨٣) سرور: رفاعي سرور، المسيح دراسة سلفيه، (دار هادف، القاهرة، الطبعة الأولى).

٨٤) سعد:حبيب سعد، أديان العالم، (دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة).

٨٥) السعدي: محمد السعدي، دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة،(دار الثقافة، قطر - الدوحة، الطبعة الثانية،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٨٦) السعدي:العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (جمعية إحياء التراث الإسلامي، الضاحية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٨٧) السفاريني: العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي د/ ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، (المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١١هـ - ١٩٩١م).

٨٨) السقا: د. أحمد حجازي السقا، الأرواح وحياة القبور،(مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م).

٨٩) السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،تحقيق سعيد المندوب (دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٩٠) الشتيوي: د. محمد رجب الشتيوي، النصرانية دراسة مقارنة، (دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

٩١) الشنقيطي:الشيخ محمد الامين بن محمد المختار الجنكي الشنيقيطي، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، ضبطه وصححه وخرج آياته:محمدبن عبدالعزيزالخالدي،(دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣ م).

٩٢) الشهرستاني:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل،(دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨م)، وكذلك تحقيق : محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ).

٩٣) صعب: أديب صعب، الأديان الحية نشوؤها وتطورها (دار النهار).

٩٤) الصنعاني: الإمام محمد بن إبراهيم الوزير الصنعاني، ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذاهب الحق من اصول التوحيد، المحقق:احمد مصطفى حسين صالح وآخرون،(دار اليمنية،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)

٩٥) الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أحمد عبد الرزاق البكري / محمد عادل محمد / محمد عبد اللطيف / محمود مرسي،(دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

٩٦) طه: د. عزية علي طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل دراسة المقارنة،(الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٩٧) الطهطاوي: المستشار محمد اسماعيل الطهطاوي، النصرانية والإسلام،(دار الأنصار بالقاهرة).

٩٨) الطهطاوي: المستشار محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان،(دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٣م).

٩٩) طويلة: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، الكتب السماوية وشروط صحتها،(دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة ستة الطباعة، ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠).

١٠٠) طويلة: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، المسيح المنتظر ونهاية العالم،(دار السلام، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـــ - ٢٠٠٤م).

١٠١) العايب: د. سلوى بالحاج صالح العايب، المسيحية العربية وتطوراتها،(دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، أكتوبر ١٩٩٨).

١٠٢) العبادي د. سارة بنت حامد بن محمد العبادي، موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، (مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م).

١٠٣) العبادي: د. سارة بنت حامد محمد العبادي، التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة،(دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة - العزيزية، الطبعةالأولى،١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٣م).

١٠٤) عبد الباري: د. فرج الله عبد الباري، موسوعة العقيدة والأديان/ يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية،(دار الأفاق العربية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤).

١٠٥) عبد القادر: د. محمد ممتاز عبد القادر، نقد الأناجيل المرفوضة والمعترف بها،(كنوز للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م).

١٠٦) عبد المحسن: د. عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، (الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م).

١٠٧) عبد المحسن: د.عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى،(الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية،١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م، قسم: عقيدة).مكرر

١٠٨) عبد المحسن: د.عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـــ - ٢٠٠١م).

١٠٩) عبد الوهاب: لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف، (مكتبة التراث الإسلامي (٨ شارع الجمهورية - عابدين).

١١٠) عبيدات: د.عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية،(دار النفائس، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـــ - ٢٠٠٠م، قسم: عقيدة).

١١١) العثيمين: فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (دار ابن قيم الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، محرم، ١٤٢٤هـــ).

١١٢) العثيمين: فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (مكتبة طبرية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

١١٣) العثيمين: فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،(دار الوطن، الرياض، شارع المعذر، ١٤١٦هـ).

١١٤) العثيمين: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، جمع وترتيب :فهدبن ناصرابراهيم السليمان، (دار الثريا للنشر الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

١١٥) العقل:د. ناصر عبد الكريم العقل ، وناصر بن عبد الله الفقاري،الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة،(دار الحميصي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

١١٦) علاء أبو بكر، المناظرة الكبرى مع القس زكريا بطرس حول صحة الكتاب المقدس،(مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

١١٧) عمر: عمر أحمد عمر، رسالة الأنبياء من شعيب إلى عيسى، (دار الحكمة، سورية - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ).

١١٨) العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية،(الياس للطباعة، الطبعة الرابعة، يناير، ٢٠٠٧).

١١٩) العيني: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،(دار الفكر)وكذلك (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

١٢٠) غراهم: د. بيلي غراهم، الملائكة، ترجمة العش جريس دله، (دار النشر المعمدانية).

١٢١) الغزالي: الأمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو عبد الله السلفي،(المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٢٢) الفاضلي: د. داوود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، مكتبة المعارف).

١٢٣) الفوزان: د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد،(مكتبة الهداية، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

١٢٤) الفيروز أبادي: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي(دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)

١٢٥) القحطاني : قذلة بنت محمد بن عبد الله القحطاني، أصول الاعتقاد في سورة يونس، (دار طويق، الرياض، الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م).

١٢٦) القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، عبد الرزاق المهدي، (دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هــ - ٢٠٠٤م).
١٢٧) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا(دار التراث العربي، القاهرة ١٣٩٨هــ).
١٢٨) قصص الرحمن في ظلال القرآن، أحمد الحمصي
١٢٩) قطب: سيد قطب، في ظلال القرآن، (دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هــ - ١٩٩٢م).
١٣٠) الكتاب المقدس،(دار الكتاب المقدس بمصر، الطبعة السادسة، ٢٠٠٦م).
١٣١) كحالة: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين،(مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هــ - ١٩٩٣م).
١٣٢) الكشميري:إمام العصر المحدث محمد انور شاه الكشميري الهندي،التصريح بما تواترفي نزول المسيح،،تحقيق:عبد الفتاح ابوغدة،(دار السلام- القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٦هــ - ٢٠٠٥م).
١٣٣) الكوثري:الأستاذ الإمام محمد زاهد الكوثري، نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة، (دار الجيل للطباعة، جمهورية مصر، الطبعة الأولى،١٣٦٢هــ - ١٩٤٣م، الطبعة الثانية،١٤٠٨هــ - ١٩٨٧م).
١٣٤) اللالكائي: الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبه الله ابن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة من الكتاب وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق : الدكتور أحمد بن سعيد بن حمدان الغامدي، (مؤسسة الحرمين الخيريه، الطبعة الثامنه ١٤٢٣هــ-٢٠٠٣م)
١٣٥) مرجان: د. محمد مجدي مرجان، المسيح إنسان أم إله،(مكتبة النافذة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م).
١٣٦) مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم) (دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت) وكذلك بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (الناشر: دار عالم الكتب، الرياض).
١٣٧) المصري: محمد عبد الهادي المصري، معالم الإنطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة، (دار الوطن، الرياض، الطبعة السابعة ١٤١٣هــ).
١٣٨) المعهد الملكي للدراسات الدينية، عيسى ومريم في القرآن التفاسير،(دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن).

١٣٩) المناوي: العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير،(دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م).
١٤٠) المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق : د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ).
١٤١) مير: الأستاذ ساجد مير، المسيحية (النصرانية)، (دار السلام بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢م).
١٤٢) النحاس:أبي جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني،(جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٨م
١٤٣) نخبة من الأساتذة ذوي الإحتصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، (مجمع الكنائس في الشرق الأدنى،بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١م).
١٤٤) النسائي: الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي وإشراف شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م).
١٤٥) نقض دعوى عالمية النصارى، فرج الله عبد الباري،
١٤٦) النووي: الإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، شرح النووي على الصحيح مسلم،(مكتبة الرشد، السعودية، طريق الحجاز، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـــ - ٢٠٠٤م).
١٤٧) الهندي: رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، إظهار الحق، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـــ).
١٤٨) الوابل: يوسف عبدالله يوسف الوابل،اشراط الساعة،(دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة والعشرون، محرم ١٤٢٧هـــ).
١٤٩) يوسف: محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين،(دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م).

فهرس الموضوعات